نجم الدين السهروردي

التاريخ لم يبدأ غداً

حقائق واسرار
عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني ٤١ و ٥٨
في العراق



اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 17 / ربيع الأخر / 1444 هـ
11 / 11 / 2022 م

سرمد حاتم شكر السامرائـــي



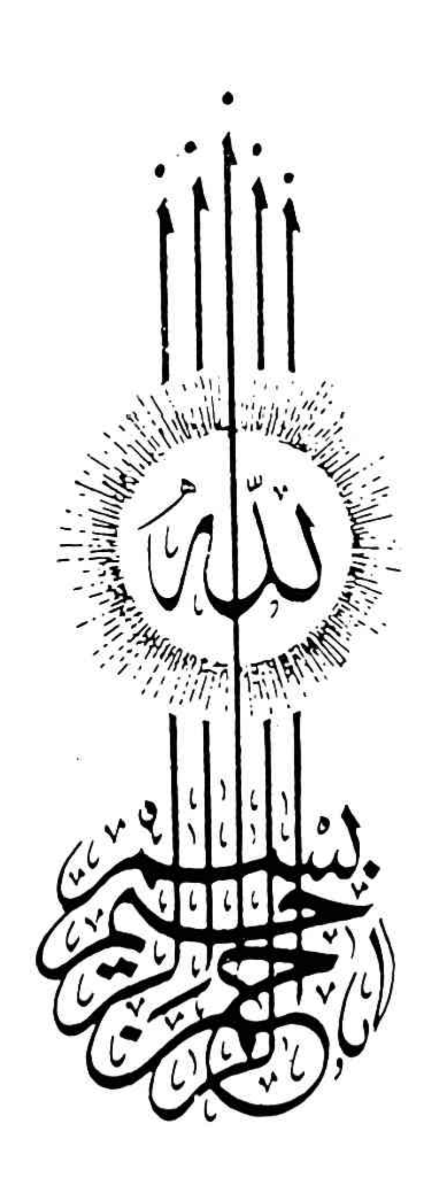


الطبعة الاولى
٢ مايس ١٩٨٨
الطبعة الثانية
٢ مايس ١٩٨٩
نشر وتوزيع شركة المعرفة للنشر والتوزيع
بغداد ـ ص . ب ٥٢٢٤ هاتف ٨٨٦٨٦٩٤

نجم الدين السهروردي

التاريخ لم يبدأ غداً

حقائق وأسرار عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١ و٥٨ في العراق


بسم الله الرحمن الرحيم

● الطبعة الأولى 2 مايس 1988
المركز الدولي للدراسات التربوية
ـ بلاد العرب ص . ب 3294 الدوحة ـ قطر
ـ كندا غرب فانكوفر

●First published by International Education Studies.

- Bilad El-Arab, P.O. Box 3294,
DOHA — QATAR.

- 67 GLENMORE DRIVE
WEST VANCOUVER,
B.C. V75 1A 5
CANADA

الوطن ...

... مَـا عَـزَّ سُلطانٌ الا بِـالسَّيفِ..

ولا امتَهَنَتْ أُمَّـةٌ إلا مِنَ الخَـوْفِ..

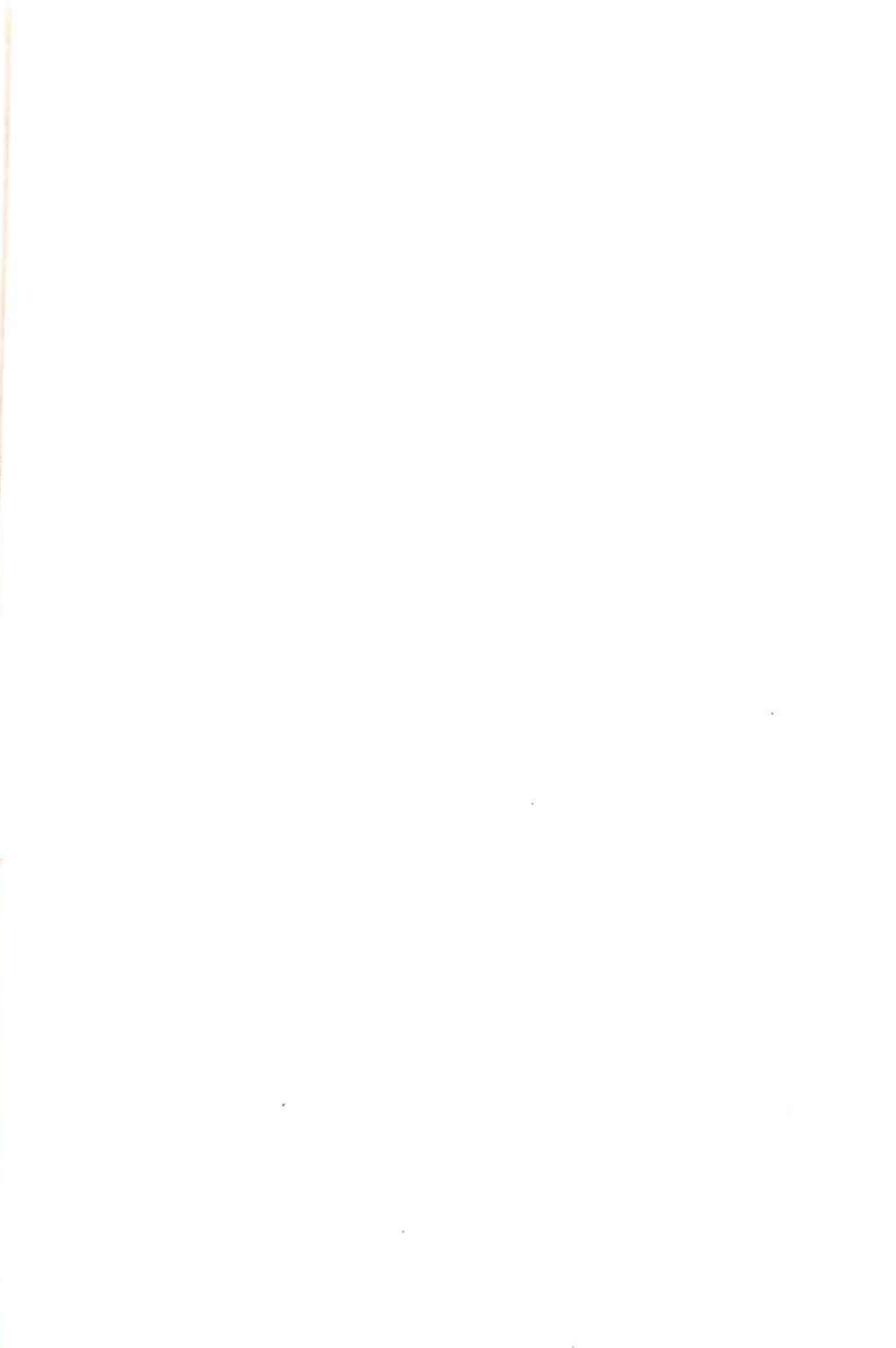
فَـرُبَّ حَيـاةٍ تَكُـونُ في طَلَبِ المَـوْتِ..

وَرُبَّ مَـوْتٍ يَكُـونُ في طَلَبِ الحَيَـاةِ..

وَخَيْـرٌ لِـلأُمَّـةِ أَنْ تَمـوتَ في حَيـاةِ الْـوَطَنِ..

مِنْ أَنْ يَمُـوتَ الْـوَطَنُ في حَيَـاتِهـا.

عبد الغني العريسي



الاهداء ..

.. الى شهداء الأمة العربية الذين رووا بدمائهم الزكية تربة وطننا الكبير..

.. الى جيش العراق الصامد في الجبهة الشرقية من وطننا العربي الكبير..

.. الى كل عربي شريف مؤمن بوحدة امتنا المجيدة وبترابها المقدس الطاهر..

.. الى شبابنا المقدام في كل زمان ومكان..

اهدي هذا السجل المتواضع.. والله من وراء القصد..

السهروردي ..

محتوى الكتاب ..

كلمة لابد منها ..

ليس سهلاً أن يبحث مواطن من ابناء الامة العربية . . بغدادي المولد والنشأة ، عربي النزعة والانتماء ، قوي الايمان بالله وبرسله وكتبه واليوم الآخر ، عسكري السلوك والانضباط ، عريق النسب والحسب ، وقد عاصر أحداثا صنعت جوانب مهمة من تاريخ العراق ، والامة العربية بخاصة ، والعالم بعامة ، كانت حتى وقت قريب ، تشكل منعطفات بالغة التأثير في مسار مجتمعاتنا العربية وتطلعاتها المستقبلية دون ان يتأثر بها او يتفاعل معها . .

. . . وهكذا كان . .

. . وتمر السنون ، واحداث العالم والامة العربية تتفاقم . وهي تواجه اعداءها بصبر كبير وارادة حديدية لا تلين . في الداخل والخارج ، وعلى جميع الاصعدة ، والمستويات وفي مختلف الجبهات حتى هيىء الله لها ومنذ مطلع هذا القرن ، الذي شهد حربين عالميتين ضاريتين رجالا اشداء استطاعوا ان يحدثوا التغيير والتغير ، انتصارا للحق والحقوق يوم اغتصبها المستعمرون الكفرة بعد القضاء على الدولة العثمانية والتي لم تحسن الحفاظ على (عهد الخلفاء المسلمون) حين انغمس سلاطينها وولاتها في ملذات الحياة حتى غرقوا في ترف مزيف ازال معه آخر ما تبقى لعهد الخلفاء الذين حملوا راية الدين الحنيف ، في غفلة من الزمان العربي المتردي . . فتبدلت الوجوه ، وتغيرت الاحوال في ضوء المستجدات . جغرافيا ، وسياسيا واجتماعيا ، نتيجة ما أفرزته الثورة الصناعية وعصر النهضة في اوروبا ، والتي تركت بصماتها في كل مكان فبلغ التطور التقني فيها شأواً تميز فيه عصرنا هذا ليضع معه العالم كله على مفترق الطريق . . بين متقدم ومتخلف ، وبين اول وثالث !! وبين معسكرين اثنين لا ثالث لهما ! ؟ .

. . وأما في العراق . . موئل الامة العربية والاسلامية ، فقد قامت ثورات ووقعت انقلابات وانتفاضات وتحديات وحروب منذ ان خان الانكليز والفرنسيون العهود حتى استقرت الامور فيه يوم استطاع ابناؤه المؤمنون ، وعلى جميع الاصعدة والمستويات ان يحققوا انتصارات مؤزرة على اعداء الامة والوطن بفضل من عند الله وتوفيق للقيادات الصامدة بدءاً

بثورة العشرين ومرورا بثورة الواحد والاربعين والثامنة والخمسين وانتهاءً بثورة السابع عشر - الثلاثين من تموز ١٩٦٨ .

.. ان تاريخ العراق المعاصر ، والذي يؤلف بحكم كياناته الأزلية المتينة ، فصلا حيويا مهما ومؤثرا ، من نضال وكفاح الامة العربية والاسلامية ، مايزال يعانى مرارة العدوان المباشر على سلامته وسلامة شعبه ووحدة ترابه وخصائصه التى تميزت بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية لحماية ابناء الامة العربية كلها .. وعلى امتداد ترابه المقدس .. ان تاريخ العراق المعاصر الذى نحاول البحث في بعض فصوله .. ومن زوايا معينة ، قد تتسم بشيء من الخصوصية والتميز بحكم احداثها الحقيقية وما خفي منها . لعلها تضيف لمن يعنيه مستقبل ابنائه . وهذه الامة لحمايتهم وحمايتها والذود عن شرفها وعرضها وعزتها وكرامتها .. فصولا كانت الى وقت قريب خافية او مجهولة .. وهو ما سنتناول سرده في هذه اليوميات .. (حقائق مجردة) مستمدة من واقع ملموس ، بعيدا عن المؤثرات والانفعالات التي حاول المستعمرون واذنابهم معها . طمس معالمها بكل الوسائل الخبيثة خوفا من آثارها وما يمكن ان تتركه في نفوس الاجيال الصاعدة ، روح التحدي والتصدي لاعداء امتنا والوقوف في وجه الاستعمار ، قديمه وجديده ، والمتمثل بالشعوبية البغيضة والصهيونية العالمية اللئيمة ومن يقف وراءها من جهة . وبالقضاء على التخلف المقيت الذي خلفته قوى الشر المعادية للعرب والاسلام من جهة ثانية .

.. ومن هنا .. ولاسباب كثيرة اخرى ، سيكتشف المواطن اللبيب والقارىء الحصيف ، بعض هذه الجوانب الخطيرة التى غابت عن ابناء شعبنا وامتنا ، وبخاصة فصائل الشباب منهم . اصحاب المصلحة الحقيقية والتي ضمنتها هذه اليوميات.. عسى ان تُلقيَ ضوءا تنير لكل مخلص شريف ، طريق الحياة الحرة الكريمة ، فى ظل عهود وكيانات جديدة نحياها نحن احفاد عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وخالد بن الوليد وطارق بن زياد ومن مكنهم للذود عن حياض الامة والوطن ، في ظل دين عربي حنيف وكتاب منزّل مجيد تحت راية محمد بن عبد الله خاتم الانبياء وسيد المرسلين .. وهو حسبنا حتى يوم الدين ..

الناشرون

بلاد العرب في رمضان ١٤٠٨ هـ

٢ مايس ١٩٨٨ م

... مدخل ...

منذ ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في العام ١٩٤٥ م واحتلت جيوش الحلفاء دول اوروبا برمتها . . وسيطرت جحافلها العسكرية الهائلة على مناطق النفوذ الحيوية المتنازع عليها في كل مكان ، وبخاصة في المغرب العربي والسودان والصومال وقناة السويس واقطار المشرق العربي والشرق الاوسط ، حاول حكام هذه المناطق تحديد مواقفهم تجاه هيمنة الحلفاء ، وقد حققوا نصرا عسكريا ساحقا على دول المحور . . يوم تمنى العرب ، وكل الدول التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار الانكليزي والفرنسي ، النصر لها ضد اعدائها الطبيعيين ، لاحبا بهم ، وانما كرها للاستعمار والاستغلال البغيضين ، ما كان ينبغي عمله تجاهها كدول مستعمِرة (بكسر الميم) والتي اعتبرت المناطق المستضعفة بنفس خندق دول المحور . . فضاع معها ذلك الامل وتبددت احلام اليقظة التي حاولت شعوبها الأبية الرافضة للاحتلال العسكري الجديد ، انتزاع حريتها بالدم والنار في افريقيا والعراق ، وبلاد الشام ومصر . . ومناطق النفوذ الغاشمة في جنوب شرق آسيا بالذات . . وعلى قدر تعلق الامر بالعراق . . حيث كانت المنطقة العربية تشكل أحد أهم وابرز مناطق النفوذ الاستعمارية ، القديم منها والجديد ، فإن الصورة التي كانت عليها قد اختلفت اختلافاً جوهرياً عن بقية اجزاء الوطن العربي برمته يوم اعادت بريطانيا سيطرتها العسكرية على جميع المرافق الحيوية في حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١!؟ .

. . وعودة سريعة الى تلك الحقبة التاريخية الكأداء من الزمان العربي ، يتضح لنا جلياً ما آلت اليه أوضاع المشرق العربي كله ، بعد ان استقرت فيها

السيطرة الانكليزية والامريكية بكل ثقلها وابعادها .. والعياذ بالله ! ؟ .
.. وما أن انقضى العام ١٩٤٦ حتى عاد الى الوطن من عاد ومنهم من اعتقلتهم ونفتهم او أسرتهم حكومات الحلفاء ، فأعدم من دافع عن شرف الامة وكرامتها .. وسجن من قال (لا) وقد نسي اعوان الاستعمار ، أو تناسوا (ان دولة الظلم لن تدوم) ! ؟ ..
.. وهكذا ظنوا ان النصاب قد عاد الى ما كان عليه ، وقد استقر بهم الحال ولم يحسب هؤلاء ان الله يغير الحال من حالٍ الى حال .. وقد هيء (الحقُ) الرجال الرجال ليصدوا كيد الاعداء منذ ان نفذ الانكليز وعدهم المشئوم في فلسطين في السنة ١٩٤٨ ! ؟ .

.. وهكذا بدأت المتغيرات ، والتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة العربية بخاصة وفي اقطار الشرق الاوسط بعامة ، تأخذ نهجاً متغيراً عن ذلك النهج الذي كان عليه قبل الحرب العالمية الاخيرة ، دون ان تبادر قوى الاستعمار الغاشمة منح هذه الامة ابسط متطلبات الامن القومي والاقتصادي الاجتماعي .. فانقلبت الموازين حيث ارتفعت من جديد رايات الحق في بغداد .. والشام .. ومصر .. وتونس .. والجزائر .. تدعو وتطالب بالحرية والاستقلال .. فثارت وكافحت وحاربت حتى قضت على الاستعمار والتبعية .. ولقنت الغزاة دورساً في التضحية والفداء لن تنسى ..
.. وحين اندلعت الثورة في مصر ١٩٥٢ وفي العراق ١٩٥٨ بالذات ، اختلت موازين الحلفاء من جديد ، لما لمصر والعراق من اهمية (ستراتيجية) فاعلة ومؤثرة في السياسة العربية والدولية والعالمية ..
.. وتمر السنون لترسي الثورة العربية كل مكان قواعد راسخة لامة العرب في ارض العرب طالما هناك من ينادي بان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله .. وهكذا لن يمكنُ اعداء الامة العربية والاسلامية ، التى منحها الباري ، جلّت قدرته ، (الخلود) منها ، حتى يوم الدين وقد انزل الله كتابه المبين (قرآناً عربياً) والحمد لله ..
.. لقد استطاع العراق ، بفضل ايمان شعبه التواق الى الحرية

والاستقلال . . وجيشه الباسل المقدام ان يحطم جميع القيود والاحتلال الذين خطط لها ونفذها (ونستون شرشل) وحكومات النهب الاستعمارية البغيضة ، وان يحدث التغيير الجذرى للمعادلة الصعبة التي تحاول هذه اليوميات معالجتها عبر احداث تاريخ العراق المعاصر الذي كان ، ومايزال وسيبقى يناضل ويكافح من اجل (اعادة وحدة الامة العربية) الى حيث كانت (بلا حدود ولا يهود) ! ؟ طالما هناك دم يتدفق في عروق ابناء يعرب الغيارى . .

. . ان الفصول والحلقات التي تعالج قضايا وشئون العمل القومي في هذا الكتاب تروي كل ابعاد النضال والكفاح الدائم والدائب للدفاع عن كيان الامة التي ما انفكت قوى الاستعمار النيل منها بشتى الوسائل ليقف المواطن العربي على جوانب من المسيرة الطويلة لرجال شعبنا المؤمنين بالقيم الروحية والمبادىء العربية السليمة . .

. . وان الشعب الذي (سحل) جثة عبد الآله في صبيحة الرابع عشر من تموز - يوليو - ١٩٥٨ والتي علقها بنفس المكان الذي علق عبد الآله جثة الشهيد صلاح الدين الصباغ الذي حارب الانكليز دفاعاً عن الامة والوطن ، لم تكن عملية اعتباطية او ساذجة ، وقد مرَّ على ثورة رشيد عالي ثماني عشرة سنة . . أبدا ! ؟ وأهل العراق لم ينسوا رجالاته ومواقفهم المشهودة تجاه اعداء الوطن ! ؟ .

. . وتروي حلقات الكتاب كيف أصدر عبد الآله ونوري السعيد احكامها على رشيد عالي بالاعدام في السنة ١٩٤١ فيعيد الزعيم الاوحد عبد الكريم قاسم ذات الاحكام في فصول مسرحية ضد الرجل الذي عجزت بريطانية ان تضع يدها عليه وقد كان أحد الذين خططوا لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وهيء لها سبل النجاح في ظروف عالمية معقدة لولاه لما تحققت اطلاقاً ! ؟ .
. . سنعيش أخي القارىء سوية ، اسراراً رافقت حياة الرجل الذى قالت عنه بريطانيا على لسان احد ساستها المخضرمين في العراق : (. . لقد كان

رشيد عالي الكيلاني ..وبريطانيا رقم واحد . . الا انه كان عدوا شريفا ومخلصاً لبلاده . .) ! ؟ .

. . ونشر المكتب (الستراتيجى) في سويسرا تقريراً إثر وفاة الكيلاني جاء فيه : (. . لو قدر لرشيد عالي الكيلاني اثر نجاح ثورة تموز في العراق تبوء الحكم فيه لتحققت الوحدة العربية) . .

. . ويوم وقف الكيلاني في وجه الانكليز نداً قوياً لهم في مطلع العام ١٩٤٠ خيَّر السفير البريطاني عبد الأله الوصي على عرش العراق : (ان يختاروا اما رشيد عالي او صداقة بريطانيا) ! ؟ .

. . وهكذا تدور الدوائر . . فتسقط جميع البيادق امام الحق الذي يعلو ولا يعلى عليه ، ليبقى خالد الذكر السيد رشيد عالي الكيلاني ، السراج المنير لاجيال قادمة . . وهو الرجل الذي اختارته القيادات العربية ممثلاً لكل العرب لدى الاوساط العالمية خلال الحرب العالمية الثانية ليحصل على استقلال الامة العربية مطالباً (اعادة توحيدها) . . بعيدا عن المزايدات والمجاملات . . غير عابه بالمصير المحتوم الذى كان ينتظره وقد انتهت الحرب لغير صالح العرب ، فيعود الى بغداد الثورة ليلقى ذات المصير ! ؟ . .

. . وهكذا ، سنطالع تلك المواقف التاريخية التي ترقى الى مستوى الاساطير حين يقرر الكيلاني التوجه الى أسد الصحراء الملك عبد العزيز آل سعود ، الرجل الذي سجل لتاريخ الامة العربية مجداً عربياً اسلاميا وحضاريا لن يمارسه الّا الاشداء من الرجال امثاله ، تغمده الله بواسع رحمته . واسكنه فسيح جناته ، وهو الذى استطاع ، بحق ، ان يترجم الشهامة اليعربية والوفاء بالدين الحنيف وكتاب الله المجيد ، الى اصولها العربية النقية ، في عصرٍ عقمت فيه رجالات العرب لاتخاذ ابسط المواقف حداً وحدوداً لأدنى الواجبات القومية بكل أسف شديد ؟

. . وتمر السنون ، وتتفاقم الاحداث فتفقد الامة الرجل . . تاركاً وراءه ذكريات خالدات معطرّة . . وهذا هو حكم التاريخ الذي صنعه الرجال بالامس القريب والبعيد التاريخ الذي لم يبدأ غداً ، وقد دُوِّن بمداد من نور تمتد

جذوره الى تيك الاعماق الخالدة عسى ان نوفق لتوصيلها الى شباب امتنا الغيارى ، جيل المستقبل ، آملين ان نكون قد أوفينا جانباً من هذا التاريخ بعض حقه في حلقات مركزة لتكون مدخلاً رحباً وثرياً لكتابنا التالي . . يوميات مواطن والذي نامل صدوره قريبا جداً باذن الله . والله وليّ التوفيق . .

نجم الدين السهروردى

بلاد العرب في ١٦ رمضان ١٤٠٨ هـ / ٢ مايس ١٩٨٨





من هو رشيد عالي الكيلاني



هو ابن عبد الوهاب بن عبد القادر بن مراد الكيلاني . . وينحدر السيد رشيد عالي من اسرة الشيخ عبد القادر الكيلاني او الجيلي ، والذي يتصل نسبه الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم . .

ومنذ العام ١٩٣٦ آلت رئاسة الاسرة الكيلانية في بغداد وكذلك تولية ادارة اوقافها المعروفة **بالاوقاف** القادرية الى السيد رشيد عالي باعتباره ارشد افراد اسرته وبقيت في عهدته رسما الى ان عاد الى العراق عقب انتهاء الحرب العراقية ـ الانكليزية ١٩٤١ ونجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

ولد السيد رشيد عالي ببغداد عام ١٨٩٨ ميلادية . . ونشأ وتربي تربية دينية حسب تقاليد اسرته . . فدرس اصول الفقه وفروعه وتفسير القرآن الكريم واصول الحديث . . وفي الوقت نفسه ، كان قد دخل المدارس الحكومية العصرية فأكمل فيها مراحل التعليم العام ثم دخل كلية الحقوق وتخرج فيها بدرجة امتياز وكان عمره آنذاك لم يتجاوز التسعة عشر عاما ثم اكمل التطبيقات القانونية في استانبول . . . وقد حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب . .

كان يتقن التركية والفارسية والكردية والانكليزية وتعلم اللغة الالمانية اثناء لجوئه الى المانيا خلال الحرب العالمية الثانية اضافة الى المامه باللغة الفرنسية .

بعد ان تخرج في كلية الحقوق امتهن المحاماة ، ثم عين في رئاسة كتاب مديرية الاوقاف

العامة ببغداد ثم وكيلا لهذه المديرية العامة . . ثم تركها وعاد الى المحاماة .

ولما اعيد فتح كلية الحقوق ببغداد في عهد الاحتلال البريطانى ١٩١٧ ، بعد ان اغلقت مدة قصيرة من الزمن عين السيد رشيد عالي استاذا لتدريس الحقوق الجنائية (نظريات الحقوق الجزائية) وقانون المرافعات الجزائية وقانون العقوبات . . وقد الف ثلاثة مؤلفات : نظريات الحقوق الجزائية . . اصول المرافعات الجزائية ، ومسالك القوانين العقابية .

ومنذ ذلك الحين . . شغل الكيلاني مناصب عدة . . منها عضو محكمة التميز (النقض) . . ورئاسة مجلس النواب . . ووزارات العدل . . والداخلية . . ورئاسة الديوان الملكى . . ورئاسة الوزارة . . ثم رئاسة الدولة . .

تولى منصب وزارة العدل بالعام ١٩٢٤ في وزارة المرحوم ياسين باشا الهاشمي لاول مرة .

- الف الوزارة الاولى في ٢٠/٣/١٩٣٣م .
- والثانية في ٩/٩/ ١٩٣٣ .
- والثالثة في ٣١/٣/١٩٤٠ .
- والرابعة في ١٢/٤/١٩٤١ .

شغل منصب وزير الداخلية بوزارة ياسين باشا الهاشمي (١٩٣٥ ـ ١٩٣٦) .

وعلى اثر سقوط بغداد واحتلال الانكليز العراق في حربها الظالمة في مايس ١٩٤١ غادرها الى ايران ثم الى تركيا فالمانيا .

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية استطاع ان يلجأ الى العاهل السعودى المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود . . وعمل مستشارا خاصا له . . وقد قضى عشر سنوات تقريبا بالمملكة العربية السعودية . . وأربعة اعوام في مصر . . وعند قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بالعراق . . كان مؤملا ان يصبح رئيسا للجمهورية العراقية . . الا ان انحراف الثورة التى انفرد بها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف عن المسار القومي والوطني ، لم يمكن الكيلاني ان يترأس الحكم لاسباب ستتناولها وقائـع هذا البحث بعيـدا عن التيارات والاتجاهات الخاصة التي شوهت الاحداث السريعة ، الكثير الكثير من الحقائق التي يجهلها البعض او يتجاهلها الخصوم . . واصحاب النفوس المريضة !! ؟

حكم عليه بالاعدام للمرة الثانية جزاء اخلاصه وتفانيه للامة والوطن ؟

. . . وهكذا يسجل الرجل الاسطورة . . تاريخ الامة العربية الحديثة عبر مراحل حياته المليئة بالشواهد والاحداث حتى آخر ساعة من عمـره حين وافاه الاجـل المحتوم في ١٩٦٥/٨/٢٨ ليحتفظ التراب الطاهر بآخر اسرار ذلك القلب النابض الذي لم يركن احد له او الاستئناس برأيه ، في وقت كانت الامة العربية ، ولا تزال بأمس الحاجة الى مثل تلك العقلية النيرة التى قال عنها مركز الدراسات الستراتيجى في بيرن ـ سويسرا : « لو قدر لرشيد عالي الكيلاني تولي الحكم في العراق بعد عودته اليه ، لتحققت الوحدة العربية » ! ؟



من هو نجم الدين السهروردي ؟



هو ابن الحاج محيي الدين العقيد الركن عضو مجلس الامة (١٩٣٢ - ١٩٤١) واحد مؤسسي حزب الحرس السري العراقي . ومن قادة ثورة العشرين واحد مؤسسي جيش العراق . ابن محمد سليم متولي جامع السيد ابراهيم ، بن الشيخ عبد الرحمن متولي جامع واوقاف الشيخ عمر السهروردي بن محمد عبد المحسن قاضي قضاة عسكر العراق و (ديار بكر) الخابور . بن الشيخ محمد صالح خطيب دار السلام بن الشيخ محيي الدين ، قاضي تكريت وسامراء بن الشيخ محمد جلال الدين ، بن الشيخ عبد القادر بن الشيخ المُحدث بحضرة جده لامه الامام العسكري الحسني الحسيني بن كمال الدين بن مولانا ابو العباس الناصر لدين الله السيد الشيخ احمد الملقب بسيف الدين المتصل الى سيدنا عبد الله بن سيدنا ومولانا العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهم اجمعين ، والمتصل طريقة ونسبه بقدرة العارفين وشيخ الزهاد الواصلين الشيخ شهاب الدين ابو حفص عمر السهروردي الصديقي البكري . .

ولد نجم الدين في محلة (حارة) جديد حسن باشا ببغداد في بيت جده الحاج محمد سليم في ١٢ محرم الحرام ١٣٣٨ هـ - الموافق ٢٦ / ٩ / ١٩٢٠ م .

انهى دراسته الابتدائية والثانوية في بغداد ودرس وتخرج فى جامعات المانيا والولايات المتحدة الامريكية وحاصلاً على شهادتى ماجستير علوم التربية ودكتوراه الفلسفة بمرتبة

الشرف .

ساهم في ثورة مايس ١٩٤١ ولجأ الى المانيا بعد فشلها عسكريا وبعد انتهاء الحرب سنة ١٩٤٥ ، القى الانكليز القبض عليه ومضى في سجونها اكثر من سبعة شهور جيء به بعد ذلك مخفورا مع رفاقه في النضال الى بغداد بطائرة عسكرية بريطانية خاصة وبعد ان افرج عنه في نهاية العام ١٩٤٦ غادر الى مصر ومكث فيها سنة تقريبا فتزوج خلالها من السيدة وداد رشيد عالي الكيلاني .

ورغم ظروف حياته الصعبة سافر الى الولايات المتحدة الامريكية فأكمل دراسته العليا فى العام ١٩٤٨ ، ثم عاد الى بغداد في مطلع العام ١٩٤٩ رغم منع السلطات العراقية له ولزوجته بأمر من نوري السعيد .

وفي بغداد لم تقبله حكومة نوري السعيد ولم يعين الا في العام ١٩٥١ حينما اشغل وظيفة ملاحظ مكتب العمل الدولي بوزارة الشئون الاجتماعية ثم مدرسا بدار المعلمين الابتدائية ببغداد ، ونظرا لمعارضة حكومة نوري السعيد وعبد الاله عام ١٩٥٢ وفضحه الانتخابات النيابية المزورة حيث رشح نفسه للانتخابات النيابية عن المنطقة الاولى ببغداد . نقل الى دار المعلمين الابتدائية ببعقوبة ثم اضطر الى مغادرة العراق الى جدة على اثر برقية تسلمها في تشرين ثان ١٩٥٤ حين وقع خلاف بين المرحومين السيد رشيد عالي الكيلاني والملك سعود بن عبد العزيز تقرر ترحيله من المملكة العربية السعودية الى سويسرا وعدم السماح له باللجوء الى أي بلد عربي وهكذا رافقه الى مصر وحل فيها برفقة المرحوم الكيلاني وهو يعمل سكرتيرا شخصيا له وبعد عودته الى بغداد في مطلع العام ١٩٥٥ كان قرار فصله قد نفذ .

ولما انحرف سراق ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اعتقل واتهم بالتآمر ضد العهد القاسمي مع المرحوم السيد رشيد عالي الكيلاني في نهاية العام ١٩٥٨ واطلق سراحه بكفالة مقدارها خمسة الاف دينار في صيف ١٩٥٩ بعد قضاء اكثر من سبعة اشهر في سجن انفرادي .

ويوم نفذ عبد الكريم قاسم حكم الاعدام بالشهداء الابرار الطبقجلي وجماعته في العشرين من ايلول ١٩٥٩ صدر امر باعتقاله اضطر الى مغادرة العراق فلجأ الى القاهرة بعد ان قضى سنة في دمشق .

عاد الى بغداد بعد نجاح ثورة رمضان ١٩٦٣ وعين في ١٣/٣/١٩٦٣ عميدا بكلية التربية الرياضية حتى ١/١/١٩٨٠ .

وتقلد خلالها مناصب كثيرة حيث عين مديراً عاماً للتربية الرياضية بوزارة المعارف آنذاك وانتخب نائبا اول لنقابة المعلمين العراقيين ١٩٦٨ وعمل مساعدا لرئاسة جامعة بغداد وعميدا للطلبة وسكرتيرا للجنة الاوليمبية العراقية اضافة الى اعماله الاخرى على المستوى العربي والعالمي وله اكثر من عشرين مؤلفاً عن الشباب والتربية والتعليم ونشر بحوثاً ودراسات في اللغتين الالمانية والانكليزية اضافة إلى الموضوعات الاخرى باللغة العربية التي جاوز عددها على أكثر من ألف مقالة وبحث . .

● وكان السهروردي بطلاً رياضياً لامعاً في سماء العراق في مختلف الألعاب الرياضية والاولمبية وقد احرز بطولة برلين المفتوحة لسباق ١٠٠م عدواً عام ١٩٤٢ .



الانكليز يقتلون غازى

قبل مقتل الملك غازى ، كان عبد الاله انسانا منبوذا من قبل الاسرة المالكة وخاصة من قبل الملك غازى الذى لم يكن يسمح له بدخول قصر الزهور حيث كانت تقيم الاسرة المالكة قبل بناء قصر الرحاب خارج بغداد ، وكان الملك غازى لا يتورع عن طرد عبد الاله اذا رآه داخل القصر ، وكان هناك سببان وراء كراهية الملك غازى لعبد الاله .

● الاول : سوء اخلاقه حيث كان مغامرا ومقامرا وعازبا له نزواته الكثيرة . ولهذا فقد فشل فى دراسته وطرد من كلية فيكتوريا الانكليزية فى الاسكندرية التى كان يدرس فيها على حساب الحكومة العراقية ، كذلك فقد كان عبد الاله مغرما بسباق الخيل وكان يعاشر الذين يسوسون الخيل حيث كان له من بينهم صديق اسمه (منفى) ، وكان سباق الخيل معيبا لدى اهل بغداد فى ذلك الوقت ، وكان من يمارسه يصعب عليه ان يجد من تقبل به زوجا .

● الثانى : ان الملك غازى اكره على الزواج من اخت عبد الاله الاميرة عالية بعد ان اصبح ملكا اثر وفاة ابيه الملك فيصل الاول ، ولم يكن الملك غازى يحب ابنة عمه الملك على ، ورغم انه لم تكن لعبد الاله علاقة باتمام هذا الزواج الا انه ادى الى زيادة كراهية الملك غازى له .

مخاوف نورى السعيد

وكان الملك غازى يريد الزواج فى سنة ١٩٣٣ من احدى بنات ياسين باشا الهاشمى . . والهاشمى رئيس وزراء سابق . وهو من قادة التيار القومى البارزين فى العراق ، غير ان

نورى السعيد الذى كان فى ذلك الوقت وزيرا للخارجية فى حكومة رشيد عالى الكيلانى الاولى ، اعترض على هذا الزواج خشية ان يصبح الملك صهرا لاحد ابرز منافسيه فترتفع اسهم الهاشمى لدى الملك على حسابه هو ، ويصبح التيار القومى متنفذا سيما ، وان الملك غازى نفسه كان صاحب نزعة قومية قوية وبالطبع فلم يكن هذا الزواج يناسب الانكليز ايضا وهم الذين ضغطوا على ياسين الهاشمى كى لا يزوج ابنته للملك .

وقد كان نورى السعيد هو الذى اكره الملك على الزواج من ابنة عمه التى لم يكن زواجه منها سعيدا ، ولذلك فلم يكن متصورا ان يوصى الملك غازى بالعرش لعبد الاله فى حالة وفاته كما زعمت زوجته الملكة عالية ، وهو الزعم الذى حول عبد الله من امير منبوذ ، الى حاكم مطلق للعراق لمدة ١٩ سنة ، وبالطبع فان مثل هذه الوصية المزعومة للملك غازى لم تكن متصورة ، ليس بسبب كراهيته لعبد الاله فحسب ، بل لانه كان مازال شابا ولم يكن يفكر فى مسألة موته الذى باغته اثر المؤامرة البريطانية التى أودت بحياته ، فكيف حدث ذلك . . ؟

وبعد ان تأكد الانكليز من ان الملك الشاب ابن الملك فيصل الاول يعتزم عدم التجاوب مع سياستهم . اتخذوا قرارا بالتخلص منه ، ففى نهاية السبعينات افرج عن وثيقة بريطانية هى عبارة عن مذكرة موجهة من السفير البريطانى فى بغداد موريس باترسون الى وزارة الخارجية فى لندن اقترح فيها التخلص من الملك غازى باية طريقة ويقول باترسون فى كتابه (Both Sides of the curtain) انه أبلغ عبد الاله حين زاره مودعا اثر انتهاء مهمته فى بغداد . . (لقد اصبح واضحا للعيان ان الملك غازى اما ان يسيطر عليه ، أو ان يخلع عن العرش ، ولقد لمحت الى ذلك وبهذا المقدار فى زيارتى الوداعية للامير عبد الاله) .

ولم تكن هذه فكرة الانكليز فقط ، بل كانت فكرة نورى السعيد ايضا الذى كان رئيسا للوزراء يوم مقتل الملك غازى فقبل عامين من مقتل الملك وبعد انقلاب بكر صدقى سنة ١٩٣٦ باسبوعين ، وكان نورى السعيد قد هرب الى القاهرة ، كلف ابنه صباح بان يتصل مع العقيد صلاح الدين الصباغ والعقيد فهمى سعيد وان يسألهما . . (اذا كان قتل غازى يساعد على تخليص البلاد من بكر صدقى . . ؟) الا انهما لم يوافقا على ذلك ، وكان العقداء الاربعة فى ذلك الوقت يناصرون نورى السعيد قبل ان يكتشفوا حقيقة ارتباطاته مع الانكليز ، وكان نورى السعيد من ضمن السياسيين الذين هربوا من العراق اثر انقلاب بكر

صدقى *

عوامل وراء القرار

ويبدو واضحا من محادثة السفير البريطانى مع عبد الاله ان بريطانيا كانت تعد عبد الاله ليتولى حكم العراق بعد ان يتم التخلص من الملك غازى وهو القرار الذى اتخذ فى ضوء مجموعة من العوامل :

● اولا : الاتجاه القومى للملك غازى الذى كان يتسم بالتواضع والاندفاع الوطنى العاطفى وتقريب الساسة المخلصين والقوميين والتزامه المطلق بكل عمل اصلاحى داخل العراق .

وكان اتجاهه القومى مستمدا من كونه ابن الملك فيصل الاول الذى خلع عن عرش سوريا ثم قتل مسموما من قبل الانكليز فى سويسرا سنة ١٩٣٣ بعد ان تولى عرش العراق وهو حفيد الملك - بضم الميم - الذى ساهم الانكليز فى اسقاطه فى الحجاز ، ثم ان الانكليز هم الذين نكثوا بعهدهم لجده الشريف الحسين بن على قائد الثورة العربية الكبرى ، وكانت كراهية الملك غازى للانكليز تزداد بسبب المؤامرات التى حاكوها لاضعاف الحكم الملكى فى العراق فى عهد والده الملك فيصل الاول ، فقد خططت بريطانيا لثورة الآشوريين فى شمال العراق بهدف فصل جزء من تراب العراق الوطنى ، وكان والده الملك فيصل حين يسافر الى خارج العراق يوصيه بالحذر من الانكليز ونورى السعيد واعوانه (لان الانكليز يدبرون الدسائس وكان يوصيه ان يضع ثقته فى رشيد عالى الكيلانى فقط ، وان لا يثق باحد سواه . لان الجميع يتعاون مع الانكليز) . وكان الملك فيصل يوصى رشيد عالى الكيلانى بولده غازى ايضا ويقول له انت ولدى وغازى اخ لك .

علاقة وطيدة

وكانت العلاقة بين رشيد عالى الكيلانى والملك فيصل الاول قد توطدت منذ سنة ١٩٢٥ ، ففى ذلك الوقت اعترض الكيلانى على اتفاقية النفط التى ابرمت مع الشركات

(*) يوميات مواطن .. لماذا قتل جعفر باشا العسكرى ؟ مخطوط ...

البريطانية وكانت له ملاحظات عليها باعتباره وزيرا للعدل فى اول حكومة شكلها ياسين باشا الهاشمى ، بعد عودته للعراق من سوريا سنة ١٩٢٢ ، فقدم الكيلانى استقالته مسببة وترك بغداد واختبا لدى احد اصدقائه فى البصرة من آل السعدون حتى لا يتعرض لضغوط تهدف الى جعله يتراجع عن الاستقالة وقد ظل فى البصرة حتى قبلت استقالته التى فاجأت الملك ورئيس الوزراء ، وقد ادى هذا الموقف الى زيادة احترام الكيلانى من قبل الملك فيصل الاول والهاشمى اللذين لم يتوقعا مثل هذا الموقف ، من الوزير الشاب الذى لم يكن عمره يزيد عن ٢٧ سنة فى ذلك الوقت .

كذلك فان الملك فيصل كان يعطى اعتبارا لكون رشيد عالى كيلانيا يعود نسبه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان الشريف الحسين بن على والد الملك فيصل قد ارسل برقية بتاريخ ١٩٢١/٦/١٧ الى السيد عبد الرحمن الكيلانى نقيب اشراف بغداد يوصيه خيرا بولده فيصل حين جاء العراق لينصب ملكا عليه . وهذا نص البرقية :

بغداد : فرع الدوحة النبوية ، فضيلة السيد الاجل ، حضرة النقيب .

ضرورى بلغكم توجه ابنى فيصل الى طرفكم . بناء على طلبات الاهالى المتعددة ، ولامتزاج عائلتنا بكم ، فلا احتاج ان ابحث عما يجب لسعيكم جميعا فيما يستلزم راحة البلاد ، ومضاعفة الرغبة ، وتأمين مستقبل الكل ، هذا ما انتظره من همم نجابتكم ، والحسية الدينية والقومية ، والله يتولانا واياكم بالتوفيق . .

عن مكة المكرمة فى ١٧ حزيران ١٩٢١ م

(حسين)

وقد رد النقيب الكيلانى بالبرقية التالية :

لحضور صاحب الشوكة والعظمة ، جلالة الملك حسين سلطان الحجاز ، ايد الله شوكته .

لقد اخذت بيد التكريم والاجلال ، برقية جلالتكم المشعرة بتوجه سمو الامير ، ذى القدر الخطير ، الامير فيصل حفظه الله الى العراق ، وقد ابتهجنا سرورا من هذه البشارة ،

ودعونا له بالسلامة ، وصرنا ننتظر قدومه ساعة فساعة شوقا للقياه ، فبمنه تعالى عند قدوم سموه نبادر الى القيام بالواجب علينا ، من خدمته ، حيث اتحاد النسب والحسب القديمين يقضيان بذلك على الداعى ، واما الامر السامى الملوكى لهذا الداعى ، بالسعى جميعا فيما يستلزم راحة البلاد ، فهو واجب الامتثال ، على كل حال ، لاقتضاء الحس الوطنى ، ونسأل الله التوفيق .

عن بغداد ١٩ حزيران ١٩٢١م

نقيب/ اشراف بغداد

وحين اقتربت الباخرة (نورث بروك) التى اقلت الملك فيصل الاول الى العراق ، من المياه الاقليمية العراقية بعث فى ٢٢ حزيران ١٩٢١ البرقية التالية الى نقيب اشراف بغداد التى كان رئيسا للوزراء فى ذلك الوقت :

بمزيد السرور اخبر فخامتكم بانى واصل البصرة صباح الجمعة القادمة ، شاكرا للمولى عز وجل الذى اسعدنى بقرب لقائكم ، ومشاهدة البلاد التى هى محط مفاخر الاجداد ، واثقا بازدياد عواطفكم الودية ، انتم ، وزملائكم وكافة الشعب العراقى الكريم .

فيصل

وقد رد النقيب بالبرقية التالية :

الباخرة الحربية البريطانية (نورث بروك) .

ضياء مصباح بيت النبوة ، والكوكب الدرى فى سماء الشرف ، سمو الامير فيصل حفظه الله تعالى .

لقد اخذت بيد الاحترام برقية سموكم ، الدالة على عواطفكم الهاشمية نحو هذا الداعى ، المبشرة بقدوم سموكم البصرة يوم الجمعة ، فامتلأ القلب سرورا ، فنشكركم شكرا وفيرا ، داعين لسموكم بسرعة الوصول بالسلامة مرحبين بقدومكم الميمون ، نحن

والوزراء ، والشعب .

رئيس الوزراء : عبد الرحمن

اسباب اخرى للكراهية

ومما زاد من كراهية الملك غازى للانكليز انهم دبروا محاولة لاغتيال الملك على شقيق الملك فيصل الاول وملك الحجاز السابق في الكاظميين في بغداد في ١٠ محرم ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م ، فقد خطط الانكليز في ذلك العام من اجل حدوث فتنة طائفية تؤكد عدم قدرة النظام على حفظ الامن بدليل مقتل شقيق الملك ، وبالتالي تأجيل ابرام معاهدة تحالف العراق مع بريطانيا التى ابرمت سنة ١٩٣٠ ، وكان الانكليز يريدون ان تكون شروطها اكثر اجحافا بحق العراق[١] .

● ثانيا : عمل الملك غازى على تقوية الجيش العراقى حيث كان يريد ان يكون للعراق جيش قوى قادر على الدفاع عن سيادة البلاد ، وهذا ما لم تكن تريده بريطانيا ، بل كانت تعارضه بكل قوة ، ولم يكتفـ الملك غازى بالعمل على تقوية الجيش العراقى الذى كانت تربطه علاقة صداقة مع اغلب ضباطه ، بل انه ايد رفض اعتبار قوات الليفى ، المشكلة من جنود آشوريين قاتلوا فى صفوف الجيش البريطانى فى الحرب العالمية الاولى ودخلوا ضمن القوات البريطانية فى سنة ١٩١٧ ، جزءا من الجيش العراقى الذى طالب به جعفر باشا العسكرى مرارا وتكرارا منذ تأسيس الجيش العراقى ١٩٢١ لافيلقا اضافيا ملحقا به كما اراد الانكليز ذلك ! .

اللقاء مع باترسون

● ثالثا : اما العامل الحاسم فى اتخاذ بريطانيا قرار التخلص من الملك غازى فقد تمثل فى اللقاء الذى عقده موريس باترسون السفير البريطانى فى بغداد مع الملك فى جلسة حضرها رشيد عالى الكيلانى فى العام ١٩٣٨ وروى تفاصيلها لى ، فى هذا اللقاء طلب السفير من

---

(١) يوميات مواطن .. مخطوط .. يصدر قريبا .

الملك غازى باسم الحكومة البريطانية ان يحدد موقف العراق من بريطانيا فى حالة نشوب حرب عالمية جديدة وما هى المساعدات والتسهيلات التى سيقدمها العراق لبريطانية فى هذه الحالة . . ؟ فسأل الملك . . ما الذى تريده بريطانيا . . ؟

اجاب السفير . . ان تضعوا السكك الحديدية العراقية ومختلف طرق المواصلات فى العراق تحت تصرف القوات البريطانية وان تمنحوا بريطانيا قواعد عسكرية جديدة فى كركوك والموصل والعديد من المناطق العراقية الاخرى . الى جانب قاعدتى الحبانية والشعيبة ، وان يسمح للقطعات البريطانية بالمرور من البصرة عبر العراق ، الى الاردن وفلسطين ، وهذا شرط موجود فى معاهدة سنة ١٩٣٠ وان يقف العراق الى جانب بريطانيا اذا نشبت الحرب ، فاعتذر الملك والكيلانى عن قبول هذه الطلبات وسألا السفير . . ما هى علاقة العراق اذا نشبت حرب بين بريطانيا وطرف آخر . . ؟ قال السفير . . نريد تسهيلات ورد الملك . . نحن ملتزمون بمعاهدة ١٩٣٠ ومستعدون لتطبيق بنودها ، غير ان السفير قال بكل صراحة . . نريد اكثر مما ورد فى هذه المعاهدة ووجه السؤال الى الملك . . ماذا يريد العراق مقابل التسهيلات الاضافية . . ؟

وجاء الرد من رئيس الديوان الملكى رشيد عالى الكيلانى بالنقاط الاتية :

(أ) العراق ملتزم بمعاهدة ١٩٣٠ .

(ب) العراق لن يكون طرفا الى جانب بريطانيا فى حرب تخوضها ضد طرف ثالث .

(ج) العراق يسعى لتحقيق الوحدة العربية .

وطلب السفير العودة الى حكومته فيما يتعلق بالوحدة العربية . . وبعد ان تلقى التعليمات من لندن عقد لقاء آخر سأل فيه السفير . . ماذا تقصدون بالوحدة العربية وما هى الحدود التى تريدونها لدولة الوحدة ؟

اجاب الملك والكيلانى . . دولة الوحدة التى نريدها تضم اقطار الهلال الخصيب وكل البلاد العربية المشرقية . . فقال السفير ان حكومته موافقة على ذلك شريطة ان تكون فلسطين خارج اطار هذه الدولة ، وهنا رد الملك غازى بمرارة قائلا :

اذن فان اللقاء قد انتهى . . فلا مجال للتفاوض معكم ونحن لا نوافق على الطلبات التى

تقدمتم بها . نحن عرب ولدينا التزامات قومية ، واذا كانت لديكم التزامات اتجاه اليهود بموجب وعد بلفور فعليكم ان تلغوا هذا الوعد .

عدو بريطانيا

وخرج السفير من مجلس الملك وهو مدرك ان غازى لن يكون رجل الانكليز فى العراق ، وعلى اثر هذا اللقاء اعتبرت بريطانيا الملك غازى معاديا لها ، وبدأت تخطط عمليا للتخلص منه . ومن ضمن وثائق وزارة الخارجية البريطانية التى افرج عنها فى أواخر السبعينات برقية موجهة من السفارة البريطانية فى بغداد الى الوزارة فى لندن يقول السفير فيها ان تصرفات الملك غازى فى الآونة الاخيرة اصبحت معادية لبريطانيا . وبخاصة موقفه تجاه شيخ الكويت ، وان اذاعة قصر الزهور التى يذيع منها الملك غازى شخصيا وتدعو الى توحيد منطقة الخليج العربى مع العراق تسبب ارباكا للسياسة البريطانية فى المنطقة .

وبعد عدة اشهر فقط من اللقاء مع السفير البريطانى الذى انتهى الى تباين وتعارض واضح فى المواقف ، وقع الحادث الغامض الذى اودى بحياة الملك الشاب قبل اوانها .

كان الملك غازى يتسم بالشجاعة العجيبة . فهو طيار ماهر كان يقود طائرته بنفسه ويجازف بحياته بالقيام بحركات بهلوانية ، وكان فارسا من الطراز الاول . . وكان يهوى قيادة سيارات السباق التى كان يؤتى له بها من المانيا ومن طرازات غريبة ، كما كان يهوى الصيد ، والى جانب ذلك فقد كان يخرج وحيدا بلا حراسة ويقود سيارته بنفسه ، وكان يتناول المشروبات الروحية ، ولكنه لم يكن سكيرا ، وكانت له شلة اصدقاء من ضباط الجيش كان يسهر معهم ، ويلعب معهم العاب الفروسية ويسبحون ويتزلجون معا على ماء نهر دجلة ، وقد ساعدت هذه الصفات والهوايات الانكليز على ترتيب مؤامرة اغتياله الذى كان يمكن ان يتم بواسطة افتعال حادث طائرة او حادث سيارة ، والكيفية الاخيرة هى التى اختيرت لتنفيذ المؤامرة ليلة ٤ ابريل ١٩٣٩ .

ليلة الحادث القاتل

فى تلك الليلة كان الملك غازى عائدا الى قصر الزهور ، وقبل ان يذهب للقصر عرج على

اذاعة قصر الزهور المجاورة حيث سلم على العاملين فى الاذاعة وسالهم عن احتياجاتهم ثم واصل طريقه للقصر ، ووفق ما رواه لى المرحوم اسماعيل حسن مهندس الاذاعة فان الملك لم يكن سكرانا .

وقبل عودته للقصر ، اتصل الملك غازى مع منزل رشيد عالى الكيلانى هاتفيا فلم يجده . كان ذلك حوالى الساعة ١٠,٤٥ مساء ، واخبرته زوجة الكيلانى التى تلقت المكالمة ان زوجها موجود فى بيت عمر نظمى ، وهو وزير سابق ويسكن مجاورا لمنزل الكيلانى ، فشكرها الملك واغلق الخط ليتصل مع منزل عمر نظمى حيث طلب الالتقاء مع الكيلانى فى اليوم التالى بعد ان استفسر منه عما فعله بشأن قضية الكويت[١] .

ووفق رواية الكيلانى فانه غادر منزل الوزير عمر نظمى بعد مكالمة الملك مباشرة عائدا الى بيته ، وبعد ان قطع مسافة نصف كيلو متر تقريبا استغرق قطعها مشيا على الاقدام عشر دقائق فقط تلقى مكالمة هاتفية من القصر الملكى افادته ان الملك قد تعرض الى حادث .

استقل الكيلانى سيارته فورا واتجه بها من منزله فى الصليخ بمنطقة الاعظمية الى قصر الزهور الذى يبعد ثمانية كيلو مترات فقط ، وحين وصل القصر وجد هناك نورى السعيد وساندرسن باشا طبيب العائلة المالكة وهو بريطانى ، والدكتور صائب شوكت شقيق رئيس الوزراء السابق ناجى شوكت وعميد كلية الطب ، وعبد الاله ، وعلم ان الذى استدعى الحضور كان ساندرسن ، ووجد ، وهذا هو الاهم ان الملك قد توفى . . وابلغت الملكة عالية الحضور ان غازى كان قد أوصى بان يكون اخاها عبد الاله هو الوصى على ابنها فيصل الذى كان لايزال طفلا فى الرابعة من عمره .

اطردوا هذا الكلب

ووفق رواية رشيد عالى فان الدكتور صائب شوكت قد ابلغه ان الملكة عالية صرخت حين دخل عليها الطبيب الانكليزى ساندرسن الذى كان بمثابة الجاسوس رقم واحد على الاسرة المالكة فى العراق . . اطردوا هذا الكلب الذى قتل غازى كما قتل اباه من قبل . . ومع هذا

---

(١) سنفرد فصلا خاصا لقضية الكاظمية .

يزعم ساندرسن فى مذكراته ؟ انه تلقى فور وقوع الحادث مكالمة من القصر لم يحدد صاحبها ولكنه ادرك من الضجيج والاصوات المتداخلة التى جاءت عبر الهاتف ان الملك قد اصيب بحادث سيارة ، فتوجه فورا الى القصر حيث زرقه بابرة بناء على طلب زوجته الملكة عالية على امل ان يصحو من غيبوبته ولو لبرهة يقول فيها انه خول عبد الاله السلطة الملوكية .. ويتابع .. (نفذت ما طلب منى ، لكن ذلك كان املا خائبا) .[1]

كيف وقع حادث السيارة ؟

بعد خروج الملك من الاذاعة السرية سلك الطريق الخاص المشجر على الجانبين المؤدى الى استراحة قصر الحارثية القريب من قصر الزهور ـ قصر بغداد حاليا ـ ولا يزيد طول هذا الطريق عن نصف كيلو متر فقط ، وفى منتصف هذا الطريق وبعد ان قطع الملك بسيارته مسافة ٢٥٠ مترا اصطدمت سيارته بعامود كهرباء حديدى قيل انه اودى بحياة الملك .

وكما هو واضح من وصف الشارع فانه لم يكن هنالك مجال امام الملك كي يقود سيارته بسرعته المعهودة ولا ان تصل سرعة السيارة بعد ان تقطع ٢٥٠ مترا الى الحد الذى يؤدى الى ارتكاب حادث قاتل يجعل عامود كهرباء يقتلع من الارض ويسقط على سقف السيارة ويقتل من بين ركابها الثلاثة الملك فقط ، وحسب رواية سامى عبد القادر مرافقه (الخلفى) فى تلك الليلة ان الملك كان يقود سيارة (بيوك) جديدة بسرعة لا تتجاوز ٣٠ ـ ٤٠ كيلو متر عندما كنت ارافقه عصر ذلك اليوم حرصاً منه على سلامة الاداء ! وهو ما اجابنى به عند استفسارى من جلالته لعدم قيادتها بسرعة كما عودنا ..

ادعاء .. وتشخيص

ولا يستقيم هذا الادعاء مع كيفية وقوع الحادث ومع تشخيص الدكتور صائب شوكت الذى قال للكيلانى ان الملك لم يمت من جراء حادث السيارة بل انه مات من جراء ضربة بآلة حادة على مؤخرة رأسه ، وهذا ما اكده عمى الشيخ محمد صالح السهروردى الذى كان

---

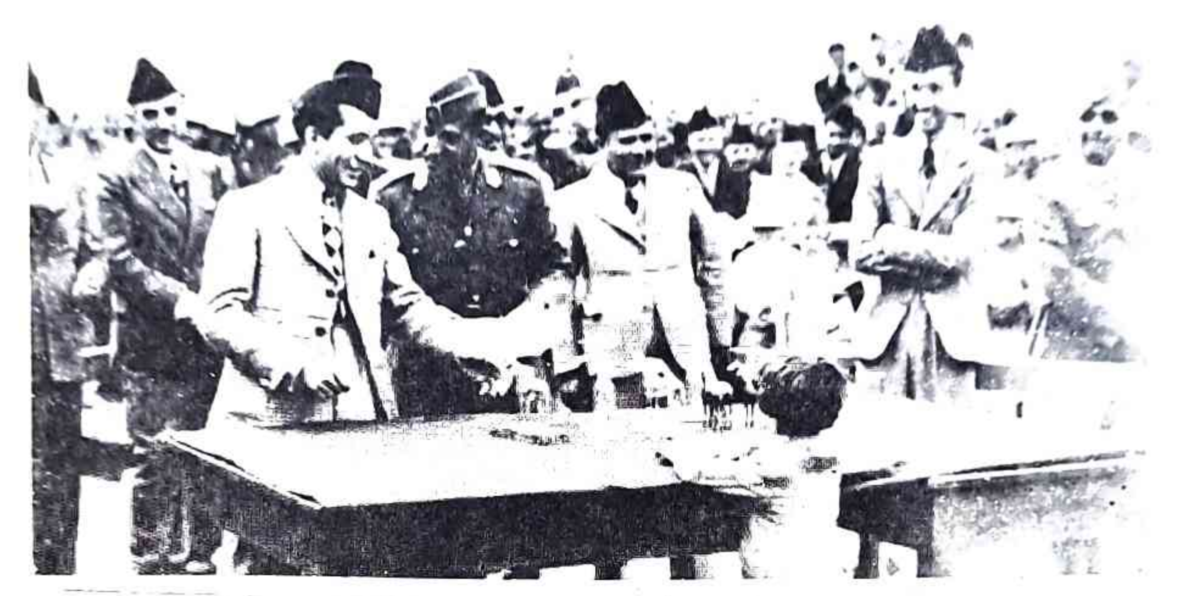
(١) عشرة الاف ليلة وليلة / ترجمة سليم طه التكريتى . مكتبة المثنى بغداد ١٩٨٠ .

مدرس الملك وهو الذى غسله وكفنه بالاشتراك مع الشيخ امجد الزهاوى احد مشايخ بغداد المعروفين فى ذلك الوقت ، وقد ابلغ عمى والدى انه وجد مؤخرة رأس الملك غازى من الاسفل مهشمة تماما نتيجة الضرب بآلة حادة وانه لم يجد اى اثر لعامود الكهرباء الذى سقط على سقف السيارة ، وكان مفروضا ان يصيب مقدم الرأس من الامام ، وقد تشكلت قناعة تامة لدى عمى بان الملك غازى مات مقتولا من جراء الضرب بآلة حادة ، قد تكون قضيبا حديديا ، على مؤخرة الرأس، وان حادث السيارة قد جرى تدبيره بعد قتل الملك للتضليل، فى هذه الحالة يفترض ان اللذين ارتكبا جريمة قتل الملك هما العبد الذى كان يرافق الملك فى السيارة واسمه عبد سعيد وقد اختفى منذ وقوع الحادث ، كما اختفى ايضا ملاحظ اللاسلكى على عبد الله الذى كان يستقل سيارة الملك هو الاخر ، ولم يمثل اى من الرجلين امام لجنة التحقيق التى حققت فى حادث مقتل الملك .

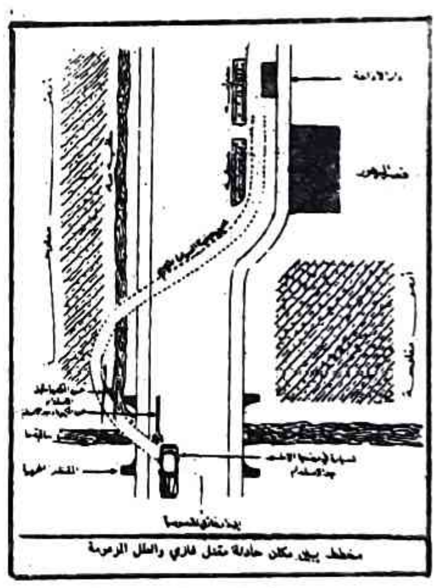
الشعب لا يصدق

وقد تبنى التقرير الرسمى الذى نعى الملك حادث السيارة المزعوم باعتباره سببا لوفاة الملك الشاب الذى كان يحظى بمحبة الشعب لمواقفه الوطنية المشهودة ، غير ان الشعب لم يصدق الرواية الرسمية ، فخرجت المظاهرات الغاضبة فى مختلف مدن العراق تهتف ضد الانكليز وتتهمهم بمقتل الملك الذى مثل خسارة وطنية كبرى للعراقيين ، وقد زاد من هذه القناعة ان سيارة السفير البريطانى تعرضت لحادثة مماثلة وضربت عامود كهرباء حديديا فى اليوم التالى مباشرة لحادث مقتل الملك وذلك فى منطقة الشورجة ، ولم يسقط العامود من مكانه ولم يمت السفير ، وكان يستخدم حديد (الشيلمان) الذى يستخدم فى رفع اسقف المنازل ، فى تركيب عواميد الكهرباء فى ذلك الوقت ، وهو متين جدا ولا يتوقع سقوطه من جراء حادث سيارة عادى .

وقد بلغ غضب الجماهير لمقتل الملك ان المتظاهرين فى الموصل قتلوا القنصل البريطانى (ماسون) فى مدينتهم ، وهو الحادث الذى اتهم به المحامى المعروف هشام الدباغ وحكم بالاعدام لاجله ، غير ان الحكم لم ينفذ به .

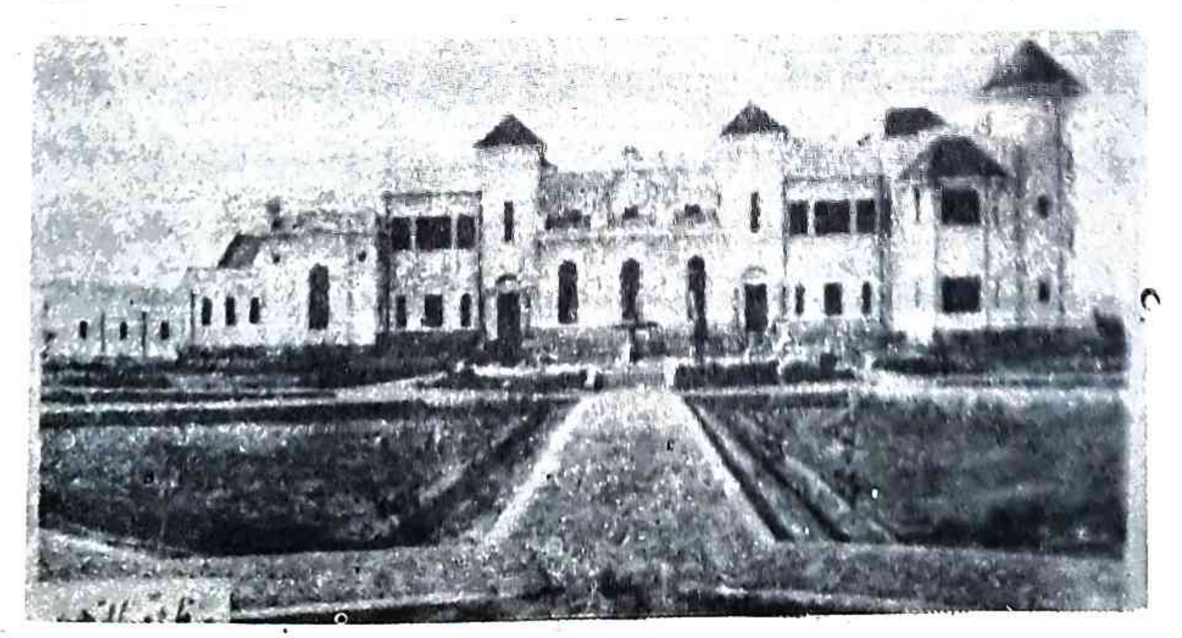


● الملك غازي في المعرض السنوي للفروسية في ٣٩/٣/٤ ، مع نوري السعيد وعبد الاله ورشيد الكيلاني



مخطط يبين مكان حادثه مقتل غازي والعلل المزعومة

● قصر الزهور



تواطؤ المتآمرين

يعتقد السيد رشيد عالي الكيلاني ان نوري السعيد وعبد الاله متواطئين في جريمة مقتل الملك غازي . فمنذ ذلك التاريخ غدت كلمة نوري السعيد هي الاولى في العراق وتسبق كلمة عبد الاله . وبعد يومين من مقتل الملك كلف الوصي على العرش نوري السعيد باعادة تشكيل الحكومة . وقد استمرت الحكومة السعيدية ـ نسبة الى نوري السعيد ـ الرابعة حتى ٢٢/٢/١٩٤٠ . وهى من الحكومات ذات العمر الطويل في العراق الملكي اذا قيست بعمر حكومات اخرى لم تكن تستمر لاكثر من عدة اشهر او عدة اسابيع ، بل ولعدة ايام في بعض الحالات . وحين قدم نوري السعيد استقالة حكومته في ٢٢/٢/١٩٤٠ اعاد عبد الاله تكليفه بتشكيل حكومته الخامسة التي استمرت حتى ٣١/٣/١٩٤٠ فقط . وقد استقالت حكومة السعيد الخامسة بعد شهر وتسعة أيام من تشكيلها اثر تزايد اللغط في اوساط الشعب عن دور نوري السعيد في مقتل الملك غازي . واصبح الناس يتهمون علنا عبد الاله اضافة الى الانكليز .

ثالث حكومات الكيلاني

ولهذا كلف عبد الاله السيد رشيد عالي الكيلاني بتشكيل اول حكوماته في عهده ، وهى ثالث حكومة يشكلها الكيلاني الذي سبق ان ترأس حكومتين من قبل الاولى في عهد الملك فيصل الأول واستمرت من ٢٠/٣/١٩٣٣ الى ٩/٩/١٩٣٣ والثانية في عهد الملك غازي واستمرت من ٩/٩/١٩٣٣ الى ٢٨/١٠/١٩٣٣ . وقد كان هدف عبد الاله من تكليف الكيلاني بتشكيل الحكومة الى تهدئة خواطر الشعب ، ذلك ان الكيلاني كان معروفا عنه انه

من الذين كانوا يواصلون الاستقصاء لمعرفة وكشف حقيقة المؤامرة التي راح ضحيتها الملك .

ومن أجل أن ندرك الاهداف الشخصية لنوري السعيد من تآمره مع الانكليز على حياة الملك غازي والاتيان بعبد الاله وصيا على العرش يجب ان نلاحظ ان الحكومة السعيدية الثالثة كان قد مضى على تشكيلها ثلاثة اشهر وتسعة ايام يوم مقتل الملك في حين ان آخر حكومة كان قد شكلها نوري السعيد من قبل ، وهي حكومته الثانية حكمت العراق في الفترة بين ١٩/١٠/١٩٣١ و ٢٨/١٠/١٩٣٢ ولم يكن نوري السعيد الذي ظل بعيدا عن رئاسة الحكومة قرابة الثمان سنوات واثقا من ان حكومته ستعمر طويلا في عهد الملك غازي . كما لم يكن يتوقع ان يكلف بتشكيل حكومة اخرى في عهده . ومهم ان نذكر هنا مرة اخرى ان نوري السعيد فكر فعلا في التخلص من الملك غازي بعد وقوع انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦ ، كما انه اجرى اتصالات مع قادة الجيش لمعرفة رأيهم في هذا الصدد .

التخلص من « العارفين »

وقد دأب نوري السعيد خلال فترة حكومته الرابعة على العمل من اجل اخفاء آثار جريمة مقتل الملك وذلك بالتخلص من حياة كل الذين كانت لهم علاقة في تنفيذ هذه الجريمة ، ويعرفون شيئا عن دوره فيها . كان اول الذين اختفوا من على المسرح العبد وملاحظ اللاسلكي اللذين كانا مع الملك في سيارته ويفترض انهما هما اللذان ضرباه بالالة الحادة على مؤخرة رأسه . فهذان لم يظهر لهما اي اثر منذ لحظة وقوع الحادث .

ثم جاء الدور على رستم حيدر وزير المالية وهو من اصل لبناني وكان ضمن الشخصيات العربية التي وفدت الى العراق مع الملك فيصل الاول يوم عين ملكا على العراق . وقد قتل الوزير حيدر في مكتبه بتاريخ ١٨ يناير ١٩٤٠ وقيل يومها ان القاتل حسين فوزي توفيق وهو مفوض سابق في الشرطة ومن رجال نوري السعيد فعل ذلك بايعاز من رئيس الحكومة . . ! والغريب ان نوري السعيد كان يذهب الى المخفر الذي اوقف فيه القاتل على ذمة التحقيق وكان يختلي به . وقال حسين فوزي يومها انه قتل الوزير لاسباب طائفية . وهذا سبب غير مقبول عقلانيا لان الوزير لم يكن يهتم باثارة اية نزعات طائفية . كما قال انه فعل ذلك لان الوزير لم يوافق على تعيينه في وزارته . ولكنه بعد ان اختلى به نوري السعيد اتهم بعض خصوم رئيس الوزراء بتحريضه على ارتكاب جريمته . . !

وحين صدر الحكم باعدام القاتل ، وهو حكم في صالح نوري السعيد يؤمن له التخلص منه ، كلف نوري السعيد العقيد سعيد يحيى الخياط وهو من ضباط الجيش بتنفيذ الحكم في حسين فوزي الذي لم يبلغ بالحكم الا قبل ساعة واحدة من التنفيذ فقط حتى لا يكون لديه متسع من الوقت لفضح نوري السعيد . ومع ذلك فقد سمعه السجانون يقول للعقيد سعيد ان نوري السعيد هو الذي ورطه وهو الذي يريد ان يعدمه . . !

وفي شهر يوليو ١٩٣٩ انتحر اللواء هاشم العلوي مدير عام الشرطة وهو في طريقه الى لبنان بالسيارة لقضاء عطلة الصيف . وقد انتحر في مركز الرطبة الحدودي وقيل في حينه ان هذا الانتحار له علاقة باسرار مقتل الملك غازي . وكان العلوي من رجال نوري السعيد هو الاخر . ورغم التساؤلات التي يمكن ان تثار حول مدى معقولية انتحار رجل على طريق السفر في الوقت الذي كان يخطط فيه لقضاء اجازة صيفية ، نجد ان وقوع مثل هذا الامر في ذلك الوقت كان طبيعيا وممكنا لان الناس في ذلك الزمن كانت لديهم غيرة وحمية وشرف .

عبد الاله والانكليز

اما علاقة عبد الاله بالانكليز فكانت قد بدأت قبل عام تقريبا من مقتل الملك غازي . ويكشف عن هذه العلاقة بوضوح كتاب السفير البريطاني باترسون لوزارة الخارجية في لندن الذي يقول فيه انه لمح لعبد الاله بخصوص ضرورة تطويع الملك غازي او التخلص منه . وكان الامر ملحا بالنسبة لبريطانيا قبل ان تدخل في الحرب العالمية الثانية . فقد كانت تريد ان تضمن سيطرتها على العراق الذي يعتبر ذا موقع «استراتيجي » بالنسبة لها على طريق مصالحها مع الهند . لذلك فبعد ان فشلت محاولات تطويع الملك غازي التي اشرنا اليها ، كان البديل الذي اهتدوا اليه هو عبد الاله صاحب الصفات الشخصية التي جعلت منه رجلا منبوذا ومستعدا في الوقت ذاته لان يفعل اي شيء من اجل ان لا يظل ذلك المنبوذ . . !

وليس من المتصور ان يعترف اي مسؤول بريطاني بانه او حكومته شاركا في جريمة مقتل الملك غازي . ومع هذا فان باترسون فعل هذا مواربة في مذكراته . فبعد ان يشير الى عتبه على نوري السعيد بسبب تعيين رشيد عالي الكيلاني رئيسا للديوان الملكي لان وضع البلاط الملكي من وجهة نظره « من السوء بحيث لا يمكن اساءته اكثر » ، يقول نصا . . « ومن الواضح ان الملك غازي يجب ان يسيطر عليه او يخلع . وقد لمحت الى هذا كله في زيارة توديع

قمت بها للامير عبد الاله . ان الحل ، لو كنت اعلم ، كان سيأتي بعد شهر واحد فقط[1] ».

وقد وقع الاختيار النهائي على عبد الاله بعد ان رفض الامير زيد عم الملك غازي الملك لانه يرى ان جميع افراد الاسرة الهاشمية يموتون قتلا لابعادهم عن السلطة ، ولم يكن يريد ان يموت . وهذا ما رواه لي صديقه السيد ناصر الكيلاني عام ١٩٥٣ . كما ان زوجته كانت تركية وبالتالي فلم يكن يحق لابنه ان يصبح ملكا من بعده .

وكان عبد الاله قد وفد الى العراق لاجئا برفقة والده الملك علي بن الحسين بعد استيلاء ابن سعود على مملكة الهاشمين في الحجاز . فقد لجأ الملك علي وأسرته لدى اخيه الملك فيصل الاول الذي كان قد نصب ملكا على العراق . وظل الملك علي يعيش في العراق وحتى توفي فيه . وقد استقبل الملك علي وأسرته في العراق على نحو ينسجم مع اسلوب الحياة المتواضع الذي كان يتبعه الملك فيصل واسرته . فقد كانوا يعيشون حالهم حال اي مواطن آخر . وقد استقبلوا استقبال من فقدوا ملكهم ومنازلهم وليس كما استقبل الملك فيصل الاول حين جاء لينصب ملكا ، فقد وصلوا بالسياراة قادمين من سوريا حيث هربوا الى هناك في البداية . وقد جرى استقبالهم في منطقة الصالحية ببغداد حيث يوجد مقر الاذاعة العراقية الان وكانت الصالحية في حينه غبارة عن منطقة بساتين .

موظف في الخارجية

وبعد ان فشل عبد الاله في دراسته كما اشرنا ، عينه السيد رشيد عالي الكيلاني الذي كان رئيسا للديوان الملكي في عام ١٩٣٥ موظفا في وزارة الخارجية حيث اسندت اليه وظيفة كتابية . وقد غضب الملك غازي حين عرف بذلك من الكيلاني ، فقد كان يري ان عبد الاله انسان فاسق لا اخلاق له ولا يستحق اية مساعدة . وعمل الكيلاني على تخفيف غضب الملك واقنعه بان الوظيفة قد تصحح من مسار عبد الاله الذي كان يلقى العطف من الكيلاني . وهو عطف مقرون بمحاولات الاصلاح ايضا . وسبب هذا العطف ان رشيد عالي كانت تربطه بالاسرة الهاشمية علاقات روحية لان نسبه يعود هو الآخر للرسول محمد صلى الله عليه وسلم لهذا فقد كان عبد الاله لا يجد حرجا في ان يشكو حاله لرشيد عالي .

---

(١) العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب (نجدة فتحى صفوة) صفحة ٢٠٩ .

وكان عبد الاله في ذلك الوقت يشكو من الفراغ كما ان مخصصات اللاجىء التي كان يتقاضها لم تكن كافية . ولذلك فقد عينه رشيد عالي في وزارة الخارجية حيث يعتقد ان علاقته مع السفارة البريطانية قد بدأت اثناء عمله في الوزارة . وقد ظل عبد الاله يعيش كمواطن عادي الى ان نصب وصيا على العرش .

يوم تنصيبه فوجىء مجلس الوزراء الذي اجتمع برئاسة نوري السعيد ان عبد الاله ليس عراقيا . . ! فقد كان مازال يحمل الجنسية الحجازية حيث كان ينتظر ان يعود للحجاز يوما لينصب ملكا عليها باعتباره ولي عهد ابيه الملك علي . ومن اجل التغلب على هذه العقبة الدستورية ، قررمجلس الوزراء منح عبد الاله الجنسية العراقية . واتخذت بعد ذلك الاجراءات الدستورية حيث عين وصياعلى العرش ووليا للعهد في الوقت نفسه كي يتمكن من القيام باعباء الملك التي كان يفترض ان تسند الى مجلس وصاية . وقد اقر كل ذلك في مجلس الامة الذي كان نوري السعيد يسيطر على الاغلبية فيه .

وتحول عبد الاله للسكن في قصر الزهور بعد ان كان يعيش في سكن عادي . وهو ذات القصر الذي كان يمنعه الملك غازي من دخوله ويطرده منه اذا رآه فيه فقد اصبح هو سيد قصر الزهور الذي عاش فيه مع جميع اخواته باستثناء واحدة ، وتحول عبد الاله كذلك من رجل منبوذ الى رجل السلطة الاول من الناحية الدستورية . ولكنه لم يكن يفعل اي شيء في واقع الأمر الا بعد استشارة بريطانيا من خلال سفيرها في بغداد و « سندرسن باشا » طبيب الاسرة المالكة الذي كان « راسبوتين العراق » .

لطيف . . في البداية

في البداية كان عبد الاله يبدو لطيفا ، بل مكسور الخاطر . . مؤدبا ومطيعا يستمع الى نصائح الوزراء ، غيرانه بدأ يلعب دوره بوضوح بعد ان بدأت الحرب العالمية الثانية في مطلع ايلول ١٩٣٩ . . اي بعد خمسة اشهر من مقتل الملك غازي ، وهو الامر الذي كان مطلوبا ضمن التحضيرات البريطانية لخوض الحرب العالمية الثانية حيث ازداد النفوذ البريطاني في العراق . واصبح موقع العراق وعلى رأسه عبد الاله مهما جدا . وكانت السيطرة الفعلية في العراق موزعة بين السفارة البريطانية والاستخبارات البريطانية في المقام الاول ، ورجال الحكم الموالين لبريطانيا وفي مقدمتهم نوري السعيد واعوانه ، وكانت القرارات المهمة تتخذ

في اعقاب لقاء يتم بين عبد الاله ونوري السعيد والسفير البريطاني . ففي هذه اللقاءات كان يتم تقرير تشكيل حكومة والاطاحة باخرى او توجيه مجلس الامة للتصويت باتجاه معين وهكذا .

وحين اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا في ايلول ـ سبتمبر ١٩٣٩ اعلن عبد الاله ونوري السعيد بطلب من بريطانيا مقاطعة المانيا ديلوماسيا وقطعت العلاقات معها . وعندها فقط ظهرت حقيقة عبد الاله واضحة واصبح تعاونه مع بريطانيا سافرا في الوقت الذي كان الرأي العام الشعبي العربي بما في ذلك في العراق يتمنى هزيمة بريطانيا وانتصار الالمان .

ولم يكتف عبد الاله بذلك ، بل اصبح يعامل افراد الاسرة المالكة اسوأ معاملة فقد كان بذيء اللسان يتعمد شتم الملك واهانته . وقد استمرت معاملته للملك فيصل الثاني على هذا النحو حتى بعد ان شب وبلغ سن الرشد ونصب ملكا في العام ١٩٥٣ وحتى قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ . وقد اشار الملك حسين عاهل الاردن الى كيفية معاملة عبد الاله للملك فيصل في كتابه « مهنتي كملك »[٢] .

ويبلغ اللؤم بعبد الاله انه ترك الملك فيصل مريضا بالربو ولم يحاول ان يعالجه كي يشفى من مرضه وهو في بدايته . بل ترك المرض يتفاقم من اجل ان يشب الملك ضعيفا ، وعلى امل ان يموت ايضا فينصب هو ملكا على العراق . وقد عربت تصرفات عبد الاله عن طموحاته هذه حيث كان يتصرف باعتباره هو الملك الفعلي . وكان كذلك فعلا في مظهره وتعامله . فقد كان يلبس ذات اللباس الذي يلبسه الملك في افتتاح مجلس الامة وغيره من المناسبات الرسمية . وكان يضع على صدره ذات تياشين الملك . وحين كانا يقومان معا بزيارات رسمية كان عبد الاله حريصا على ان يكون صورة طبق الاصل عن الملك في لباسه

---

(٢) روى الملك حسين في كتابه (ص ١٤٨ وما بعدها) كيف كان عبد الاله يعامل الملك فيصل واورد حادثا كان قد شهده من تلك المعاملة الخشنة حين شتم عبد الاله الملك دون مبرر فى سيارة كان يستقلها الملك حسين ايضا ومرافق عسكرى عراقي الى مدينة ستين في بريطانيا مما جعل الملك حسين يعترض على هذا الشجار ويطلب النزول من السيارة بغضب ليستقل سيارته التى كانت تتبع السيارة التى كان يقودها عبد الاله . ويسجل ملك الاردن دون موارية . . (انني شخصيا لم اكن مع ولى العهد على صلة ودية ولئن كانت تقاليدنا شديدة الدقة فيما يتعلق بالاحترام الواجب الاعراب عنه لكبار السن الا انه كان يصعب علي احيانا ان اتقيد بها) .

وتصرفاته .

وكان عبد الاله - الذي اتت تصرفاته بالبلاء على الاسرة كلها في نهاية المطاف - كان المتعجرف الوحيد من افراد الاسرة المالكة حيث كان بقية افراد الاسرة متواضعين ولطفاء بمن في ذلك شقيقات عبد الاله نفسه .

عوامل الخلاف مع الكيلاني

حين انكشفت حقيقة عبد الاله على هذا النحو بدأ الخلاف بينه وبين رشيد عالي الكيلاني الذي لم يعترض في البداية على تنصيبه وصيا على العرش ووليا للعهد وفق الوصية المزعومة . بل انه كان قد شارك في اجراءات التنصيب . فقد كان الكيلاني يعتقد أن علاقته الخاصة مع عبد الاله كفيلة بجعله يستمع الى توجيهاته والأخذ بآرائه حيث أنه لم يكن يدرك بعد حقيقة العلاقة الخفية التي تربط عبد الاله بنوري السعيد . والواقع ان عبد الاله حاول ان يساير الكيلاني في البداية ، ولكنه لم يستطع أن يواصل ذلك حتى النهاية لاسيما بعد أن كلف الكيلاني بتشكيل الحكومة وأصبح رئيسا للوزراء . فقد رأى الكيلاني أن الوقت قد غدا مناسبا من أجل تمرير مشروع قانون حماية البلاط الملكي والملكية في العراق الذي كانت قد وضعته حكومة ياسين باشا الهاشمي سنة ١٩٣٥ ورفضه الملك غازي في حينه .

كان مشروع القانون يتضمن ضوابط تحد من تصرفات الملك باعتباره ليس ملكا لنفسه وانما هو ملك للشعب ويمثل الدولة والحكومة والأمة . وعليه يجب أن يكون تصرفه ضمن هذا القانون . وقد أدى اقتراح هذا القانون الى غضب الملك غازي في حينه ، بل انه أدى به الى الاتفاق مع الفريق بكر صدقي على القيام بأول انقلاب عسكري بعد الحرب العالمية الاولى في الوطن العربي !

والواقع أن مشروع القانون المشار اليه كان يهدف الى منع الملك غازي من القيام بمغامراته المشهورة في قيادة الطائرات والسيارات والقيام بحركات بهلوانية ، والحد في ذات الوقت من تصرفات أفراد الاسرة المالكة التي قد تسيء لها . فالملك غازي مثلا كان يعاقر الخمرة ، وشقيقته عزة[٣] هربت الى خارج العراق مع خادم يوناني كان يعمل في القصر واسمه

---

(٣) هي كبرى شقيقات الملك غازي وقد هربت في شهر يونيو ١٩٣٦ .

« خرالامبو » حيث تزوجت منه . وقد حاولت الاتصال مع رشيد عالي الكيلاني في روما في ابريل ١٩٤٢ حيث جاءت لزيارته بعد أن هرب من العراق اثر فشل ثورة ١٩٤١ ولكنه رفض أن يستقبلها . . ووفق رواية الكيلاني فان قرارا قد اتخذ من قبل حكومة ياسين باشا الهاشمي بموافقة الملك يقضي بقتل الاميرة الهاربة وزوجها اليوناني غسلا للعار ، وقد اعتنقت الدين المسيحي !!.

لقد كان هربها معيبا للعراق كله .

وكما ذكرنا فقد رفض الملك غازي تمرير مشروع القانون الذي كان يقف وراءه بشكل رئيسي رئيس الحكومة ياسين باشا الهاشمي ووزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني . وفي المقابل فان الملك أراد أن يتخلص من وطأة مواجهة رجال الحكم والسياسة الذين عرفوا بحادث هرب شقيقته . وهو الحادث الذي عرف على أضيق نطاق ممكن فقط .

لذلك فقد اتفق مع الفريق بكر صدقي على القيام بانقلابه العسكري . وهو الانقلاب الذي لم يكن الانكليز بعيدين عنه .

والشيء بالشيء يذكر . فاذا كانت العوامل السابقة جعلت الملك غازي ينقلب على كل رجال السياسة ، فانه انقلب في وقت من الأوقات على رشيد عالي الكيلاني . فقد نجح رفاق السوء في تأليب الملك على الكيلاني بسبب تشريعه قانونا للآداب العامة . وبموجب هذا القانون منع الاختلاط في الأماكن العامة مثل دور السينما حيث كان يجلس الرجل في جانب وزوجته في الجانب الأخر مما أدي الى مضايقة الناس بصفة عامة رغم أن القانون سن بعد أن بلغت التجاوزات حدا لا يطاق ، وبموجب هذا القانون شكلت أيضا شرطة آداب لقمع التجاوزات في الشوارع والأماكن العامة . وبدىء باغلاق الملاهي والكباريهات وتناقص عدد « الارتيستات » .

وكان من ضمن الذين اعترضوا على هذا القانون ضباط الجيش وأغلبهم كان عازبا . وهؤلاء كانت تربطهم علاقات قوية مع الملك .

وحين شعر رشيد عالي أن الملك بدأ يتضايق منه ويتجنب اللقاء به قدم استقالته من رئاسة الوزراء ، غير أن الملك رفضها ، فقال له الكيلاني ان والدك كان يزعل مني ويرضى بسبب قولي لكلمة الحق ، وزعلك مني لن يجعلني أعدل عن مواقفي . والواقع أن الخلاف بين

الرجلين كان مبدئيا .

انقلاب بكر صدقي

لجأ الملك غازي الى تأييد انقلاب بكر صدقي لأنه لم يكن يملك الحق الدستوري في اقالة حكومة ياسين باشا الهاشمي الذي كان لا يزال حتى ١٩٣٦/١٠/٢٩ ، وهو تاريخ الانقلاب يحاول تبرير قانون الحد من صلاحيات الملك . فاقالة الحكومة أمر من صلاحية مجلس الامة كما كان ينص الدستور . كما أنه لم يكن بامكان الملك أن يكلف ضباطا قوميين القيام بالانقلاب ذلك أن شخصية بكر صدقي قد فرضت نفسها بسبب دوره المشهود في القضاء على ثورة الآشوريين في الشمال . ولم يكن متصورا أن يقبل الضباط القوميين أن ينفذوا انقلابا ضد حكومة ياسين الهاشمية التي كان رشيد عالي الكيلاني من أبرز وزرائها . فقد كانوا يؤيدون سياسات هذه الحكومة التي سنت قانون التجنيد اللازامي وأممت شركة الكهرباء البريطانية في بغداد وشركة السكك الحديدية وغيرها من الشركات البريطانية . بل ان الضباط القوميين ظلوا يعارضون حكومة حكمت سليمان التي شكلت اثر انقلاب بكر صدقي حتى اسقطوها . وقتلوا بكر صدقي أيضا .

كان بكر صدقي قد برز كشخصية قوية في العراق سنة ١٩٣٣ حين وجه ضربة قوية للآشوريين الذي ثاروا في شمال العراق وكانت الموصل مركز تحركهم . وقد بدأ تحرك الآشوريين بعد أن سافر الملك فيصل الاول الى انكلترا في زيارة رسمية اصطحب معه فيها وزير خارجيته نوري السعيد ووزير دفاعه جعفر العسكري ووزير المالية . وكانت هذه الزيارة تهدف الى الحصول على قرض من بريطانيا مقداره نصف مليون دينار .

وظل في بغداد نائب الملك ، ولي العهد الامير غازي ورئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني . أما وزارة الداخلية فكانت مسندة الى حكمت سليمات وكان بكر صدقي في ذلك الوقت آمر حامية الموصل قبل أن يعين معاونا لرئيس أركان الجيش الفريق طه الهاشمي في سنة ١٩٣٥ .

مؤامرة بريطانية

وكان عصيان الآشوريين في حقيقته مؤامرة بريطانية أرادت بريطانيا بها أن تفصل القسم الشمالي من العراق وأن تقيم فيه دولة آشورية . والآشوريون هم من سكان العراق القدماء

الذين يرون أنهم سكان البلاد الاصليون . وهم يعيشون في المناطق الحدودية المتجاورة في العراق وسوريا وتركيا . . وكان يرأس الطائفة الآشورية المار شمعون في ذلك الوقت . وكان يوجد داخل العراق لواءان من قوات « الليفي » الآشورية التي دخلت العراق ضمن القوات البريطانية الغازية سنة ١٩١٧ ولم تخرج منه . وكانت بريطانيا تحاول أن تضم هذين اللواءين الى الجيش العراقي دون طائل حيث أبرمت معاهدة ١٩٣٠ دون أن تشير إلى قوات الليفي .

بدأت حركة الآشوريين باعلان العصيان في مدينة كركوك . وأعلن المار شمعون نفسه ملكا على شمال العراق الذي أعلن فيه الدولة الآشورية ، فاستدعاه رشيد عالي الى بغداد للتفاوض معه على أن يأتي معه حرسه ورجاله . وقد حضر بلباسة الديني باعتباره قسيسا . وحين التقى رشيد عالي الكيلاني سأله الاخير عما اذا كان يعلم أن الملك فيصل الأول هو ملك العراق ، وأن اعلانه لنفسه ملكا هو تجاوز للدستور العراقي ، وعما إذا كان يعرف عقوبة ذلك التصرف . فأجاب انه ملك الآشوريين وأنه لا يعترف بالدستور العراقي حتى يعترف بالعقوبات التي تترتب على مخالفته . وقد قدم المار شمعون للقضاء الذي حكم عليه بالاعدام غير أن الحكم لم ينفذ . وأطلقت القوات البريطانية سراحه بعد أن احتلت العراق في مطلع يونيو ١٩٤١ بعد فشل ثورة الكيلاني . وغادر المار شمعون العراق الى سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة حيث قتل هناك على يد أحد أعوانه . وكان قبل مقتله قد عاد للعراق في زيارة قام بها في العام ١٩٧١ أو ١٩٧٢ حيث اعيد له اعتباره وأعيدت الكنائس .

لم يبق أسير

وأثناء اعتقال المار شمعون كانت قوات الليفي تستعد للهجوم على الموصل . فاتخذت القوات العراقية بقيادة بكر صدقي استعداداتها وتمركزت في خنادق حفرت في محيط المدينة . وكانت أوامر بكر صدقي أن لا يفتح الجنود المدافعون النار إلا بعد أن تصل القوات المهاجمة الى مسافة ٢٠٠ ياردة فقط من الخنادق مما تسبب في مقتل جميع المهاجمين ولم يبق منهم أحد ليقع في الاسر . وكانت مذبحة حقيقية . ورغم الابادة الكاملة لجيش الليفي فان الحكومة العراقية لم تتحرش بالآشوريين أبدا بعد هذه المعركة . كما أنها لم تنفذ حكم الاعدام في المار شمعون . وظل الآشوريون يعيشون بسلام في العراق منذ ذلك التاريخ وحتى الآن . ولم يحاولوا القيام بأي تحرك آخر .

ولأن رشيد عالي لم يقم بأي عمل انتقامي فان الآشوريين لم يحقدوا عليه . بل ان المار شمعون حين علم بنبأ وفاة رشيد عالي سنة ١٩٦٥ أبرق الى مجموعة من أعوانه في بغداد أن يقوموا بواجب تقديم العزاء وقد حضروا مجلس الفاتحة فعلا في اليوم الثالث وكان أحدهم زميل دراسة لي فعرفته فور دخوله واسمه ايشو صوفر . وقد سبب دخولهم حركة وتساؤلات عما اذا كان حضورهم من قبيل التشفي ، غير أن صديق الدراسة أبرز لي برقية المار شمعون التي تطلب حضور الفاتحة باسم الطائفة على روح رشيد عالي الكيلاني .

والى جانب دوره في قمع الثورة الآشورية وحماية العراق من خطر التقسيم فان بكر صديقي لعب دورا مهما أيضا في قمع عصيان قامت به بعض العشائر في منطقة الديوانية سنة ١٩٣٥ بتحريض من نوري السعيد الذي كان وزيرا للخارجية في ذلك الوقت في حكومة ياسين باشا الهاشمي التي سنت قانون التجنيد الالزامي الذي رفضه الانكليز ونوري السعيد . وكان هدف العصيان هو اسقاط حكومة الهاشمي والغاء قانون التجنيد الالزامي . وقد هاجم رجال العشائر السكك الحديدية ومحطات القطار ومخافر الشرطة فاستدعي بكر صديقي وقطعاته العسكرية من بغداد الى الجنوب ورافقهم وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني الذي ظل معهم ٢١ يوما حتى تم القضاء على العصيان .

علاقة وطيدة . . ولكن

وقد أدت هذه المهمة المشتركة الى توطيد العلاقة بين رشيد عالي الكيلاني وبكر صدقي الذي أعجب بشخصية الكيلاني وطلب منه أن يعتبره جنديا بأمرته جاهزاً لان ينفذ أية أوامر . وقد أعجب بكر صدقي في الواقع بحزم رشيد عالي الذي أمر بتنفيذ حكم الاعدام بحق حوالي ١٥ شخصا بموجب قانون الاحكام العرفية التي أعلنها في تلك المنطقة وذلك بسبب استغلالهم للظروف واعتدائهم على الأهالي وممتلكاتهم . لذلك فحين قام بكر صدقي بانقلابه كان الكيلاني أكثر الناس تألما لانه كان يعول عليه القيام بأدوار اخرى لصالح الوطن في المستقبل . فقد كانت شجاعته تجعل من رشيد عالي يعتمد انه قد نضج وتخلى عن علاقته بالانكليز الذي تعامل معهم كل العراقيين في البداية بهدف طرد الاتراك . وعلى هذا الاساس من التعاون مع الانكليز قامت الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٧ . غير ان بكر صدقي أصر أن تكون نهايته مثل بدايته حيث انه دخل الى الجيش العراقي بطلب من الانكليز

باعتباره ضابط استخبارات بريطانيا . وفي عام ١٩٢٤ كان قد كلف ليكون احد المفاوضين في الجانب البريطاني في المفاوضات البريطانية ـ التركية العراقية بشأن رسم الحدود بين العراق وتركيا . وهذا ما تؤكده الوثائق البريطانية التي أفرج عنها مؤخرا . وهناك على وجه الخصوص وثيقتان هما عبارة عن رسالتين متبادلتين بين السفارة البريطانية في بغداد ووزارة الخارجية في لندن . الرسالة الأولى موجهة من وزارة الخارجية بتوقيع جورج دبليو . رندل ويفهم منها انها رد على رسالتين سابقتين من السفارة في بغداد . وهذا نصها .

عزيزي آرجي ،

شكرا كثيرا على رسالتيك المؤرختين في ٢٦ نوفمبر و ٣ ديسمبر حول بكر صدقي .

ان الملاحظات التي أعدها الضابط في البعثة العسكرية مثيرة للاهتمام وسنكون سعداء إذا علمنا المزيد مما قد يظهر بنتيجة تحقيقاتك بشأن ماضي بكر صدقي .

وبالمناسبة فان شعبة الاستخبارات في وزارة الطيران اخبرتنا قبل أيام قلائل بانها اكتشفت أن بكر صدقي كان مستخدما لمدة من الزمن في حدود سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ كوكيل للاستخبارات للقوات العسكرية البريطانية في المنطقة المحايدة التي كانت موجودة بين العراق وتركيا .

وقد أجابت السفارة البريطانية بالرسالة التالية وهي بتوقيع ارجيبولد كلارك كير وذلك بتاريخ ١٩ يناير ١٩٣٧ .

ان المعلومات الواردة في الفقرة الاخيرة في رسالتك المرقمة (ET 7795 / 1419 / 93) والمؤرخة في ٣١ ديسمبر حول بكر صدقي ، قد اكدتها القاعدة الجوية هنا . وقد اعلمتني شعبة الاستخبارات ، بالاضافة الى ذلك ، انه كان بتوصية خاصة من الاركان العامة هنا ان عين بكر صدقي في الجيش العراقي وذلك في يناير سنة ١٩٢١ .

الجيش يدخل بغداد

في اليوم الاول للانقلاب قام الطيران بقصف مقر الحكومة ، وفي تمام الساعة ٠٠, ظهرا كانت الحكومة قد قدمت إستقالتها . وفي اليوم الثاني دخل الجيش الى بغداد عصرا بعد ان قبل الملك استقالة حكومة الهاشمي وسارع الى تكليف حكمت سليمان بتشكيل حكومة جديدة . وعين بكر صدقي رئيسا لاركان الجيش بدلا من العميد طه الهاشمي شقيق ياسين

الهاشمي الذى كان يوم قيام الانقلاب خارج العراق في مهمة سرية لشراء اسلحة المانية وايطالية وصلت للعراق في عهد بكر صدقي فنسب ابرام الصفقة لنفسه . وكان حكمت سليمان هو المحرض الرئيسى والمباشر لبكر صدقي للقيام بانقلابه بعد ان انشق عن تجمع الهاشمي ـ الكيلاني « الاخاء » وتزعم تجمع « الاهالى » وقد دخلت قوات بكر صدقي الى بغداد دخول الفاتحين حيث كان الجنود يستقلون سيارات النقل وهم شاهرو الحراب ، وقتل في الانقلاب جعفر باشا العسكري الذى كان وزيرا للدفاع يومها ، وهو رئيس وزراء سابق ايضا كما انه كان ابرز مؤسسي الجيش العراقي . ولذلك كان يلقب بأبي الجيش .

ولم يكن حكمت سليمان دمويا مثل بكر صدقي رغم انه شريك له في الانقلاب ويؤكد هنا انه اوعز الى رشيد عالي الكيلانى وياسين باشا الهاشمي ونوري السعيد ان يهربوا الى خارج العراق حتى لا يقتلهم بكر صدقي ، كما انه كلف جزمى سليمان شقيق زوجة الكيلانى ـ وحكمت سليمان عمهما ـ ان يرافقا رشيد عالي حتى الحدود السورية العراقية وذلك بدون علم بكر صدقي . وهكذا هرب الهاشمي والكيلاني الى بيروت وهرب نورى السعيد الى القاهرة .

وبعد نجاح الانقلاب بدأ الناس يترقبون متى يقدم بكر صدقي على تنحية الملك غازي وهو الامر الذى كان متوقعا حدوثه بين يوم وآخر سيما وان انقلاب بكر صدقي تم في ذات الفترة الزمنية التى تولى فيها مصطفى كمال اتاتورك السلطة في تركيا وتولى رضا محمد بهلوي السلطة في ايران ولكن شيئا من هذا لم يحدث ذلك ان الملك كان متواطئا مع الانقلاب للعوامل التى اشرنا اليها سابقا .

غازي شعر بالورطة

غير ان غازي شعر بورطته وخطئه حين سلبه بكر صدقي كل السلطة واصبح هو الامر الناهي في العراق والادهى من ذلك انه كشف عن وجهه الشعوبي منذ اليوم الاول لانقلابه ، فقد عادى العرب والعروبة وابعد العرب عن المراكز القيادية للجيش وبدأ يسلمها لعناصر كردية ، وكان هو نفسه كرديا ، واستعان لاول مرة في العراق بالحزب الديموقراطى الوطنى بزعامة كامل الجادرجي في تشكيل الحكومة وهم حزب كان على علاقة بحزب « اتلى » البريطاني دون ان تستطيع ان تقرر ما اذا كان على علاقة بالحكومة البريطانية ايضا . وعموما فان افكار الحزب الديمقراطى الشعوبية هياته مرة اخرى للتعاون مع عبد الكريم قاسم فيما

بعد كما تعاون مع بكر صدقي من قبل .

وكان بكر صدقي يخطط كما يبدو من اجل قيام دولة كردية في شمال العراق ، ومثل هذا التخطيط ربما كان احد عوامل القسوة البالغة التى واجه بها الثورة الاشورية في الشمال سيما وان الانجليز كانوا يدعمون حركة كردية انفصالية ناشئة في ذلك الوقت بقيادة الشيخ محمود الذي برز كزعيم للاكراد قبل الملا مصطفى البرازني .

وفي عهد بكر ـ حكمت كان موقف الملك حرجا فلا هو بات يشعر انه الملك ولا هو قابل بالتوجه الشعوبي الحاكم ، ولا هو قادر على اعادة الهاشمي والكيلاني ونوري السعيد خشية ان ينتقموا منه بسبب تواطئه مع بكر صدقي في البداية وهو التواطؤ الذي تسبب فيه نقص الخبرة لدى الملك الذي كان عمره ٢٤ عاما فقط يوم نفذ الانقلاب .

وفي المقابل فان الضباط القوميين في الجيش لم يكن بمقدورهم ان يسكتوا على الوضع الشعوبي الجديد ، لذلك فقد ظلوا يتربصون لبكر صدقي حتى قتلوه وهو في طريقه عبر الموصل الى تركيا في مهمة رسمية حيث أقام في نادى الضباط وكلف احد الجنود باطلاق النار عليه من مسدس وضعه أسفل الصينية التي كان يقدم له عليها المرطبات . وحين حاول محمد على جواد قائد سلاح الطيران القاء القبض على الجندى عاجله هو الاخر بطلقات قاتلة . وكان يقف وراء هذا الحادث امين باشا العمري امر موقع الموصل والعقيد فهمي سعيد احد العقداء الاربعة الذين قادوا الجيش في ثورة ١٩٤١ فيما بعد وعدد اخر من الضباط القوميين الذين هربوا الجندى الذى اطلق النار وحموه من حكم الاعدام الذي صدر بحقه . وهوحى يرزق حتى الان .

وللحقيقة والتاريخ فإن عملية القضاء على بكر صدقي لم تنفذ بمسدس الجندي وحده وإنما كان هناك احد الضباط القوميين الذى افرغ طلقات مسدسه ببكر بعد ان لاحظ تخاذل الجندى وتباطؤه ولعلنا نعتذر عن ذكر اسمه استجابة لطلب من ابناءه رحمه الله واسكنه فسيح جناته . .

عصيان في الموصل

وتبع اغتيال بكر صدقي اعلان امين باشا العمري بعد اسبوعين العصيان العسكري في الموصل الذى حظى بتأييد كل الضباط في الشمال وكذلك بتأييد رشيد عالى الكيلاني في منفاه

في بيروت وكان مطلب الضباط القوميين الرئيسي هو استقالة حكومة حكمت سليمان الشعوبية . وبالفعل فقد اضطرت الحكومة الى تقديم استقالتها للملك في ١٧ اغسطس ١٩٣٧ . وكذلك فقد طلب العقداء الاربعة من الملك ان يكلف جميل المدفعي بتشكيل الحكومة الجديدة . بعد ان برزوا كقوة رئيسية في الجيش اثر مقتل بكر صدقي . وكان جميل المدفعى قد نجح في التقرب اليهم من قبل . وشكل المدفعي حكومة سلام وتهدئة . وهذه هى مهمته دائما .

وقد ادت الاطاحة بحكومة حكمت سليمان الى عودة الهاشمي والكيلاني ونورى السعيد للعراق ، وتوطدت العلاقات مجددا بين الملك والكيلاني بالذات والرموز القديمة الاخرى خاصة بعد ان سيطر العقداء الاربعة القوميون على الجيش ـ وبذلك فقد فشل بكر صدقي في فرض السياسات البريطانية على العراق كما فشل من قبله نوري السعيد من خلال تحريضه على ثورة عشائر الجنوب . وعاد الملك الى الكشف مجددا عن مواقفه القومية المعادية للانجليز وعواطفه الكارهة لهم .

وبدا فصل جديد من فصول الصراع بين التيار القومي وتيار عملاء الانجليز قاده في هذه المرة نورى السعيد الذى رتب حادث مقتل الملك غازي مع الانجليز تمهيدا لتنصيب رجل الانجليزى الاخر عبد الاله وصيا على العرش ووليا للعهد . وقد ظل هذا الفصل من الصراع مستمرا حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التى اطاحت بالنظام الملكي من اساسه وقتلت وسحلت عبد الاله ونورى السعيد .



جعفر باشا العسكرى القائد العام
لقوات الثورة العربية الكبرى .



الملك فيصل الثاني في حفل للهلال الاحمر العراقي بمطلع الخمسينات السبع التابعة لطائفته

مؤامرات نوري السعيد .. وهروب الوصي

من هو نوري السعيد ؟

شخصية نوري السعيد تحتاج الى توقف . فالرجل كان أحد رواد القومية العربية في العهد العثماني فكيف تحول الى عميل للانكليز .. ؟ !

بداية .. نوري السعيد هو ابن سعيد أفندي[1] ابن الملاطة أفندي . وكان والده موظفا عاديا في الدولة العثمانية وكان يعيش في بغداد في منطقة قريبة من منطقة الشيخ عمر السهروردي تسمى « فضوة قره شعبان » وهي منطقة شعبية تعتبر امتدادا لمنطقة الفضل والمهدية حيث يقيم أهل بغداد القدامى وذلك كما يروي والدي الذي كان يعرف نوري السعيد منذ ذلك الوقت حيث درس الاثنان معا في المدرسة الحربية في اسطنبول في العهد العثماني . ولكن أحدا لا يعرف مسقط رأس نوري السعيد ومنطقته الأصلية . وهو من مواليد سنة ١٨٨١ .

عندما تخرج نوري السعيد في المدرسة الحربية باستانبول سنة ١٩٠٠ برتبة يوزباشي التحق بالجمعيات العربية التي كانت تسعى للتخلص من الحكم العثماني وخاصة جمعية العربية الفتاة التي كان عضوا فيها منذ تأسيسها في عهد السلطان عبد الحميد الذي عزله حزب الاتحاد والترقي سنة ١٩٠٨ . وعندما أعلن الشريف الحسين بن على الحرب على الدولة العثمانية في ١٩١٧/٦/١٠ دعا في أحد بياناته الضباط العرب في الجيش العثماني للالتحاق بالجيش

---

(١) يقول المرحوم عمنا الجليل السيد محمد صالح السهروردي في كتابه لب الألباب أن الملاطة أفندي جد نوري السعيد كان أحد وجوه عشيرة القره غول في بغداد . أما صلاح الدين الصباغ فيقول في كتابه فرسان العروبة انه ليس عربيا من بني سعيد ولا من آل سعيد بل تركيا من قونية .

العربي . وقد لبى الدعوة من ضمنهم نوري السعيد الذي كان برتبة ملازم أول في ذلك الوقت . وكان مقر وحدته في البصرة .

كان مجاهدا عربيا !

وقد حارب نوري السعيد ضمن المجاهدين العرب الى جانب الملك فيصل طوال فترة الحرب التي أصيب خلالها . وبعد أن انتهت الحرب واختار تشرشل وزير المستعمرات البريطانية الأمير فيصل ملكا للعراق ، أصبح نوري السعيد من رجاله في العراق . وكان هناك مرشحان آخران لتولي ملك العراق هما عبد الرحمن الكيلاني ، نقيب أشراف بغداد ، وطالب باشا النقيب ، نقيب أشراف البصرة الذي كان المرشح الأوفر حظا .

وقد كانت عودة نوري السعيد في البداية الى مستشفى في البصرة حيث كان مصابا كما أسلفنا ، وعولج هناك . وبدأت علاقته بالانكليز في البصرة من خلال احد ضباط الاستخبارات الذي كان على اتصال مع الملك فيصل .

وقد ظل نوري السعيد يترقى في الرتب العسكرية حتى حمل رتبة الجنرال وأصبح باشا وكان أحد القادة العسكريين الذين ساهموا في تأسيس الجيش العراقي في ٦ يناير ١٩٢١ بالاشتراك مع طه الهاشمي وجعفر العسكري ووالدي الحاج محيي الدين السهروردي . وأثناء وجوده في الجيش حافظ نوري السعيد على علاقته بالملك فيصل كما استمرت علاقته مع الانكليز . وكان أقرب المقربين الى الملك والى الانكليز في ذات الوقت . وقد استهوى البريطانيين كما أنهم استهووه لأنه كان ثعلبا . وعندما كانت تواجه الانكليز مشكلة في التعامل مع الملك كان هو الذي يقترح عليهم الحلول المناسبة لكيفية التعامل معه .

والمثال على ذلك هي صيغ المعاهدات الثلاث التي حاول الانكليز فرضها على العراق في سنوات ١٩٢٥ و ١٩٢٦ و ١٩٢٧ . وكانت هذه المعاهدات تهدف الى نقل العراق من مرحلة الانتداب البريطاني المباشر الى مرحلة الاستقلال الصوري وذلك في أعقاب ثورة ١٩٢٠ . ولهذا الغرض وضعت عدة صيغ للمعاهدة التي وقعت في النهاية سنة ١٩٣٠ باسم « معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا العظمى » . وقد كان نوري السعيد خلال المفاوضات يقوم بتبليغ الانكليز بوجهة النظر العراقية وتكتيكات الوفد العراقي ، فيصر الجانب البريطاني على الحصول على أكبر قدر ممكن من التنازلات من العراق . وقد كان الجانب البريطاني يريد أن يمنح العراق استقلالا على الورق في حين كان الجانب العراقي يريد تحقيق الاستقلال الناجز .

يقدم المشورة للانكليز

بل ان نوري السعيد بلغت درجة تآمره على العراق لصالح بريطانيا انه في سنة ١٩٢٧ ، وبعد أن فشل الجانب البريطاني في فرض صيغ معاهدات تحقق استقلالا شكليا للعراق ، نصح الانكليز باثارة قلاقل تؤدي الى استقالة حكومة جعفر باشا العسكري التي كانت متصلبة في المفاوضات . وبالفعل فقد رتب الانكليز بموجب مشورة نوري السعيد محاولة لقتل الملك علي نائب الملك فيصل الأول وشقيقه وملك الحجاز السابق حين كان الملك فيصل خارج العراق . وقد جرت المحاولة في العاشر من محرم ١٣٤٥ هـ سنة ١٩٢٧ ميلادية وكانوا يعتقدون ان هذا الحادث سيكون من شأنه ليس اسقاط الحكومة فقط ولكن اثارة فتنة طائفية في العراق أيضا . وبذلك يؤجل توقيع معاهدة الاستقلال ويظل العراق خاضعا للانتداب البريطاني . وبسبب مناورات نوري السعيد وتآمره تأجل اعلان استقلال العراق بالفعل حتى سنة ١٩٣٠ .

وكان نوري السعيد يستغل منصبه الرسمي في الحكومة العراقية للتآمر على العراق فحين كان يسرب للانكليز المعلومات عن الموقف العراقي في مفاوضات الاستقلال ، كان يشغل منصب وزير خارجية العراق . وقد شكل نوري السعيد الحكومة لأول مرة في ٢٣ مارس ١٩٣٠ واستمرت حتى ١٩ أكتوبر ١٩٣١ حيث شكل حكومته الثانية التي استمرت حتى ٢٨ اكتوبر ١٩٣٢ . وقد شكل نوري السعيد الحكومة العراقية ١٤ مرة كانت آخرها الحكومة التي استمرت من ٣ مارس ١٩٥٨ الى ٤ / ٥ / ١٩٥٨ .

وكان حين يشكل الحكومة يحتفظ لنفسه بوزارة الدفاع وحين يشكل الحكومة سواه كانت تسند اليه وزارة الخارجية . وحين قامت ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ كان نوري السعيد رئيس حكومة الاتحاد الهاشمي - العراق والأردن .

وبالاضافة الى ذلك فقد كانت علاقاته واسعه مع جميع العشائر وله نفوذ واسع لديها . وقد فرض نفوذه على العشائر من خلال شيوخها الذين كان معظمهم أعضاء في مجلس الأمة . وكان نوري السعيد يتحكم في اختيار النواب من خلال تحكمه في المجالس المختارة التي تتولى الانتخاب . وكانت هذه المجالس تشكل من قبل موظفي الدولة الواقعين تحت السيطرة . فكان نوري السعيد يفرض عليهم من ينتخبوا لعضوية مجلس الأمة .

شعبية كبيرة

ثم يجب أن نقر أن المجتمع العراقي في ذلك العهد كان يثق بنوري السعيد الذي كانت له

شعبية كبيرة . ويعود السبب الرئيسي لشعبيته . في ذلك العهد المبكر الى الجهل الذي كان متفشيا في العراق . فحتى سنة ١٩٣٨ كانت نسبة المتعلمين ٦٪ فقط . اضافة الى ذلك كان يوجد في العراق قانونان . . قانون مدني وقانون عشائري . والقانون العشائري كان مطبقا على أكثر من ٩٠٪ من الناس الذين كانوا يسكنون الأرياف ، وكانوا سذجا وبسطاء . وكان أبناء العشائر يخضعون في اغلب الاحيان للحكومة وخاصة عندما بدأت الحكومة تتصل بالعشائر وخفضت من حجم الضرائب التي كانت مفروضة عليها في العهد العثماني .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان لنوري السعيد شعبية خاصة لانه كان يكرم شيوخ العشائر ويستضيفهم ويلبي طلباتهم ويزودهم بالسلاح وذلك منذ بداية الحكم الاهلي .

ولم يكن نوري السعيد مخلصا للعشائر في الواقع . فهو لم يكن يمانع أبدا في استخدام العنف والقوة معهم ومع شيوخهم اذا خرجوا عن طاعته . وفي سنة ١٩٢٤ ارسلت قطعات من القوات البريطانية الى قبائل العزة في منطقة بعقوبة بمحافظة ديالي بهدف توجيه ضربة الى هذه العشائر تؤدي الى تأديب العشائر العراقية التي قاومت الانكليز . وكان والدي في ذلك الوقت مديرا للشرطة في محافظة ديالي ، حيث توجد هذه العشائر . فلما عرف بأمر القوات البريطانية القادمة قام باغلاق الجسر الذي يؤدي الى المنطقة ، قاطعا بذلك الطريق أمام هذه القوات . واتصل مع نوري السعيد في بغداد الذي كان في ذلك الوقت وزيرا للداخلية وحذره من خطورة ضرب العشائر . وكحل وسط قام والدي باصطحاب شيوخ العشائر الى بغداد حيث سلمهم هناك للسلطات وذلك شريطة أن لا يتعرضوا لأي اجراء فما كان من نوري السعيد الا أن اطلق سراحهم بعد أن أفهمهم انه لولاه لاتخذت بحقهم اجراءات صارمة في حين أنه هو ليس أحد سواه كان المسؤول عن توجيه حملة القوات البريطانية لضرب عشائرهم . . وبذلك كسب نوري السعيد أهم هؤلاء الشيوخ وهو الشيخ حبيب الخيزران شيخ شيوخ العزة . وظل ولاء هؤلاء الشيوخ لنوري السعيد حتى نهاية العهد الملكي .

داهية . .

وأكثر من ذلك فقد كان نوري السعيد في أوقات أخرى بعد أن كسب ولاء العشائر بشتى الطرق والوسائل والأساليب ، كان يحركهم ضد الحكومة اذا لم يكن راضيا عنها ويريد اسقاطها كما حدث حين حرك القبائل ضد حكومة ياسين الهاشمي سنة ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ لأنها اصدرت قانون التجنيد الالزامي بعد أن أفهم العشائر أن هذا القانون يستهدفها في حين أن كل أفراد الجيش في ذلك الوقت كانوا من أبناء العشائر .

باختصار . . لقد كان نوري السعيد داهية وكان قادرا على ان يلعب على جميع التناقضات وتجييرها لخدمة مصالحه . فلقد كان كما قلنا يتعاون مع الرموز القومية ويشترك في الحكومات التي شكلها ياسين باشا الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني وجعفر باشا العسكري ، ولكنه كان يتآمر عليهم في ذات الوقت وينقل للانكليز تفاصيل مناقشات مجلس الوزراء . وكانوا هم يعرفون ارتباطات نوري السعيد ولكنهم كانوا يوزرونه في حكوماتهم على امل مراقبته والحد من تآمره ، وقد كان امره مكشوفا لذلك فان الملك فيصل الأول كما اسلفنا لم يكن يثق به . وانتقلت أزمة الثقة الى الملك غازي وحتى الى عبد الاله حين اختلفا سنة ١٩٥٦ رغم ان عبد الاله كان صنيعة نوري السعيد والانكليز .

الخطوة الثانية على طريق الثورة

كان حادث مقتل الملك غازي هو الشرارة الأولى التي اشعلت نار الثورة والحرب ضد الانكليز وعملائهم في ابريل / مايو ١٩٤١ . تماما كما كان انقلاب بكر صدقي الذي لم تكن الأصابع الانكليزية بعيدة عنه فاتحة لتدخل قادة الجيش في شؤون الحكم السياسي في العراق .

فقد أدى تزايد غضب الجماهير لمقتل الملك غازي الى تكليف رشيد عالي الكيلاني بتشكيل حكومة جديدة في ١٩٤٠/٣/٣١ . وكان تشكيل هذه الحكومة هو الخطورة الثانية على طريق الثورة ، اذ سرعان ما اصطدم رشيد عالي بعبد الاله ، وكانت هناك مجموعة من العوامل التي أدت الى تفجير الموقف .

● العامل الأول : جدد رشيد عالي الكيلاني محاولات تمرير قانون الأسرة المالكة الذي يلزم الملك بنص الدستور ويمنعه من التدخل بشؤون الحكم ولو عن طريق خفي ، وضبط السلوك الشخصي لافراد الأسرة المالكة .

● العامل الثاني : طالب الكيلاني بعدم الاتصال مع حكومات الدول الأجنبية الا عن طريق الحكومة . وكان هذا النص يفترض وقف الاجتماعات الدورية التي كان يعقدها الوصي مع السفير البريطاني في القصر او في السفارة البريطانية ، وكانت تتخذ في هذه الاجتماعات القرارات المهمة . التي تتعلق بالعراق . وكان يحضر هذه اللقاءات نوري السعيد ايضا .

● العامل الثالث : وكان هذا العامل هو الذي فجر العلاقة بين الرجلين تماما فقد رأى رشيد عالي الكيلاني ان يحل مجلس الأمة الذي يسيطر عليه نوري السعيد بالوسائل والأساليب التي سبقت الاشارة اليها ، واجراء انتخابات جديدة لتشكيل مجلس أمة جديد يدعم مواقف

الكيلاني الذي كان يريد عدم الزج بالعراق في اتوان الحرب العالمية الثانية من أجل عيون بريطانيا ومصالحها . ايماناً بمبدأ الحياد التي اعتبرته بريطانيا خروجاً عن سياستها الاستعمارية !! غير ان عبد الاله الذي كلف الكيلاني بتشكيل الحكومة بالاتفاق مع نوري السعيد لتكون حكومة مرحلة مهمتها امتصاص نقمة الجماهير ثم ترحل او يجري ترحيلها ، رفض ان يوقع على مرسوم حل مجلس الامة واجراء انتخابات جديدة لانه ادرك انه سيكون من شأن ذلك حصول الكيلاني على اغلبية في مجلس الامة الجديد تحول حكومته المرحلية الى حكومة دائمة ، وهذا ما يرفضه الانكليز .

الهروب الى الديوانية

وفوجىء الكيلاني بهرب عبد الاله من بغداد الى الديوانية حيث لجأ لدى اللواء ابراهيم الراوي قائد الفرقة الرابعة في الجيش العراقي الذي لم يكن بامكانه ان يفعل سوى استضافة الوصي على العرش في مقر قيادة الفرقة .

وقد دفع هرب عبد الاله رشيد عالي الكيلاني الى تقديم استقالته من رئاسة الحكومة في ١٩٤١/١/٣١ واقدم لاول مرة في تاريخ العراق على اذاعة نص كتاب استقالته المسبب من الاذاعة وقد أرسل نص الاستقالة برقيا الى الوصي في الديوانية . وهذا هو نص الاستقالة البرقية .

صاحب السمو الوصي المعظم - ديوانية .

سيدي . . لقد حاولت أن اسير بالبلاد نحو مثلها العليا منتجها سياسة تتفق ومصلحتها العامة ولم اشك في ان سموكم كان يرغب في ازالة العقبات التي تعترض طريق المخلصين ، غير ان الايدي والمصالح الأجنبية التي يروقها ان لا تسود الثقة المتبادلة بين سموكم وبين حكومة اعتزمت المضي في خدمة البلاد بصدق واخلاص ووفق خطتها المرسومة حملت سموكم على عدم الارتياح منها وقد ظهر ذلك في ترك سموكم البلاط الملكي وانعكافكم في قصركم العامر الأمر الذي اثر على حرية سير الوزارة في اعمالها . ثم استمر عدم ارتياح سموكم في ابتعادكم عن عاصمة المملكة وايقاف الارادات المعروضة على سموكم ، سيما الارادة المتعلقة بحل مجلس النواب اذ ان الوزارة التي اخذت على عاتقها تحمل مسؤولية البلاد وادارة شؤونها في هذه الظروف العصيبة رأت ضرورة استفتاء الرأي العام عن خطتها السياسية لتأمين تعاون اوثق بين السلطتين التشريعية والتنفيذية مما تقتضيه الظروف العالمية الحاضرة . وعليه فاني

اعتذر عن الاستمرار في تحمل المسؤولية راجيا من سموكم قبول استقالتي من رئاسة الوزراء والله اسأل ان يمد سموكم بتوفيقاته .

بغداد في ٣١/ ـ كانون الثاني ـ ١٩٤١ .

رئيس الوزراء : رشيد عالي

بعد اعلان استقالة الكيلاني عاد الوصي الى بغداد وكلف العميد طه باشا الهاشمي شقيق ياسين باشا الهاشمي بتشكيل حكومة جديدة . وقد استمرت هذه الحكومة حتى ١٩٤١/٤/١ .

اللجنة العربية

اثر استقالة الكيلاني عقد اجتماع ضمه مع الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الذي كان يقيم في بغداد ، وكان له وزنه السياسي والقومي والروحي داخل العراق ، والعقداء الأربعة صلاح الدين الصباغ ، فهمي سعيد ، محمود سلمان ، وكامل شبيب ، وحضر الاجتماع ايضا ناجي شوكت ـ رئيس وزراء سابق ـ ويونس السبعاوي وهو محام معروف بوطنيته من الموصل وكان نائبا في مجلس الامة . واتفقوا في هذا الاجتماع على تشكيل تنظيم سري وأن يتخذوا موقفا وطنيا واحدا اذا حدث إي انحراف في سياسة الحكومة او الوصي أو نوري السعيد من شأنه ان يشكل خطرا على التيار القومي ، واقسموا على ذلك . وبدأ التعاون بينهم على هذا الأساس ، وقد اسموا أنفسهم باسم اللجنة العربية .

كانت ردة فعل عبد الاله الاولى على ذلك انه أوقف اجتماعاته الدورية مع مجلس الدفاع الذي كان يتكون من رئيس الوزراء ، ورئيس الديوان الملكي ، رئيس أركان الجيش وقادة الفرق الأربع وهم العقداء الأربعة الذين حرص عبد الاله في السابق على أن تربطه بهم علاقات وطيدة بعد أن برز دورهم اثر مقتل بكر صدقي واقالة حكومة حكمت سليمان . وكان عبد الاله قد درج على ان يناقش مع مجلس الدفاع الذي يترأسه الوضع العام في العراق والشؤون الدولية وكل امور الحكم . واصبح عبد الاله يجتمع مع كل واحد من العقداء الأربعة على حدة حيث يحاول استمالته الى جانبه من اجل شق جبهتهم المتحالفة مع الكيلاني غير ان كل هذه المحاولات ذهبت سدى .

وكان عبد الاله ونوري السعيد يهدفان من خططهما الرامية الى شق الجبهة القومية تسهيل مهمتهما في تمرير مطالب جديدة طلبتها بريطانيا منهما بعد ان بدأت الحرب العالمية الثانية وهي ذات المطالب التي سبق رفضها الملك غازي قبل مقتله مضاف اليها اعلان انضمام العراق الى جانب بريطانيا في الحرب على المانيا ودول المحور . . وللاسف فان طه الهاشمي لم يواجه هذا الاتجاه بل اراد ان يسير حكومته فيه ايضا حيث خطط لتفريق شمل العقداء الأربعة الذين جاءوا به الى رئاسة الحكومة ، اذ ان عبد الاله عهد اليه بتشكيل الحكومة بناء على طلبهم ، اما هو فبالاتفاق مع الوصي على العرش وبصفته وزيرا للدفاع فقد اصدر قرارا بنقل العقيد كامل شبيب من قيادة الفرقة الاولى في بغداد الى قيادة الفرقة الرابعة في الديوانية . وكان هذا القرار هو الشرارة الاولى التي اشعلت الحريق لان العقداء الأربع ادركوا ان هذا النقل هو مقدمة لعمليات اشد خطرا وابلغ اثرا سيما وان طه الهاشمي كان قد اجتمع بهم بالاضافة الى أمين زكي واسماعيل نامق حيث حاول اقناعهم بضرورة الاستجابة لكافة الطلبات البريطانية التي سبق ان رفضها الكيلاني وفي مقدمتها اعلان الحرب على دول المحور .

بعد صدور قرار نقل العقيد كامل شبيب اتصل العقيد فهمي سعيد مع طه الهاشمي ورجاه أن يغير سياسة حكومته وأن يقف الى جانب قادة الجيش ، ولكنه رفض الاستجابة . وفي هذه الاثناء كانت اللجنة العربية قد اجتمعت وقررت ارغام الهاشمي على الاستقالة وارسل له لهذه الغاية فهمي سعيد وأمين زكي ، معاون رئيس أركان الجيش حيث املوا عليه كتاب استقالة حكومته وتوجها به الى الوصي ليسلماه اياه . . وقبل ان يذهبا الى دار الهاشمي كانا قد حضرا اجتماعا في معسكر الرشيد حضره بقية العقداء ورشيد عالي الكيلاني ويونس السبعاوي تقرر فيه اعلان حالة الطوارىء في المعسكر وتوزيع نقاط مراقبة في الاماكن المهمة من العاصمة وحول القصر الملكي .

الهروب الثاني بالبطانية !

وقبل ان يصل الضابطان الى الوصي اتصل به طه الهاشمي هاتفيا وابلغه انه اضطر نوقيع كتاب الاستقالة الذي املي عليه تحت تهديد السلاح ، وعندما وصلا الى القصر وجد ان عبد الاله قد غادره هاربا !

وعلم فيما بعد ان الوصي هرب من القصر مرتديا ملابس النساء حيث توجه الى دار عمته صالحة ثم الى السفارة الامريكية التي كانت تقع في أول طريق معسكر الرشيد ، بجنوب بغداد ويوجد في مكانها الان مقر قيادة القوة الجوية العراقية . وبادر القائم بالاعمال الامريكي

بول كنابنشو الى اخفاء الوصي لديه والاتصال مع السفارة البريطانية وابلاغها بمكان وجود عبد الاله . واتفق على تهريب عبد الاله الى خارج العراق حفاظا على حياته رغم ان الظروف كانت طبيعية ولم تكن هناك ثورة قد قامت بعد . كما انها لم تكن المرة الاولى التي يرغم فيها قادة الجيش الحكومة على الاستقالة .

وفي اليوم التالي توجه الدبلوماسي الامريكي وزوجته في سيارتها الدبلوماسية في زيارة مقررة سابقا لمعسكر سن الذبان البريطاني في منطقة الحبانية لاستقبال السفير البرطاني الجديد كورنواليس فاصطحب السفير عبد الاله معه في سيارته حيث لفه ببطانية ومدده في ارضية السيارة تحت قدميه وقدم زوجته .

في الحبانية تسلم الانكليز عبد الاله ونقلوه بطائرة عسكرية بريطانية الى البصرة حيث بقي فيها حاول خلالها ان يثير اهل المدينة وموظفي الدولة فيها يساعده في ذلك محافظ البصرة صالح حبر .

وقد التحق جميل المدفعي وداود باشا الحيدري وعلى جودت الايوبي بعبد الاله في البصرة . باستثناء الحيدري فان الاخرين رؤساء وزراء سابقون . وقد قرر هؤلاء بعد ان فشلت محاولاتهم لتشكيل حكومة في البصرة واسقاط الحكومة التي شكلها السيد رشيد عالي الكيلاني في بغداد يوم ١٠ ابريل ١٩٤١ ، قرروا ان يغادروا العراق رغم ان البصرة كانت واقعة من الناحية الفعلية تحت الاحتلال البريطاني اذ كانت توجد بها قوات بريطانية في قاعدة نصت عليها معاهدة ١٩٣٠ . كما نزلت بها قوات بريطانية بموجب ذات المعاهدة ولم تغادر العراق في اتجاه الشمال كما تنص المعاهدة . اما نوري السعيد فكان قد توقع حدوث ما حدث وفر الى الأردن مسبقا .

بعد ان اتخذ قرار مغادرة العراق نقل عبد الاله وصحبه الى مركز تجمع القوات البريطانية في الفاو . . ومن هناك سفره الانكليز الى الكويت ومنها حملته طائرة عسكرية بريطانية الى القدس . وفلسطين في ذلك الوقت كانت خاضعة للانتداب البريطاني . اما الكويت فكانت تربطها معاهدة الحماية مع بريطانيا . وقد ظل عبد الاله في القدس وعمان حتى انتهت الحرب بين الجيش العراقي والقوات البريطانية وعاد الى بغداد في ٢ يونيو ١٩٤١ .

بهرب عبد الاله دون أن يوقع مرسوما ملكيا بقبول استقالة حكومة طه الهاشمي وتكليف احد بتشكيل حكومة جديدة ، حدث فراغ دستوري في البلاد ، لذلك بادر رشيد عالي الكيلاني في ٤ أبريل ١٩٤١ الى تشكيل حكومة الدفاع الوطني التي كان فيها الكيلاني وزيرا

لكل الوزارات . واستمرت هذه الحكومة لمدة ستة أيام فقط . وتلخصت مهمتها في ايجاد مخرج للمأزق الدستوري الذي خلقه هرب الوصي على العرش . ومن اجل الخروج من المأزق اقترح العقداء الأربعة حل مجلس الامة واجراء انتخابات جديدة . ولكن الكيلاني لم يوافق على هذه الفكرة التي كان مبعثها الخوف من وقوف مجلس الامة ضد تشكيل الكيلاني لحكومة جديدة ذلك ان نوري السعيد كما أشرنا كان يتمتع بتأييد الاغلبية في المجلس . وكان سبب اعتراض الكيلاني على هذه الفكرة انها تشكل مخالفة دستورية اذ لا يجوز حل مجلس الامة دون صدور مرسوم ملكي يوقعه الوصي على العرش(٢) .

لذلك ارتأى رشيد عالي الكيلاني ان الخطوة الاولى الضرورية للحصول على الشرعية لحكومته هى تعيين وصي جديد على عرش الملك فيصل الذي حرص الجميع على حياته كما حظي جميع افراد الاسرة المالكة بالرعاية ، حيث ارسلهم الكيلاني الى مصيف سرسنك في شمال العراق كي يكونوا في مأمن بعيد عن ساحة الحرب وكانت مجازفة من رشيد عالي ان يحاول الحصول على شرعية حكومته من مجلس نوريالسعيد لكنه كان واثقا من ان احدا من النواب لا يستطيع أن يظل مؤيدا النوري السعيد في ظل الظروف الوطنية التي كانت قائمة .

وصي جديد

وبالفعل فحين دخل رشيد عالي الى مجلس الامة ، الذي عقد برئاسة اكبر الاعضاء سن النائب الشيخ علوان الياسري ، واستقبله الاعضاء بالتصفيق الحاد بينما كان العقداء الاربعة يجلسون داخل المجلس باللباس المدني في مقاعد الضيوف ، كذلك كان من بين الحضور الشريف شرف وهو من كبار رجال الاسرة الهاشمية ووالد المرحوم عبد الحميد شرف رئيس وزراء الاردن السابق ومحمد النجل الاكبر ، سفير المملكة الاردنية لدى الهند سابقا ، وفواز سفير الاردن في بون حاليا وكان الشريف شرف يعين نائبا للملك فيصل الاول في حال غيابه عن العراق قبل ان يبلغ ولده غازي سن الرشد .

بدأت الجلسة بتقديم رشيد عالي الكيلاني شرحا وافيا عن الموقف في البلاد على حقيقته . وبعد ذلك اقترح النائب ناجي السويدي تعين الشريف شرف وصيا على العرش خلفا لعبد الاله الذي هرب الى الانكليز اعداء البلاد . . فوافق المجلس على الاقتراح فورا بالاغلبية

---

(٢) عمل السيد رشيد عالي الكيلاني في مطلع حياته استاذا للقانون في كلية الحقوق ولذلك لم يكن من السهل اقناعه بارتكاب أي تجاوز للقانون أو الدستور .

الساحقة من اصل الحضور الذي بلغ ٩٤ عينا ونائبا(*) وبدوره سارع الوصي الجديد في ذات اليوم (١٩٤١/٤/١٠) الى تكليف رشيد عالي بتشكيل حكومة عراقية جديدة ، وبالطبع فلم تعترف الحكومة البريطانية بالحكومة الجديدة وتفجرت العلاقات بين الطرفين الى الحد الذي اقدمت فيه بريطانيا على غزو العراق .



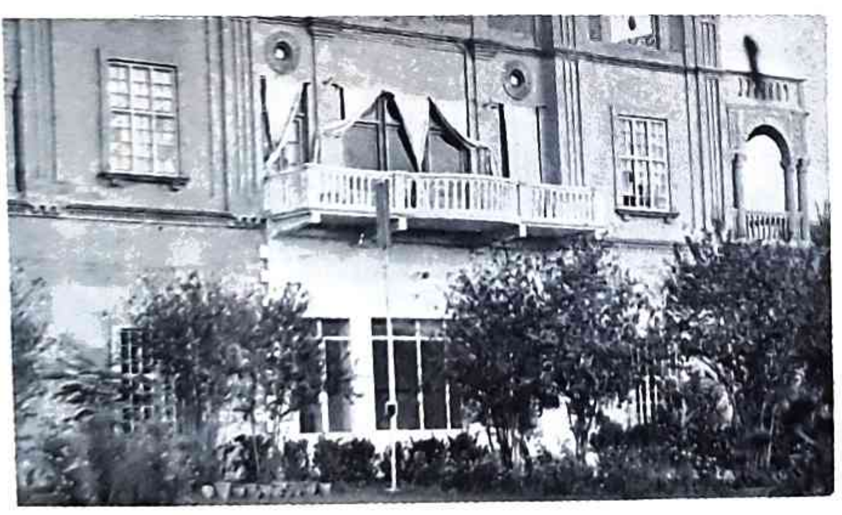
● نوري السعيد .. الثعلب الداهية



● الحاج أمين الحسيني

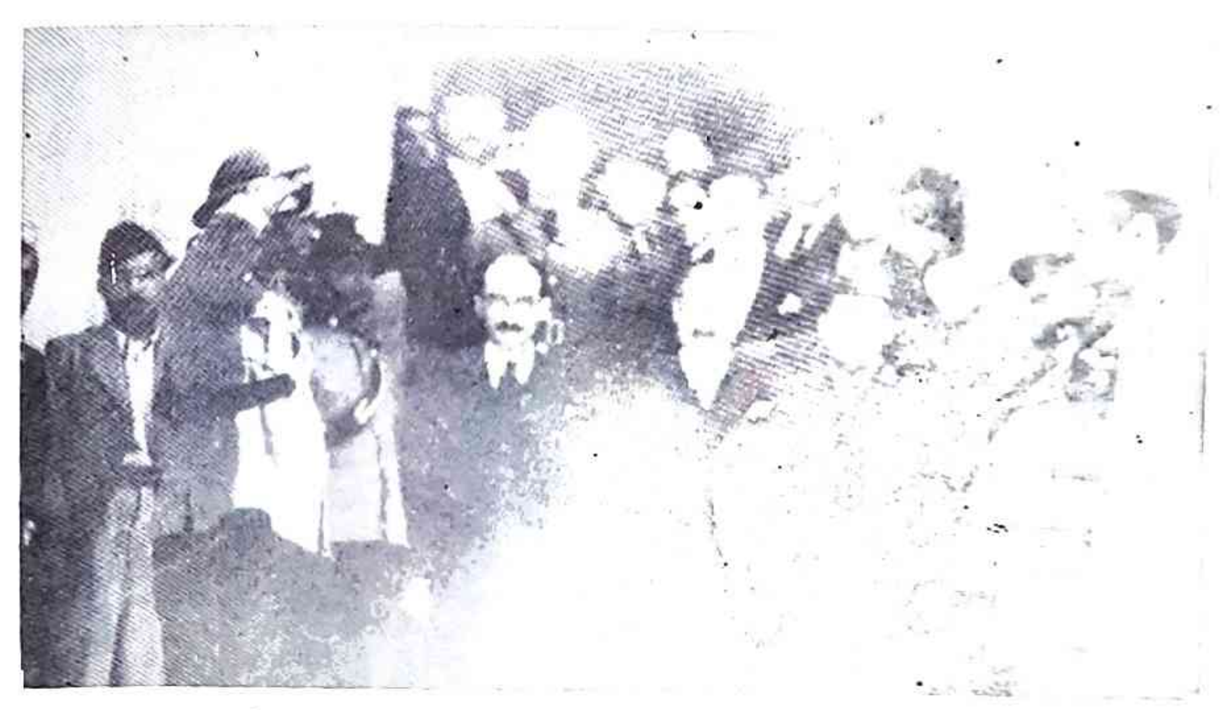


● طه الهاشمي



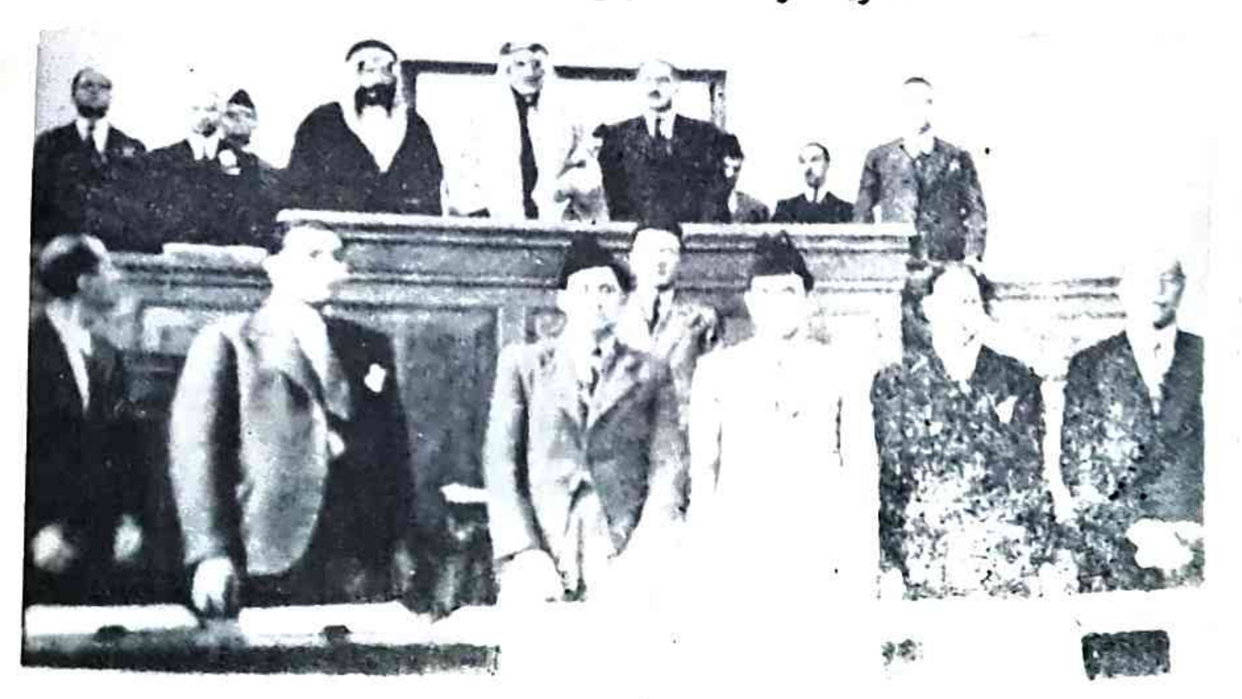
● « قصر رشيد عالى » كما يسمونه البغداديون ـ الذى اتخذته بريطانية مقراً للقوات العسكرية في الشرق الاوسط

(*) كان والدي الحاج محي الدين السهروددي من ضمن الذين أيدوا تنصيب الوصي الجديد الشريف شرف .



● رشيد عالي الكيلاني في حفلة استيزاره سنة ٤١ (بالنظارات الى اليمين)

● الشريف شرف وصيا للعرش اثناء ثورة ٤١



مناورات السفير البريطاني

لندن عرضت المُلك على الكيلاني وتسفير نوري السعيد

وتعرضت الحلقات السابقة لتآمر نوري السعيد على العراق لصالح الانكليز . فقد تمكن هذا الثعلب الداهية من اللعب على كل التناقضات لتحقيق مصالحه الشخصية . واستخدم لذلك العشائر التي كانت شعبيته في صفوفها مرتفعة جدا في وقت من الاوقات ، كما اثيرت في الحلقة الماضية التفاصيل التي رافقت هروب الوصي عبد الاله مرة بملابس النساء ومرة اخرى ملفوفا ببطانية في سيارة القائم بالاعمال الامريكي ، ومرة ثالثة الى فلسطين ، وجرى خلال غيابه اختيار وصي جديد على العرش هو الشريف شرف ، وتشكيل حكومة جديدة برئاسة رشيد عالي الكيلاني . . . وهي حكومة رفض الانكليز الاعتراف بها . . وقرروا غزو العراق .

ثم جاء « عهد » السفير البريطاني كورنواليس الذي وصف بانه ملك العراق غير المتوج ، ونشبت بينه وبين حكومة رشيد عالي الكيلاني مجادلات عنيفة حول تفسير معاهدة عام ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا ، انتهت بمؤامرة نزول القوات البريطانية في البصرة .

لم تكن بريطانيا في الواقع قد قررت غزو العراق منذ البداية فقد حاول سفيرها الجديد كورنوراليس الذي وصل بغداد يوم هرب عبد الاله ان يقوم الموقف ويبحث امكانية التعاون مع حكومة رشيد عالي الكيلاني على اساس قبول الكيلاني تلبية المطالب البريطانية دون حرب . وقد روي لي الكيلاني اثناء وجودنا معا في المانيا وكذلك اثناء وجودنا في السعودية التي لجأ اليها بعد ان هزمت المانيا في الحرب ان السفير البريطاني اتصل به عقب تشكيل حكومة الدفاع الوطني وطلب منه ان يزوره في منزله فكان رد رشيد عالي ان الزيارة يجب ان تتم الى مكتب رئيس الوزراء اذا كان

هناك امر رسمي يريد السفير ان يبلغه للحكومة العراقية . ولكن السفير اصر على ان تكون الزيارة شخصية للمنزل ، فرحب به رشيد عالي اذا كانت الزيارة غير رسمية . وقد تمت الزيارة والواقع ان السفير كورنواليس لم يكن قد قدم اوراق اعتماده ، كما انه لم يقدمها ابدا الا بعد ان اعادت القوات البريطانية عبد الاله الى العرش ، وكان رشيد عالي بدوره لا يريد الاصطدام مع الانكليز وخوض حرب معهم . وكان يفضل ان تعترف الحكومة البريطانية بالوضع الجديد في العراق على اساس ان تنظيم العلاقات بين الجانبين بموجب معاهدة ١٩٣٠ التي كانت بريطانيا تعمل على تجاوزها وعدم احترامها .

ويقول رشيد عالي ان كورنواليس ابلغه في هذه الزيارة ان الانكليز على استعداد لان يلبوا اي طلب حتى لا يقع اي تصادم بين الطرفين . فاجابه الكيلاني انه توجد معاهدة موقعة بين الجانبين وان العراق مستعد للالتزام بهذه المعاهدة . واوضح له ان اهم ما في هذه المعاهدة من وجهة نظر العراق في ذلك الوقت ان تغادر القوات البريطانية التي نزلت في البصرة العراق ، وان لا تأتي قوات بريطانية اخرى قبل مغادرة القوات التي سبق وصولها . وهذا ما لم يحدث .

كان رد السفير البريطاني انه يريد ان يتم التعاون مع حكومة الكيلاني على اساس ان يغض النظر عن مسألة تواجد القوات البريطانية فوق ارض العراق مقابل ان توافق بريطانيا على الغاء النظام الملكي في العراق وان يصبح رشيد عالي ملكا للعراق اذا اراد او ان يصبح وصيا على العرش . وتعهد له بنقل عبد الاله ونوري السعيد الى لندن . . . فبريطانيا لم يكن يهمها شخص الحاكم او شكل النظام بل تهمها مصلحتها فقط ، اجاب الكيلاني بانه ليست لديه طموحات شخصية والدليل ان حكومته حافظت على الملك فيصل الثاني بل انه يقدس الاسرة الهاشمية لانها من سلالة اسرة الرسول ﷺ .

وفيما يتعلق بالقوات البريطانية فقد رفض ان يغض النظر عن امر وجودها فوق الارض العراقية ، وهكذا انتهى الاجتماع دون الاتفاق على شيء ، وكان من ضمن الطلبات التي تقدم بها السفير ورفضها الكيلاني كما اخبرني بذلك ، ان توضع المطارات والموانىء وطرق المواصلات العراقية تحت تصرف القوات البريطانية وكذلك المعسكرات . وان يسمح لبريطانيا بانشاء عدة مطارات عسكرية على طول الشريط الممتد بين البصرة والموصل وان تقام مخازن للاسلحة الى جوارها .

وفي الجانب السياسي طلب السفير ان يقطع العراق علاقاته مع دول المحور ذلك ان رشيد عالي بعد ان شكل حكومة الدفاع الوطني اعاد العلاقات التي كانت قد قطعت مع المانيا . . . وقد طلب هو والوصي الجديد الشريف شرف عودة الدكتور غوربا الذي كان سفيرا لالمانيا في العراق قبل ان تقطع الحكومة العراقية السابقة العلاقات مع المانيا ، وقد عاد غروبا فعلا واعيدت العلاقات مع المانيا ، كذلك طلب السفير البريطاني ابعاد الحاج امين الحسيني مفتي القدس وجماعته من العراق وجميع اللاجئين السياسيين العرب ومن بينهم جميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الجفار (سوريون) ومصطفى الوكيل (مصري) رئيس حزب مصر الفتاة وغيرهم من احرار العرب . .

ويمكن تلخيص موقف رشيد عالي في ذلك الوقت بانه ظل متمسكا بعدم تقديم اية تنازلات لبريطانيا اكثر من تلك التي وردت في معاهدة ١٩٣٠ ، وهي المعاهدة التي وصفها في حينها بقوله :

« اقل ما يقال عن المعاهدة العراقية ـ البريطانية الجديدة انها استبدلت الانتداب الوقتي بالاحتلال الدائم ، واتاحت لبريطانيا ان تستخدم العراق لمصلحتها دون مصلحته ، واضافت الى القيود والاثقال الحالية قيودا واثقالا اشد وطأة ، فارى رفضها مع الاتفاقيات الملحقة بها » .

نـــص المعـــاهدة

ومما جعل رشيد عالي يتمسك بمعاهدة ١٩٣٠ لدى تشكيل حكومة الدفاع الوطني انه لم يكن يريد ان يخوض مغامرة الحرب مع بريطانيا العظمى . وفي الوقت نفسه لا يريد ان يفرط بمصالح العراق القومية تجاه من أخلّ بابسط القيم والالتزامات الدولية يوم قسموا بلاد العرب الى دويلات تدور في فلك بريطانيا وفرنسا ! ؟ . وفيما يلي نص معاهدة ١٩٣٠ التي ارادت بريطانيا ان تحصل على مكاسب اكثر من التي تضمنتها :

صاحب الجلالة ملك العراق .

وصاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند .

لما كان راغبين في توثيق اواصر الصداقة ، والاحتفاظ بصلات حسن التفاهم وادامتها ما بين بلاديهما .

ولما كان صاحب الجلالة البريطانية قد تعهد في معاهدة التحالف ، الموقع عليها في بغداد في اليوم الثالث عشر من شهر كانون الثاني سنة ست وعشرين وتسعمائة بعد الاف الميلادية ، الموافق لليوم الثامن والعشرين من شهر جمادي الاخرة سنة اربع واربعين وثلثمائة بعد الاف الهجرية ، بان ينظر نظرا فعليا في فترات متتالية مدة كل منها اربع سنوات ، فهل في استطاعته الالحاح على ادخال العراق في جمعية الامم .

ولما كا نت حكومة جلالته في بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية قد اعلمت الحكومة العراقية ، بلا قيد ولا شرط ، في اليوم الرابع عشر من شهر ايلول سنة تسع وعشرين وتسعمائة بعد الالف ، انها مستعدة لعضد ترشيح العراق لدخول عصبة الامم سنة إثنين وثلاثين وتسعمائة بعد الالف ، واعلنت لمجلس العصبة في اليوم الرابع عشر من شهر كانون الاول سنة تسع وعشرين وتسعمائة بعد الالف ، ان هذه هي نيتها .

ولما كانت المسئوليات الانتدابية التي قبلها صاحب الجلالة البريطانية ، فيما يتعلق بالعراق ، ستنتهي من تلقاء نفسها عند ادخال العراق عصبة الامم ، ولما كان صاحب الجلالة ملك العراق ، وصاحب الجلالة البريطانية ، يريان ان الصلات التي ستقوم بينهما ، بصفة كونهما ، ملكين مستقلين ، ينبغي تجديدها بعقد معاهدة تحالف وصداقة .

فقد اتفقا على عقد معاهدة جديدة لبلوغ هذه الغاية ، على قواعد الحرية والمساواة التامتين والاستقلال التام ، تصبح نافذة عند دخول العراق عصبة الامم ، وقد عينا عنهما مندوبين مفوضين هما :

عن جلالة ملك العراق

نوري باشا السعيد : رأس الوزراء ، ووزير الخارجية .

حامل وسامي النهضة والاستقلال من الصنف الاول سي . أم . جي . دي . أس . أو

وعن جلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند :

عن بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية : اللفتننت كرنل : السير فرنسيس هنري همفريز جي . سب . ف . او . كي . سي . ام . جي . كي . بي . اي . سي . آي . اي .

المعتمد السامي لصالح الجلالة البريطانية في العراق ، اللذان بعد ان تبادلا وثائق

تفويضهما ، فوجداها صحيحة قد اتفقا على ما يلي :

المادة الاولى : يسود سلم وصداقة دائمين بين صاحب الجلالة ملك العراق ، وبين صاحب الجلالة البريطانية ، ويؤسس بين الفريقين الساميين المتعاقدين تحالف وثيق ، توطيدا لصداقتهما وتفاهمها الودي وصلاتهما الحسنة ، وتجري بينهما مشاورة تامة وصريحة في جميع شئون السياسة الخارجية ، مما قد يكون له مساس بمصالحهما المشتركة .

ويتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بان لا يقف في البلاد الاجنبية موقفا لا يتفق وهذا التحالف ، او قد يخلق مصاعب للفريق الآخر .

المادة الثانية : يمثل كلا من الفريقين الساميين المتعاقدين ، لدى بلاط الفريق السامي المتعاقد الآخر ، ممثل سياسي (دبلوماسي) يعتمد وفقا للاصول المرعية .

المادة الثالثة : اذا ادى اي نزاع بين العراق وبين دولة ثالثة الى حالة يترتب عليها خطر قطع العلاقات بتلك الدولة ، يوحد حينئذ الفريقان الساميان المتعاقدان مساعيهما لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية ، وفقا لاحكام ميثاق عصبة الامم ، ووفقا لاي تعهدات دولية اخرى ، يمكن تطبيقها على تلك الحالة .

المادة الرابعة : اذا اشتبك احد الفريقين الساميين المتعاقدين في حرب ، رغم احكام المادة الثالثة اعلاه ، يبادر حينئذ الفريق السامي المتعاقد الآخر فورا الى معونته ، بصفة كونه حليفا ، وذلك دائما وفق احكام المادة التاسعة ادناه .

وفي حالة خطر حرب محدق يبادر الفريقان الساميان المتعاقدان فورا الى توحيد المساعي في اتخاذ تدابير الدفاع المقتضية .

ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق ، في حالة حرب ، اوخطر حرب محدق ، تنحصر في ان يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية ، في الاراضي العراقية ، جميع ما في وسعه ان يقدمه من التسهيلات والمساعدات ، ومن ذلك استخدام السكك الحديدية ، والانهر ، والموانىء ، والمطارات ، ووسائل المواصلات .

المادة الخامسة : من المفهوم بين الفريقين الساميين المتعاقدين ان مسئولية حفظ الامن الداخلي في العراق ، وايضا ـ بشرط مراعاة احكام المادة الرابعة اعلاه ـ مسئولية الدفاع عن

العراق ازاء الاعتداء الخارجي تنحصران في صاحب الجلالة ملك العراق .

ومع ذلك يعترف جلالة ملك العراق ، بأن حفظ وحماية مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الاساسية بصورة دائمة ، في جميع الاحوال ، هما في صالح الفريقين الساميين المتعاقدين المشترك .

فمن أجل ذلك ، وتسهيلا للقيام بتعهدات صاحب الجلالة البريطانية ، وفقا للمادة الرابعة اعلاه يتعهد جلالة ملك العراق بأن يمنح صاحب الجلالة البريطانية ، طيلة مدة التحالف ، موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية في البصرة ، اوفي جوارها ، وموقعا واحدا لقاعدة جوية ينتقيها صاحب الجلالة البريطانية في غرب نهر الفرات .

وكذلك يأذن جلالة ملك العراق ، لصاحب الجلالة البريطانية ، في ان يقيم قوات في الاراضي العراقية في الاماكن الآنفة الذكر، وفقا لاحكام ملحق هذه المعاهدة على ان يكون مفهوما ان وجود هذه القوات لن يعتبر بوجه من الوجوه احتلالا ، ولن يمس على الاطلاق حقوق سيادة العراق .

المادة السادسة : يعتبر ملحق هذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها .

المادة السابعة : تحل هذه المعاهدة محل معاهدتي التحالف ، الموقع عليها في بغداد ، في اليوم العاشر من شهر تشرين الاول لسنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بعد الالف الميلادية ، الموافق لليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة احدى واربعين وثلثمائة بعد الالف الهجرية ، وفي اليوم الثالث عشر من شهر كانون الثاني لسنة ست وعشرين وتسعمائة بعد الالف الميلادية ، الموافق لليوم الثامن والعشرين من شهر جمادي الاخرة لسنة اربع واربعين وثلثمائة بعد الالف الهجرية ، مع الاتفاقات الفرعية الملحقة بهما ، التي تمسي ملغاة عند دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ .

توضع هذه المعاهدة في نسختين ، في كل من اللغتين العربية والانكليزية ، ويعتبر النص الاخير النص المعول عليه .

المادة الثامنة : يعترف الفريقان الساميان المتعاقدان بأنه ، عند الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة تنتهي من تلقاء نفسها ، وبصورة نهائية ، جميع المسئوليات المترتبة على صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق ، وفقا للمعاهدات والاتفاقات المشار اليها في المادة السابعة من هذه المعاهدة ، وذلك فيما يختص بجلالته البريطانية ، وبأنه اذا بقى شيء من هذه المسئوليات ،

فيترتب على صاحب الجلالة ملك العراق وحده .

ومن المعترف به ايضا ، ان كل ما يبقى من المسئوليات المترتبة على صاحب الجلالة البريطانية فيما يتعلق بالعراق ، وفقا لاي وثيقة دولية اخرى ، ينبغي ان يترتب كذلك على جلالة ملك العراق وحده ، وعلى الفريقين الساميين المتعاقدين ان يبادرا فورا الى اتخاد الوسائل المقتضية لتأمين نقل هذه المسئوليات الى صاحب الجلالة ملك العراق .

المادة التاسعة : ليس في هذه المعاهدة ما يرمي بوجه من الوجوه الى الاخلال ، او يخل بالحقوق والتعهدات المترتبة ، او التي قد تترتب لاحد الفريقين الساميين المتعاقدين ، اوعليه ، وفقا لميثاق عصبة الامم ، او معاهدة تحريم الحرب ، الموقع عليها في باريس في اليوم السابع والعشرين من شهر آب لسنة ثمان وعشرين وتسعمائة بعد الالف الميلادية .

المادة العاشرة : اذا نشأ خلاف ما يتعلق بتطبيق هذه المعاهدة ، او تفسيرها فلم يوفق الفريقان الساميان المتعاقدان الى الفصل فيه بالمفاوضة رأسا بينهما ، يعالج الخلاف حينئذ وفقا لاحكام ميثاق عصبة الامم .

المادة الحادية عشرة : تبرم هذه المعاهدة ، ويتم تبادل الابرام باسرع ما يمكن ، ثم يجرى تنفيذها عند قبول العراق عضوا في عصبة الامم وتظل هذه المعاهدة نافذة مدة خمس وعشرين سنة ابتداء من تاريخ تنفيذها ، وفي اي وقت كان بعد عشرين سنة ، من تاريخ الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة ، على الفريقين الساميين المتعاقدين ان يقوما ، بناء على طلب احدهما ، بعقد معاهدة جديدة ، ينص فيها على الاستمرار على حفظ وحماية مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الاساسية في جميع الاحوال ، وعند الخلاف في هذا الشأن يعرض ذلك الخلاف على مجلس عصبة الامم .

واقرارا لما تقدم قد وقع كلا من المندوبين المفوضين على هذه المعاهدة وختمها بختمه .

كتبت في بغداد على نسختين في اليوم الثلاثين من شهر حزيران لسنة ثلاثين وتسعمائة بعد الالف الميلادية الموافق لليوم الثاني من شهر صفر لسنة تسع واربعين وثلاثمائة بعد الالف الهجرية .

التوقيع : اف . اتش . همفريز — التوقيع : نوري السعيد

وقد تضمنت المعاهدة سبعة ملاحق ايضا هي :

- ١ -

يعين صاحب الجلالة البريطانية ، من حين لآخر ، مقدار القوات التي يقيمها جلالته في العراق وفقا لاحكام المادة الخامسة من هذه المعاهدة ، وذلك بعد مشاورة صاحب الجلالة ملك العراق في الامر .

ويقيم صاحب الجلالة البريطاني قوات الهنيدي[1] لمدة خمس سنوات ، بعد الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة ، وذلك لكي يمكن صاحب الجلالة ملك العراق من تنظيم القوات المقتضية ، للحلول محل تلك القوات ، وعند انقضاء تلك المدة ، تكون قوات صاحب الجلالة البريطانية قد انسحبت من الهنيدي ولصاحب الجلالة ايضا ان يقيم قوات في الموصل لمدة حدها الاعظم خمس سنوات ، تبتدىء من تاريخ الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة ، وبعد ذلك لصاحب الجلالة البريطانية ان يضع قواته في الاماكن المذكورة في المادة الخامسة من هذه المعاهدة ، ويؤجر صاحب الجلالة ملك العراق مدة هذا التحالف ، صاحب الجلالة البريطانية ، المواقع المقتضية لاسكان قوات صاحب الجلالة البريطانية في تلك الاماكن .

- ٢ -

بشرط مراعاة أي تعديلات قد يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على احداثها في المستقبل ، تظل الحصانات ، والامتيازات في شئون القضاء ، والعائدات الاميرية (وفي ذلك الاعفاء من الضرائب) التي تتمتع بها القوات البريطانية في العراق ، شاملة القوات المشار اليها في الفقرة الاولى اعلاه ، وتشمل ايضا قوات صاحب الجلالة البريطانية من جميع الصنوف ، وهي القوات التي يحتمل وجودها في العراق ، عملا باحكام هذه المعاهدة وملحقها ، او وفقا لاتفاق يتم عقده بين الفريقين الساميين المتعاقدين ، وايضا يواصل العمل باحكام اي تشريع محلي ، له مساس بقوات صاحب الجلالة البريطانية المسلحة . وتتخذ الحكومة العراقية التدابير المقتضية من كون الشروط المتبدلة لا تجعل موقف القوات البريطانية ، فيما يتعلق بالحصانات ، والامتيازات اقل ملاءمة بوجه من الوجوه من الموقف

---

(١) الهنيدي : معسكر الجيش البريطاني في جنوبي بغداد انذاك . وقد تسلمه الجيش العراقي وسمى بمعسكر الرشيد .

الذي تتمتع به هذه القوات في تاريخ الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة .

- ٣ -

يوافق جلالة ملك العراق على القيام بجميع التسهيلات الممكنة لتنقل القوات المذكورة في الفقرة الاولى من هذا الملحق ، وتدريبها ، واعالتها ، وعلى منحها عين التسهيلات استعمال التلغراف اللاسلكي التي تتمتع به عند الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة .

- ٤ -

يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق بأن يقدم ، بناء على طلب صاحب الجلالة البريطانية ، وعلى نفقة صاحب الجلالة البريطانية ، ووفقا للشروط التي يتفق عليها الفريقان الساميان المتعاقدان ، حرسا خاصا من قوات صاحب الجلالة ملك العراق ، لحماية القواعد الجوية ، مما قد تشغله قوات جلالته البريطانية ، وفقا لاحكام هذه المعاهدة ، وان يؤمن سن القوانين التشريعية ، التي قد يقتضيها تنفيذ الشروع الانفة الذكر .

- ٥ -

يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن يقوم ، عند كل طلب يطلبه صاحب الجلالة ملك العراق ، بجميع التسهيلات الممكنة في الامور التالية ، وذلك على نفقة ملك العراق وهي :

١ - تعليم الضباط العراقيين الفنون البحرية ، والعسكرية ، والجوية في المملكة المتحدة .
٢ - تقديم الاسلحة والعتاد ، والتجهيزات ، والسفن والطائرات ، من احدث طراز متيسر ، الى قوات جلالة ملك العراق .
٣ - تقديم ضباط بريطانيين بحريين ، عسكريين ، وجويين ، للخدمة بصفة استشارية في قوات جلالة ملك العراق .

- ٦ -

ولما كان من المرغوب فيه توحيد التدريب والاساليب في الجيشين : العراقي والبريطاني ، يتعهد جلالة ملك العراق بأنه اذا رأى ضرورة الالتجاء الى مديرين عسكريين اجانب ، فأنهم يختارون من الرعايا البريطانيين .

ويتعهد ايضا بان أي اشخاص من قواته ، من الذين قد يوفدون الى الخارج للتدريب العسكري ، يرسلون الى مدارس ، وكليات ، ودورة تدريب عسكرية ، في بلاد جلالته البريطانية ، بشرط ان لا يمنع ذلك صاحب الجلالة ملك العراق من ارسال الاشخاص الذين لا يمكن قبولهم في المعاهد ودور التدريب المذكورة الى اي قطر آخر كان .

ويتعهد ايضا بأن التجهيزات الاساسية لقوات جلالته واسلحته لا تختلف في نوعها عن اسلحة قوات صاحب الجلالة البريطانية وتجهيزاتها .

- ٧-

يوافق جلالة ملك العراق على ان يقوم ، عند طلب صاحب الجلالة البريطانية ذلك ، بجميع التسهيلات الممكنة لمرور قوات صاحب الجلالة البريطانية ، من جميع الصنوف العسكرية عبر العراق ، ولنقل وخزن جميع المؤن وا لتجهيزات التي قد تحتاج اليها هذه القوات اثناء مرورها في العراق ، وتتناول هذه التسهيلات استخدام طرق العراق ، وسككه الحديدية ، وطرقه المائية ، وموانئه ، ومطاراته ، ويؤذن لسفن صاحب الجلالة البريطانية اذنا عاما في زيارة شط العرب ، بشرط اعلام جلالة ملك العراق قبل القيام بتلك الزيارات للموانىء العراقية .

ن . س ف . هـ . هـ
بغداد في ٣٠ حزيران ١٩٣٠

جدل حول المعاهدة

كل « الحقوق » التي رتبتها المعاهدة لبريطانيا لم تكن كافية من وجهة نظر الحكومة البريطانية التي كانت في الواقع قد اتخذت قرارا مسبقا بفرض سيطرتها الكاملة على العراق وتفريغ استقلاله من محتواه قبل قيام حكومة الدفاع الوطني ، وذلك ضمن استراتيجيتها العامة في الحرب العالمية الثانية التي كانت تقضي باحتلال العراق وايران ايضا ، عند الضرورة من اجل الحيلولة دون وصول القوات الالمانية الى منابع النفط في الخليج العربي . وهي المهمة التي اشركت معها في تنفيذها القوات السوفيتية التي اجتاحت شمال ايران في حين

قرار بريطاني مسبق للسيطرة الكاملة على العراق

اجتاحت القوات البريطانية جنوب ايران عبر الحدود العراقية بعد شهر فقط من احتلال العراق ودون مبررات مقنعة .

ومن اجل تنفيذ قرار السيطرة الكاملة على العراق كان تشرشل قد اختار السير كورنواليس ليكون سفيرا جديدا لبريطانيا في العراق . وقد وصل السفير الجديد الى القاعدة الجوية البريطانية في الحبانية في الثالث من ابريل ١٩٤١ ، اي قبل يوم واحد من تشكيل حكومة الدفاع الوطني ، وفي ذات اليوم الذي وصل فيه عبد الاله الى ذات القاعدة هاربا من بغداد .

ولم يكن كور نواليس غريبا عن العراق ، فقد سبق له ان عمل في العراق قرابة ١٤ عاما حيث كان قد صاحَبَ الملك فيصل الاول منذ مجيئه الى العراق . وكان آخر موقع عمل فيه هو مستشار وزير الداخلية ورئيس المفتشين الاداريين في الوزارة . وبهذه الصفة كان في حقيقة الامر الملك غير المتوج في العراق .

وفي ذلك العهد كان يوجد في كل وزارة عراقية مستشار بريطاني لا يصدر اي قرار ولا يتخذ اي اجراء دون ان يوقع عليه ، بما في ذلك قرارات تعيين الموظفين وانهاء خدماتهم . ولم يكن توقيع الوزير على اية معاملة يعتمد دون توقيع المستشار البريطاني . وفي عام ١٩٣٥ حين اسندت وزارة الداخلية الى رشيد عالي الكيلاني وفي حكومة ياسين باشا الهاشمي اقدم الكيلاني على ما لم يفعله وزير عراقي من قبل . فقد طرد كورنواليس من عمله في الوزارة . ولذلك فحين عاد سفيرا لبريطانيا في العراق في ظل هذه الظروف كان قلبه مملوءا بالحقد على العراق وعلى شخص رشيد عالي الكيلاني بالذات الذي لا يقف ضد سياسة بريطانيا الاستعمارية في العراق فحسب ، بل حرم كورنواليس نفسه من عمله الذي كان يتقاضى عليه راتبا يزيد اضعافا مضاعفة عن راتب رئيس وزراء العراق مقابل خدماته الجليلة المختلفة في مصادرة استقلال العراق وتفريق الاخ عن اخيه عبر سياسة « فرق تسد » البريطانية الشهيرة ، واثارة عناصر الشعب ضد الحكومات الوطنية وتدبير المؤامرات الانفصالية في شمال العراق واشاعة الفساد الاداري والخلقي في البلاد . . !

بدأت التحرشات

فور وصول كورنواليس بدأت التحرشات البريطانية . في البداية ماطل السفير الجديد في تقديم اوراق اعتماده للوصي على العرش . . . وهي المماطلة التي هدفت الى ابتزاز الحكومة العراقية والضغط عليها وجعلها توافق على المطالبة البريطانية .

وقبل ان يصل كورنواليس الى العراق بعشرة اشهر كان السفير السابق بازل نيوتن قد ابلغ وزير الخارجية العراقي بموجب كتاب السفارة رقم ٢٨٤ المؤرخ في ٢١ يونيو ١٩٤٠ ان الحكومة البريطانية[٢] قررت انزال بعض الجنود البريطانيين في البصرة للتوجه منها الى حيفا عن طريق بغداد ـ الموصل . ولكي يكون في الامكان الشروع بنقل هؤلاء الجنود بعد مدة قصيرة اي في منتصف شهر يوليو ١٩٤٠ ، طلبت السفارة ان تقوم القوة الجوية البريطانية بتأسيس معسكرات للاستراحة في البصرة وبغداد والموصل في تاريخ مبكر .

وقالت السفارة باحتمال تأسيس خطوط مواصلات عبر الصحراء ما بين بغداد وحيفا ولاحظت انه في الاحوال الاعتيادية ، اي عندما يكون الطريق بين بغداد وحيفا صالحا للسير فان الطريق يستمر من بغداد نحو الغرب عن طريق الحبانية ومحطات الـ (**H3,H4,H5,H**) إلى آخره . ونظرا للحالة الناشئة بسبب الفيضان فقد اقتضى الامر اختيار طريق آخر يقع الى جنوب بحيرة الحبانية ومن هناك عبر نهر الفرات في المسيب وفي حالة استعمال هذا الطريق فيدعو الامر الى تأسيس محلات اقامة وقتية في المجر والمسيب .

وبتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٠ أجابت الحكومة العراقية بانه لا مانع لديها من مرور القوات المذكورة . وبتاريخ اغسطس ١٩٤٠ ابلغ السفير البريطاني الحكومة العراقية بانه المفروض ان مرور القوات البريطانيةعبر العراق يقصد به المرور من اي محل غرب الفرات الى الخليج العربي وبعكس هذه الجهة ، وذلك استنادا الى ما جاء في الكتاب السري المؤرخ في ١٥ يوليو ١٩٣٠ الملحق بمعاهدة التحالف لسنة ١٩٣٠ . وقد كان جواب السفير البريطاني على النقطة

---

(٢) في عهد حكومة الكيلاني الثالثة (١٩٤٠/٣/٢١ ـ ١٩٤١/١/٣١) .

الاخيرة « انه عندما قررت الحكومة[٣] البريطانية ارسال قوات عبر العراق فانها فعلت ذلك وفقا لمنطوق المادة الرابعة من معاهدة التحالف العراقية الانكليزية » . اما الفقرة الاخيرة من كتاب السير فرنسيس همفريز المؤرخ في ١٥ يوليو ١٩٣٠ فتتعلق فقط بالبند السابع من ملحق المعاهدة . وان الاستشهاد بكتاب السير فرنسيس غير وارد ، ولكن على كل حال فان الفقرةالاخيرة من الكتاب المذكور تشير الى المحلات النهائية المقصودة ولا تفرض شيئا من التحديد بشأن الطرق او الطرق التي قد تتبع للسير داخل العراق . اما بشأن البند السابع من الملحق فليس هناك اية قيود على الطرق والسكك الحديديةوالطرق المائية والموانىء والمطارات القائمة للعراق التي قد تستخدم .

حدث هذا الجدل قبل تشكيل حكومة الدفاع الوطني وقبل هرب الوصي على العرش . بل وقبل ان يدب الخلاف بين قادة الجيش القوميين ورشيد عالي الكيلاني ، من جهة وحكومة طه الهاشمي من الجهة الاخرى . واستمر هذا الجدل الذي بدأت تظهر مظاهر استجابة الهاشمي له حتى تشكيل حكومة الدفاع الوطني التي وافقت في ظل الظروف التي كانت سائدة ومن اجل الحيلولة دون خوض صراع مبكر مع بريطانياعلى نزول القوات البريطانية في البصرة بهدف مرورها الى جهة الغرب وذلك بموجب مذكرة وزارة الخارجية العراقية المؤرخة في ١٩ ابريل ١٩٤١ ووفق الشروط التالية :

١ ـ تسريع نقل هذه القوات من البصرة الى الرطبة .
٢ ـ عند مجيء قوات جديدة للمرور عبر العراق يجب اخبار الحكومة العراقية عن ذلك قبل مدة مناسبة .
٣ ـ ان لا يزيد مجموع اية قوة في حالة حركتها على خط المواصلات وفي داخل الحدود العراقية في اية مرة عن لواء مختلط واحد .

---

(٣) جاء في كتاب السير فرنسيس المؤرخ في ١٥ تموز ١٩٣٠ المنوه عنه انفا (. . . وكذلك امرت بان ابلغ فخامتكم ان اصطلاح مرور القوات عبر العراق الوارد في الفقرة السابعة من ملحق المعاهدة معناه المرور من المكان الواقع الى الغرب من نهر الفرات الى الخليج العربي وبعكس الاتجاه) وجاء في ايضاحات وزير الخارجية العراقي اثناء عرض المعاهدة على المجلس النيابي بهذا الصدد ما يلي :
(ايضاحا لعبارة « مرور القوات عبر العراق » الواردة في الفقرة السابعة من الملحق فان اتجاه هذا المرور قد حدد [illegible] الفرات الى الخليج او بالعكس)

٤ ـ عدم جواز انزال قوة بريطانية اخرى قبل ان تجتاز حدود العراق القوة التي وصلت اخيرا . ولقد ادرجت هذه الشروط في مذكرة ارسلتها وزارة الخارجية العراقية للسفارة البريطانية ١٩ ابريل ١٩٤١ .

وكان كورنواليس قد فاجأ الحكومة العراقية بمجيء قوات بريطانية وطلب السماح لها بالمرور عبر العراق وعلى الرغم من عدم تقديمه اوراق اعتماد فان الحكومة العراقية بالنظر لرغبتها في تنفيذ احكام المعاهدة وتجنب الخلافات وافقت على نزول القوات بقصد المرور وفق الشروط المشار اليها .

وفي المقابل كانت الاذاعة البريطانية تلفق شتى التهم للعراق وحكومته وجيشه وكررت زعمها ان بريطانيا انما ارسلت قواتها للعراق للمحافظة على منابع النفط والسكك الحديدية وانشاء قواعد في العراق بل ان الصحف البريطانية كانت تسمى القوات البريطانية في العراق بقوات الاحتلال . . !!

وفي ٢٧ ابريل ١٩٤١ اكدت وزارة الخارجية العراقية مضمون مذكرتها السابقة في مذكرة جديدة وجهتها الى السفارة البريطانية واشارت الى انه بعد اكمال عملية الانزال واستراحة القوة البريطانية راحة كافية في البصرة ، لوحظ ان المراجع البريطانية لم تبدأ بتسفير القوة المذكورة وقد بينت لها ايضا ان وجود هذه القوة في البصرة حتى الان قد سبب رواج اشاعات ضارة للعلاقات العراقية ـ البريطانية الودية وتقولات ودعايات ليس من شأنها ان تساعد الحكومة العراقية في مهمتها في السعي في سبيل التعاون في جو من الثقة التامة التي ترغب فيها الحكومة العراقية التي بادرت باعطاء الدليل عنها وعن حرصها على تنفيذ معاهدة التحالف بسماحها للقوات البريطانية الدخول في شط العرب والنزول في البصرة .

الـــرد على المـــذكـــرة

وكان الرد على هذه المذكرة ان الحكومة البريطانية فاجأت الحكومة العراقية عند ظهر اليوم التالي (٢٨ ابريل ١٩٤١) بمجيء قوات جديدة الى البصرة . فعقد اجتماع بعد الظهر في وزارة الخارجية اوضح كورنواليس خلاله لأول مرة نوايا حكومته وتظاهر بالاستغراب للجواب الشفهي الذي ابلغته ظهر ذلك اليوم وزارة الخارجية بوساطة مدير التشريفات الى

مشاور السفارة البريطانية المتضمن ضرورة ملاحظة الشروط الواردة في مذكرة الوزارة المؤرخة في ١٩ ابريل ١٩٤١ .

وادعى كورنواليس بان حقوق الحكومة البريطانية محدودة بموجب المعاهدة ، وانه يحق لها تأسيس قاعدة عسكرية في البصرة لفتح وتأمين خط الامبراطورية عبر العراق ، فاوضح له انه لو كان لبريطانيا حق كهذه لنصت عليه المعاهدة وملحقها بينما المعاهدة لا تنص على غير القاعدتين الجويتين وامرار قوات عبر العراق على نحو ما جرى الاتفاق عليه في يونيو ١٩٤٠ ، وعليه فان طلبه غير مستند الى احكام المعاهدة . اما طريق المواصلات فمسئولية المحافظة عليه تعود الى الحكومة العراقية بحكم حقوق سيادتها . وهي مستعدة لبذل كل ما في وسعها من مساعدات وتسهيلات لبريطانيا ضمن احكام المعاهدة . وقد تبين للحكومة العراقية في ذلك الاجتماع ان الحكومة البريطانية لا تريد ان تقف عند حد في مخالفة احكام المعاهدة العراقية بل انها متجهة لاحتلال العراق بصورة صريحة تقضي على استقلال المملكة العراقية وتردها الى محمية بسيطة تحت حراب المحتلين .

وسأل كورنواليس عن قرا رالحكومة العراقية في شأن وصول قوات جديدة فافهم ان الحكومة العراقية قررت تأييد قرارها السابق الذي حتم عدم السماح بنزول قوات اخرى ما لم تغادر القوة الموجودة الان في البصرة الاراضي العراقية . كما اوضحت وزارة الخارجية في مذكراتها المؤرخة في ١٩ / ابريل ١٩٤١ . وبصدد ما جاء في معاهدة التحالف البريطانية قال كورنواليس انهم يمسكون بنص المادة الرابعة ولا يقبلون تحديد الحقوق الممنوحة لهم بموجبها . وعليه فانه يحق لهم تأسيس قاعدة عسكرية في البصرة لفتح وتأمين خط المواصلات الامبراطورية عبر العراق . فأوضح له ان الحكومة العراقية لا تقصد تحديد الحقوق البريطانية في المعاهدة ، ولكن تأسيس (قاعدة عسكرية) بريطانية في البصرة يخالف نصوص المعاهدة وان الحكومة العراقية لا يمكنها الموافقة على ذلك ، ولكنها تتعهد بتأمين خطوط المواصلات وتقديم كل ما في وسعها من المساعدات والتسهيلات ووفق نصوص المعاهدة .

وافهم ايضا ان وضع الحكومة البريطانية الراهن تجاه العراق غير معين وذلك لان الجهة البريطانية لم تعلن اعترافها بالوضع الجديد حتى الان فهذه قضية يجب حسمها فورا . . ثم عددت له بعض المخالفات التي قام بها البريطانيون وتتلخص فيما يلي :

١ ـ نقل قوات من خارج العراق بالطائرات الى مطار الشعيبة في البصرة .
٢ ـ نقل جنود من الشعيبة بالطائرات الى الحبانية ايضا .
٣ ـ تحليق بعض الطائرات البريطانية فوق معسكر الرشيد .
٤ ـ تشييد استحكامات في الرطبة .
٥ ـ تجول الضباط البريطانيين من القوة التي وصلت اخيرا الى البصرة في نواحي البصرة .
٦ ـ دخول البوارج الحربية مياه شط العرب دون اعلام الحكومة العراقية ، وقد اجاب السير كورنواليس بانه يجهل كل هذه الامور مع انها واقعة فعلا .

وبحث السفير مسألة القوات الجديدة التي ستصل الى البصرة على متن ثلاثة بواخر ، وقال ان عدد افرادها لا يتجاوز ٣٥٠٠ معظمهم كتاب ومستخدمون وممرضون .. الخ ، كما وانهم ليسوا[٤] الاتتمة للقوة التي انزلت قبلا ، ولاجله لم ير ضرورة لاخبار وزير الخارجيه اعتقادا منه ان ذلك غير مهم ، على حد زعمه !

رد صريح ... ولكـــن

فأجيب بأن مذكرة وزارة الخارجية المؤرخة في ١٩ ابريل ١٩٤١ كانت صريحة بعدم موافقة الحكومة العراقية على انزال اية قوة جديدة ما لم تغادر القوة الموجودة الان في البصرة الحدود العراقية وانه كان على السفارة ان تخبروزارة الخارجية قبل مدة بانه هذه القوة ليست الا قوة متممة للاولى فاجاب كورنواليس بانه لا يعلم عن هذا الامر شيئا . فاجيب انه تبين من كلامه بان قصد الحكومة البريطانية هو تأسيس قاعدة في البصرة فلا يمكن والحالة هذه السماح بانزال حتى ولو شخص واحد . فاجاب : وماذا ستعملون اذا اتت هذه البواخر الثلاث ووقع حادث ما .. ؟

فأجيب انه في هذه الحالة ستكون الجهة البريطانية المسببة لذلك وهي المسئولة عما قد يحدث .. واذا اصرت الجهة البريطانيةعلى ابقاء هذه القوة في البصرة وانزال قوة اخرى فسيدلي رئيس الوزراء الى الشعب العراقي بيان يوضح فيه حقيقة الامر .

---

(٤) قبل وصول القوة الاولى ابرق تشرشل هذه البرقية كما جاءت في كتابه الحرب الثانية ص ٢٢٥ (من رئيس الوزراء الى الجنرال ايسمي للجنة اركان الجيش . ولكل من يهمه الامر) يجب ان ترسل الجيوش الى البصرة باسرع ما يمكن وعلى اقل تقدير يجب الاسراع في ارسال الالوية الثلاثة اليها كا سبق الوعد بارسالها)

وقال كورنواليس اذا هاج الشعب من جراء هذه التصريحات وحدث ما يهدد حياة الاجانب فان الحكومة البريطانية تضع المسئولية على عاتق الحكومة العراقية . فافهم ان الحكومة العراقية هي المسئولة عن صيانة حياة الاجانب كما انها مسئولة ايضا عن صيانة الامن . وان ما سيحدث من اصرار الحكومة البريطانية على ابقاء القوة في العراق تقع مسئوليته عليها . ونحن نعتبر الحكومة البريطانية انها هي التي لم تقم بتنفيذ نصوص معاهدة التحالف العراقية ـ البريطانية .

فقال انه سيبرق اليوم الى حكومته حول النقاط التالية :

١ ـ ان الحكومة العراقية من الان فصاعدا ليست مستعدة للتباحث حول تطبيق مواد المعاهدة وغيرها من الامور المهمة ما لم يقدم سفيرها اوراق اعتماده حالا .
٢ ـ ان العراق لا يسمح بتأسيس قواعد عسكرية سوى القاعدتين الجويتين المنوه عنهما في المعاهدة وانه يتعهد بتأمين المواصلات الامبراطورية والمحافظة على المخازن وغيرها من قبل قواته .
٣ ـ انه لا يسمح بانزال اية قوة جديدة ما لم تغادر القوة الموجودة الان في البصرة العراق .

ثم طلب مرة اخرى ان توافق الحكومة العراقية على السماح بانزال الجنود من البواخر الثلاث وللحكومة العراقية تسجيل احتجاج بذلك حتى ورود جواب البرقية من لندن .

فأجيب بانه من الافضل بقاء القوات الجديدة خارج المياه العراقية ريثما يتم التفاهم . وعلى اثر ذلك نهض اكورنواليس وكرر ما قاله من ان ما سيقع من حوادث ستكون مسئوليتها على عاتق الحكومة العراقية فاجيب بان المسئولية ستكون على عاتق الحكومة البريطانية .

وعلى اثر ذلك ارسلت الحكومة العراقية برقية بوساطة ممثلها في لندن الى الحكومة البريطانية اوضحت فيها حقيقة الموقف واكدت استعدادها لتنفيذ المعاهدة مع الاحتفاظ بسيادة العراق ومراعاة قاعدة المصالح المتبادلة والاحترام المتقابل طبقا لنصوص المعاهدة .

من حرب المذكرات الى قصف الطائرات

هدوء الحكومة قابله استهتار الانكليز

وفي ذات اليوم (٢٨ ابريل) كانت حكومة الدفاع الوطني قد عقدت اجتماعا ناقشت فيه الموقف واتخذت القرارين التاليين :

● القرار الاول : « اجتمع مجلس الوزراء في ديوان وزارة الخارجية بعد اجتماع مجلس الدفاع الاعلى ونظر في طلب السفارة بالسماح لانزال القوة التي ستصل البصرة غدا ضمن ثلاث بواخر وبعد المداولة في الامر قرر تأييد ما كان قرره مجلس الدفاع الاعلى ووافق عليه مجلس الوزراء من عدم السماح لمجيء قوة بريطانية جديدة قبل مغادرة القوة البريطانية الموجودة . وان مجلس الوزراء يعتبر بقاء القوة البريطانية في البصرة يخالف نصوص المعاهدة العراقية - البريطانية ويمس حقوق البلاد المشروعة وسيادتها . وقرر ايضا الطلب من وزير الخارجية ان يطلب الى السفارة البريطانية تقديم اوراق اعتماد السفير الجديد اذ انه يعتبر عدم تقديم اوراق الاعتماد امرا غير طبيعي لاسيما وان السفير الجديد يطلب من الحكومة امور تخالف المعاهدة وغيرها من الشئون المتعلقة بالطرفين » .

● القرار الثاني : « نظر مجلس الوزراء - بعد عقد مجلس الدفاع الاعلى - في ما يجب اتخاذه من الترتيبات العسكرية للدفاع عن سلامة المملكة وحفظ حقوقها ازاء المفاجآت ، بالنظر للوضع الحاضر بين الحكومتين العراقية والبريطانية فيما يخص مجيء القوات البريطانية الى العراق وطلب السماح بانزال قوة جديدة اخرى ، فقرر تبليغ « وزارة الدفاع » ان تقوم باجراء الترتيبات العسكرية المقتضية في هذا الشأن .

وفي ٢٩ ابريل ١٩٤١ بعثت وزارة الخارجية مذكرة ثالثة الى السفارة البريطانية اشارت فيها الى مذكرتيها المذكورتين انفا وسجلت فيها بخصوص انزال قوات بريطانية بقصد المرور عبر العراق ما يلي : -

١ - كانت الحكومة العراقية قد سمحت بناء على مراجعة السفير البريطاني الشخصية لرئيس الوزراء بانزال القوة البريطانية التي قدمت البصرة بتاريخ ١٧ ابريل ١٩٤١ وذلك بعد ان اكد السير كنهان كورنواليس بان القوة المذكورة ستمر عبر العراق وبذلك اعطت الحكومة العراقية دليلا عمليا على حسن نواياها وحرصها على تنفيذ المعاهدة العراقية - البريطانية وعلى رغبتها في التعاون مع الحليفة .

٢ - ارسلت الوزارة بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٤١ مذكرة للسفارة البريطانية بينت فيها بوضوح الاسس التي بموجبها وافقت الحكومة العراقية على انزال القوة البريطانية المذكورة في البصرة للمرور عبر الاراضي العراقية . ولما لم تجب السفارة على هذه المذكرة ايدت الوزارة بتاريخ ٢٧ ابريل ١٩٤١ وجهة نظر الحكومة العراقية بمذكرة ثانية بينت ضرورة الاسراع في تسفير القوة البريطانية من البصرة . كما انها نبهت السفارة الى ان وجود هذه القوة قد سبب دعايات ضارة بمصلحة الطرفين كما قد خلق جوا لا يساعد الحكومة العراقية على ما اعتزمت عليه من التعاون الودي مع حليفتها .

٣ - بينما كانت الوزارة تنتظر جوابا على مذكرتيها الانفتي الذكر فوجئت بطلب جديد من مستشار السفارة المستر هولمان عند زيارته لمدير التشريفات ظهر يوم ٢٨ / ٤ / ١٩٤١ وهو طلب الموافقة على انزال قوة بريطانية اخرى تتراوح بين الالفين والثلاثة آلاف شخص بثلاث بواخر تصل البصرة في ٢٩ ابريل ١٩٤١ .

٤ - وعد السير كنهان كورنواليس عند مقابلته لرئيس الوزراء بان القوة البريطانية قد جيء بها للمرور عبر العراق وانها ستبقى في البصرة للاستراحة فقط . على انه بالرغم من الحاح الحكومة العراقية بضرورة الاسراع بتسفير هذه القوة بالنظر للدواعي التي بينتها الوزارة قبل هذا فانها لا تزال موجودة هناك ولا يمكن ان يفسر ذلك الا بكونه مخالفة صريحة لنص معاهدة التحالف وروحها ومخلة بحقوق العراق المشروعة وسيادته .

٥ - ان عدم تقديم السفير الجديد اوراق اعتماده حتى الان وتقدمه باسم الحكومة البريطانية

بطلب وامور تتعلق بتطبيق المعاهدة العراقية - البريطانية امر غير طبيعي يجعل الحكومة العراقية في وضع شاذ لا ينطبق والاسس الصحية التي تترتب عليها علاقات دولتين متحالفتين مرتبطتين بمعاهدة واجبة التنفيذ في كل حين .

٦ - ان الحكومة العراقية وان كانت حريصة كل الحرص على اجراء كافة التسهيلات لمرور القوات البريطانية عبر العراق ضمن نصوص معاهدة التحالف العراقية البريطانية لم تستطع الموافقة على انزال قوات جديدة في البصرة نظرا الى استمرار بقاء القوة البريطانية التي نزلت الامر الذي يخالف نصوص معاهدة التحالف .

٧ - لا يسع الوزارة تجاه هذه الاوضاع وحرصا على دوام الصداقة العراقية - البريطانية التقليدية الا ان تسجل احتجاجها لدى السفارة البريطانية واضعة مسئولية النتائج التي ترتبت على هذا الخرق من الجانب البريطاني لمعاهدة التحالف على عاتق الحكومة البريطانية . وقد رجت تبليغ هذا الاحتجاج الى الحكومة البريطانية .

انـــــزال جـــديد

ورغم كل ذلك فقد انزلت بريطانيا قواتها الجديدة في البصرة مما جعل وزارة الخارجية العراقية تبعث في ٣٠ ابريل ١٩٤١ بمذكرة جديدة الى السفارة البريطانية اشارت فيها الى المذكرة الاحتجاجية الاخيرة المؤرخة في ١٩٤١/٤/٢٩ حول وضع القوات البريطانية التي وصلت اخيرا العراق . وقد ذكرت فيها انه قد بلغ الوزارة خبر انزال قوة جديدة في البصرة يوم ٣٠ ابريل ١٩٤١ رغم عدم موافقة الحكومة العراقية على ذلك . وان هذا العمل لاشك في انه مخالف لمعاهدة التحالف العراقية - البريطانية وتجاهل تام لما للحكومة العراقية من حقوق في تلك المعاهدة . وعليه فان الوزارة تحتج على هذا العمل وتضع المسئولية المترتبة على نتائجه على عاتق الحكومة البريطانية . وقد رجت تبليغ هذا الاحتجاج الى الحكومة البريطانية .

ولم تجب السفارة على هذه المذكرة فيما استمرت التصرفات المخالفة للمعاهدة واستمر الاستهتار بسيادة الدولة العراقية واستقلالهاوكرامتها مما اوجب اثارة القلق واضراب الرأي العام لاسيما ان السفارة البريطانية حشرت جميع النساء والاطفال البريطانيين الموجودين في العراق واوصلتهم جميعا الى الحبانية واخذت تنقل باهتمام زائد قوات كبيرة من جيشها الموجود بالشعيبة الى الحبانية ليلا ونهارا بدون موافقة الحكومة العراقية او حتى اعلامها ، هذا فضلا

غارة جوية مفاجئة على القوات العراقية قرب الحبانية

عن مهاجمة الدعايات البريطانية للعراق وحكومته تلك الدعايات التي لم تقف عند حد حتى ان السفارة نشرت مناشير معادية في وقت كانت الحكومة العراقية تسعى خلاله للتفاهم معها الى غير ذلك من الامور التي دلت على عزمها اظهار سوء نيتها نحو العراق ولا سيما نحو حكومته .

فكان ذلك كله انذارا كافيا وصريحا للحكومة العراقية بعزم بريطانيا على التدخل في شئون المملكة الداخلية والقضاء على السيادة الوطنية فاتخذت الحكومة بعض التدابير الاحتياطية لسلامة البلاد وذلك باقامة قوة بجوار الحبانية .

فما كان من السفارة البريطانية الا ان قدمت مذكرة بتاريخ ٣٠ ابريل ١٩٤١ احتجت فيها على ما اسمته خرق العراق لمعاهدة التحالف بين البلدين وطالبت بسحب القوة العراقية من جوار الحبانية والتهديد باتخاذ الاجراءات العسكرية ضد قواتنا ووضع المسئولية على عاتق الجهات العراقية .

. . . ومذكرة اخرى . .

وردت وزارة الخارجية العراقية في التاريخ بمذكرة اخرى اوضحت فيها : تمسك الحكومة العراقية باحكام المعاهدة ذاكرة ان القوة المقامة بجوار الحبانية ما هي الا مجرد تدبير احتياطي تجاه الاعمال الاستفزازية التي تقوم بها الجهات البريطانية وما انتجته من اثارة القلق والاضطراب في النفوس واستمرار انزال قوات بريطانية في البصرة قبل الوصول الى التفاهم بشأن وضعها وكيفية مرورها عبر العراق . ورجت الوزارة في مذكرتها انه اذا كانت الحكومة البريطانية تشاطر الحكومة العراقية رغبتها في تنفيذ احكام المعاهدة على حقيقتها واحلال حسن التفاهم بين الجانبين ان تستعمل وساطتها لتنفيذ ما جاء في مراسلات الوزارة المذكورة انفا بشأن كيفية انزال القوات ومرورها عبر العراق .

ولكن السفارة لم تجب على ذلك كله لما تعمدته الحكومة البريطانية من خرق للمعاهدة والتجاوز على سيادة العراق . بل انها اوعزت باخلاء عائلات البريطانيين كما اوعزت لموظفي

الحكومة العراقية من البريطانيين بالانقطاع عن اعمالهم .

ومع ذلك فان الحكومة العراقية قد اتخذت ما يمكن اتخاذه من التدابير لعدم توسيع الخلافات فاعلنت تمسكها بالمعاهدة نصا وروحا علىٰ لسان رئيس الوزراء ووزير الخارجية في مناسبات عديدة . الا ان الجانب البريطاني استمر في موقفه ومع هذا فقد بقيت الحكومة العراقية محتفظة بهدوئها تنتظر عدول البريطانيين عن ذلك الموقف المخالف لاحكام المعاهدة .

وفي الوقت الذي اصدرت الحكومة العراقية فيه تعليماتها الى القوات العراقية بتجنب الاصطدام مع القوات البريطانية في الحبانية ، فوجئت بالطائرات البريطانية تنطلق من قاعدة الحبانية وتقصف القوات العراقية التي كانت تحيط بالقاعدة وذلك في صباح ٢ مايو ١٩٤١ . ومع ذلك ظلت الحكومة العراقية تحاول تطويق الموقف . فقد بادرت الى ارسال مذكرة الى السفارة البريطانية سجلت فيها احتجاجها على عدوان الطائرات البريطانية على القوات العراقية ولاحظت المذكرة :

● اولا : ان الحكومة البريطانية التي خرقت المعاهدة وقامت باعمال معادية واستعدادات اضطرت العراق الى اتخاذ استعدادات للاحتياط من اجل سلامته .

● ثانيا : اتخذت الحكومة العراقية كافة الاحتياطات والتدابير للمحافظة على الاجانب بما في ذلك السفارات والمفوضيات الاجنبية .

● ثالثا : في حالة ما اذا جرى قصف من جانب الطائرات البريطانية على بغداد او اية مدينة من مدن العراق اخبرت الوزارة السفارة البريطانية بانها لا تتحمل صيانة ارواح الاجانب من رعايا الدول المحايدة .

● رابعا : تعتبر الحكومة العراقية العمل الذي قام به قائد المطار في الحبانية عملا عدائيا صريحا وقد سجلت اسفها الشديد لعدم ائتلاف ذلك مع ما تنص عليه بنود المعاهدة العراقية ـ البريطانية . كما انه اعتداء على حقوق البلاد وسلامتها . ومع ان الحكومة العراقية سجلت احتجاجها الشديد على ذلك فانها تضع المسئولية الناشئة عن ذلك على الجانب البريطاني .

السفـــــاره تـــرد

وردت السفارة البريطانية بمذكرة في ذات التاريخ اشارت الى انها كانت قد طلبت في مذكرتها المؤرخة في ٣٠ ابريل ١٩٤١ سحب القوات العراقية من جوار الحبانية وفي حالة عدم سحبها حالا ستقع مسئولية النتائج المترتبة على ذلك على عاتق الحكومة العراقية ، وقالت انه قد ظهر لها من جواب وزارة الخارجية العراقية ان الحكومة العراقية لم تلب طلبها هذا ، وانها اخذت تقوم باستعدادات عدائية ضد القوات البريطانية في العراق . ولهذا فانها بامر من الحكومة البريطانية تخبر الحكومة العراقية بان قائد القوات البريطانية قد اجبر على اتخاذ الاجراءات العسكرية المناسبة .

وانها ـ اي السفارة ـ تنذر الحكومة العراقية بانه في حالة حصول ما يقلق سلامة السفارة البريطانية والمفوضية الامريكية باي شكل كان ، وفي حالة حصول اي اذى لاي شخص بريطاني في بغداد او اي محل آخر في العراق فان الاوامر قد اعطيت الى قائد القوات الجوية البريطانية بان يتخذ كافة الاجراءات العسكرية ضد ذلك . كما ان لديه تعليمات بتنفيذ هذه الاوامر ضد اية حركة عدائية من قبل الجيوش العراقية في بغداد وضد المحاولات العدائية الاخرى المثيرة لشعور الشعب العام سواء كان ذلك عن طريق الراديو او اية وساطة اخرى .

والخارجـــــية تـــرد

ومرة اخرى ردت وزارة الخارجية العراقية بمذكرة في ذات التاريخ بعثتها للسفارة البريطانيه وهذا نصها . .

. . . بالاشارة الى مذكرة السفارة المؤرخة في ٢ مايو تبدي الوزارة ما يلي :

١ ـ ان الحكومة البريطانية هي التي بدأت بخرق المعاهدة واقامت باعمال معادية واستعدادات اضطرت العراق لاتخاذ استعدادات للاحتياط لسلامته .

٢ ـ من واجب الحكومة وشرفها المحافظة على الاجانب ، ولم يحدث اي شيء حتى الان مما ورد في مذكرة السفارة والحكومة العراقية ليس من واجبها المحافظة على جميع السفارات والمفوضيات من اجل ذلك تستغرب الوزارة ما لوحظ في مذكرة السفارة من انها خصت بذلك المفوضية الامريكية التي طالما كانت علاقات الحكومة العراقية معها ودية .

٣ ـ يلاحظ ان الحكومة البريطانية تطلب عدم اثارة الرأي العام . ولكن الوزارة تستغرب كل

الاستغراب ان يقوم شخص يدعى بانه سفير بمخاطبة الشعب وبالطعن بزعماء البلاد ورئيس حكومتها وقادة جيشها ولا شك في ان هذا عمل عدائي من شأنه ان يحدث هياجا واضطرابا في الرأي العام .

٤ ـ ومما يستوجب الاسف الشديد انه في الوقت الذي اصدرت الحكومة العراقية تعليمات الى القوات المرابطة بجوار الحبانية بتجنب الاصطدام واذا بقائد المطار في الحبانية يبادر بالأعمال العدائية صباح هذا اليوم فيطلق النار على تلك القوة ويقصفها من الجو فكان عمله سببا للاصطدام الذي بذلت الحكومة العراقية ولا تزال تبذل مسعاها لتحاشيه واظهرت استعدادها الى الوصول الى التفاهم ، كما اشير الى ذلك في مذكرة الوزارة المؤرخة في ٣٠ ابريل ١٩٤١ .

٥ ـ تلفت الوزارة النظر الى ان الحكومة العراقية ليست في وضع تستطيع معه صيانة الأجانب المحايدين في حالة ما اذا جرى قصف جوي من جانب الطائرات البريطانية على بغداد او اية مدينة من مدن العراق .

وفى النهاية تعتبر الحكومة العراقية العمل الذي قام به قائد المطار في الحبانية عملا عدائيا صريحا وهي من أجل ذلك تسجل اسفها الشديد لعدم ائتلافه مع المعاهدة العراقية ـ البريطانية وحسن الصلات الموجودة بين الطرفين ، كما انه اعتداء صريح على حقوق البلاد وسلامتها وان الحكومة العراقية تسجل احتجاجها الشديد عليه وتضع مسئولية كل ما يحدث من نتائجه على الجانب البريطانى .

وكان واضحا من تلاحق الأحداث وتسارعها ان الحرب قائمة لا محالة سيما وان العدوان الجوى على القوات العراقية في الثاني من مايو ١٩٤١ رافقته في ذات اليوم توزيع السفير البريطاني كورنواليس بيانا دعا فيه العراقيين الى الثورة وملأه بالأكاذيب التي استهدفت شخص رئيس حكومة الدفاع الوطني رشيد عالي الكيلاني والعقداء الأربعة . وقد قام بتوزيع هذا البيان ـ المنشور ـ موظفون بريطانيون وعملاء محليون للسفارة البريطانية القى القبض عليهم جميعهم ، كما القته الطائرات البريطانية التي حلقت فوق بغداد . وفيما يلي نص هذا البيان . . .

يا أهالى بغداد الكرام :

كلكم على علم من الأحداث السياسية الأخيرة المؤسفة التي جعلت الحياة مؤلمة في اعينكم ،

كما انكم كذلك على علم من ان هذه الاحداث قد سببها شرذمة صغيرة من ضباط الجيش ، تؤيدهم فئة ضئيلة من محترفي السياسة ممن لا يخافون الله ولا يستحون من الناس ، الذين لا يسعون الا الى تولي السلطة واكتناز المال على حسابكم . ان هذه الفئة فى أثناء بضعة الاسابيع الأخيرة لم تقتصر على اغتصاب الحكم في بلادكم الحرة هذه ، بل طغت الى حد السعي الى القضاء على حياة وصيّكم عبد الاله ، خال مليككم الطفل ، فاضطر الوصى الى الهروب فى سبيل النجاة مع اخرين من زعمائكم الوطنيين المعتبرين ، الذين خافوا طغيان تلك الفئة .

ان رجال الشر والسوء هؤلاء بعد ان اغتصبوا الحكم ، خنقوا صحافة العراق الحرة ، ثم اخذوا ببث الدعايات الكاذبة بواسطة محطتكم للاذاعة اللاسلكية ، والآن جعلوكم تقابلون وجها لوجه الموت وسائر الأهوال المنطوية على حرب غير مشرفة ، ولا فائدة ترجى منها لكم . انهم مكروا من البدء بما زعموه كذبا من ان سياستهم ترمي الى ابقاء العراق بعيدا عن أخطار الحرب . ان ما زعموه من ذلك لمجرد زور وبهتان ، فما انقضى شهر واحد من توليهم السلطة حتى جروا بلادكم الوديعة المسالمة الى الحرب . انى لأقسم بشرفي ان هؤلاء النفر من ضباط الجيش قد باعوا انفسهم الى الالمان والطليان لقاء قدر من المال . افما بلغكم عنهم انهم يدعون انفسهم باصحاب الذهب المربع ؟ لقد باعوا انفسهم ربما عالياً ، وباعوكم انتم رخيصا للألمان والطليان لكى يقصموا عروة الصداقة التقليدية بينكم وبين بريطانية . ان جميع رؤساء وزاراتكم ووزارة خارجيتكم ، منذ يوم توقيع المعاهدة البريطانية ـ العراقية قد صرحوا الواحد بعد الآخر علنا للملأ ، وامام مجلس امتكم ، ان السياسة الاساسية الحيوية لمصلحة العراق تقضي بتنفيذ المعاهدة البريطانية ـ العراقية بحذافيرها .

ان ذلك الرجل الذي يدعو نفسه الان برئيس الوزراء ، بتأييد نفر من قادة الجيش ، والذى قد باع نفسه الى الالمان والطليان بقدر من المال ، قد اضطر بريطانيا الآن ، على كره منها ، الى محاربة حليفتها العراق . انى لارى من واجبى ان اطلع الشعب العراقى على انه محروم من الوقوف على حقائق الامور . وان انذر هذا الشعب الكريم بالاخطار المحدقة به من جراء سياسة رشيد عالى .

ان العراق يا اهل العراق ، قد تعهد بشرفه بموجب معاهدة تقضي المادة الرابعة منها بان « يقدم العراق الى صاحب الجلالة البريطانية في الأراضى العراقية جميع التسهيلات والمساعدات

التي في وسعه تقديمها بما في ذلك استعمال السكك الحديدية ، والانهر والموانىء والمطارات ووسائل المواصلات » وليس هنالك من تحفظات أو قيود قط فى المادة الرابعة هذه وانما هنالك بعض تحفظات وردت فى المادة الخامسة ، من ملحق المعاهدة الذى يبحث فيها يعود الى اوقات السلم اما فى ايام الحرب فالعراق يتعهد بان يقدم الى بريطانيا جميع ما نص عليه فى المادة الرابعة المتقدمة الذكر بسخاء وبلا مساومة .

أما الحكومة الحالية فقد شاءت ان تنقض العهد بوضع القيود على ما جرى الوعد به ، وتم العهد عليه ، كما انها ايضا شاءت ان تثير الرأى العام ضد حليفة العراق بريطانية العظمى . وانها لرغبة نشأت عن روح العداء ، لا بل هي العداء بالذات .

ان رشيد عالي قد بذل اقصى جهده ، بسلسلة طويلة من الأكاذيب والمماطلات ، فى سبيل دفع العراق كرها الى التقاطع مع بريطانيا العظمى فبناء على ما اتى به من هذه الأعمال المنطوية على روح العداء وغيرها من نوعها ، اصبح من البداهة بمكان ان بريطانيا لا يسعها ان تصبر اكثر مما صبرت الى الآن وعلى الأخص الى ما لدينا من علم تام بدسائس رشيد عالي مع دول المحور ومن برهان قاطع على تلك الدسائس .

انى منذ بضعة ايام خلت تراءى لي ان الوضع على درجة من الخطورة بحيث اعتبرت من الواجب على ان اوعز الى النساء والاطفال من البريطانيين بمغادرة هذه البلاد التى قد سبق وأخذ رشيد عالي بالدفع بها الى اخطار الحرب ، وانى اوعزت بذلك مطلعا رشيد عالى على ما لدى من خطط ، فوعدني بأنه سيكون مسئولا عن سلامة مرور تلكم النساء والأطفال الى الحبانية ، وانه سيسمح بنقلهم جوا الى البصرة في اليوم التالي .

ان رشيد عالي الكيلاني سمح بوصول تلكم العائلات الى الحبانية بسلام . الا انه والأربعة من صحبة اصحاب الذهب أمروا فى تلك الليلة نفسها قوة كبيرة من جيشكم بالسير الى الحبانية ، وتطويق تلكم العائلات هناك ، ان امر تلك القوة لدى وصوله هناك ، ابلغ الأمر البريطانى بان الجيش العراقي سيعمل على الفور لمنع اية طائرة بريطانية من القيام عن الارض ، ثم اتخذ الجيش العراقى مراكز مهددة حول القاعدة الجوية التي هى لنا بموجب المعاهدة . ان هذا العمل المهين الذى لا يمكن تحمله ، لم يرد عليه فورا بالقوة ، وبالنظر الى ما نكنه من الود

للشعب العراقي ـ على أن الأمر لا يمكن ان يستمر على هذه الحال . ان الشيء الوحيد الذي كان بالامكان ان تتلافى به هذه الكارثة للامتين كلتيهما ، هو القيام قياما كاملا تاما من قبل الحكومة بالتعهدات المقطوعة لنا بموجب المعاهدة ، ولقد أعطيت رشيد عالي الفرصة الكافية للتبصر في حماقاته ، وفي الأخطار التي تنطوي عليها سياسته ولكن اذني رشيد عالي اشد اصغاء الى صوت الذهب منها الى صوت الحكمة ، ولذلك لم يقم بسحب جيشكم كما يقضي عليه بذلك الشرف وحق العهد المقطوع . ان هذه الكارثة قد نجمت عن دسائس ومكر رشيد عالي الكيلاني ، وذلك النفر من اتباعه ، واصبح الصديق مضطرا الى محاربة الصديق ، على انى امل باخلاص بان يحول دون سداد الرأى الذي طالما عهدته ميزة من ميزات الشعب العراقي الذكي .

يا أهل العراق كما بذلت ـ انا ما تعلمون ـ من جهد صادق فى سبيل تأمين استقلالكم ، كدولة حليفة لبريطانيا العظمى ، أود أن اذكركم بيوم غير بعيد ، فيه عرفتم رشيد عالي عدوكم رقم واحد ، وأن أؤكد لكم بان رشيدا الآن لاشد خطرا عليكم وعلى مصيركم ، ومصير الأمة باسرها مما كان يوم اطلقتم على ذلك اللقب في ساعة اتيحت فيها حرية الأعراب عن مكنونات صدوركم .

انى انا كورنواليس ، الذى عرفتموه حق المعرفة يا أهل العراق ، اقسم لكم أغلظ الايمان بان بريطانيا العظمى لا نية لها قط باحتلال عراقكم ، او بنزع استقلاله منه . ان قيام بريطانيا بشيء من هذا القبيل لما ينافى كل المنافاة السياسية التى اتبعناها منذ عشرين عاما كما يعلم جميعكم ، تلك السياسة التى فى سبيل تنفيذها تعاونت انا شخصيا مع الطيب الذكر المرحوم جلالة الملك فيصل الأول ، الذى شرفنى بصداقته وثقته خلال سنين عديدة الى أن وافاه الأجل المحتوم ، الا فليحيي حفيد فيصل الأول جلالة الملك فيصل الثاني ، وليحيي استقلال العراق الحقيقى »

بيان الحكومة

وحين ادركت حكومة الدفاع الوطني انها الحرب لا محالة اصدرت في ٢ مايو البيان التالي الذي وجهته الى الشعب : الى الشعب العراقى الكريم .

يعلم الشعب بان الحكومة العراقية اتخذت كل ما يمكن اتخاذه للتحاشي عن الاحتلال بالمعاهدة العراقية ـ البريطانية ، والتهيؤ لابداء كل المعاونات والتسهيلات والمساعدات التي باستطاعتها تقديمها ، وتجنب الاصطدام مع الحكومة البريطانية .

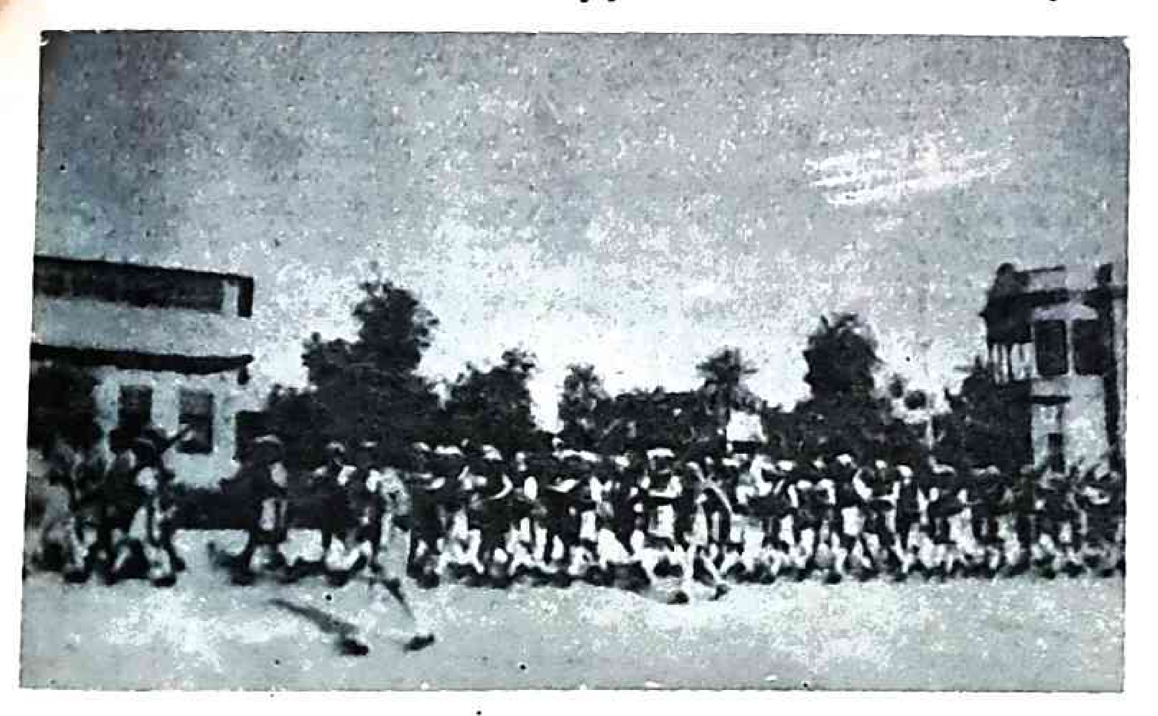
الا ان الجانب البريطاني استمر على الاتيان باعمال لا تلتئم واحكام هذه المعاهدة وتخل بحقوق البلاد وسلامتها ، مما اضطر الحكومة أن تصدع بواجبها الذى يتطلبه الشعب ويحتمه الموقف فقامت باتخاذ الاستعدادات اللازمة للدفاع عن سلامة البلاد ، ومع هذا فقد بقيت محتفظة بهدوء أعصابها . مبتعدة عن التحرش . الا ان الجهة البريطانية بادرت هي بالتحرش فاتخذت موقفا معاديا ، ثم بدأت قواتها بالحبانية بفتح النار على القوات المرابطة في جوارها . وهكذا اضطرت قواتنا الى الدفاع والمحاربة .

والحركات مستمرة بنجاح ، والحكومة تطلب من الشعب العراقى الكريم الذي طالما اظهر نضوجه السياسي في احرج المواقف ان يثق بان قواته الوطنية قادرة ـ تمام القدرة ـ على تأدية واجبها وصيانة كرامة البلاد وحقوقها ، كما تطلب منه ان يحتفظ بهدوئه ويتجنب اى عمل من شأنه ان يمس بضيوفنا الأجانب ويتحلى بالسكينة في البلاد وان يطمئن الى فوزه .



● ناجي شوكت وزير الدفاع في حكومة الدفاع الوطني ، اخذت هذه الصورة قبل وفاته سنة ٨٣

● القوات العراقية تتحرك إلى المعسكر البريطاني في الحبانية



وساطة الملك عبد العزيز

بدأت القوات البريطانية عملياتها ضد الجيش العراقي على الرغم من ابداء الحكومة العراقية تمسكها الكامل بنص معاهدة التحالف بين البلدين لعام ١٩٣٠ كما ظهر من خلال المراسلات بين الحكومة العراقية والحكومة البريطانية عبر سفارتها في بغداد . كما ظهر من ذات المراسلات اصرار الحكومة البريطانية على الاخلال بنص المعاهدة والعمل على إلغاء السيادة العراقية .

والى جانب ما اظهرته حكومة ا لدفاع الوطني من التزام بالمعاهدة في رسائلها المباشرة للحكومة البريطانية ، فان رئيسها رشيد عالي الكيلاني سارع الى التجاوب مع الوساطة التي بادر الى القيام بها الملك عبد العزيز آل سعود ملك السعودية بين العراق وبريطانيا من اجل احتواء تطورات الموقف والحيلولة دون قيام الحرب بين الجانبين . فقد بادر الملك عبد العزيز الى الاتصال مع الحكومة البريطانية عبر وزيرها المفوض في جدة معربا عن استعداده للتوسط . وفي ضوء الجواب الذي تلقاه من الوزير المفوض البريطاني كتب الى رشيد عالي الكيلاني يطرح امر الوساطة عليه ايضا . وضمن مجموعة الوثائق الكثيرة التي خلفها المرحوم رشيد عالي وجدت نص رسالة الملك عبد العزيز للكيلاني التي الحق بها ايضا رسالته الى ولده « الامير » فيصل الذي كان وزيرا لخارجيته وكلفه فيها بالاتصال مع الوزير المفوض البريطاني ، ورد « الامير » فيصل الذي تضمن جواب الحكومة البريطانية وجانبا من النقاش الذي دار بينه وبين الوزير المفوض . كما وجدت ايضا مسودة الرد الذي بعث به رشيد عالي الى الملك عبد العزيز وهو بخط يد الكيلاني الذي كان يحتفظ باصول كل مراسلاته . وسنستفيد كثيرا من هذه المسودات في هذه المذكرات . وفيما يلي نصوص هذه المراسلات كما

هي ودون تدخل في صياغتها التي تبدو مختلفة نوعا ما عن اللغة المستخدمة في عصرنا خاصة من حيث تميزها في المجاملة .

نص رسالة الملك للكيلاني

وفيما يلي نص رسالة الملك الى الكيلاني :

الرياض في ٢٥ ذي القعدة ١٣٥٩

ملحق خير وسرور ان شاء الله . . .

سبق ان امرنا اسعد ان يخبر فخامتكم بما امرنا يوسف ان يحدث به الوزير البريطاني عن نصيحتنا للحكومة البريطانية بشأن موقفها من العراق بصورة عامة ومن موقفها من شخصكم بصورة خاصة . واليوم وردنا من الابن فيصل جواب الحكومة البريطانية على رسالتنا الشفوية التي بعثناها للوزير البريطاني . وانا ثقة بامانتكم واخلاصكم . نبعث اليكم بنص الجواب الذي جاء من الحكومة البريطانية . ونحن على ثقة بانكم ستعاملونه معاملة سرية تامة لا يطلع عليه غير شخصكم ونرسل لفخامتكم طيه ايضا نص الجواب الذي ارسلنا الى الابن فيصل لكي يبلغه الى الوزير البريطاني ليقدمه لحكومته .

وان ما جرى من التفاهم والتعارف بيننا يجعلنا في غير حاجة لان ابين لفخامتكم الاسباب التي حملتنا على ذلك والسبب الحقيقي هو انكم تعلمون :

اولا : ان العراق يهمني كثير وليس المهم عندي ان يترأس العراق اي شخص سواء محبنا وصديقنا رشيد عالي او غيره ، وانما الذي يهمني وأويده واساعده واحبه من صميم قلبي هو الشخص الذي يقوم بواجب العراق قبل كل شيء ، وبواجب العرب واجتماع كلمتهم في اي قطر كان . ولا ادري لذلك في العراق مثل شخصكم فالشخص الذي يجتهد في حفظ مصلحة العراق - الداخلية والخارجية هو الشخص الذي ارى واجبا على تأييده ومناصرته . هذا من جهة . ومن جهة ثانية فانكم تعلمون ان بريطانيا لها علاقة بالبلاد العربية من ثلاثة وجوه .

● اولا : انها حكومة صديقة قديمة معنا ومع العراق .

● ثانيا : انه مهما يكن فانها اهون شرا واصلح للبلاد العربية من غيرها .
● ثالثا : ان زمام الامور التي فيها مصالح البلاد العربية هي بيد الله ثم بأيديهم . فاذا تحقق عندنا ذلك وجب علينا ان ننظر في الحال والاستقبال في الاتفاق معهم بكل ممكن الا في الامور التي فيها مضرة على مصالح البلاد والتي لا مندوحة للبلاد عنها . وان ما اعرفه من حكومة بريطانيا يجعلني ان اقول بانني عرفت منها انها لا تحب تكليف العرب بأمر لا يطيقونه ولا تحب إلا حسن السمعة ولا يستثني من ذلك الا المسألة التي نرجو من الله ان يحلها لأنها هي المعرقلة لبعض الاحوال وهي مسألة فلسطين ، واعتقد ان مشكلة فلسطين عند العرب لا تقل عن مشكلتها لدى بريطانيا ، والمشكلة فيها من جهة بريطانيا كما لا يخفاكم ترجع لاسباب ثلاثة :

● الاول : ان اكثرية الشعب الانكليزي متمايل مع اليهود .
● الثاني : حالة امريكا واحتياجهم لها .
● الثالث : الظروف الحاضرة .

فاذا تحقق ذلك لدينا فالواجب يقضي انه اذا حصل لنا ما يمنع الضرر عن مصالح البلاد ان لا نمانع بل نسعى للاتفاق معها وان نعمل اجتهادنا بسياسة وحكمة من اجل قضية فلسطين لان هذه ما تحل الا بأحد امرين . اما بأمر خطر ليس من مصلحة العرب بل هو من مصلحة الاعداء وباتفاق العرب ومراجعتهم فيما بينهم وبين بريطانيا بسياسة وبأساليب سرية تسير مع الزمن والظروف . وذلك ما يحصل الا بوجود رجال مخلصين ومتضامنين ومتعاهدين على النصح لبلادكم ولحكوماتهم ويعرفون مداخيل الامور ومخارجها . وان يكون رائدهم النصح والاخلاص - وليسوا من اصحاب الوجوه الملتوية او من الرجال الذين ما يهمهم غير الكراسي والرآسات . لان امثال هؤلاء لا يهمهم ضرر البلاد ولا مصلحتها بل يجب ان يكونوا من عقلاء الناس الذين يدبرون امرهم بسياسة ويسر ويداوون كل داء بالدواء الذي يصلح له ولا يمكن الوصول الى هذا الا بمراجعات ومناقشات سرية حتى يحصل الاتفاق على ما فيه مصلحة البلدين داخلا وخارجا . ونعتقد ان الوقت لهذا لم يحن وينبغي انتهاز الفرصة في وقت مناسب . فاذا دقق الاخ الكريم في كلامي هذا وادرك المقصود فاحب ان اوضح له بصراحة لان من عاداتي الصراحة واتباع المصلحة وهي غايتي لأن مصلحة البلاد وحفظ شرفها هو مقدم على كل شيء واتفاق العرب مع بريطانيا في هذا الظرف الحرج من الزم الامور

على العرب . ولا يخفى فخامتكم ان اغلب الناس يغتر باذاعات بعض الاجانب بمدحهم العرب ونحن نقول ان الدعاية الموجودة هي لمصلحة المذيعين لها والغرض منها اثارة العرب للعمل ضد بريطانيا . وهم لا يبالون بالنتيجة سواء كانت الهزيمة على الانكليز او على العرب فلو قدرنا انهم صادقون فيما يذيعون فهل يمكن ان يطمئن خاطر احد - الا ان يشاء الله - انه اذا نصحوا واجتهدوا هل يمكن ان يعملوا مع العرب كما يعمل الانكليز وهذا في نظري من المستحيل الا ان يشاء الله . فاذا قدرنا الامور الحاضرة ونظرنا للمستقبل ظهرت لنا الحقيقة . وقد احببت شرح ما تقدم لفخامتكم لاعرف موقفي معكم ومع الانكليز . وانا قد قمت بالواجب بالمراجعة قبل اخباركم لان هذه وجدته لازما على نحو شخصكم ونحو الحكومة العراقية ونحو الحكومة البريطانية ايضا . والامر الآن متوقف على رأيكم الشخصي وعلى الامر الذي تستطيعونه لاعرف الواجب الذي اقوم به لمصلحة العرب عامة ولمصلحة العراق خاصة ولشخصك بصورة اخص . فمطالب الانكليز منكم انتم اعرف بها مني فأرجوا ان تخبر اخيك بالامر الذي يمكن ارضاء الانكليز به والامكان عمله واكون واسطة فيه . وكذلك ما هو الامر الذي يصعب حله بالكلية ويمكن اتباع خطة تحفظ المصلحة مع تغيير اسلوب الكلام وبعض المعاني لأني احب معرفة ذلك بالدقة وترون فخامتكم انني ابديت لكم الاسرار التي بيني وبين الحكومة البريطانية مما لم ابده لأي شخص آخر . والرأي اليوم لله ثم لك وللناصح من العراقيين لبلده ولشعبه . فان رأيتم ان في تدخلي هذا مصلحة للعراق وكف للشر فأنا مستعد ان ابذل كل ما في وسعي بكل حال . وان رأيتم ان الامر صعب وانه ليس بالامكان الوصول الى نتيجة فأرجوا اخباري عن المستحيل من ذلك والممكن حتى اكون على بصيرة . وان رأيتم ترك هذه المسألة اولى فأنا مستعد لتركها - ولا اتورط في كلام لا تكون له حقيقة . وانتم تعلمون انني اقدم المصلحة للبلاد العربية عامة والعراق وبلادي بصورة خاصة . ولكن شرفي وحفظ كلامي يساوي عندي اكثر من ذلك لأني افديه بحياتي - واراني اكثرت القول لأوضح لكم ما عندي فما كان من صواب فيه فهو من الله وما كان من خطأ فهو مني . واستغفر الله واتوب اليه ولم يحملني على ذلك الا المحبة للعرب وللعراق ولشخصكم ووفاء للجميع والسلام .

. . . وللامـــــير فيصـــل

وهذا نص تكليف الملك لوزير خارجيته الامير فيصل :

... اخبر البريطاني بامتناننا العظيم من الحكومة البريطانية على جوابها بشأن مسألة العراق ورشيد عالي وبحسن ثقتها وسرورها من مساعينا واحب ان ابين لهم ما عندي الان بهذه المناسبة . ولكن احب ان تكون الحكومة البريطانية على يقين بانه ليس لي مقاصد خاصة فيما ذكرته لهم المصلحة التي اعتقد بان فائدتها تعود على بريطانيا وعلى العرب فحالة العراق معي في السابق واللاحق يعرفونه ، ولولا المجاملة التي يعرفون اسبابها واوضحها لهم الان ايضا لكانت حالتي مع العراق على غير ما يرون وذلك اولا ان العراق بلد عربي ولا احب الشقاق معه بأي حال من الاحوال . والثاني مراعاة لخاطر الحكومة البريطانية . ولولا ذلك لجرى بيني وبين العراق من المشاق والمشادة ما تعرف الحكومة اكثره ، وتذكر الحكومة البريطانية انني كنت اريد ان انشر مجرى اهل العراق معي في كتاب اخضر لاقامة الحجة عليهم ولما علمت الحكومة البريطانية في ذلك رجتني ان لا اعمل ذلك خشية من ان يحدث ذلك ضجة يتخذها الاعداء ضد بريطانيا . . وامتنعت عن ذلك لاجل خاطر الحكومة البريطانية . واحب ان تثق الحكومة البريطانية ان الدعاية ضدي في العراق لا تزال مستمرة . وانه ما تم بيني وبينهم الا بعض الشيء فيما يتعلق بالعشائر وباقي المسائل المنهوبات لرعايانا والحدود وغيرها كلها معلقة . ولكن من اجل التقرب من حكومة عربية ورغبة في عدم حدوث دعاية ضد الحكومة البريطانية رضيت باليسير لازالة الشك والشقاق في هذا الوقت الحرج . ولهذا ينبغي ان تتأكد الحكومة البريطانية ان كلامي ليس من اجل رشيد عالي بل من اجل المصلحة العامة . ورشيد لا شك ان معه بعض الشدة وهذه طبيعية فيه ولكن بالنظر لما علمته من تمسك الشعب العراقي والجيش العراقي به والتزامهم جانبه ورضاهم عنه ، رأيت ان جذبه لجهة الحكومة البريطانية اولى منعا للدعايات الاجنبية حتى لا يكون لذلك مجال او يكون في العراق امور يكرهونها ولا يحبونها . وهذا هو مقصدي . وتذكر الحكومة البريطانية انني قد اجبرت العراقيين سابقا بما لا يخفي عليهم من نصائحي لأجل اتفاقهم مع حكومة بريطانيا وعدم الاختلاف لان هذا من صالحنا وصالحهم كما انني قد ابديت في السابق وكتبت لنوري ولكن نوري ترك ما نصحته به ووضع كلامي في قالب آخر وعرضه على رجال العسكرية وعلى بعض الوزراء واتخذ ذلك للدعاية ضدي واخذ يقول للناس انظروا كيف ان ابن سعود يهددنا بالانكليز ويعمل معهم ضدنا . واعتقد ان هذا كله

ما يخفي حكومة بريطانيا . . واخيرا راجعت رشيد عالي واخبرته انه لا يمكن استقامة للعراق ولا للعرب الا بصداقة بريطانيا ومساعدتها بكل ما يلزم واقله وهو نافع ان لا يظهر ضدهم اي كلام او عمل من جهة العرب واخبرته ان هذا من صالح العراق خاصة ومن صالح العرب عامة فاجابني بانني لم اعمل ولن اعمل ضد حكومة بريطانيا وانني امشي معهم بموجب المعاهدة بالدقة سرا وعلانية ولكن مع الاسف انه حصل من هو ضدي من اهل العراق الذين لا يخفون واخذوا يشينون سمعتي ويزورون على الحكومة البريطانية بمالا حقيقة له . وقد صرت في ذلك بين امرين ان مشيت مع الحكومة خلافا للمعاهدة اتخذها ضدي حجة له عند الشعب العراقي وجيشه . وان التزمت نصوص المعاهدة وتركت ما لم تنص عليه فسروا ذلك وأولوه لدي الحكومة البريطانية واعتبروا موقفي ذلك موقفا عدائيا ضد بريطانيا . وانني احب من صميم قلبي ان اتفق مع رجال حكومة بريطانيا وان اعمل معهم طبقا للمعاهدة بالدقة وان ازيل كل مشكل طبقا لأحكام المعاهدة . ولكني رأيت ان رجال حكومة بريطانيا لا يقبلون مني ذلك وانهم يزعمون اني عدو لهم ومتخذ صداقة غيرهم . ولهذا تحرج موقفي ولم ار الا ان اقف عند نصوص المعاهدة واتقي غضب الشعب العراقي .

هذا الذي صار بيني وبين رشيد واني ابدي للحكومة البريطانية أحد امرين . ان كانت حكومة بريطانيا مصممة ان تكون ضد رشيد وانها لا تثق به ولا ترغب في التعاون معه فانا قد اديت الواجب من جهة رشيد ومن جهة الحكومة البريطانية ومسلكي يعرفونه ، ابين لهم ما عندي وما اسمعه وما ارى فيه المصلحة . فان كان موقفهم من رشيد كما ذكروا ومصرون عليه فانا اترك المسألة مع انني ما اذخر النصح لاهل العراق بقدر ما استطيع .

واذا كانت حكومة بريطانيا تحب الاتفاق مع رشيد في تحسين العلائق بين العراق وحكومة بريطانيا ولا يظهر من ذلك انه ضد الشعب العراقي فانا مستعد للاجتهاد فيه ، وهذا لا يمكن ان يحصل الا ان حصل في العراق رجال من حكومة بريطانيا يتفاهمون مع رشيد حتى يزول الشك وان يتساعد الجميع في المصلحة وان لا يظهر الشعب العراقي ان رشيد عدل عن مصالح العراق واتبع مصالح بريطانيا ضد العراق لكي لا يتخذ اعداءه ذلك وسيلة للعمل ضده . انما يكون الامر بحسن تفاهم بين رشيد ورجال الحكومة ورشيد يجتهد لمنع الدعاية والاتفاق مع حكومة بريطانيا .

هذا حقيقة ما عندي والذي حملني على ذلك هو انني ارى حفظ سلامة العراق هو مصلحة لنفسي ولمصلحة العرب وتأمين مصافاة العراق مع بريطانيا وعدم الاختلاف معها هو من مصلحة العراق نفسه . ولذلك ارجو ان تأخذ الحكومة البريطانية كلامي وتحمله على محمل النصح والمصلحة وذلك عادتي في جميع المواقف مع الحكوة البريطانية .

جـــــواب الامـــــير

وهذا نص جواب الامير فيصل على تكليف والده ويتضمن رد الوزير المفوض البريطاني باسم حكومته ومناقشة الامير فيصل معه لبعض النقاط :

جاء من سمو الامير فيصل ان الوزير البريطاني زاره وسلمه المذكرة الاتية :

اتشرف بان احيط سموكم الملكي علما بأنني لم اتأخر في تبليغ حكومتي بالآراء التي تفضل صاحب الجلالة وابداها عن الحالة في العراق في البرقية التي تلاها على الشيخ يوسف ياسين اثناء زيارته الاخيرة لجدة وتلقيت الان من حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالمملكة المتحدة الاجابة الاتية :

ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية ممنونة لما ورد في رسالة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز من دليل الوئام والصداقة وانها تقدر كيف جلالته يفهم خلق العرب فهما جيدا . كما وانها تقدر كم يكون من الصعب على جلالته ان يعتقد بان اي عربي في مركز ذي مسئولية كالذي يشغله وزراء العراق يوجه جهوده نحو العمل ضد المصالح البريطانية في الوقت الحاضر . ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية نفسها كانت من زمن بعيد لا تستطيع الاعتقاد بان رشيد عالي جدير بمثل هذا العمل ولكن جاءت المعلومات في بضع الاسابيع الماضية متوالية باطراد بهذا المعنى . ولا يمكن ان يكون الان مجالا ولا مكان الشك بخطة رشيد عالي وسياسته . وفي الواقع فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية اضطرت ان تصل في النهاية الى نتيجة قطعية وهي بأنه يستحيل عليها ان يكون لها اي ثقة في رشيد عالي في المستقبل . وبينما ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية ممنونة غاية الامتنان لما عرضه صاحب الجلالة الملك عبد العزيز من جهة العمل على ايجاد حال التفاهم بينها وبين رئيس الوزارة العراقية فان الحالة هذه تخشى من ان المسألة قد تعدت الدرجة التي تكون النصيحة فيها وهي

آتية حتى من صاحب الجلالة تنتج تغييرا حقيقا في خطة رشيد عالي . ومع هذا فانها تكون مسرورة جدا اذا كان صاحب الجلالة يستطيع استعمال نفوذه العظيم في العراق ليؤكد ان اهمية التعاون بين البريطانيين والعرب معترف بها بحالة اوسع في تلك البلاد. وتدرك حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان مقدارا عظيما من الدعاية ضد بريطانيا في العراق قد تنشر لاغراض سياسية داخلية ولكنها مع ذلك تشعر انه يكون من الافضل من كل الوجوه ان مثل هذه الدعايات والحركات الاكثر خطورة يشكل من هذا القبيل ينبغي مقاومتها بشدة من قبل المسئولين بصفة خاصة عن قيادة الرأي العام العراقي .

وقال : ارجو ان يكون المفهوم من المذكرة ان الحكومة البريطانيه تقدر بكل ممنونية اراء صاحب الجلالة وتتمنى لو تكرم جلالته باداء النصائح لرشيد عالي لتحسين خطته تجاه بريطانيا . فقلت له انكم تعلمون بلا شك خطة صاحب الجلالة وان جلالته ما كان يترك فرصة اومناسبة الا وينتهزها لاسداء النصائح اللازمة للعراقيين وغيرهم من العرب ويحضهم على الوفاء وحسن التفاهم مع بريطانيا . ونحن لم يظهر لنا من رشيد عالي ان له نوايا مسيئة او معاكسة لبريطانيا ولكن تعلمون حالة العراق سواء من جهة الشعب اومن جهة الجيش . . . ان الذي يكون مسئولا لابد له ان يداري الامور بحكمة ، فقال هذا صحيح ولكن الذي يكون مسئولا اما ان يكون قادرا على قيادة الرأي العام وتسييره او يكون عاجزا فان كانت الاولى فنحن نعتبر جميع ما يحدث في العراق من دعايات ضدنا مرجعها الحكومة والمسئول عنها الرئيس . فان كانت الثانية فلا يصح ان انسانا عاجزا يضطلع بمسئوليات الحكم . فقلت له اني ارجو ان تنسير الاحوال كما يرام وان ينتهي سوء التفاهم الحاضر بما يتفق مع مصالح الطرفين .

رد الكيـــــلاني

وقد رد رشيد عالي الكيلاني على رسالة الملك عبد العزيز وملحقاتها بالرسالة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

بغداد ١٠ ذي الحجة ١٣٥٩

ملحق خير وسرور ان شاء الله . . .

لابد لي ان اكرر جزيل شكري واؤيد اخلاصي وولائي هنا ايضا على ما اظهرتموه جلالتكم من العطف واللطف العميمين ، نصيحة جلالتكم للحكومة البريطانية بشأن موقفها من العراق.ومن شخص الداعي .

مولاي لقد قرأت بمزيد الغبطة والسرور مساعي جلالتكم والكتب المتبادلة في هذا الموضوع واني تلقيت نصائحكم لي كدروس ثمينة يجب علي حفظها في قلبي . وأني لا اختلف اصلا عن جميع ما جاء فيها ، واؤيد كل التأييد ما ابديتموه للحكومة البريطانية في جواب جلالتكم الاخ المحروس سمو الامير فيصل الكريم عن أرائي وعقيدتي بالصداقة البريطانية وتمسكي بالمعاهدة المعقودة بين العراق وبين بريطانيا . وكم أصاب الانكليز كبد الحقيقة عند قولهم أنها « أي بريطانيا » تقدر كيف جلالته أي جلالتكم يفهم خلق العرب فهما جيدا كما انهم أخطأوا في قولهم « فان الحالة هذه تخشى من ان المسألة قد تعدت الدرجة التي تكون النصيحة فيها وهي آتية حتى من صاحب الجلالة تنتج تغييرا حقيقيا في خطة رشيد عالي . . . هذا لانهم يا مولاي وسطوا الحكومتين الامريكية والتركية في امر ازالة سوء التفاهم بينهم وبيننا ولم تنجح ذلك نتيجة ترضيهم لأن الامريكي والتركي لا يستطيعان فهم خلق العرب فهما صحيحا لاسيما موقف الحكومتين الامريكية والتركية ازاء العرب معروف لدى كل عربي . فالانكليز يجب ان يفهموا ويجب ان لا يعتبوا . . . وأما وساطة جلالتكم او نصيحة جلالتكم فان العراق ، وهي بلد عربي ، تعترف بها لجلالتكم من حق في اسداء النصح لرجالها حيث تعتقد بأن جلالتكم تعملون لمصلحة البلدين الذين تجمعها الغاية الواحدة والمصلحة الواحدة . . وتنظرون للعراق ومصالحه نظركم لمصالح الرياض وأهله . لأن أحد افراد العراق ولأن رشيد عالي المتمتع بثقة جلالتكم الثمينة والمفتخر بولائه واخلاصه لجلالتكم والمقعد بحبكم لشخصه ولخيره يضطره اخلاصه وصدق ايمانه بجلالتكم الى ان يقدر نصائح جلالتكم ويعطيها حقها ويضعها موضع الاطاعة والاحترام . . ولهذا يا مولاي فان الانكليز

اخطأوا كثيرا فيما جاء في اجابتهم من قولهم « فان والحالة هذه نخشى من ان المسألة قد تعقدت الى الدرجة التي تكون النصيحة فيها وهي آتية حتى من صاحب الجلالة تنتج تغييرا حقيقيا في خطة رشيد عالي ... فيفهم من هذا قولهم يا مولاي انهم معاشرتهم العرب سنين طوال لم يتمكنوا من فهم حقيقة روحية العرب ولا من فهم مبلغ تأثير كلام ملوكهم الصالحين على ابناء جنسهم وخاصة المخلصين الصادقين لهم . فكيف يسوغ لرشيد عالي بعد ان يعتقد كل الاعتقاد باخلاص جلالتكم للبلاد العربية وبحكمه الشديد لشخصه الحقير ان يتردد في الاطاعة الى نصحكم بل الى اوامركم .. واني اذا استغربت يا مولاي من شيء في اجابة الحكومة البريطانية فاستغرب من قولهم بان خطة رشيد عالي هي العمل ضد المصالح البريطانية في وقت أني منذ تسلمي الحكم حتى الان ابذل كل مجهودي لاطبق احكام المعاهدة نصا وروحا واسعى جهدي لتوثيق عرى الصداقة بيننا وبينهم ، وها ان حكومتي قررت منذ اشهر عديدة الاجازة تنفيذا لاحكام المعاهدة بمرور الجيش البريطاني واجهزته الواردة من الهند عبر العراق وتحديد الطريق البري من حيفا ـ شرق الاردن ـ الى العراق وتمديد سكة الحديد من البصرة الى الزبير . ثم ان حكومتي قائمة بواجبها في امر محافظة المصالح البريطانية المشتركة معنا وهي آبار النفط وانابيبها وقواعد الطيران (سن الذبان والشعبية) واننا محترمون للبريطانيين هنا ـ من موظفين لدينا وغيرهم ـ حقوقهم وحرياتهم لن نمسها بشيء ولم يطلبوا اي بند غير ذلك في المعاهدة ونحن تأخرنا او ترددنا في الاسراع بتنفيذه ، فبعد هذا كله ما أدري من أين استدلوا بأني اعمل ضد مصالح بريطانيا . فاذا كان قد استدلوا : ذلك من عدم قطعنا العلائق السياسية مع ايطاليا فيمكن ان اطمن جلالتكم ان المعاهدة لا تقضي علينا بقطع اي علاقة مع اية دولة تعلن انكلترا الحرب عليها او هي تعلن الحرب على انكلترا . وهذا امر معترف به لدى الحكومة البريطانية ايضا . واذا كان قد استدلوا على ذلك من توهمهم بأن المانيا تريد ان تتقدم بطلب الى الحكومة العراقية لاعادة المناسبات السياسية فهذا وهم لم يكن له أثر من الحقيقة .. وهو قد القى في اذهانهم من قبل من يريد ان يصطاد في الماء العكر سواء كانوا من قبل الاجانب او الوطني . واذا كان قد استدلوا على ذلك من بعض المقالات التي تنشر في الصحف . فيجب ان لا يعطوها هذه الاهمية فضلا عن انه يجب ان يراعوا الشعور العام بدرجة لم يأت أي ضرر جوهري في ذلك لهم ... على اننا متنبهون لما باننا لن نسمح باي نشرة أو مقال يضر مصالحهم الجوهرية .

مولاي . . . اني غريق لطفكم على ما حملتموني موضع ثقتكم واسراركم واني اعتبر جلالتكم والدا كريما لي فاسمحوا لي اذا بان اعرض على مسامع جلالتكم العوامل الباعثة لتكوين تلك العقيدة الخاطئة بحقي لدى الحكومة البريطانية :

● اولا : لكوني مقتفيا اثر جلالتكم بالصراحة في القول وبالجد في العمل ، واني عندما تكلمت مع السفير البريطاني هنا عن قضية البلاد العربية ـ فلسطين وسورية ـ كنت صريحا وواضحا في آرائي وفي مناقشاتي . وهذه صراحتي لم يتعودها لا هو ولا من قبله لأن اخلاقي ـ ما عدا المغفور له ياسين باشا الهاشمي والذي كان الانكليز يتهمونه ـ خطأً ، كما يتهمونني بانه ضد مصالحهم الى ان تغمده الله برحمته ـ لم يعودوه اياها ولا عودوا غيره اياها من السفراء ـ وقد استغل السفير ذلك وبدأت اشعر منه برودة منذ مدة وانقطت من البحث في هذا الموضوع معه بعد ان فهمت منه ومن غيره من ساسة الانكليز ، أن لا أمل من الانكليز لحل قضية فلسطين وسوريا .

● ثانيا : تصرف السفير الشخصي ، فانه عصبي المزاج ليس له وقوف على القضايا التي تخص العراق خاصة والبلاد العربية عامة . وهو بخلاف ما معروف عن الانكليز ، فانه يسمع قول كل قائل ويصدق به بدون تمحيص وهو بعيد جدا من فهم روحية ابناء البلاد ، فضلا عن انه يحيط به السكرتير الشرقي المستر هولد متطبع على روح الاستعمار ويريد ان يعود اي سفير ، لاسيما اذا كان مثل السفير الحاضر ، على بسط السيطرة والنفوذ على العراق وعلى اذلال رجاله المخلصين وهو صار له مدة تزيد على العشرين سنة ، اي منذ احتلال الجيش البريطاني للبلاد وكان مستخدما لدى المندوبين الساميين هنا ويتعلم منهم تعجرف المستعمرين المحليين . . . ثم يحيط به ملحق صحافي اسمه المستر مين وهو يهودي صهيوني له تأليف مطبوع ضد العراق والعرب والمستر لوكن مستشار وزارة الاشغال الذي ابعدناه من ئالة مديرية السكك الحديدية لعدم قابليته فيها .

ثالثا : دس الدساسين الذي لا دين لهم الا بث الفساد كنوري باشا ، وهو مسجل لديهم ديفهم الحميم ويعتمدون عليه وكل ما يقوله لهم يصدقونه بلا تردد . . . وقد حدث ما ننا حسب ما تعلمون على ما اظن في قضايا تخص البلدين فنوري باشا لا يريد ان يبقى

اي شخص يمكن للانكليز ان يعتمدوا عليه كافة . يريد احتكار صداقتهم واعتمادهم ثم يوجد اشخاص اخرون على شاكلته فوشوا بنا عند السفير العصبي المزاج البسيط الفهم لروحية ابناء البلاد .

واما مسموعاتهم عني بأني قد اصدق ما يذيعه خصومهم فاني يا مولاي لست بالرجل البسيط الادراك حتى اصدق كل ما يذاع وامامنا لاذاعة خلافاتنا بل وعودهم المكتوبة بشأن فلسطين . وغلط كل الغلط ما سمعوه بأني اميل الى خصومهم فلماذا يا مولاي أن أميل لخصومهم وعلى أي سبب وما لنا وهؤلاء . حيث أن الانكليز ، أي السفير ، قال بأن الالمان سيتقدمون بطلب اعادة المناسبات السياسية معنا وقد ثبت لديهم إخيرا ان ما سمعوه بهذا الشأن لا صحة له البتة وقيسوا يا مولاي مسموعاتهم الاخرى . اني مستغرب لماذا تسرعوا في الحكم علي بأني ضد مصالحهم . . . ثقوا يا مولاي اني نفذت المعاهدة فعلا بكل اخلاص وامانة . وقد صرحت علنا بذلك قبل كام يوم في لجنة الشئون الخارجية في مجلس النواب . ولازلت متمسكا باحكامها ومنفذها نصوصها . ويمكنكم يا مولاي ان تثقوا بان هذه هي عقيدتي سواء كنت في الحكم او خارجه لاني معتقد ان مصلحة بلادنا والبلاد العربية مربوطة بالصداقة معهم ان صدقوا بهذه عقيدتي او لم يصدقوا بها فاني سائر عليها .

اني كنت اثبت لهم ان شعور الاستياء الذين يتشكون منه هنا لم ينشأ عن وجود اشخاص في الوزارة بل عن اسباب وطنية قومية يعود امر ازالتها اليهم وهي قضية فلسطين بالدرجة الاولى . وقضايا طفيفة اخرى داخلية . اذا بماذا استطيع ان اكافح الشعور الوطني او القومي ؟ ان الناس يا مولاي بدأوا لا يصدقون رجال الحكم بالاقوال الفارغة . . . هذا نوري السعيد كان رئيسا للوزارة وكان يخطب بالاذاعة كل شهر لمكافحة الدعاية ضدهم ولكن زاد في الطين بلة . . وهذا المدفعي لما كان رئيسا للوزارة منه اي اجتماع لاظهار الشعور الوطني والقومي وحبس تلامذة مدارس البصرة لقيامهم بمظاهرة في سبيل شعورهم القومي فماذا كانت النتيجة ؟ سقوط المدفعي من الحكم . . .

ومع هذا يا مولاي فاني لازلت اعالج هذه الدعاية على قدر المستطاع بالطرق المعقولة والتي لا تحدث انفجارا في الشعوب وصفوفه . . . واطمئن جلالتكم اني سائر مع الانكليز بروح صداقة صادقة واني لمنتظر امر جلالتكم بهذا الشأن . . . وكيف تحبون وتفرضون علي هذا

الخادم المطيع فاني على استعداد تام لامر جلالتكم لعقيدتي التامة بان جلالتكم تريدون مصلحة البلاد العربية عامة والعراق خاصة بهذا الشأن وتحبون شخصي وتريدون الخير له فامروا يا مولاي .



● الملك عبد العزيز آل سعود ـ آذار ـ مارت ١٩١٠ في الكويت .



.. وقامت الحـــــرب

راء زائدة حولت الدولة المتاحبة الى متحاربة

الى جانب تجاوبه مع وساطة الملك عبد العزيز التي لم تحقق اهدافها بسبب اصرار بريطانيا على غزو العراق ، كان الكيلاني قد ارسل وفدين واحدا برئاسة ناجي السويدي توجه الى السعودية والاخر برئاسة ناجي شوكت وزير الدفاع وهو رئيس وزراء سابق وتوجه الى تركيا ، وذلك بهدف توسيط السعودية وتركيا لدى بريطانيا لاقناعها بالتزام حكومة الدفاع الوطني بمعاهدة ١٩٣٠ وعدم لجوء بريطانيا الى استخدام القوة واللجوء الى شن الحرب على العراق . وهو ذات الموقف الذي سبق ان التزمت به حكومة رشيد عالي الكيلاني الثالثة التي قاطعها الوصي واضطرها الى الاستقالة في ١٩٤١/١/٣١ مفجرا بذلك الخلاف مع القوى القومية في العراق .

وكانت حكومة الكيلاني الثالثة قد اتهمت من قبل الانكليز وعملائهم بذات التهم التي اطلقت على حكومةا لدفاع الوطني حيث شكك بوجود علاقات سرية بينها وبين المانيا على حساب بريطانيا . وهي الاتهامات التي اطلقت من موقع رفض حياد العراق في الحرب العالمية الثانية الذي قرره رشيد عالي الكيلاني وكل القوميين في العراق الذين رفضوا تسخير امكانات بلادهم لصالح المجهود الحربي البريطاني . ويتضح من خلال رسالتين متبادلتين بين حسين سري باشا رئيس وزراء مصر في نهاية سنة ١٩٤٠ ورشيد عالي الكيلاني رئيس وزراء العراق في ذلك الوقت ان موقف الكيلاني الملتزم بمعاهدة التحالف لعام ١٩٣٠ من موقع تقديره للظروف والتزامه بالحياد في الحرب ظل ثابتا على الدوام ، وان هذا الموقف لم

تصنعه الحشودات البريطانية لغزو العراق كما حاولت بريطانيا ان تقول لتبرير اصرارها عل
ارتكاب هذا الغزو .

سياسة الكيـــــلاني

ففي ٢١ ديسمبر ١٩٤٠ حدد السيد رشيد عالي الكيلاني سياسة حكومته الخارجية ام
اللجنة المالية في مجلس الامة العراقي على النحو التالي : -

اولا - المحافظة على سلامة البلاد وعدم توريطها في اي عمل من شأنه ان يجرها الى شرور هذه الحرب وبذل اقصى الجهود في سبيل استمرار الهدوء الذي تتمتع به البلاد بالرغم من وجود هذه المعركة الدولية الهائلة ليتمكن ابناء الشعب من الدوام في اعمالهم المثمرة والمفيدة لهم ولمجتمعهم ومن تهيئة كل قواهم لخدمة وطنهم والذود عن كيانه فيما اذا اراد ان يمسه احد .

ثانيا - الاستمرار في اداء الرسالة القومية التي اخذ العراق على عاتقه تحقيقها.لاسيما وان العراق- وهو من الدول العربية التي تمتعت بنعمة الاستقلال في وضع يستطيع التعبيرمعه عن تلك الاماني القومية وملاحقتها .

ثالثا - القيام بتعهداتنا الدولية كمعاهدة الحلف العربي ، وميثاق عدم الاعتداء الذي يربطنا بجيراننا . واما علاقتنا مع حليفتنا بريطانيا العظمى ، فهي مبنية على معاهدة التحالف المنعقدة بيننا . ونحن كنا وما زلنا متمسكين بتنفيذها نصا وروحا ، ودائبين على توثيق عرى الصداقة بيننا على اساس المنافع المتبادلة ، كما ان علاقاتنا الودية سائرة في ازدياد مع الدول المتحابة لنا .

ويبدو ان بعض الصحف قد وقعت في خطأ مطبعي جعلها تنشر الفقرة الاخيرة كما هي ولكنها انهتها على النحو التالي « كما ان علاقاتنا الودية سائرة في ازدياد مع الدول المتحاربة » « بدلا من المتحابة » مما جعل حسين سري باشا رئيس وزراء مصر يبعث بالرسالة التالية للكيلاني وهي مؤرخة في ١٩٤٠/١٢/٢٨ .

عزيزي فخامة رشيد عالي بك ...

أقرئكم اطيب السلام ... وبعد فقد قرأت في الجرائد اليومية خبرا عن تصريحات القيتموها في اللجنة المالية في مجلس النواب العراقي عن سياسة العراق الخارجية ، وليس من

شأني بصفتي رئيس حكومة مصر ان اتدخل في امر تعده حكومة العراق من امور سياستها الخاصة ، ولقد جرت بين صديقي رفعة على ماهر باشا وفخامة نوري السعيد باشا في مصر احاديث عن حلف عربي يشترك فيه العراق ومصر وكان يقدر استئناف المفاوضة فيه هذا العام ، ولكني اذ اعرض لامر تصريحات فخامتكم لا اريد ان اتحدث عن مراميها او اثرها من هذه الناحية ، وانما هي الاخوة في الاسلام والمودة التي لم تزل ولن تزال تربط بين البلدين ، والتشابه بين مركز البلدين نحو بريطانيا العظمى ، التي تدفعني لان اناجيكم في هذا الشأن .

وقد استوقف نظري في بيان الاسس التي تقوم عليها سياسة العراق الخارجية الاشارة الى ازدياد توثق علاقات العراق الودية مع الدول الاخرى المتحاربة (بعد حديث عن علاقاته مع حليفته بريطانيا العظمى وعن عمل العراق على تنفيذ معاهدة التحالف بين البلدين نصا وروحا ودأبه على توثيق عرى الصداقة معها على اساس المنافع المتبادلة) .

ولقد اعلم ان العراق قطع علاقاته السياسية مع المانيا دون ايطاليا ولا ادري اذا كانت الاشارة ترمي الى امكان اعادة تلك العلاقات سيرتها السابقة ولكن الذي يتبادر للنظر هو ان الملحوظ بالاشارة ايطاليا التي بقى وزيرها المفوض في بغداد وان يكن البلدان سواسية في خصومتها مع بريطانيا تلك الخصومة التي سوغت قطع العلاقات السياسية مع الاولى .

وايطاليا جارة مصر بطرابلس من ناحية الغرب وينتظم شواطىء البلدين البحر الابيض المتوسط وكان بينهما علاقات عمرانية واقتصادية كبيرة ، ومصر تعلم وتحس الشيء الكثير عن سياسة ايطاليا في الشرق .

ولا ادلكم على جديد اذا ذكرت ان مستقبل المدنية اذا ظفرت ايطاليا وصاحبتها مكفهر وان امل الامم الصغرى كمصر والعراق ، الاحتفاظ بشخصيتها واستقلالها وهما ظافران يحوطه الشك الشديد

ولقد اتبين ضرورة الحذر والحرص على المسالمة وان كنت اعلم ان حظ ايطاليا من النصر لا يكاد يعمل له حساب بعد الذي تبين من انهيار القوة المعنوية في جيشها ولكن عدم اكتفائكم بعموم الاشارة الى الدول الاخرى وتخصيص المتحاربة بالذكر اشكل علي ، فان مصر والعراق شأنهما واحد من حيث المحالفة مع بريطانيا ومن حيث التزامهما بتقديم المساعدة

والتسهيلات . . ولعلكم تقدرون ان ابعد ما يخطر ببال مصر ان تعمل حكومتها على توثيق عرى الصداقة مع ايطاليا وهي تقاتل بريطانيا في ارضها ولكن تشابه ما اخذته مصر والعراق على نفسيهما من التعهدات حين تكون بريطانيا في حرب تجعل من المفيد لمصر في تعرف موقفها ورسم خطاها ان تتبين كيف امكن التوفيق بين تلك التعهدات لبريطانيا والعمل على توثيق الصداقة مع دولة تحاربها ، وان لمصر كما للعراق في ذمة بريطانيا حقوقا تريد ان تقتضيها وعليها قيودا ليس احب اليها من الفك منها ولكنها توقن بان تحقيق ذلك ايسر واهون مع بريطانيا ظافرة منتصرة منه مع انتصار الاوتوقراطية التي لن تبقى على حرية او استقلال ، وهي لذلك تحاور في فهم تشيع الصحف العراقية الظاهرة لدولتي المحور .

ولولا انني اعلم انكم تكنون لمصر مثل الصداقة التي تكنها لكم واني اثق بنافذ نظركم وحسن قدركم الامور لما ابحت لنفسي ان افضي اليكم بما همس في نفسي ودار بخاطري ، واني لاثق على اي حال بانكم لن تروا في هذا التبسيط عليكم غير وحي الاخوة التي تجمعنا ورغبة الخير والرفاهية لبلادنا والطمع في تبادل النظر ومداولة الرأي في امور نشترك في الاهتمام بها والتأثر باثارها .

ولفخامتكم مني اصدق التحيات واطيب التمنيات . .

رد الكيـــــــلاني

وقد رد عليه الكيلاني بالرسالة الجوابية التالية المؤرخة في ١٩٤١/١/٣ . .

عزيزي دولة حسني سري باشا .

تحية واحتراما فائقا وبعد فقد تناولت بمزيد السرور رسالتكم الكريمة المؤرخة ١٨ كانون اول ١٩٤٠ المعبرة عن ارائكم بشأن التصريح الذي ادليت به في اللجنة المالية لمجلس النواب العراقي عن سياسة العراق الخارجية وعن موقف مصر والعراق من هذه الحرب العالمية ، واني لاقدر كل التقدير شعوركم النبيل بمداولة الرأي بيننا في امور نشترك في الاهتمام بها والتأثر بآثارها . ولا شك ان ما يربط مصر والعراق من روابط الاسلام والعروبة وما تستهدفانه من غاية مشتركة وما تكنون دولتكم من حب لخير العراق ورفاه اهله مما يبرر لنا التبادل في الرأي لاسيما في مثل هذه الظروف العصيبة ، هذا وارجو أن تثقوا بان ما ساعرضه في هذا الشأن

منبعث من عين الشعور .

ان اول ما استوقف نظري في كتابكم الكريم العبارة الواردة فيه عن تصريحي وهي « . . . مع الدول الاخرى المتحاربة » لان العبارة الصحيحة التي أوردتها امام اللجنة المالية السياسية وسجلت في محضرها واقتبستها منه جميع صحف العراق ونشرتها بدون اختلاف هي « . . مع الدول الاخرى (المتحابة) لا (المتحاربة) ومما لا ريب فيه ان اول دولة قصدتها من هذه العبارة « الدولة المصرية » التي تربطنا واياها روابط ود واخاء تزداد ولحسن الحظ وثوقا يوما فيوم . . . فاذا اتضح هذا لدولتكم فاظن ان يزول ما علق بالذهن من اشكال واحتمالات ناشئة من تلك العبارة المغلوطة التي يظهر ان الجرائد هناك نشرتها بدون التأكد من صحتها . . . ثم اني اتفق تماما مع دولتكم في ضرورة الحذر والحرص على المسالمة والتجنب من اي عمل من شأنه ان يورط البلاد الى ما يخل بذلك .

واما علاقاتنا مع حليفتنا بريطانيا العظمى فانها مؤسسة ـ كما تعلمون ـ على معاهدة التحالف وان الحكومات العراقية وخاصة الحاضرة منها قد قامت وما زالت تقوم بتنفيذها بكل امانة واخلاص . وعاملة جهدها في تقديم كل مساعدة تقضي بها احكام المعاهدة من حيث النص والروح . لاننا موقنون ايضا بان الوصول الى تحقيق اماني مصر والعراق وسائر البلاد العربية سيكون ايسر واسهل بالتفاهم مع حليفتنا . ولذا ، نرى من المصلحة العامة ان لا نفسح المجال للصحف بان تشايع اية دولة معادية وان صحف العراق سائرة على ذلك .

واما الحديث الذي اشرتم دولتكم الى انه كان قد سبق ان جرى بين صديقنا رفعة علي ماهر باشا وفخامة نوري باشا السعيد بشأن حلف عربي تشترك فيه مصر والعراق فاننا ما زلنا محبذين له ومنتظرين الاشارة من دولتكم لاستئناف المفاوضة بشأنه .

وبالختام اكرر عظيم امتناني وجزيل شكري لفخامتكم على ما اظهرتموه من عواطف الاخوة نحونا ، وما اتحتموه لي من هذه الفرصة السعيدة لان اوضح حقيقة مرامي تصريحي عن سياسة العراق الخارجية الذي دفعتكم بلا شك الروابط الاخوية الى الاهتمام به ولان اؤيد ارتباطنا الصميمي بالشقيقة مصر العزيزة وابث تمنياتنا القلبية لرفاه ابنائها ، ولان ازيل ما همس في نفس دولتكم من شك في نواياها الحسنة نحو حليفتنا بريطانيا العظمى . هذا وارجوقبول اطيب تحياتي وفائق احتراماتي » .

لقد اوردت الرسالتين المتبادلتين بين الرئيسين الكيلاني وحسين سري باشا لاكثر من سبب . . ولعل احد هذه الاسباب يتجسد في « الحرص » البارز الذي جلب اهتمام الدوائر المصرية الدقيق في متابعة اعمال الاقطار العربية الشقيقة ذات المصالح القومية المتبادلة في ظل الاستعمار البريطاني المباشر ، وفي ما جاء بمضمون الرسالتين من تعبير يعكس ماذهبنا اليه . . في وقت نحن احوج ما نكون للارتقاء بالدبلوماسية العربية . وبخاصة في مثل هذه الظروف التي يعيشها وطننا الكبير وامتنا العربية التي راحت « الدبلوماسية العالمية » تضغط بكل الوسائل الهدامة للنيل منها ! ؟

عـــودة سفـــير هتلـــر

والواقع ان رشيد عالي الكيلاني رغم انه لم يكن موافقا على قطع حكومة نوري السعيد لعلاقات العراق مع المانيا الهتلرية بناء على طلب السفير البريطاني في بغداد السير بازل نيوتن الذي زار وزير خارجية العراق علي جودة الايوبي بعد ان اعلنت بريطانيا الحرب في الثالث من سبتمبر ١٩٣٩ وبين له ان حكومته تطلب من العراق ان يقطع علاقاته مع المانيا ويعلن الحرب عليها . فدعا نوري السعيد وزراءه لعقد جلسة خاصة برئاسة الوصي عبد الاله في الخامس من أيلول ١٩٣٩ للمداولة في الوضع الدولي ، وما عرضه السفير البريطاني . واقترح نوري السعيد ان يبادر العراق الى قطع العلاقات مع المانيا ، ويعلن الحرب عليها ليبرهن على شدة تمسكه بمعاهدة التحالف القائمة بينه وبين بريطانيا . وقد اعترض على هذا الاقتراح في حينه محمود صبحي الدفتري وزير العدل والعميد الركن طه الهاشمي وزير الدفاع . . ورغم موقف رشيد عالي الرافض لقطع العلاقات مع المانيا فانه لم يقرر اعادة العلاقات معها حين شكل حكومته الثالثة التي خلفت حكومة السعيد ولا فعل ذلك فور تشكيله لحكومة الدفاع الوطني ، بل انه فعل ذلك بعد ان بدأت القوات البريطانية عملياتها الحربية ضد القوات العراقية في الثاني من مايو ١٩٤١ . وهو القرار الذي شمل ايضا تأسيس علاقات سياسية مع الاتحاد السوفييتي ايضا . وهذا ما اوضحه الكتاب رقم ١٨٣٣ المؤرخ في ١٩٤١/٥/٢ والموجه من سكرتير مجلس الوزراء الى وزارة الخارجية العراقية . وفيما يلي نصه ؛

سري للغاية

وزارة الخارجية

امرت ان أبلغكم ان مجلس الوزراء اجتمع في دار فخامة وزير المالية في الساعة الثامنة والنصف زوالية قبل الظهر وقرر ما يأتي :

١ ـ ارسال جواب من وزارتكم الى السفارة البريطانية على مذكراتها المؤرخة في ٢ مايس (مايو) الموجهة الى فخامة رئيس الوزراء يبين فيه احتجاج الحكومة العراقية على اعتداء القوة البريطانية في الحبانية على قواتنا المرابطة حولها وتحمل المسئولية على عاتق بريطانيا ما يحدث من نتائج .

٢ ـ طلب ممثل سياسي الماني الى بغداد باسرع ما يمكن .

٣ ـ تأسيس علاقات سياسية مع روسيا السوفيتية .

٤ ـ نشر بيان من قبل فخامة رئيس الوزراء يتضمن ايضاح الاعتداء البريطاني الواقع من قبل جيشهم في الحبانية على قواتنا الوطنية ومقاتلتها .

وقد ذيل هذا الكتاب بموافقة وتوقيع الوصي على العرش .

وساطة مصر بين بريطانيا والكيلاني .. لم تنجح

نـــــوري يتحـــرك

نعود الان الى الوفدين اللذين ارسلهما الكيلاني الى كل من السعودية وتركيا . عندما علم نوري السعيد الذي كان في القدس بامر الوفدين خشي ان تؤدي ، خاصة الوساطة السعودية ، الى اتفاق بين رشيد عالي والانكليز وأن يعترف الانكليز بالوضع الجديد فيخسر هووعبد الاله كل شيء . وكان مما يزيد من قلق ومخاوف نوري السعيد انه بلغه في ذلك الوقت - كما روى لي رشيد عالي ـ ان مهمة الوفد الذي ارسل الى السعودية لم تكن بهدف توسيط

السعودية مع بريطانيا ولكن بهدف ترشيح أحد ابناء الملك عبد العزيز آل سعود وهو الامير خالد الذي أصبح ملكا للسعودية فيها بعد ليصبح ملكا على العراق . وحين بلغ نوري السعيد ذلك لم يجد حرجا في ان يتصل مع العصابات الصهيونية في فلسطين والعمل على توسيطها لدى الانكليز للحيلولة دون الاتفاق مع حكومة الكيلاني والتعجيل في اتخاذ قرار غزو العراق . ومن اجل هذه الغاية اجتمع مع موشي شاريت ودوف يوسف من قادة العصابات الصهيونية ، وتم ترتيب هذه اللقاءات بوساطة الياهو ساسون الذي قال في حديث نشر بعد قيام الكيان الصهيوني في فلسطين : « كان نوري السعيد وجماعته - عبد الاله ، جميل المدفعي ، علي جودت الايوبي - على استعداد للوعد بكل شيء مقابل وقوف الصهيونية الى جانبهم ومنع حدوث مصالحة بين الانكليز ورشيد عالي الكيلاني » .

وحكاية ترشيح احد ابناء الملك عبد العزيز لتولي العرش في العراق أو سوريا كانت قد اخذت دورا في الاتصالات الدبلوماسية بين بعض الاطراف المهتمة برسم خارطة المنطقة في سنة ١٩٤١ كما يتضح من نص الرسالة التالية التي تركها رشيد عالي الكيلاني ضمن وثائقه وهي مؤرخة في ٣ اغسطس ١٩٤٠ وموجهة من وزير الخارجية العراقي الى رئاسة الديوان الملكي وسكرتارية مجلس الوزراء ووزارة الدفاع . وهذا نص الرسالة :

« ابرقت الينا المفوضية العراقية في فيشي بتاريخ ١٩٤٠/٨/٢ بانها علمت من مصدر رسمي ان سفير تركيا زار وزارة الخارجية الفرنسية قبل ذلك التاريخ بأربعة ايام واخبرها بان تركيا لا ترتاح لاعلان استقلال سوريا في الاونة الحاضرة وانها تحبذ بقاء الحالة الراهنة فيها حتى نهاية الحرب . واخبرتنا ايضا بان الملك عبد العزيز السعود أيد مؤخرا مساعي العراق بخصوص سوريا مع ترشيح احد أنجالها لعرشها . وأن فرنسا مبدئيا لا تميل الى السعوديين وامير شرق الاردن . وجاء في البرقية ايضا انه يشاع بأن روسيا مقبلة على غزو ايران قبل القيام بعمل آخر في الشرق وان الوزارة الفرنسية على وشك السقوط لادخال عناصر أكثر ميلا لألمانيا وايطاليا وأشد عدوانا لرجال الحكم السابق وبريطانيا واليهود » .

والواقع ان الكيلاني لم يكن قد طلب مثل هذا الطلب من الملك عبد العزيز . وقد قال لي انه لو كان قد فكر فعلا بتعيين ملك جديد لعين ملكا من العراق .

اتصـــالات مع الصهاينـــة

ولكن نوري السعيد اراد أن يصدق ما بلغه فسارع الى الاتصال مع عصابة الارجون تسفاي لؤومي الصهيونية التي كان يتزعمها الارهابي اسحاق ابن تسفاي الذي قتل في الحبانية في منتصف شهر مايو ١٩٤١ حيث شارك على رأس قوات من منظمته في القتال الى جانب القوات البريطانية ، وبعضها هندية واسترالية وقوات كلوب في معركة اعادة عبد الاله ونوري السعيد . وكان يرافق اسحاق في هذه المعركة مناحيم بيغن الذي كان من قادة هذه المنظمة الصهيونية في ذلك الوقت حيث كان نائبا لاسحاق ابن تسفاي وتولى قيادة المنظمة بعد مقتله . وكان اشتراك قوات من هذه المنظمة في القتال ضد العراق يهدف في الواقع الى اختطاف الحاج أمين الحسيني الذي كان يقيم في بغداد هاربا من قوات الانتداب البريطانية في فلسطين . وكذلك رشيد عالي الكيلاني . . ومن خلال اسحاق ابن تسفاي ومناحيم بيغن نجح نوري السعيد في اقتناع الانكليز بالتعجيل في غزو العراق . وقد ساعد على اقناع الانكليز بذلك فشل سفيرهم في الحصول من رشيد عالي على التنازلات التي كانوا يريدونها . اما عبد الاله فكان مجرد صفر الى يسار نوري السعيد طوال الوقت .

وكان الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين قد وصل الى بغداد عن طريق بيروت التي ذهب اليها هاربا من فلسطين بعد ان اصدرت السلطات البريطانية امرا بالقاء القبض عليه بعد ثورة ١٩٣٦ . وقد رحبت به بغداد ورشيد عالي الكيلاني على وجه الخصوص الذي ربطته به امتن العلاقات وقد وصل الحاج امين الى بغداد في ١٥ / ١٠ / ١٩٣٩(*) .

عـــلاقـــة قـــويـــة

ويعود سبب العلاقات القوية بين المفتي ورشيد عالي الى أن الحكومة العراقية سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ برئاسة ياسين باشا الهاشمي قررت مناصرة الثورة في فلسطين وخصصت لهذا الغرض ١٠ آلاف دينارشهريا كما فتحت المجال أمام العراقيين للتطوع للقتال في صفوف الثورة الفلسطينية وكان يوجد في العراق في ذلك الوقت مكاتب لنصرة فلسطين . ومما قوى

(*) عوني جدوع العبيدي - صفحات في حياة الحاج امين الحسيني - ص ١١٨ مكتبة المنار - الاردن - الزرقاء . ١٩٨٥ .

العلاقة أكثر بين رشيد عالي والحاج أمين ان الكيلاني رفض طلب السفير البريطاني ابعاد الحاج أمين وجماعته من العراق كما اسلفنا . وقد توطدت العلاقات بين الرجلين بشكل متسارع على الصعيد الشخصي والعائلي والسياسي الى درجة انهما شاركا معا في تشكيل تنظيم سري كما سبق أن اشرنا . .

والواقع انه كما كان عبد الاله ونوري السعيد قد شكلا ثنائيا معا فان رشيد عالي الكيلاني والمفتي الحاج أمين الحسيني شكلا ثنائيا آخر للعمل السياسي والكفاح مع ملاحظة الفارق في القياس .

وعندما نتحدث عن ثنائي الحاج امين والكيلاني فان هناك سؤالا يفرض نفسه . . . هل استفاد الكيلاني من تجربة المفتي في التعامل مع الانكليز حين رفض العروض البريطانية المغرية ؟ فالمفتي حاول ان يقيم علاقة خاصة مع الانكليز في فلسطين بالضد من رأي الحركة الوطنية الفلسطينية على امل ان يتمكن من خلال هذه العلاقات ان يكسب ثقة الانكليز ثم يحقق اهدافه الوطنية . والنهاية معروفة . فقد فر المفتي من فلسطين هربا من الانكليز . . ؟

اعتقد جازما أن رشيد عالي الكيلاني لم يكن يؤمن منذ البداية بالانكليز ولم يكن يثق بهم أبدا . ولذلك ظل مناوئنا للانكليز في كل سياساته فقد عارض الاتفاقيات مع شركات النفط سنة ١٩٢٥ وعارض معاهدة ١٩٣٠ في حينها . فهو لا يؤمن بامكانية أن يأتي الخير من الانكليز .

لذلك كان طبيعيا حين جاء الحاج امين الى بغداد ليس ان يستفيد من تجربته في التعامل مع الانكليز فقط ، بل كان طبيعيا ان يضيف الى هذه التجربة ايضا . ولم يكن رشيد عالي الكيلاني يقبل المساومة مع بريطانيا اطلاقا . وهذا بالتحديد ساهم بدور رئيسي في انجاح مساعي نوري السعيد باقناع بريطانيا بالتدخل العسكري في العراق الذي بدأ في الثاني من مايو ١٩٤١ لقمع حركة رشيد عالي واسقاط حكومة الدفاع الوطني .

ولقد بدأ التدخل العسكري البريطاني بمشاركة القوات الحليفة لبريطانيا المشار اليها بعد أقل من شهر واحد فقط على تشكيل حكومة الدفاع الوطني التي شكلت في ١٠/٤/١٩٤١ . ويوم ٢٩ مايو كانت القوات المعادية قد نجحت في الوصول الى محيط بغداد . والواقع ان هناك مجموعة من العوامل ساهمت في نجاح تقدم القوات المعادية وفي مقدمة هذه العوامل

الفارق الكبير بين نوعية وكمية تسليح القوات العراقية المدافعة والقوات البريطانية المهاجمة .

١٠٠٠٠٠ جندي بريطاني غزوا العراق بطلب من نوري السعيد

مقاومة عراقية باسلة .. قابلها عتاد متفوق

البحث عـــن الســـلاح

حين بدأ هجوم القوات البريطانية المتواجدة في البصرة والقواعد العسكرية الخاضعة لها ، كان الجيش العراقي يتكون من ثلاث فرق عسكرية فقط غير كاملة التسليح ولا يزيد عدد افرادها عن ٢٠ الف جندي ، وكانت هناك فرقة رابعة قيد التشكيل . وهذا هو السبب الذي جعل حكومة الدفاع الوطني تبدي مرونة كبيرة في الاتصالات التي سبقت شن بريطانيا للحرب . اما القوات البريطانية التي شاركت في الحرب فقد بلغ عدد افرادها بعد اكتمال وصولها الى الاراضي العراقية ١٠٠ الف جندي حيث كانت القيادة البريطانية قد ادخلت في حسابها ايضا مقاومة الشعب العراقي وعشائره وليس الجيش النظامي فقط .

- قد تألفت القوات التي هاجمت الجبهة الغربية من :
- لواء الخيالة الآلي الرابع وتعداده ٥٠٠٠ جندي .
- الفيلق الاردني بقيادة كلوب باشا ويبلغ عدد افراده الذين شاركوا في الهجوم عشرة آلاف جندي .
- ٥٧ طائرة قاصفة ومقاتلة .

وكانت توجد في قاعدة سن الذبان في الحبانية من قبل قوات تتألف من :

- ٢٢٠٠ جندي من الفرقة الاجنبية .
- ٣٥٠ جندي انكليزيا نقلوا جوا .

- ٨٠٠ جندي (فوج) نقلوا من الخليج العربي جوا .
- ٦٤ طائرة عززتها عشر طائرات امريكية اخرى من طراز دوكلاس .

وتألفت القوات البريطانية من الجبهة الجنوبية في البصرة من :

- لواء كامل (٥٠٠٠ جندي) نزل في البصرة ولم يغادرها .
- فرقة هندية (١٠ ـ ١٢ الف جندي) من ضمنها فوج انكليزي وصلت البصرة يوم ١٠ (نيسان) ١٩٤١ .
- لواء مشاة (٥٠٠٠) جندي .
- فوج مدفعية .
- فرقة هندية من ضمنها فوج انكليزي وصلت يومي ١٨/١٧ (نيسان) .
- ٣٥٠٠ جندي انزلوا في البصرة في ٢٩ (نيسان) .

وتوالي بعد ذلك توافد القوات البريطانية والهندية والاسترالية حتى بلغ مجموعها الكلي ١٠٠ الف جندي .

اعتمـــــاد على الطيـــران

وبالاضافة الى التفوق في العدد والسلاح والعتاد فان القوات المهاجمة اعتمدت بشكل رئيسي على الطيران في مهاجمة القوات العراقية . وقد بلغ مجموع الطائرات البريطانية التي اشتركت في الحرب ١٣١ طائرة في حين ان سلاح الطيران العراقي كان يتكون من ٦٩ طائرة من طرازات مختلفة بعضها من طراز سافوي الايطالي وبقيتها انكليزية ومعظم هذه الطائرات لم تكن مسلحة . ومع ذلك فقد ركزت الطائرات البريطانية غاراتها خلال الاربعة ايام الاولى على قصف المطارات العراقية فدمرت بذلك اغلب الطائرات العراقية ولم يبق منها سوى ١٥

طائرة فقط ٧ منها من طراز اوداكس و ٥ من طراز كلاديتر و ٣ من طراز دوجلاس . وكان قد تم التعاقد على طائرات سافوي الايطالية في عهد حكومة ياسين الهاشمي سنة ١٩٣٥ .

اما القوات البرية العراقية فقد كانت موزعة على قلتها في مختلف انحاء العراق . وكمثال فقد كانت هنالك اربعة الوية عراقية موزعة في كركوك والسليمانية واربيل . وقد سحب لواء منها لتعزيز الدفاع عن بغداد . اما القوات التي حشدت حول معسكر سن الذبان البريطاني في الحبانية فلم يكن عددها يزيد عن ١١٠٠ جندي فقط .

وبسبب هذا التفوق الكبير لصالح القوات البريطانية شعرت الحكومة العراقية بالحاجة الملحة الى الجنود والسلاح ايضا .

بالنسبة للجنود فقد فتحت الحكومة المجال امام العشائر العراقية للقتال . . . وقد قدمت العشائر رجالها بسخاء . كذلك فقد اصدرت رئاسة الاركان امرا في ١٤ مايو ١٩٤١ بتأسيس مقر لتجنيد المجاهدين وارسالهم الى جبهات القتال . وقد اصطلح على تسمية هذا المقر بـ « المقر الخلفي لقوات البادية الوطنية » . واسندت رئاسته الى الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين . . وعمل معه في هذا المقر نخبة من المجاهدين العرب منهم عادل العظمة من دمشق وممدوح السخن واكرم زعيتر من نابلس بفلسطين . وشكل هذا المقر مجموعتين من المجاهدين التحقت الاولى بالمقدم فوزي القاوقجي وساهمت مساهمة فعالة في القتال . كما توجهت المجموعة الثانية بقيادة القائد الفلسطيني عبد القادر الحسيني الى ابي غريب للعمل على عرقلة تقدم القوات المهاجمة الى بغداد .

اتصـــــالات مع المانيا وايطاليا

وبالنسبة للسلاح فقد اجرت حكومة الدفاع الوطني اتصالات مكثفة مع المانيا وايطاليا من اجل الحصول على ما تحتاجه القوات العراقية من اسلحة غير انه لم يكن هنالك طريق يمكن نقل الاسلحة عبره . . فقد رفضت تركيا وكذلك الاتحاد السوفييتي ان يمر السلاح الالماني للعراق عبر اراضيها . وكانت المانيا قد نجحت في ارسال سربين من الطائرات الى العراق تكونا من ١٢ طائرة وصلت للعراق في منتصف شهر مايو غير انها لم تستخدم كما يجب لعدم توفر الوقود ولان الطائرات البريطانية كانت قد قصفت المطارات العراقية العسكرية بما فيها المطارات السرية في معسكر الرشيد والوشاش وديالى مما ادى الى مقتل طيار الماني لدى محاولته

الهبوط في مطار الرشيد اثناء غارة انكليزية .

واثناء الحرب وقع العراق اتفاقا لشراء اسلحة من المانيا وذلك يوم ١٤ مايو ١٩٤١ وقد وقعه عن الجانب العراقي الزعيم قاسم مقصود وكيل متصرف البصرة وعن الحكومة الالمانية الدكتور فريتس غروبا سفيرها لدى العراق والدكتور رودلف ران . ونص هذا الاتفاق على :

١ ـ ان تقدم الحكومة الالمانية للحكومة العراقية الملكية المواد الحربية التالية :

أ ـ ١٩٣ مدفعا رشاشا من نوع (هوجكس) .

ب ـ ٧ مدافع رشاشة من نوع (سنت اتين) .

ج ـ ١٣٦٠٥ بنادق مع حرابها .

د ـ ١٨٩٥ بندقية بدون حراب .

هـ ـ ١,٠٠٠,٠٠٠ طلقة للمدافع الرشاشة ، ٤,٠٠٠,٠٠٠ طلقة للبنادق .

و ـ ١٥٠٠ مخزن للمدافع الرشاشة .

ح ـ ١٠,٠٠٠ قنبلة من قياس ٧,٥ سم .

وقد بلغت القيمة الاجمالية للصفقة ثلاثة ملايين وثلاثمائة وواحدا واربعين الفا وسبعمائة وثمانية واربعين ماركا و ١٥ فينكا .

٢ ـ ان الاثمان المذكورة اعلاه يدخل فيها مصاريف الشحن حتى الموصل .

٣ ـ ان الحكومة العراقية تتعهد بدفع اثمان هذه المواد المذكورة اعلاه على اقساط ثلاثة متساوية : يستحق القسط الاول في ١٥ مايو سنة ١٩٤٢ ويستحق القسط الثاني في ١٥ مايو سنة ١٩٤٣ ويستحق القسط الثالث في ١٥ مايو سنة ١٩٤٤ .

٤ ـ بموافقة الحكومة الالمانية يمكن دفع الثمن بصورة منتوجات عراقية بدلا من النقد .

٥ ـ ان الحكومة الالمانية لا تطالب الحكومة العراقية بفائدة ما عند المبلغ المذكور المدينة به .

وحين لم تنجح كل الجهود التي بذلت لتأمين وصول الاسلحة للعراق ، وقعت المانيا اتفاقا مع الحكومة الفرنسية يقضي بتزويد العراق باسلحة من مستودعات الجيش الفرنسى في سوريا . وهذا نص البروتوكول الخاص بذلك والذي وقع في باريس في ٢٧ مايو ١٩٤١ تتعهد الحكومة الفرنسية بتلبية رغبات القيادة الالمانية العليا بالترتيب التالي :

(أ) الاتفاق مبدئيا على التخلي للعراق ـ عن المواد الحربية المخزونة في سوريا لقاء دفع اثمانها ـ حتى يتم تجميع ثلاثة ارباع الكميات المطلوبة كما سبق واتفق عليه في وقته .

(ب) يستثنى من ذلك ـ استنادا الى اتفاقات خاصة ـ جميع ما تمس الحاجة اليه من الاسلحة الضرورية للدفاع الفوري عن سوريا .

(ج) خلال مدة استمرار الحالة الراهنة في العراق يسمح لتمكين هبوط وتموين الطائرات الالمانية والايطالية مع امتياز للقوة الجوية الالمانية وذلك في موضع ما من شمال سوريا « حلب » .

(د) استخدام الموانىء والطرق البرية والسكك الحديدية السورية لتسليم المطلوب الى العراق .

(هـ) يقوم المفوض السامي الفرنسي باعطاء تعليمات صريحة ودقيقة بصدد التدريب في الاراضي السورية العراقية على استعمال الاسلحة الفرنسية المسلمة .

(و) ايصال جميع المعلومات المتجمعة والمتحصلة عن القوات البريطانية وعن سير مراحل الحرب في الشرق الاوسط « الادنى » الى القيادة الالمانية العليا وذلك على سبيل المقابلة بالمثل .

وفي نهاية شهر مايو ارسلت حكومة الدفاع الوطني وفدا عسكريا برئاسة الطيار النقيب حفظي عزيز الى روما للاتفاق على الاسلحة التي يحتاج اليها الجيش العراقى . وقد ذكر في حينه خطأ ان الوفد برئاسة اللواء ابراهيم باشا الراوي الذى كان عضوا في الوفد .

وقد اسندت رئاسة الوفد إلى النقيب حفظى عزيز لان مهمة الوفد كانت احضار طائرات عسكرية للعراق .وكان النقيب حفظي من اوائل الطيارين العراقيين حين شكلت القوة

الجوية العراقية سنة ١٩٢٨ . وقد تأخر هذا الوفد فى ايطاليا حتى ٢٩ مايو ١٩٤١ اي حتى اصبح الموقف العسكري ميؤوسا منه فى العراق . وبالتالي لم يحقق الوفد المهمة التي ارسل من اجلها .

وكانت عدة طائرات المانيا قد وصلت إلى مطار الموصل وانطلقت منه حيث شنت غارات متفرقة على القاعدة البريطانية في الحبانية والقوات البريطانية في الفلوجة . كما وصل سرب طائرات ايطالي تمركز في مطار كركوك غير انه لم ينفذ اية عمليات بسبب عدم توفر الوقود للطائرات .

تفوق جوي بريطاني

يظهر مما سبق ان العراق لم يكن بامكانه ان يقاوم لفترة اطول ما قاوم بالفعل خاصة في ضوء التفوق الجوي البريطاني . . فالعراق لم يكن لديه ما يكفي من الاسلحة والعتاد لانه بموجب معاهدة ١٩٣٠ كان محظورا عليه شراء الاسلحة من غير بريطانيا التي كانت بدورها ترفض تزويد الجيش العراقي بالسلاح الذي يريده متعللة بشتى الحجج . وقد شعر العراق بوطأة الحاجة الملحة الى السلاح اثناء الحرب مع القوات الغازية التي جمعتها بريطانيا وخاصة يوم ٢٩ مايو ١٩٤١ . ففي هذا اليوم حال نقص الاسلحة والامكانات العسكرية دون مواصلة المقاومة في الشمال وانتقال حكومة الدفاع الوطني إلى هناك . ولو كان السلاح متوافرا لتمكنت القوات العراقية من مواصلة المقاومة وان تشكل ضغطا كبيرا على القوات البريطانية التي كان مخططا لها ان تحتل كل العراق ثم ايران كي تلتقي مع القوات السوفيتية هناك ، وان تشكل عامل اقلاق لا يستهان به للقوات البريطانية التي جعلت من بغداد مركزا لقيادتها العسكرية العامة في الشرق الاوسط ، وقد اختير منزل رشيد عالي الكيلاني ليكون مقرا لهذه القيادة . . ![1]

ورغم التفوق البريطاني الواضح فان القوات العراقية قاتلت قتال الابطال دفاعا عن ارض

---

(١) لا يزال الساري الذي نصبه الانكليز فوق سطح بيت السيد رشيد عالي الكيلاني الكائن في منطقة الصليخ والذي اصبح متحفا للثورة التي قادها في مايو ١٩٤١ قائما وقد اكدنا على عدم رفعه ليبقى أثراً . هذا وقد رفعنا علم العراق عليه ايام اتخذنا الدار مدرسة تحمل اسم شهر مايس (مايو) تخليدا واحياءا لثوارها في العام ١٩٤١ .

العراق . والشيء الجدير بالذكر هو ان الطائرات البريطانية لم تكن تجرؤ على قصف بغداد حين كانت تحلق فوقها . بل كانت تكتفي بالتحليق فوق العاصمة وخاصة فوق وزارة الدفاع وتلقي المناشير التي تحمل توقيع السفير كورنواليس . كما انها القت بتاريخ ٤ مايس بيانا من عبد الاله الذي كان في القدس جاء فيه .

« دفعتنى بالقوة جماعة من الطغاة العسكريين الذين عاونه واضلهم رشيد عالي الكيلاني وغيره من اصحاب الميول الضارة الذين اشتراهم الذهب الاجنبى (كذا) عن اداء واجباتي المقدسة كوصي على ابن اختي ، ملككم الشاب المحبوب ثم قال « ان واجبي واضح بين ، فسأرجع لاعيد الى وطننا شرفه الملوث نقيا كما كان واقوده مرة اخرى إلى حياة السلام والسعادة في ظل حكومة قانونية » وختم بيانه قائلا « اني اهيب بجميع ابناء العراق المخلصين ان يطردوا هذه العصابة من الخائنين وان يعيدوا إلى بلدنا المحبوب حريته واستقلاله الصحيحين . . » !

لماذا لم تُقصف بغداد ؟

ويعود عدم قصف الطائرات البريطانية بغداد إلى ان رشيد عالي الكيلاني اتصل هاتفيا مع السفير البريطاني ، كما روى لي الكيلاني ، وكان كل البريطانيين المقيمين في بغداد قد تجمعوا داخل مبنى السفارة للاحتماء فيها من غضبة الاهالي وقال له انا رشيد عالي الكيلاني ، بلغ القيادة البريطانية انه اذا قدمت طائرة واحدة على قصف بغداد فاني سآمر بقصف السفارة بمن فيها . وانت تعرف ان رشيد عالي اذا قال فعل . وقد ابلغ السفير البريطاني القيادة العسكرية[٢] البريطانية بهذا التهديد .

والواقع ان هذا التهديد هو الذي انقذ بغداد من القصف كما ساعد الحكومة العراقية في ذات الوقت على الاستمرار في القيام بواجباتها الانسانية تجاه افراد الجالية البريطانية التي تجمعت داخل السفارة . فقد كانت الحكومة العراقية تأمن لهم الطعام والماء طوال فترة الحرب .

---

(٢) بلغ عدد الذين تجمعوا داخل السفارة ٣٥٨ شخصا من مختلف الجنسيات الاوروبية وبعض العملاء العراقيين كما يقول سندرسن في مذكراته .

ولكن الانسانية لم تكن سمة عملاء الانكليز حين عادوا الى الحكم في بغداد . وخاصة في فترة حكومة الانتقام التي شكلها نوري السعيد بعد استقالة حكومة تهدئة الخواطر التي شكلها جميل المدفعي .

عودة العملاء

لقد عاد عبد الاله ونوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودت الايوبي بواسطة طائرة عسكرية بريطانية نقلتهم من القدس الى قاعدة الحبانية يوم ٢ يونيو ١٩٤١ . وكانت بغداد مازالت محاصرة رغم توقيع اتفاقية الهدنة بين القوات البريطانية والقوات العراقية بعد ظهر يوم ٣١ مايو ١٩٤١ . وقد وقعها عن الجانب العراقي اللواء اسماعيل نامق والزعيم الركن حميد نصرت والعقيد الركن نور الدين محمود معاون رئيس الاركان وضابط ركن القيادة العسكرية . وكان الهدف الاول من توقيع الهدنة هو عدم دخول القوات الغازية الى بغداد .

ووفق ما رواه لي النقيب محمود الدرة الذي كان ضابط ركن في هيئة الاركان العامة للجيش فان فكرة اتفاقية الهدنة قد تولدت اثر مناقشة ما يجب فعله بعد ان غادرت حكومة الدفاع الوطني بغداد . . وقد بدأ النقاش بين النقيب الدرة والعقيد نور الدين محمود اللذين اتفقا على مناقشة الامر مع لجنة الامن الداخلي التي سبق ان شكلتها حكومة الدفاع الوطني برئاسة ارشد العمري . وبالفعل فقد اجتمعت اللجنة بحضور ضابطي الركن الدرة ونور الدين ورأت بعد التداول ان افضل ما يمكن فعله هو ابرام هدنة مع القوات الغازية . ولهذه الغاية اتصل ارشد العمري مع السفير البريطاني كورنواليس وطلب مقابلته وقد اصطحب معه لمقابلة السفير في الموعد الذي حدد العقيد نور الدين محمود[٣] .

---

(٣) بعث الينا الصديق العزيز والاخ الوفي « الرائد » محمود الدرة مشكورا تعليقا وتعقيبا حول هذا الموضوع ، نشرته جريدة القبس الكويتية يقول فيه :

« تحدث الدكتور السهروردي في الحلقة (٨) عن اتفاقية الهدنة بين العراق والانكليز فقال : (وفق ما رواه النقيب «الرائد» محمود الدرة . . . فان فكرة اتفاقية الهدنة قد تولدت اثر مناقشة ما يجب فعله بعد ان غادرت حكومة الدفاع الوطني بغداد . . وقد بدأ النقاش بين الدرة والعقيد نور الدين اللذين اتفقا على مناقشة الامر مع لجنة الامن الداخلي . . وبالفعل اجتمعت اللجنة بحضور ضابط الركن الدرة ونور الدين

وكان الامر محرجا اذ كيف سيقترح الجانب العراقي اتفاقية للهدنة .. ؟ ..

وبما عرف عن ارشد العمري من كياسة ولباقة قال للسفير البريطاني . . لقد قلت في بيانك الذي وزع في اليوم الاول لبدء العمليات العسكرية ان القوات البريطانية لم تأت لمحاربة العراق والعراقيين وانما لمحاربة رشيد عالي الكيلاني والقادة العسكريين الاربعة وهؤلاء قد غادروا العراق الان فهل انت ما زلت ملتزما ببيانك ؟ ..

اجاب السفير بالايجاب فسأله العمري ثانية . . . هل يمكن ان نتفاوض اذن .. ؟

وافق السفير ثانية وقال للعمري . . ماذا تريدون ؟

ورأت ان افضل ما يمكن فعله هو ابرام هدنة مع القوات الغازية.. الخ) .

والواقع هو اني كنت مسئولا عن اقامة خطوط الدفاع عن بغداد يعاونني في مهمتي الرائد غازي الداغستاني . وفي صباح ليلة هرب حكومة الدفاع الوطني الى ايران ، كنت على موعد مع الداغستاني لتفقد خطوط الدفاع الا انه لم يحضر . وعلمت بعدئذ انه كلف - من وراء ظهري بمفاوضة قائد القوات الغازية لعقد الهدنة . وعندما عدت الى القيادة ابلغني رئيس اركانها المقدم حقي عبد الكريم ومحمد الطريحي ان هناك مؤتمرا عسكريا بدار الدكتور سندرسن لتقرير انهاء الحرب مع الانكليز . وان نور الدين سأل عني وطلب حضوري المؤتمر . ذهبت الى محل الاجتماع واذ بالقادة الاركان قد انتهوا من اجتماعهم بعد موافقتهم على عقد الهدنة مع الانكليز ، فالتقيت بهم في حديقة الدار . وشرح لي نور الدين الموقف باختصار وطلب مني الوقوف الى جانبه لانقاذ البلد فقلت له : علمت ان فخامة رشيد عالي الكيلاني امر بتعيين يونس السبعاوي حاكما عسكريا . . فهل سالتموه رأيه ؟

اثارت كلمتي ثائرة زميلي المقدم رفيق عارف الذي كان يقف الى جانب نور الدين فرد علي بعصبية قائلا :

- وزير ايش يونس السبعاوي ؟ . . وزير (كلمة بذيئة) . ثرت بوجه عارف وشتمته لتجاوزه على وزير مسئول ومددت يدي على مسدسي فامسك بها مدير الانضباط العسكري مظفر ابراهيم . واوقفت ليلة كاملة في دار سندرسن !

يتضح مما تقدم ، انني لم اشارك في المؤتمر العسكري الذي تقرر فيه عقد الهدنة مع الانكليز . ولا على شروط تلك الهدنة . وكان من رأيي الذي تقدمت به الى الكيلاني في وقت سابق وبمشاركة المقدم حسيب الربيعي رئيس اركان الفرقة الاولى ، القيام بانقلاب ابيض لعزل القادة (الفاشلين) . وان بامكاننا مواصلة الحرب لمدة ستة اشهر يتسنى لنا خلالها الحصول على صلح مشرف . فوافق الكيلاني على الاقتراح ورحب به علي محمود الشيخ علي وزير المالية الذي كان معه . ثم تجري الرياح بما لا تشتهي السفن !!

اجاب العمري . . . نريد ان لا تمسوا الاهالي بسوء وان لا تمسوا الجيش . ونحن حاضرون للالتزام بمعاهدة ١٩٣٠ فسارع السفير البريطاني الى ابداء امتنانه لهذا الموقف وقال انه سيتصل مع القيادة العسكرية البريطانية لابلاغها بالاقتراح وفي ١٩٤١/٥/٣١ ابلغت اللجنة الامنية بموافقة بريطانيا على عقد هدنة بين الجيش البريطاني والجيش العراقي . . وقد فوضت لجنة الامن الداخلي كبار ضباط هيئة الاركان بتوقيع الاتفاقية نيابة عن الجيش العراقي . غير ان اتفاقية الهدنة التي كانت اقتراحا عراقيا صاغ نصها الجانب البريطاني واعتذر السير كورنواليس بانه لا يستطيع ادخال اي تعديل عليها فوقعت كما هي . ومع ذلك لم يلتزم البريطانيون بالوعود التي اخذوها على انفسهم في هذه الاتفاقية .

اتفاقية الهدنة

وقد ذكرت ديباجة اتفاقية الهدنة استقلال العراق وتضمنت تعهدا من جانب بريطانيا باسداء كل مساعدة للوصي على العرش « عبدالاله » في اعادة تأسيس « الحكم الشرعي » ومساعدة الشعب العراقي على استئناف « حياته الطبيعية المرفهة » وتكونت الاتفاقية من البنود السبعة الاتية :

أولا : توقف في الحال جميع الاعمال العدائية .

ثانيا : يسمح للجيش العراقي بالاحتفاظ بجميع اسلحته وتجهيزاته وذخائره ولكن يتحتم على جميع وحداته العودة في الحال الى المراكز التي كانت ترابط فيها عادة وقت السلم .

ثالثا : يطلق على الفور سراح جميع اسرى الحرب البريطانيين من الجنود والطيارين والمدنيين .

رابعا : يعتقل جميع الموظفين المعادين من المان او ايطاليين على ان تحتفظ حكومة العراق بمهامهم الى حين صدور تعليمات اخرى .

خامسا : يخلي الجيش العراقي بلدة الرمادي وما جاورها على ان يتم الاخلاء في الساعة الثانية عشر ظهر اول يونيو .

سادسا : تمنح على الفور جميع التسهيلات للسلطات العسكرية البريطانية ليتيسر لها استخدام المواصلات بالسكة الحديد والطرق البرية والنهرية .

سابعا : يمكن تسليم جميع اسرى الحرب العراقيين الذين اسرتهم القوات البريطانية الى الضباط الذين ينتخبهم الوصي على العرش بمجرد تنفيذ الشروط السالفة الذكر .

وبعد توقيع الهدنة وجهت لجنة الامن الداخلي بيانا الى الشعب العراقى وخاصة الى اهالى بغداد . وقد ارادت من خلال بيانها ان تواسى الشعب وتمتص غضبه وان لا تجعله يشعر بحجم الخسارة الكبيرة التى حلت به ، وان تخفف في المقام الاول من الشعور العميق بالقهر لدى الناس مستعدين لان يقاتلون بأيديهم .

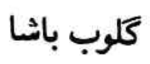


● وزير الدفاع الالماني فون بلومبيرغ وولده النقيب الطيار الذي اسقطت طائرته فور وصولها إلى بغداد فوق معسكر الرشيد فقتل في الحادث .



المدفعي





گلوب باشا

● في مقر الحركات العسكرية بوزارة الدفاع مايس ١٩٤١ .

انتقام نوري السعيد

اعتقال ٢٠ ألف مواطن في اسبوع

الملك عبد العزيز ال سعود حاول التوسط بين بريطانيا والحكومة العراقية برئاسة الكيلاني ، غير ان لندن كانت قد عقدت العزم على تصعيد المواجهة ومنع اى توجه وطني عراقى .

وبلجوء الكيلاني الى خارج العراق ، عاد نوري السعيد الى الحكم ، ويدأ سياسة الانتقام ، فيما دبت الخلافات بينه وبين عبد الاله الذي فتح الخط على الامركيين بسبب تفضيل الانجليز لنوري السعيد عليه .

بعد توقيع اتفاقية الهدنة بيومين وصل عبد الاله ونورى السعيد وجميل المدفعي وعلى جودت الايوبى بطائرة عسكرية بريطانية الى قاعدة الحبانية كما ذكرنا ، وذلك في ٢ / ٦ / ١٩٤١ ، وفي ذات اليوم اصدر عبد الاله مرسوما ملكيا عين بموجبه جميل المدفعي رئيسا للوزراء . وقد صدر هذا المرسوم من القاعدة العسكرية البريطانية في الحبانية ، وقال في بيان وجهه الى الشعب انه قد عاد للعراق دون ان يحدد مكان وجوده .

وبعد ذلك نقل جميل المدفعي الذي جاءت به طائرة عسكرية بريطانية من القدس الى الحبانية، نقل من هناك بطائرة عسكرية بريطانية ايضا الى البصرة حيث كانت القطعات العسكرية البريطانية قد احتلت البصرة اثناء المعارك في ٢٤ . مايس . وقد وصلت القوات البريطانية الزاحفة شمالا في اتجاه بغداد حتى الديوانية . وكان حجم القوات البريطانية هناك اكثر من فرقتين اغلب جنودهما من الهنود والاستراليين .

ومن البصرة توجه جميل المدفعي الى مطار بغداد في ذات اليوم حيث كان في استقبال الوصي . وكان فى الاستقبال ايضا اعضاء حكومة المدفعي واعوان عبد الاله ونوري السعيد وفى مقدمتهم مدير الشرطة ووكيل محافظ بغداد حيث كان المحافظ مصابا بيده . ولم تكن حكومة الدفاع الوطني قد استبدلت المسؤولين السابقين الذين كانوا قد عينوا في عهد الحكومات السابقة ، كذلك كان في الاستقبال قسم من النواب الذين سبق لهم ان اسقطوا الوصي وانتخبوا الشريف شرف وصيا بديلا له . وكان والدي في ذلك الوقت نائبا لكنه لم يخرج للاستقبال . وكان في الاستقبال ايضا قادة الجيش الذين وقعوا اتفاقية الهدنة .

احكام عرفية

ويبدو ان نوري السعيد الذي رتب الغزو هو الذي اقترح ان تشكل الحكومة برئاسة جميل المدفعي . وقد قامت الحكومة المدفعية باتخاذ الاجراءات الروتينية في مثل هذه الحالة .

فقد اعلنت الاحكام العرفية ، ومنع التجول ، واجرت اعتقالات في صفوف انصار حكومة الدفاع الوطني ، وقد ادت هذه الاجراءات الى وقف الهجوم على منازل اليهود . وكانت سيارات الجيش في منتصف ليلة ٢٩ مايس وقبل توقيع اتفاقية الهدنة تسير في الشوارع وتطلق النار في الهواء في محاولة لوقف الهجوم على منازل اليهود ، وقد ركزت الاذاعة على ان الحكومة الجديدة لا تريد الانتقام وانما تريد ان تعود الامور الى حالتها الطبيعية . وقد حدث هذا بالتدريج فعلا .

ويجدر ان نسجل هنا ان بغداد كانت قد شهدت يومي ٢٨ و ٢٩ مايس اضطرابات عنيفة استهدفت اليهود الذين هاجمتهم الاهالى وقتلوا منهم اكثر من ١٢٥ يهوديا وحطموا محلاتهم التجارية . وقد اسفرت هذه الاشتباكات عن سقوط حوالى ١٥٠ قتيلا و ٢٥٠ جريحا من الجانبين . وكان اليهود يسيطرون على حوالى ٩٠ ٪ من التجارة في العراق وخاصة في بغداد . وقد اسمى اليهود هذه الاضطرابات باسم « فرهود » بغداد . وكلمة « فرهود » باللهجة العامية العراقية تعنى النهب والسلب . ولم يكن هذا هو حقيقة ما حدث ، فالذى حدث هو ان اليهود فتحوا محلاتهم التجارية فى ٢٨ و ٢٩ مايس بعد ان كانت مغلقة معظم ايام الحرب وقد علقوا على ابوابها الخارجية حرف V باللغة الانجليزية وبمقاسات كبيرة (متر ومترين) ابتهاجا بانتصار القوات الغازية على الجيش العراقى وكان حرف الـ V هو شعار

تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت اختصارا لكلمة النصر Victory . ومثل هذا التصرف كان استفزازا كبيرا للناس الذين هاجموا محلات اليهود التى فتحت لاستقبال الانجليز ، وبدأوا فى قتل أي يهودى يصادفونه . وقد فعل اليهود ذلك رغم ان ساسون خضوري الحاخام الاكبر في العراق قد اصدر فتوى بالقتال ضد الانجليز ما لبث ان سحبها بعد انتصارهم . وقبل هذه الاحداث كان اليهود يعاملون كأى عراقي ، فقد كانت الوظائف العامة متاحة لهم بما في ذلك الجيش . . بل ان وزير المال غالبا ما كان يهوديا في ذلك الوقت .

لقد استمرت حكومة المدفعي حتى ٧ / ١٠ / ١٩٤١ . وقد بدأ نوري السعيد بالانتقام منذ اليوم الاول لتشكيل حكومته . فقد اعتقل خلال العشرة ايام الاولى من عمر هذه الحكومة اكثر من ٢٠ الف مواطن . وقد استخدمت حتى المساجد كمعتقلات . وكان في مقدمة المعتقلين جميع الذين ساهموا في حكومة الدفاع الوطني وتعاملوا معها وبدأت المحاكمات الصورية التي اصدرت احكاما جائرة ضد الوطنيين والشرفاء من العراقيين . وكانت اهم المعتقلات التي جرت فيها المحاكمات سجن ابو غريب والفاو والعمارة .

وشكل لهذه الغاية مجلس عرفي عسكرى برئاسة العقيد مصطفى راغب وعضوية المقدم ناجى عبد الرزاق والمقدم طاهر محمد عضوين عسكريين ، ومحمد فهمى الجراح ومصطفى عزت عبد السلام ، عضوين مدنيين وقد اصدر هذا المجلس احكاما بالاعدام على رشيد عالي الكيلاني وعلى القادة العسكريين الاربعة ، وكذلك على يونس السبعاوي وناجي شوكت . وصدرت هذه الاحكام غيابيا باستثناء العقداء فهمي سعيد وكامل شبيب ومحمود سلمان والشريف شرف الذين كانت القوات البريطانية قد القت القبض عليهم وسلمتهم للسلطات العراقية .

وقضى المجلس العرفي بسجن الشريف شرف ثلاث سنوات قضى سنتين منها في السجن قبل ان يتوسط له الملك عبد الله ملك الاردن الذي استضافه لديه . وحكم بالسجن لفترات قصيرة على بقية الوزراء في حكومة الدفاع الوطني .

وقد كشف رئيس المجلس مصطفى راغب في سنة ١٩٥٣ انه قد ضلل من قبل عبد الاله ونوري السعيد اللذين طلبا منه ان يصدر احكاما بالاعدام بحق الكيلاني والسبعاوي

والعقداء الاربعة على ان يجرى تخفيض الاحكام من قبل الوصي على العرش وهو الامر الذي لم يحدث واعتبر رئيس المحكمة نفسه قد خدع . وبالطبع فقد كان لابد له ان يبرر فعلته .

السبعاوي يستقيل !

وفيما يتعلق بالشهيد يونس السبعاوي فبعد كل هذه السنين هنالك سر آن الاوان لان يكشف لاول مرة . فالرجل كان من اكثر الناس حماسا لمقاتلة الانجليز وبسبب هذا الحماس فقد اندفع الى تقديم استقالته من منصبه الوزاري في حكومة الدفاع الوطني حيث كان يتولى وزارة الدفاع والى جانبها قيادة كتائب الشباب .

وتعود استقالته لثلاثة اسباب مباشرة هي :

الاول : قلة المخصصات المالية التى رصدت لميزانية كتائب الشباب . وفي ذلك الوقت كان اجمالي مصروفات الميزانية العامة للدولة العراقية حوالي الثلاثة ملايين دينار فقط .

الثاني : اعتراضه على الوساطات التي كانت تجرى مع بريطانيا من اجل وقف القتال والتوصل الى تسوية سلمية للخلاف . وكان وفدان عراقيان قد توجها لكل من السعودية وتركيا لهذه الغاية .

الثالث : غير ان السبب المباشر والاكثر اهمية الذي دفع بالشهيد يونس السبعاوي الى تقديم استقالته هو ان سير المعارك كشف عن ان القادة العسكريين قدموا معلومات غير صحيحة عن القدرات القتالية للجيش في مواجهة القوات البريطانية . فوفق التقديرات الاولية كان متصورا ان تستمر المقاومة العراقية لاطول فترة ممكنة ثم تنتقل الى الشمال اذا تمكنت القوات الغازية من الوصول الى بغداد . وفجأة بدأ القادة العسكريون يقولون انهم يفضلون التوصل الى تسوية سياسية مع بريطانيا لعدم قدرة الجيش على مواصلة القتال .

وهنا واثناء ثورة غضب وانفعال قدم يونس السبعاوي استقالة قصيرة كتبها على ورقة بيضاء غير رسمية وقدمها في ذات اللحظة لرشيد عالى الكيلاني رئيس الوزراء الذي قبلها . وهذا هو نص استقالة السبعاوي :

فخامة رئيس الوزراء

ارجو قبول استقالتي من وزارتكم مع العلم اني سابقى اؤدى واجبي نحو بلادي كما تتطلبه

مصلحة البلاد .

اما كتاب قبول الاستقالة فهذا نصه :

معالى محمد يونس السبعاوي المحترم .

ارسل في طيه نسخة من الارادة الملكية المرقمة ٢١٣ لسنة ١٩٤١ بقبول استقالتكم من منصب وزارة الاقتصاد .

واقبلوا فائق الاحترام .

رئيس الوزراء

ويحمل كتاب قبول الاستقالة تاريخ ١٧/٥/١٩٤١ .

اما كتاب الاستقالة فهو غير مؤرخ .

ولم يعلن عن هذه الاستقالة في حينه كما لم يعلن عنها حتى الان . وقد التزم السبعاوي بما جاء في كتاب استقالته حيث واصل القيام بواجبه نحو بلاده على النحو الذي رأى ان مصلحة البلاد تتطلبه . فقد واصل القيام بدوره على رأس كتائب الشباب . وبعد ثلاثة ايام من قبول استقالته قام على رأس كتائب الشباب وجحافل الفتوة بحفر الخنادق والاستحكامات في منطقة ابو غريب للتصدى للقوات البريطانية الزاحفة . وقد تعرضت كتائب الشباب والفتوة للقصف الجوي من قبل الطائرات البريطانية اثناء قيامها بمهامها طوال فترة الحرب . .

وبعد خروج رئيس واعضاء وزارة الدفاع الوطنى من بغداد رفض السبعاوي الخروج واراد البقاء لتنظيم وقيادة المقاومة الشعبية ضد قوات الغزو . لكن نقص الامكانات ارغمه على الخروج فى اليوم التالى والالتحاق بزملائه الذين توجهوا الى ايران .

■■■

نوري السعيد . . سفيرا لدى مصر ! ؟

والامر الغريب هو ان نورى السعيد الذى رشح جميل المدفعي ليشكل الحكومة الاولى بعد عودة الوصي وقضاء القوات البريطانية الغازية على الثورة الوطنية ، عين نفسه سفيرا في القاهرة قبل ان يعود لتشكيل حكومة الانتقام . والسر الذى يكمن وراء هذا التعيين هو ان موقف مصر كان حساسا ومؤثرا على مجرى معارك الحرب العالمية الثانية حيث تمر قناة السويس في اراضيها . وكانت المعارك تدور في الصحراء الغربية الفاصلة بينها وبين ليبيا . وكان الفيلد مارشال اوكلنج القائد العام للقوات البريطانية في شمال افريقيا الذى اختير لمواجهة رومل ثعلب الصحراء المحنك ، هو الذى استدعاه تشرشل لقيادة عمليات غزو العراق إثر موقف القائد العسكرى البريطاني في الشرق الاوسط الجنرال ويفل تجاه تشرشل الذي نصحه بعدم خوض الحرب مع العراق ! ؟

لذلك وبالنظر الى اهمية مصر فقد طلب نوري السعيد ان يعين سفيرا فيها . وقد ذهب الى القاهرة من اجل ان يوضح للملك فاروق ما حدث في العراق من وجهة نظره . وكان الملك فاروق قد استدعى لدى بدء العدوان البريطاني على العراق السفير العراقى السابق تحسين العسكرى شقيق جعفر باشا العسكرى وابلغه انه يقف الى جانب العراق ، والى جانب رشيد عالي الكيلاني وانه مستعد لتقديم كل مساعدة ممكنة ، فقام السفير بابلاغ موقف الملك فاروق الى السفير البريطانى السر مايلز لاميسون في القاهرة قبل ان يبلغه لرشيد عالي رئيس وزراء العراق . . ! وقد ازعج موقف الملك فاروق الانكليز وعبد الاله ونوري السعيد ، خاصة وان القوات الالمانية بقيادة رومل كانت تحارب الانكليز الى الغرب من الحدود المصرية ، فكان لابد ان يجرى العمل على ضمان عدم حدوث مفاجآت من قبل الملك فاروق من خلال اقناعه بوجهة نظر بريطانيا . وهذه تحديدا كانت مهمة السفير نوري السعيد في القاهرة .

ولما شعرت بريطانيا ان موقف الملك فاروق ليس مضمونا بالكامل فرضت عليه مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد رئيسا للوزراء في شهر فبراير ١٩٤٢ ، وهي الحادثة الشهيرة حيث قامت الدبابات الانكليزية بمحاصرة قصر الملك في القاهرة ، وخير الملك بين تعيين النحاس رئيسا للوزراء او خلعه من الملك .

الملك فاروق وهتلر

لقد فعل الانكليز ذلك بعد ان اكتشفوا ان الملك كان على اتصال سري مع هتلر عن طريق نسيبه يوسف ذو الفقار الذي كان سفيرا لمصر في طهران وكان على اتصال مع السفير الالماني آيتل في العاصمة الايرانية . وكان الملك فاروق قد بعث برسالة الى هتلر في عام ١٩٤٠ ابلغه فيها بتأييده له ، وقد أثارت هذه الرسالة حفيظة الانجليز بشكل كبير مما جعلهم يفرضون النحاس باشا رئيسا للوزراء والنحاس الذى عرف بماضيه الوطني كان قد تحول الى احد رجال الانكليز شأنه شأن نوري السعيد وجميل المدفعي وغيرهما في العراق .

ولم يكن الملك فاروق وحده الذي وقف الى جانب العراق وتعاطف مع الالمان كرها بالانكليز بسبب تدخلاتهم في شؤون الحكم والملك ، بل كان الرأى العام المصري بأغلبه يتعاطف مع العراق شأنه في ذلك شأن الرأي العام العربي كله في ذلك الوقت فقد كان الضباط الشرفاء والمخلصون من أبناء مصر والساسة الوطنيون وزعماء الاحزاب القومية والهيئات الاسلامية قد أيدوا كفاح العراق ضد بريطانيا ، وابرز الذين اتخذوا هذا الموقف اللواء عزيز على المصري رئيس اركان الجيش وعلى ماهر باشا رئيس الوزراء وحزب مصر الفتاة بزعامة مصطفى الوكيل ، واحمد حسين ومحمد صبيح وانور السادات الذى بدأ حياته وطنيا غيورا ، وكان مصطفى الوكيل قد لجأ الى العراق هربا من ملاحقة الانكليز له في مصر في وقت مبكر وشارك وانصاره في التصدى للغزو البريطاني للعراق .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان الملازم جمال عبد الناصر طلب الى الدكتور محمد حسن سلمان وزير المعارف بحكومة السيد رشيد عالي والمتواجد انذاك في لبنان . الالتحاق بالجيش العراقي لمحاربة الانجليز .

السيد رشيد عالي الكيلاني لجأ الى ايران . . ثم الى تركيا

اللجوء الى ايران

في الوقت الذي كانت تجري فيه الاتصالات من اجل توقيع اتفاقية الهدنة والتفاوض بشأن بنودها . كان رشيد عالي الكيلاني واركان حكومته والقادة العسكريون الذين قادوا عمليات الجيش العراقي في مواجهة القوات البريطانية الغازية يغادرون العراق الى ايران ، ولم يكن

هذا القرار الذي اتخذ ، ففي اخر اجتماعاتها الذي عقدته في ٢٨ مايس سنة ١٩٤١ كانت حكومة الدفاع الوطني قد قررت الانتقال من بغداد الى شمال العراق بعد ان وصلت القوات الغازية الى مشارف بغداد . . وقد اتخذت جميع الاجراءات الضرورية اعتبارا من تاريخ ٢٥ مايس لتنفيذ عملية الانسحاب اذا دعت الظروف الى ذلك .

وكانت قد شكلت في تاريخ ١٩ مايس لجنة باسم لجنة الامن الداخلي ، برئاسة امين العاصمة ارشد العمري وضمت في عضويتها مدير عام الشرطة حسام الدين جمعة والزعيم الركن حميد نصرت ممثلا للجيش . وقد شكلت هذه اللجنة بعد ان احتلت القوات الغازية مدينة الفلوجة وكانت مهمة اللجنة اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحفاظ على الامن الداخلي في العاصمة بغداد اذا اضطر الجيش للانسحاب منها وذلك لمواجهة الاضطرابات التي يمكن توقع حدوثها في مثل هذه الحالة ، وكذلك تسيير الحياة الاعتيادية للمواطنين بالتعاون مع الشرطة والانضباط العسكري .

وبالفعل ففي ٢٨ / ٥ / ١٩٤١ قررت حكومة الدفاع الوطني سحب القطعات العسكرية العراقية المدافعة عن بغداد الى الموصل بعد ان تعرضت بغداد لهجوم القوات الغازية من الشمال والغرب ، وقد كلف وزير المالية علي محمود آلطي بنقل محتويات الخزينة العامة الى الشمال ، كما كانت قد صدرت التعليمات للاذاعة بنقل جهاز بث اذاعي الى الشمال منذ ٢٥ مايس ، ولضرورات تحرك القوات ، تقرر اعلان حالة الطوارىء في بغداد وكركوك فقط .

وفي يوم ٢٩ / ٥ / ١٩٤١ كان واضحا ان بغداد قد اصبحت على وشك السقوط فقد بدأت المدفعية بقصفها منذ الفجر ، وتقدمت القوات الغازية في اتجاه مداخل المدينة من ناحية الكاظمية والتاجي فتم الاتفاق بين اعضاء حكومة الدفاع الوطني على الرحيل الى الشمال بهدف الاستمرار في المقاومة ، وحجز لهذه الغاية القطار المتجه من بغداد الى بعقوبة ـ خانقين ـ كركوك . وبعد ان بدأت الرحلة تبين ان قسما من القادة العسكريين قد اتجهوا بسياراتهم الى خانقين وهناك بلغ رشيد عالي ان القادة العسكريين لن يتجهوا الى الشمال لان الاحتياطات العسكرية في الشمال لم تنفذ كما رسم لها ، وبالتالي ليست هناك امكانية للاستمرار في القتال ، في ضوء ذلك غادر رشيد عالي القطار وانضم للقادة الاربعة وقرروا معا

الاتجاه الى ايران .

والواقع ان امكانيات القتال كانت غير متوافرة ولم تكن تعاني من النقص فقط والا لامكن تعويضه بالمساعدات الالمانية ، وكانت المانيا تحاول في ذلك الوقت تقديم مساعدات عسكرية للعراق عبر تركيا أو سوريا او الاتحاد السوفيتي ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل كما اوضحنا سابقا .

وكان من العوامل التي يفترض ان تساعد على استمرار المقاومة ، ان سكان الشمال من الاكراد كانوا اكثر الناس شجاعة وولاء في المعارك ضد الانكليز حيث كان موقفهم مشرفا جدا رغم ان حركة الاكراد الانفصالية عن العراق كانت قد بدأت بزعامة الشيخ محمود منذ سنة ١٩٣٢ . غير ان الاكراد كانوا يكنون نظرة احترام لشخص رشيد عالي الكيلاني لسببين رئيسيين . . الاول مكانته الدينية فهو حفيد الشيخ عبد القادر الكيلاني الذي يؤمن به الاكراد كأمام يقدسونه ، والثاني انه كان صادقا معهم واعتمد عليهم في الادارة حيث كان اغلب (المتصرفين والمحافظين) في عهده من الاكراد . وكذلك كان هناك عدد كبير منهم ضباطا في الجيش والشرطة . وكان يعتمد على المتصرفين الاكراد بشكل خاص في مناطق الجنوب .

ولكن الظروف في مجملها جعلت القادة العسكريين يقررون الذهاب الى ايران ووافقهم رشيد عالي على هذا القرار . وهكذا توجهت قوافل السيارات الى ايران حيث عبر الحدود اكثر من ١٢٠ شخصا اكثرهم من رجال الحكومة والضباط وذلك خلال الخمسة ايام الأول من شهر حزيران ١٩٤١ .

وهكذا ففي الوقت الذي استتب فيه الحكم الى حين في ايدي عملاء بريطانيا في العراق ، كانت قد بدأت رحلة التشرد لرشيد عالي الكيلاني رئيس حكومة الدفاع الوطني واركان حكومته من عسكريين ومدنيين .

كما اسفلنا ، فبالنظر الى عوامل الجغرافيا تقرر ان تكون محطة اللجوء الاولى ايران حيث تبعد خانقين ٣٠ كم فقط عن الحدود الايرانية ، وقبل ٢٩ / ٥ / ١٩٤١ لم تكن هناك علاقات شخصية بين رشيد عالي وشاه ايران رضا بلهوي في حين ان علاقات العراق مع ايران بشكل عام كانت جيدة في ذلك الوقت . فالشاه كان قد بدأ يتجه لتحقيق اصلاحات

داخلية ، ولم يكن هذا يروق لبريطانيا ، والعامل الاخر الذى ادى الى تحسين العلاقات هو التنازلات التي قدمها العراق لايران سنة ١٩٣٥ بشأن شط العرب بالذات . فقد وافق العراق على السماح لايران بأن يكون لها ميناء في الجانب الشرقي من شط العرب لا تزيد مساحته عن ٤ كيلو مترات طولاً .

والاهم مما سبق هو انه عندما قامت الحرب بين العراق وبريطانيا كان الاتجاه العام في ايران مماثلا للاتجاه العام في المنطقة العربية في عدائه لبريطانيا . كما كانت العلاقات الايرانية الالمانية مماثلة للعلاقات العراقية الالمانية ، لقد كانت العلاقات جيدة ، وكان رشيد عالي الكيلاني مقبولا من الايرانيين باعتباره كيلانيا شأنه في ذلك شأن الاكراد بل كان مقبولاً من قبل جميع الاقطار العربية والاسلامية .

لكل هذه العوامل فعندما ابلغت نقطة الحدود الايرانية الحكومة في طهران بأن رشيد عالي واركان حكومته يعتزمون اللجوء الى ايران سارعت الحكومة الايرانية الى الترحيب بهم ولقوا استقبالا حسنا وكان معهم الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين والوصي الذى اختارته الثورة على العرش الشريف شرف . وتمت استضافة الجميع في مدينة قصر شيرين بناء على اوامر الشاه الذي اعتبرهم جميعا لاجئين سياسيين . وعندما وصلوا طهران تمت استضافتهم ايضا على حساب الحكومة الايرانية وحرصا على حياة بعض القادة العراقيين طلب منهم ان ينتقلوا الى مدينة زنجان خارج طهران كى يكونوا بعيدين عن جواسيس الانكليز .

الكيلاني يحذر الشاه

وفي الاسبوع الاول لوصولهم التقي الكيلاني بالشاه رضا بهلوي . ووفق ما رواه لي المرحوم رشيد عالي فان اهم ما جرى في هذا اللقاء هو انه قال للشاه ان الحرب فرضتها بريطانيا على العراق رغم كل المحاولات التي بذلت لتلافي نشوبها . وان هذا يعني ان الانكليز يعتزمون احتلال ايران ايضا ، ولذلك فقد نصح الشاه ان يأخذ الحيطة والحذر كى يحافظ على ايران . كذلك فقد ابلغ رشيد عالي الشاه انه لا يعتزم البقاء في ايران . وبالطبع فقد وجه الشكر للشاه على موقفه منه ومن رجاله واستاذن منه ان يلتحق بأسرته التي كانت موجودة فى استنبول بتركيا فأمر الشاه بتسهيل امر خروج رشيد عالي الى تركيا . والواقع ان رشيد، عالي لم يقم في ايران الا لفترة قصيرة حيث عبر الحدود الى تركيا في ٢٢ / ٧ / ١٩٤١ يرافقه الملازم

اول نجدت الشواف المرافق العسكري . وبعد ايام قليلة من مغادرته هاجمت القوات البريطانية ايران من الجنوب والقوات السوفيتية من الشمال واستسلم الجيش الايراني في ذات يوم بدء الهجوم بعد ان أصدر بيانين فقط اعلان الحرب في الاول والاستسلام في الثاني (يك بيان إعلان حرب دو بيان تسلوم) ! ؟

اما بالنسبة لي فاني لم اغادر العراق فور عودة عبد الاله ونوري السعيد خاصة وان حكومة جميل المدفعي لم تقم بأعمال انتقام واسعة واكتفت بالعمل على فرض النظام واعتقال الذين شاركوا في الثورة ، وكان يتم اطلاق سراح من يعتقل بعد ان يستكمل التحقيق معه خلال فترة تمتد من اسبوع الى شهر . وقد ظل الحال كذلك ، وهو حال محتمل نوعا ما ، الى ان شكل نوري السعيد « حكومة الانتقام » في ٩ / ١٠ / ١٩٤١ واعلنت الاحكام العرفية . عندها قررت ان اغادر العراق خاصة وان التحقيقات التي بدأت تجرى في ظل الاحكام العرفية بدأت تشمل قضايا عديدة . وفي ظل هذه الحالة بدأ البعض من أذناب الاستعمار والمرتزقة يشي بكل من لعب دورا في حركة الثورة . وكنت أنا امر سرية في كتائب الفتوة اثناء الثورة واختير فصيلاً اسندت اليه مهمة حماية محطة الاذاعة ودائرة الهاتف المركزية والبريد ببغداد في شارع الرشيد . (السنك)

لذلك وقبل ان يلقي القبض على قدمت طلبا الى جامعة استنبول للدراسة وسافرت على هذا الاساس في الوقت الذى ملئت فيه المعتقلات بالمساجين من جديد . وفي استنبول اتصلت مع المرحوم رشيد عالي الكيلاني الذى كنت اعرفه من خلال العلاقة التي تربط عائليتنا . منذ القدم ، وهي مبنية على الروابط الاسرية العريقة بين الشيخين السهروردى والكيلاني . وبالنسبة لي فقد كنت من مؤيدي رشيد عالي وسياساته منذ العام ١٩٣٥ حين كان وزيراً للداخلية في حكومة ياسين باشا الهاشمي وذلك بسبب جرأته ومواقفه القومية شأني فى ذلك شأن جميع الشباب القومي في وقت كانت بريطانيا تتحكم بكل صغيرة وكبيرة في العراق .

وقد قررت السفر في الواقع خشية ان احاسب على ثلاثة امور :

الاول : اني كنت أمر سرية في كتائب الفتوة كما اشرت مسئولاً عن مراسلات اذاعة بغداد ودائرة التليفونات وادارة البريد المركزى .

الثاني : أنني في يوم ٢ مايس القيت القبض على احد الاجراء الذين كانوا يوزعون منشور السفير البريطاني كورنواليس في شارع الرشيد ببغداد . وقد سلمته لرجال الشرطة في المخفر غير ان المواطنين هاجموه داخل مخفر شرطة العباخانة . وقد تكرر ذات الحادث مرة اخرى في اليوم التالي في منطقة رأس القرية ببغداد .

الثالث : قررت عدم البقاء في العراق لاعيش في ظل احتلال ظالم ، بعد ان عشنا حياة الحرية والانعتاق ! وقد علمت ان الكيلاني سيواصل النضال من خارج العراق كما اخبرني جزمي سليمان .

وحين وصلت الى استنبول كان رشيد عالي في جزيرة (إرن كوي) وقد زرته فيها واستمرت العلاقة معه منذ ذلك التاريخ واثناء وجودى في استنبول سأل نورى السعيد والدى في مجلس الامة وكان عضوا فيه . . « أين ابنك » ؟ فأجابه والدي « انت تعرف اين هو يا باشا » وغادر المجلس فورا بعد ان فهم مغزى اشارة نوري السعيد الذي بادر فيما بعد الى حل مجلس الامة بعد ان خذله هذا المجلس وتعاون مع رشيد عالي الكيلاني اثناء الثورة .

وفي استنبول اقام رشيد عالي في منطقة ماتشكا حيث كان يزوره الكثير من القادة الشعبيين العرب . وكان يناقش معهم تطورات الحرب مع بريطانيا وما آلت اليه الامور .

وذات يوم وبعد ان خلص تقويم الموقف استدعاني وابلغني ان حكومة الدفاع الوطني قررت ان تستمر في النضال ليس سياسيا ، بل عسكريا ، وقال انه تقرر ان يجرى تهيئة الشباب ليكونوا ضباطا بعد ان يتلقون دورات عسكرية ، وانه يوجد عدد كبير من الشباب العرب سوف يلتحقون في فيلق عربي سيجرى تدريبه بشكل جيد وواسع لمقاومة الانكليز وتحرير العراق . وقد اقتنعت بوجهة نظره وتطوعت في هذا الفيلق في اكتوبر ١٩٤١ دون ان اعرف شيئا عن المكان الذي سيجري فيه التدريب .

وقد طلب مني الكيلاني ان اتصل مع الدكتور روف الذي كان يعمل في القنصلية الالمانية في استنبول وذلك لتأمين سفري الى المانيا والالتحاق بالمعسكر ، وقبل نهاية شهر نوفمبر كان السيد رشيد عالي قد اختفي من استنبول حيث غادرها متنكرا خشية ان يتعرض له رجال المخابرات البريطانية .

وكان رفض شاه ايران رضا بهلوي تسليم اللاجئين العراقيين والحاج امين الحسيني

لبريطانيا احد الاسباب التى بررت بها بريطانيا غزو ايران حيث القت القبض على الشاه نفسه وعاملته معاملة سيئة اذ وجهت له الشتائم وقيد بالحديد ونفى الى جزيرة سيشل حيث توفى هناك .

وتقول بعض الروايات انه قتل من قبل السلطات البريطانية في الجزيرة بواسطة السم . وقد نصب الانجليز ابنه محمد رضا بهلوي شاها بديلا . وهو الشاه الذى اطيح به سنة ١٩٧٩ .

خلافات حادة

ورغم العلاقات الخاصة التى ربطت نوري السعيد بعبد الاله فان الخلافات ما لبثت ان دبت بينهما وبلغت من الحدة فى سنة ١٩٥٦ الى درجة جعلت نوري السعيد يغادر العراق الى باريس ، وكان موضوع الخلاف ان نوري السعيد استشعر في ذلك الوقت ان عبد الاله بدأ يتجه لاقامة علاقة خاصة مع الاميركان وذلك في الوقت الذي اشتد فيه التنافس الاميركي البريطاني على النفوذ في العالم بصفة عامة وفي الشرق الاوسط بصفة خاصة ، والغريب ان عبد الاله الذي كان بمثابة الملك الحقيقي ذهب الى باريس تحت ضغط الانجليز الذين كانت لهم الكلمة الاولى في العراق من اجل مصالحة نوري السعيد .

وقد بدأ عبد الاله بالتوجه نحو الاميركان بعد ان شعر ان الانكليز يدعمون نوري السعيد اكثر مما يدعمونه في الوقت الذي اختلف فيه الاثنان ، لذلك رأى عبد الاله انه يجب ان يوفر لنفسه غطاء آخر .

ويكشف سندرسن في مذكراته جانبا من جوانب عدم التوافق بين عبد الاله والانكليز في مرحلة مهمة من تاريخ العراق[١] . ويقول سندرسن انه بعد ان فرض العقداء الاربعة على عبد الاله تكليف طه الهاشمي بتشكيل الحكومة (٣١ / ١ / ١٩٤١ - ١ / ٤ / ١٩٤١) ، عادوا يلحون على الوصي ليكلف الكيلاني بتشكيل حكومة جديدة ، ولهذا اخبره عبد الاله انه (غدا مضجرا جدا من صلاح الدين الصباغ وزملائه الثلاثة ، وانه قد عزم على التخلي عن الوصاية . . ويشرح سندرسن كيف انه شجعه على الاستمرار في الصمود ورتب له لقاء سريا مع السفير البريطاني باسل نيوتن الذي وعد الوصي

بالنظر في تقديم كل مساعدة ممكنة له ، وفي اعقاب هذا اللقاء وافقت الحكومة البريطانية على صرف مخصصات شهرية للوصي كى يعزز سلطته .

وكانت الحكومة البريطانية قد قطعت المخصصات عن عبد الاله ومنعته من تعيين احد أقاربه موظفا في الدولة العراقية ، وبالطبع فان نوري السعيد الذي كانت علاقته مع الانكليز اقوى ، وطموحه اكبر ، لم يكن مستعدا ابدا للتفكير في امكانية التنحي ، بل انه كان في ذلك الوقت يخطط لتقوية مركزه .

ويبدو ان علاقة عبد الاله بالاميركان قد بدأت في سنة ١٩٤١ عندما هرب في مطلع شهر نيسان الى السفارة الاميركية واوصله القائم بالاعمال الاميركي بسيارته الي قاعدة « سن الذبان » البريطانية في الحبانية ، واستمرت منذ ذلك الوقت حتى وصلت ذروتها في عام ١٩٥٦ ، وهنالك عدة حوادث بارزة تخللت هذه العلاقة .

في شهر نيسان ١٩٤٥ وقبل عدة اسابيع من انتهاء الحرب العالمية الثانية تأجلت زيارة مقررة للولايات المتحدة كان سيقوم بها عبد الاله بسبب الوفاة المفاجئة للرئيس الاميركي روزفلت ، وقد تجددت الدعوة في عهد الرئيس الاميركي الجديد ترومان وتمت في الفترة بين ٢٢ / ٥ / ١٩٤٥ و ٢٧ / ٦ / ١٩٤٥ . وصحب عبد الاله في هذه الزيارة الطويلة نوري السعيد الذي كان قد ترك رئاسة الحكومة لحمدي الباجه جي قبل قرابة العام وداود الحيدري والعقيد عبد الله المضايفي وسندرسن وقد تم السفر من بغداد الى نيويورك على متن احدى الطائرات المخصصة لاستعمال الرئيس الاميركي من طراز سكاى ماستر ، وفي واشنطن « انعم » الرئيس الاميركي على عبد الاله ، بوسام الاستحقاق من درجة القائد الاعلى . . وهو وسام لا يمنح الا نادرا .

اعادة ترتيب

وبالطبع فان هذه الزيارة الطويلة التى شملت معظم انحاء الولايات المتحدة في الوقت الذي كانت تجرى فيه عملية اعادة ترتيب خارطة النفوذ فى العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية[1] هي زيارة مهمة ، ولهذا فلم يمنع سندرسن نفسه من التعبير عن القلق من ان تؤدي

(١) انتهت الحرب العالمية الثانية يوم ٩ / ٥ / ١٩٤٥ باعلان استسلام المانيا رسميا .

زيارة عبد الاله للولايات المتحدة الى احلال النفوذ الاميركي محل النفوذ البريطاني في العراق[٢] وكان قلق سندرسن في محله اذ ان عبد الاله بعث وهو يغادر اجواء الولايات المتحدة ببرقية شكر الى الرئيس ترومان عبر فيها عن انبهاره بما رآه اثناء الزيارة .

وفي العام ١٩٥٢ قام عبد الاله بزيارة اخرى الى واشنطن اصطحب معه فيها الملك فيصل ونوري السعيد ، وفي نيسان ١٩٥٤ وقع العراق أول اتفاقية معونات عسكرية مع الولايات المتحدة وذلك في عهد حكومة فاضل الجمالي الثانية ، وكان فاضل الجمالي وهو خريج جامعة كولومبيا الامركية في نيويورك قد شكل حكومته الاولى في ١٧ / ٩ / ١٩٥٣ واستقال في ٢٧ شباط ١٩٥٤ حيث اعاد الوصي تكليفه في ٨ آذار واستمرت حكومته الثانية حتي ١٩ نيسان ١٩٥٤ ، وفي المرتين كلف الجمالي بتشكيل الحكومة دون استشارة نوري السعيد وبالضد من رغبته .

وبعد عودة نوري السعيد من باريس عادت علاقاته مع عبد الاله الى مجاريها من الناحية الشكلية ولكنه لم يعد يثق بنوايا الوصي اتجاهه .

والواقع ان الخلاف بين الرجلين لم يكن حول موضوع علاقات عبد الاله بالاميركان فقط بل لقد كانت هناك خلافات على السياسات الداخلية ، ففي تلك الفترة بدأ عبد الاله يحاول ان يقول « لا » لنوري السعيد ، فمثلا كان نوري السعيد يريد ان تشكل الحكومة برئاسة فلان ، وكان عبد الاله يريد ان تشكل الحكومة برئاسة فلان آخر .

وبدأ عبد الاله يعترض على قائمة الوزراء التي يقترحها نوري السعيد للوزارات المتعاقبة حيث كان نوري السعيد هو الذي يعين الوزراء حتى وان لم يكن هو رئيسا للوزراء فقد كان نورى السعيد يكون اكثر قوة حين يكون خارج الحكومة ، وتكون سيطرته على الحكم اقوى ، بل انه اذا كان يريد ان يمرر امرا ما ، كان يستقيل من رئاسة الحكومة لتشكل حكومة اخرى تقوم بتمرير ما يريده ثم تستقيل ليعود هو للحكم من جديد !

كان نورى السعيد يتعامل مع عبد الاله بلغة الامر ، ويفرض عليه ما يريده ، فاذا طلب نوري السعيد من الوصي حل مجلس الامة وسأل الوصي عن سبب ذلك كان نوري

---

(٢) مذكرات سندرسن / صفحة ٣٣٤ وما بعدها ..

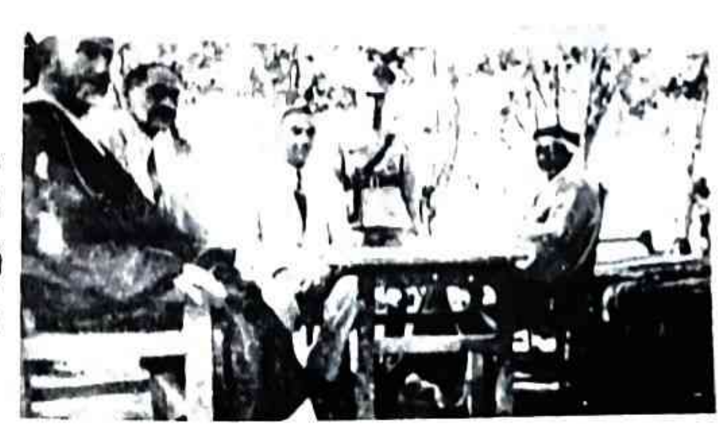
السعيد يجيب الوصي بكل بساطة وصراحة . . لا تناقش . . وكان الوصي ينصاع !!

وفي بداية الخمسينات بدأ الوصي يحاول ان يشكل لنفسه قوة خاصة به ، فأخذ يتصل مع الناس ويعقد الاجتماعات مع قادة الاحزاب والوزراء ويناقش معهم الامور في جلسات مفتوحة مما اثار حفيظة نوري السعيد الذي لم يكن يرضى ان يكون لاحد في العراق كلمة سواه .

وقد تضاعف الخلاف بين عبد الاله ونوري السعيد . بعد ان توج الملك فيصل الثاني ملكا واصبح عبد الاله وليا للعهد حيث انه منذ البداية عين بعد مقتل الملك غازي وصيا على العرش ووليا للعهد ، ولم يكن نوري السعيد يعرف الملك فيصل في حين ان الملك فيصل لم يكن يجرؤ على مخالفة تعليمات خاله ، بل انه لم يكن مسموحا له بالكلام من قبل خاله ، وبسبب من هذه السيطرة المطلقة فان الملك لم يكن سليم النطق حيث كان يتأتيء من جراء عقدة نفسية اصيب بها بسبب القسوة البالغة ، التي كان خاله يعامله بها .

ومع ذلك فقد استمر نفوذ نوري السعيد بشكل او بآخر بسبب دعم الانجليز له ، وقد بلغ ارتباط نوري السعيد بالانكليز انه طلب من ايدن رئيس وزراء بريطانيا عندما بلغهما نبأ تأميم عبد الناصر لشركة قناة السويس ، وكانا معا على مائدة العشاء حيث كان نوري السعيد في زيارة الى لندن ، ان تقوم بريطانيا باحتلال مصر ، وقد ذكر ايدن ذلك في مذكراته ، كما هو معروف !

لقد كان نوري السعيد يمثل طرازا غريبا من العملاء فهو ان كان قد طلب من الانكليز غزو مصر فقد سبق له ان طلب غزو بلاده العراق في سنة ١٩٤١ .



من (اليمين) الحاج أمين الحسيني ، رشيد عالي الكيلاني ، محمد امين زكي الشريف شرف في مركز الحدود الايراني في مدينة قصر شيرين ويبدو ضابط ايراني واقفا . الصورة اخذت ساعة وصولهم الى الحدود الايرانية .

لجوء الكيلاني والحسيني إلى المانيا

الخروج من ايران

احتلال ايران ، كما شرح رشيد عالي للشاه من قبل ، كان خطوة منسقة بين بريطانيا والاتحاد السوفيتي من اجل تطويق عملياتها الحربية في خضم الحرب العالمية الثانية .

وقد اختلف موقف الشاه الجديد الذي تعامل مع بريطانيا عن موقف والده من اللاجئين العراقيين حيث قام بتسليمهم الى السلطات العراقية باستثناء الذين تمكنوا من الهرب من ملاحقة رجال الامن الايرانيين ، وقبل ان يبدأ الهجوم على ايران كان المحامى قاسم حسن قد توجه الى موسكو بتنسيق مع السفير السوفيتي في طهران بهدف العمل على الحصول على دعم الاتحاد السوفييتى للاحرار العراقيين الذين يريدون التحرر من الاستعمار البريطاني ، واثناء وجوده في موسكو فوجي بالغزو البريطانى السوفيتي لايران فظل في موسكو حتى انتهت الحرب العالمية الثانية .

وقد ارسل البريطانيون اللاجئين العـراقيين الى الاهواز في حين نفـوا بعضهم الى سالزبوري في جنوب افريقيا وهم الشريف شرف وناجي السويدي وموسى الشابندر وزير خارجية الدفاع الوطني ووزير المالية رؤوف البحراني وعبد القادر الكيلاني الذي كان سفيرا للعراق في باكستان بعد الحرب العالمية الثانية والشريف سيف ومحمد على محمود ومحمد عباس وعبد الحق العزاوي وجودت سامي سليمان وكامل شبيب وعبد الـرزاق شبيب وجمال الحسيني وموسى كاظم الحسيني من القادة الفلسطينيين .

اما العقداء فهمي سعيد وكامل شبيب ومحمود سلمان ويونس السبعاوي الذى كان وزيرا

في حكومة الدفاع الوطني فقد نقلوهم فيما بعد من الاهواز الى بغداد حيث حوكموا واعدموا في ٥ مايو ١٩٤٢ .

ابرز اللاجئين

وكان الحاج امين الحسيني والعقيد صلاح الدين الصباغ هما ابرز الذين تمكنوا من الهرب من ايران ، فقد تمكن العقيد الصباغ من اللجوء الى تركيا حيث تنكر هناك لمدة طويلة قبل ان يلقى القبض عليه من قبل القوات التركية التى احتفظت به من عام ١٩٤٢ الى عام ١٩٤٤ حيث تغير اتجاه المعارك في الحرب العالمية الثانية لغير صالح المانيا . ونتيجة للضغوط الشديدة التي تعرضت لها تركيا من قبل الانكليز والنظام الملكي في العراق . وكذلك من قبل حكومة الولايات المتحدة الاميركية ، اضطرت لتسليمه للقوات الانكليزية في سوريا . وقد تمكن المرحوم صلاح الدين ان يفلت من قبضة الانكليز ويختفى الا ان رجال الامن تمكنوا من القاء القبض عليه فسلموه الى حكام العراق ! ؟

وكانت سوريا تخضع من الناحية العملية في حينه للنفوذ البريطاني بسبب سقوط فرنسا تحت الاحتلال الالماني . وكان يجرى التفتيش في الحدود السورية من قبل موظفين سوريين وجنود انكليز ايضا . تماما كما كان الحال على الحدود العراقية . وكانت توجد في سوريا قوات بريطانية الى جانب القوات الفرنسية الموالية لحكومة ديغول التى شكلت في المنفي . واعتقد انه رغم الضغوط البريطانية فقد كان بامكان الرئيس شكري القوتلي أن يرفض تسليم العقيد صلاح الدين الصباغ للحكومة العراقية ، وقد اعدم الشهيد الصباغ في تاريخ ١٦ اكتوبر ١٩٤٥ .

جواز ايطالي

وفيما يتعلق بالحاج امين الحسيني فقد حصل على جواز سفر ايطالى دبلوماسي من السفارة الايطالية في طهران وحلق لحيته وغادر ايران باعتباره موظفا ايطاليا بعد ان غير ملابسه ايضا . وقد توجه بداية من طهران الى منطقة الاحتلال الروسي التي كانت تحاذي طهران شمالا . ومن هناك اتجه الى تركيا بالقطار . وفي تركيا وامعانا منه في التكتم على تحركاته وعدم كشف هويته لم يتصل مع احد حتى مع رشيد عالي الكيلاني . ومن استنبول تولى الايطاليون نقله بسرية كاملة الى روما . ومن هناك توجه الى برلين حيث اعلن عن وصوله الى المانيا ،

وقد استغرقت رحلته من طهران الى برلين حوالى الشهر .

في برلين تجدد اللقاء ثانية بين الحاج امين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني الذى غادر استنبول سرا هو الاخر . ولكن الالمان هم الذين رتبوا سفره ليس الايطاليين ، وقد تولت ذلك السفارة الالمانية في تركيا ، واتخذ هذا القرار في ضوء قرار رشيد عالي نفسه مواصلة النضال والضغوط التي كانت تمارسها بريطانيا والعراق على الحكومة التركية لتسليمه للعراق . اما الذى وضع خطة هرب رشيد عالي من استنبول فهو الكولونيل ليفركون معاون مدير الاستخبارات العسكرية الالمانية في الشرق الاوسط ، وليفركون هذا كان يعمل تحت امرة الادميرال كنارس الذي كان احد القادة العسكريين الكبار في المانيا والذي كان يشرف على اكبر منظمة تجسس واستخبارات في العالم . وكان قد وقع اختيار كنارس على ليفركون للعمل في الشرق الاوسط لانه سبق وان تخصص في دراسة الاثار ، وباعتباره استاذا لهذه المادة فقد كان عارفا لطبيعة المجتمعات في دول الشرق الاوسط العراق ـ مصر ـ تركيا ـ افغانستان . . الخ .

الكيلاني صحافي الماني

الخطة المحكمة

اما الخطة نفسها فقد استدعت حضور وفد صحفي من المانيا لزيارة تركيا . وعند وصول الوفد الى تركيا اصيب احد اعضاء الوفد برأسه من جراء حادث سيارة افتعل لهذه الغاية فلم يتمكن من مرافقة الوفد اثناء مهمته بل اقام في مبنى القنصلية الالمانية في استنبول ليكون تحت اشراف طبيب القنصلية الالماني واسم هذا الصحافي فاكرنا غل ، وكانت مواصفاته تنطبق على مواصفات رشيد عالي الكيلاني من حيث الشكل والطول . ويوم انتهت مهمة الوفد الصحفي الالماني في تركيا خرج رشيد عالي من بيته بسيارة كان يقودها سائق عراقى اسمه نعيم اوصله الى منطقة (سركشي) وهي منطقة ازقة . وكانت توجد سيارة في انتظاره حيث استقلها الى مكان اخر استقل منه سيارة ثالثة نقلته الى داخل القنصلية الالمانية حيث جرى لف رأسه باعتباره الصحافي المصاب . وكانت قد اجريت (بروفة سابقة) للتأكد من أن المخابرات التركية لم تكتشف دخول الكيلاني الى القنصلية الالمانية . وقد تأكد ليفركون من عدم اكتشاف البروفة لان ثلاثة أرباع العاملين في المخابرات التركية كانوا يتعاملون معه فى

ذات الوقت .

وفي الليلة التي تم في صباحها تهريب رشيد عالي بدلا من الصحافي المصاب بطائرة الوفد الصحفي ، أقامت القنصلية الالمانية حفلا ساهرا حتى الصباح على شرف الوفد الالماني دعت اليه جميع مضيفهم الاتراك . وكانت مهمة هذا الحفل اسكار الاتراك بحيث لا يتمكن اى منهم من الحضور الى المطار في صباح اليوم التالي لوداع الوفد الالمانى . وبالفعل لم يحضر للوداع سوى اثنين او ثلاثة من الاتراك وكانوا يعانون من الدوخة والصداع من جراء فعل الامس الذي امتد حتى الفجر فلم يلحظوا ان الرجل الذي غادر استنبول بدلا من الصحافي المصاب لم يكن سوى السيد رشيد عالي الكيلاني الذي كانت تراقبه في استنبول المخابرات التركية والبريطانية والفرنسية والسوفيتية وكذلك الالمانية ، والاخيرة كانت تراقبه من اجل حمايته .

وبعد ان غادرت الطائرة مطار استنبول وارتفعت في الجو ، وكانت طائرة عسكرية صغيرة في الاساس ، شعر السيد رشيد عالي بالحر الشديد من جراء العصبة السميكة التي لف بها رأسه رغم ان الشتاء قد بدأ يطرد الصيف ، فقام بفك اللفافة عن رأسه وهو داخل الطائرة التى نقلته الى برلين .

وبعد عودة السيد رشيد عالي لبغداد اثر ثورة تموز ١٩٥٨ زاره في منزله ببغداد الكولونيل ليفركون الذي كان قد اصبح نائبا فى برلمان بلاده ، فقد كان في زيارة لطهران وتعمد ان يمر ببغداد في طريق عودته خصيصا من أجل تهنئة السيد رشيد عالي بعودته للعراق ، واثناء هذه الزيارة ابلغ رشيد عالي قصة طريفة ، قال ليفركون انه في الوقت الذي كان السيد رشيد عالي يستقل طائرة الهرب في مطار استنبول كان رجال المخابرات البريطانية قد توجهوا جميعا الى الموانيء البحرية من اجل اكتشاف عملية هرب السيد رشيد عالي بواسطة صندوق اثار وكان ليفركون نفسه قد سرب هذه المعلومات للمخابرات البريطانية بواسطة رجاله الذين يتعاملون مع البريطانيين ولكن لحسابه .

الاتصال الاول

يعود الاتصال الاول بين السيد رشيد عالي الكيلاني الذى استقر به المقام في برلين اثناء الحرب العالمية الثانية وحتي نهايتها . . يعود اول اتصال اجراه مع الالمان الى عام ١٩٣٥ يوم

كان وزيرا للداخلية في حكومة ياسين باشا الهاشمي ، وفي ذلك الوقت تقرر ان تبرم صفقة اسلحة المانية سرية لصالح العراق حتى لا يعلم بها الانكليز . ولهذه الغاية اتصل السيد رشيد عالي مع الوزير المفوض الالماني في بغداد . غروبا الذى كان يعاونه القنصل العام د . غرانو الذي كان يتكلم العربية حيث تعلمها في بغداد . اتفق على ارسال العميد الهاشمي شقيق رئيس الوزراء ورئيس اركان الجيش في ذلك الوقت في زيارة سرية الى المانيا للتفاوض على شراء الاسلحة .

ولكن الذى حدث ان بكر صدقي الذي كان معاونا لرئيس الازكان وكان مطلعا على مهمة رئيس الاركان السرية لالمانيا حيث لم تكن قد اكتشفت علاقة بكر صدقي بالانكليز بعد ، سارع الى القيام بانقلابه العسكري اثناء وجوده رئيس الاركان في المانيا . وربما كان الانكليز هم الذين عجلوا في توقيت الانقلاب اضافة للاسباب التي ذكرناها سابقا ، والواقع انه لم تكن هناك نية للتعاون الكامل مع المانيا وهو الامر الذي حدث فيما بعد بسبب ايمان الكيلاني والقادة العسكريين بالذات وكل المخلصين بأن العراق وكل البلاد العربية يجب ان تحافظ على حيادها في الحرب العالمية الثانية وان لا تنحاز الى جانب اي من اطرافها ، وكانت الرغبة في الحياد صادقة غير ان الضغوط البريطانية لقطع العلاقات مع دول المحور استفزت العراق .

هدف الاتصال

الاتصال الاول الذي جري بين السيد رشيد عالي والالمان سنة ١٩٣٥ كان قبل بدء الحرب العالمية الثانية التي نشبت سنة ١٩٣٩ ، وكان الهدف منه تقوية الجيش العراقي ، وقد اشتملت صفقة الاسلحة الالمانية على طائرات سافوي الايطالية ومدافع مضادة للطائرات بالاضافة الى الاسلحة الخفيفة في المقام الأول .

اما الالمان فقد كانوا يعرفون ان تسليح العراق من شأنه ان يثير بريطانيا ، ولذلك فقد التزموا بتنفيذ الصفقة حتى بعد ان اطاح انقلاب بكر صدقى الموالي لبريطانيا بحكومة ياسين الهاشمي ، وكانت المانيا في ذلك الوقت تسعى بمختلف السبل لتوطيد علاقاتها مع العرب ، ومن ذلك انها كانت تشجع سفر العرب اليها . ولهذه الغاية كان للمارك سعرين ، سعر رسمى حيث كان الدينار يصرف بـ ١٢ مارك وسعر سياحي وكان يصرف بـ ٢٤ ماركا .

وكانت العلاقات العلمية بين العراق والمانيا جيدة حيث كان اغلب الطلبة العراقيين يتوجهون الى المانيا للدراسة في مختلف التخصصات العلمية ، كما كانت اللغة الالمانية مقررة على طلبة المدارس الثانوية في العراق ولم تكن بريطانيا راضية عن ذلك لهذا فبعد ان اجتاحت القوات البريطانية العراق الغت تدريس اللغتين الالمانية والفرنسية في العراق رغم ان المناهج الدراسية كانت مقررة قبل تشكيل حكومة الدفاع الوطني وقد الغيت تدريس الفرنسية بسبب سقوط فرنسا تحت الاحتلال الالمانى .

وقد عكس قرار الغاء تدريس اللغة الالمانية قلق بريطانيا الكبير من التعاطف المتزايد الذي كان يبديه العرب اتجاه المانيا ، خاصة بعد نشوب الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩ ، وهو تعاطف مماثل للذي حظيت به بريطانيا من العرب اثناء نشوب الحرب العالمية الاولى حين ادى هذا التعاطف الى قتال العرب بجانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية ، وبالتالى فقد خشيت بريطانيا من هذا التعاطف .

يونس بحري

ان الصحافي العراقي يونس بحري الذي هرب من العراق الى المانيا حيث عمل في اذاعة برلين باللغة العربية قد لعب دورا كبيرا في كسب تأييد العرب لصالح المانيا ، وقد اشتهر يونس بحري بندائه الشهير الى مستمعيه « هنا برلين حى العرب » وقد ساهم هذا النداء في تحول المستمعين العرب الى اذاعة برلين عن الكثير من الاذاعات الاخرى ، وخاصة اذاعة لندن العربية التى افتتحت في ذات العام ، وبالتالى فان شخصية يونس بحري لعبت دورا كبيرا في انتصار الاعلام الالماني في طول البلاد العربية وعرضها وخاصة في شمال افريقيا ، فى حين لم يكن الاعلام البريطاني قادرا على تحقيق نتائج مماثلة .

ويونس بحري كان في العراق صاحب صحيفة (العقاب) اليومية ، وكان والدي المدير المسؤول في الصحيفة منذ سنة ١٩٣٥ . وقد ظلت « العقاب » تصدر في بغداد لفترة في الوقت الذى كان فيه يونس بحري يعمل في اذاعة برلين . وفي احد الايام استدعى وزير الداخلية والدي وسأله كيف تصدر الصحيفة . . ؟ فأجابه هذه صحيفة يونس بحري واسمه مسجل عليها ، سأل الوزير ثانية الا تسمعه كيف يشتمنا يوميا . . ؟ اجاب والدي باللهجة العراقية « بلى دا اسمعه كل يوم ملعون الوالدين . عبالي من بغداد يشتمكم » .

قال الوزير بلهجة استغراب . . بيك . . ما هذا الكلام . . ؟ اجاب والدى . . ما دمتم تعرفون ذلك لماذا لا تغلقون الجريدة . . ماذا تنتظرون . . ؟

وقد اغلقت الجريدة فعلا . . والواقع ان المدير المسؤول هو المسئول الوحيد عن ما ينشر في الجريدة . . وحين كان يشتم يونس بحري الحكومة العراقية والانكليز من برلين لم تكن « العقاب » قد ارتكبت اية مخالفة .

والواقع ان التعاطف الشعبي العربي مع الالمان كان ينطلق من مجموعة عوامل . . فمن جهة اولى فان عدو عدوي صديقي . . والمانيا كانت تعادى اليهود . . كذلك فان الالمان كانوا يهتمون بفلسطين بشكل لا يصدق بسبب وجود الاماكن المقدسة للمسيحيين فيها ، والالمان شعب شديد الايمان . والى جانب هذا فان موقع المانيا فى اوروبا مماثل لموقع البلاد العربية ، فالمانيا هي خط المواجهة الاول للدفاع عن قلب اوروبا ، والعالم الغربي ، والشعب الالمانى شعب محارب عرف بهذا منذ الدولة البروسية مما اثار اعجاب العرب بشجاعة الالمان .

في ظل هذا المناخ جرى الصدام بين الرموز القومية في العراق وبريطانيا . وانا لا استطيع ان اقول ان الاعلام الالمانى النشيط كان ينطلق من حب العرب ، فقد كانت كراهية الانكليز هي الاساس ، غير انه كان لدى العرب عموما ثقة بالالمان . في حين انه لم يكن بالامكان ان تجد عربيا يثق بالانكليز بمن في ذلك نوري السعيد !! ذلك ان الانكليز عرفوا بالكذب والخداع ، أما الالمان فكانوا يقولون ببساطة انهم يستطيعون او يريدون ان يفعلوا الامر الفلاني او انهم لا يريدون ان يفعلوا .

سبب الهزيمة

وبسبب المواقف المبدئية للالمان هزم العراق في الحرب مع بريطانيا ، ذلك ان المانيا تقديرا منها لتحالفها مع تركيا في الحرب العالمية الاولى امتنعت عن ان تضغط عليها من اجل تمرير نفط واسلحة للعراق ، كان الجيش العراقي في امس الحاجة اليها ، وبدلا من الضغط على تركيا اجرت المانيا اتصالات مع الاتحاد السوفييت لارسال اسلحة للعراق عبر اراضيه غير ان موسكو التي كانت متفقة مع بريطانيا على خطوط سياسية عريضة في الحرب العالمية رفضت ارسال اسلحة مباشرة للعراق ، ووافقت ان تمر شاحنات محملة بالاسلحة عبر اراضيها على

انها مرسلة لافغانستان في حين انها كانت تعرف ان السلاح مرسل للعراق .

ووفق ما رواه لي السيد رشيد عالي الكيلاني فانه سبق ان قام بمحاولتين لاقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتى ، المحاولة الأولى سنة ١٩٤٠ قبل هروب عبد الاله وتشكيل حكومة الدفاع الوطني ، غير ان هذا الاتصال فشل في اقامة علاقات مع موسكو لان الحكومة السوفيتية بزعامة ستالين في ذلك الوقت رفضت ادراج قضية فلسطين على جدول الاعمال الذى كان يتضمن من وجهة نظر العراق بحث امور التعاون والتجارة الثنائية وتزويد العراق بالاسلحة مقابل تزويد الاتحاد السوفيتى بالقطن العراقى .

المحاولة الثانية تمت في مايس سنة ١٩٤١ اثناء الحرب مع بريطانيا ، وقد تم الاتصال مع فينوغرادور السفير السوفيتى في انقرة ، وكلف السيد كامل الكيلاني الوزير المفوض في انقره القيام بهذا الاتصال حكمت سامى سليمان وخالد حمدي ، والاخير هو زوج شقيقتي .

وقد اضطر الجانب العراقى الى ارجاء بحث قضية فلسطين في هذه المرة بسبب اصرار السوفيت على ذلك وحاجة العراق الماسة الى السلاح ، غير ان الاحداث تسارعت ولم يسمح الوقت بعقد محادثات رسمية بين الجانبين تؤدى الى اقامة علاقات بين الاتحاد السوفيتي والعراق ، فقد تمكنت القوات البريطانية من الوصول الى بغداد قبل حدوث ذلك .

الاتصال الثانى

وواضح من سياق الحديث ان استجابة المانيا لتلبية مطالب العراق كانت هى الاسرع ، وكان الاتصال الاول مع المانيا قد حدث سنة ١٩٣٥ كما اشرنا ، اما الاتصال الثاني فقد تم سنة ١٩٤٠ وهي ذات السنة التي تم فيها الاتصال لاول مرة مع الاتحاد السوفيتي ، وقد تم هذا الاتصال تحديدا بعد ان استقال الكيلاني من رئاسة الوزارة وهروب الوصي الي الديوانية . . اى بعد ان فشلت محاولة الاتصال الاول مع الاتحاد السوفيتي ، غير ان الاتصال مع المانيا لم يتم هذه المرة باسم الدولة العراقية ذلك ان السيد رشيد عالي لم يكن يتولي اي منصب رسمي في هذه الاثناء ، بل تم باسم اللجنة السرية التى اشرنا الى انها شكلت من الكيلاني والمفتي والقادة الاربعة وآخرين ، وقد تم الاتصال على النحو التالي . . كلف المفتي الحاج امين الحسيني احد اتباعه وهو عثمان حداد (فلسطينى) بالاتصال مع الحكومة الالمانية في برلين وسافر الى هناك لهذه الغاية حيث حمل رسالة من المفتي الى وزارة الخارجية الالمانية ،

وقد ولدت هذه الرسالة انطباعا لدى وزارة الخارجية الالمانية بأنه يوجد هناك من يعمل ضد بريطانيا في العراق سيما وان الدكتور غروبا الوزير المفوض السابق في بغداد قد تفهم ما تهدف اليه هذه الرسالة في ضوء اتصالاته السابقة مع الكيلاني والمفتي والتي لم تكن تخرج في ذلك الوقت عن اطار اللقاءات المعتادة بين غروبا واقطاب سياسيين في البلد الذى يعمل فيه ، غير انه لم يترتب اي اجراء عملي على هذا الاتصال باستثناء ابداء الاستعداد للتعاون .

وتلاحقت الاحداث .. وعندما شكلت حكومة الدفاع الوطني وبدأ الغزو البريطاني للعراق في ٢ مايس ١٩٤١ بادر الكيلاني الى الاتصال مع المانيا واعادة العلاقات الدبلوماسية معها واستدعي الدكتور غوريا بالاسم ليكون سفيرا قديما جديدا لحكومته في بغداد وذلك لتسهيل التنسيق بين العراق بقيادة حكومة الدفاع الوطني والمانيا ، واتفق على تقديم مساعدات عسكرية فورية للعراق ، غير ان الظروف لم تسمح لوصول شيء يذكر باستثناء الطائرات التى اشرنا اليها سابقا ، والتى لم يكن لدى العراق الوقود اللازم لتشغيلها ومع ذلك فقد قدمت طائرات عسكرية المانية بقيادة طيارين المان وشاركت في القتال ، دون ان تتمكن من تغيير موازين القوي والتأثير في النتائج النهائية للحرب .

● ليفركون : في كتابه عن الكيلاني سألته حين زار الكيلاني ببغداد بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وهو يداعبه في ذكرياته عن ذلك اليوم الذي تم فيه توديع الهر فاكر ناكل بمطار استنبول ، عما كتبه حول الدافع الذي ذكره عن الكيلاني للسفر الى المانيا اذ كتب يقول : ان الكيلاني حين علم بوجود المفتي في برلين بادر هو الآخر بالسفر ! ؟

سألته وماذا كنت تعني في ذلك ؟

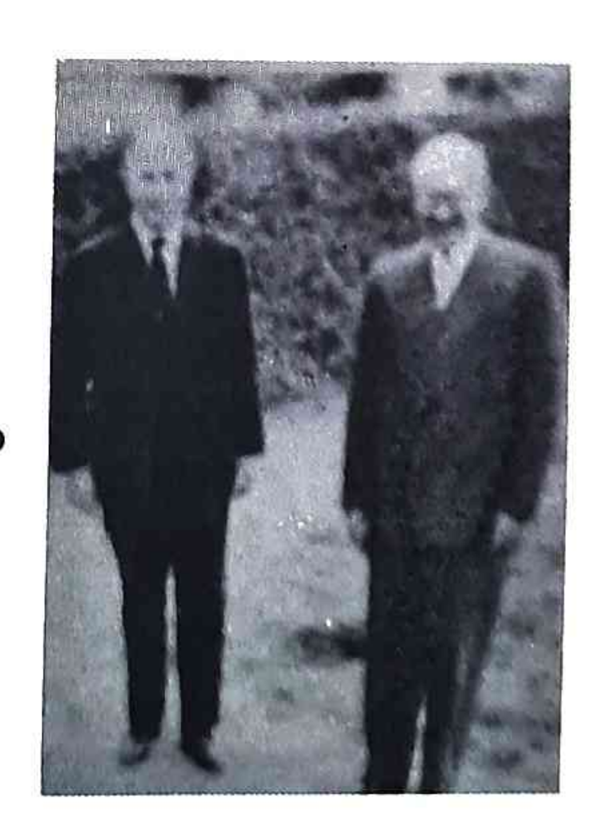
قال : رجل المخابرات الناجح دائما يستند على وسائل (المراوغة) فماذا تتوقع ان اقول غير ذلك ؟ وانا لا املك آنذاك سوى تنفيذ الأوامر التي تصدر عن الادميرال كنارس ؟



● الكيلاني يفك اللفافة عن رأسه في الطائرة التي هربته من تركيا الى برلين



● الشريف شرف والى يمنه السيد رؤوف البحراني والى يساره السيد موسى الشابندر في المنفي في سالزبورى



● الكيلاني وغروبا في حديقة بيت الكيلاني ببغداد بالصليخ يزوره الدكتور فرنس كروبا بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مهنئا بالعودة الى العراق بعد رحلة دامت ١٨ سنة !

العرب يفوضون الكيلاني

التفويض العربي

بعد ان فك اللفاة من على رأسه ، هبطت الطائرة العسكرية الالمانية التي « هربت » بتشديد الراء السيد رشيد عالي الكيلاني من استنبول إلى مطار شوينفلد في برلين يوم ٢١ نوفمبر ١٩٤١ . ولم يحظ الزعيم العراقي والعربي بأي استقبال رسمي حافل ذلك ان وصوله إلى العاصمة الالمانية كان ولا يزال سرا من الاسرار ، بل اعد له استقبال بسيط فقط شارك فيه موظف من وزارة الخارجية الالمانية والدكتور غروبا الوزير المفوض السابق في بغداد . وكان هناك ايضا الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين الذي كان قد وصل برلين قبل الكيلاني كما اشرنا .

وكانت الترتيبات السرية لوصول الكيلاني إلى برلين وعدم الاعلان عن ذلك في حينه موضوع اتفاق مسبق بينه وبين الحكومة الالمانية من خلال ليفركون في تركيا . وذلك حتى لا تحرج المانيا امام الحكومة التركية لاقدامها على تهريبه بالطريقة التي تمت . سيما وان وزير الخارجية التركية في حينه سراج الدين اوغلو كان قد طلب من السيد رشيد عالي بواسطة شقيقه السيد كامل الكيلاني الذي كان قائما باعمال السفارة العراقية في تركيا ان يعمل على مغادرة الاراضي التركية بالطريقة التي يراها حتى تتخلص تركيا من الضغوط البريطانية والعراقية المستمرة لتسليمه للعراق .

كذلك فقد اتفق بين السيد رشيد عالي الكيلاني والحكومة الالمانية على عدم الاعلان عن وصوله إلى المانيا الا بعد ان يتم الاتفاق على ذلك وعلى البرنامج التحرري الذى كان قد اتفق عليه مع زعماء عرب بارزين اجتمع بهم وتراسل معهم في فترة تواجده في تركيا . وكان الكيلاني

حريصا على ان لا يذهب إلى المانيا بوصفه لاجئا سياسيا هاربا . والزعماء العرب الذين اتفقوا مع الكيلاني وفوضوه بالتحدث مع حكومة الرايخ الالماني ودول المحور باسم الامة العربية هم ناجي شوكت والدكتور محمد حسن سلمان عن العراق والامير عادل ارسلان ونبيه العظمة عن سوريا وعبد الكريم السبعاوي عن لبنان واسحق درويش عن فلسطين والدكتور صبحي ابو غنيمة عن شرق الاردن . كما كان الكيلاني يحمل تفويضا من الشريف شرف الوصي على عرش العراق الذي عينه مجلس الامة العراقي بعد هرب عبد الاله ، ومن حكومة الدفاع الوطني وقد جاء في هذا التفويض المحرر ما يلي :

اولا : ان يقوم السيد رشيد عالي الكيلاني عند وصوله إلى برلين بحمل الحكومة الالمانية على الاعتراف بصفته الرسمية اي بكونه رئيسا لوزراء العراق لتكون لمحادثاته واتفاقاته مع المانيا صفة رسمية تلزمها بتنفيذها في حالة انهاء الحرب .

ثانيا : ان يعمل الكيلاني على الحصول على تصريح رسمي من الحكومتين الالمانية والايطالية باحترام استقلال البلاد العربية المستقلة وتأييد استقلال البلاد العربية الواقعة تحت النفوذ الاجنبي واستقلال فلسطين العربية والقضاء على وعد بلفور الخاص بانشاء وطن قومي لليهود بفلسطين .

ثالثا : ان يسعى للحصول على تصريح من الحكومتين الالمانية والايطالية باحترام اتحاد البلاد العربية الذي ستبذل الجهود بعد الحرب لتحقيقه .

وفيمايتعلق بالتصريح الخاص باحترام استقلال البلاد العربية المستقلة وتأييد استقلال البلاد العربية الواقعة تحت النفوذ الاجنبي واستقلال فلسطين والقضاء على وعد بلفور ، فقد اعد الزعماء العرب نص التصريح الذي يريدون من المانيا وايطاليا اصداره . وهذا هو النص بخط يد الكيلاني في مجموعة وثائقه .

تصريح الماني ـ ايطالي إلى البلاد العربية

١ ـ ان دولتي المحور ـ تقدمان إلى البلاد العربية الرازحة في الوقت الحاضر تحت السيطرة او الاحتلال البريطاني كل مساعدة متصورة في كفاحها لاجل تحررها .

٢ ـ ان دولتي المحور ـ رغبة في تحقيق اماني العرب مستعدتان للاعتراف بالسيادة المطلقة والاستقلال التام للبلاد العربية في الشرق الادنى التي هى محتلة من الانجليز او تحت

اشرافهم في الوقت الحاضر . وحينما تقرر هذه البلاد انشاء الوحدة فيما بينها فان دولتي المحور لن تبديا اية معارضة ازاء ذلك .

على هذا الاستعداد يجب ان يسجل في المستقبل القريب في معاهدة رسمية ينبغي ان توثق عرى الصداقة الصحيحة والتعاون الوثيق في المستقبل بين دولتي المحور والعرب وستجري المفاوضات لعقد هذه المعاهدة في اسرع ما يمكن .

اما التصريح الخاص باحترام اتحاد البلاد العربية فقد صاغه الزعماء العرب على شكل معاهدة رسمية هي التي تحدثت عنها صيغة التصريح السابق على ان يجري التفاوض لعقدها بعد اصدار تصريح مبدئي بالموقف الالماني - الايطالي . وهذا هو نص الصيغة النهائية للمعاهدة المقترحة كما اقرها الزعماء العرب في ١٩٤١/٩/٢٨ بعد فترات طويلة ناقشوها خلالها الكثير من الاقتراحات .

١ - الموافقة على انشاء دولة عربية مستقلة ذات سيادة تامة داخلية وخارجية تتألف من :

أ - المملكة العراقية الحاضرة .

ب - جميع البلاد السورية المحتوية على سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن .

ج - الامارات العربية الواقعة تحت النفوذ البريطاني .

٢ - قيام هذه الدولة عند توقيع هذه المعاهدة والاعتراف بالحكومة العراقية الكيلانية ممثلة لها . وتتخذ الحكومة المشار اليها مركزها في مكان تختاره .

٣ - يتعاون الفريقان في تحرير اجزاء هذه الدولة كلها ويقوم الفريق الثاني بتسليح الفريق الاول وتمويله لهذه الغاية .

٤ - تنضم الدول العربية إلى الميثاق الثلاثي ويكون لها مندوبون في اللجان والابحاث المتعلقة بمصالحها وببلادها وبما يجاورها .

٥ - تمثل الدول العربية في مؤتمر الصلح وتشترك في مذكراته ومقرراته .

٦ - تأييد الاعتراف باستقلال الدول العربية الاخرى والموافقة على انضمامها إلى الدولة العربية او تكوين اتحاد عربي .

٧ - الموافقة على الغاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين والقضاء على جميع آثاره ونتائجه

٨ - اشتراك حلفاء المانيا في توقيع هذه المعاهدة وتأييدها .

٩ - تتعهد المانيا وحلفاؤها بمساعدة الدول العربية في الحصول على تعويضات مالية من

بريطانيا وفرنسا لقاء الخسائر التي لحقت بالعراق وسوريا وفلسطين في تينك الدولتين .

١٠ ـ يتعهد الفريق الثاني بمساعدة الفريق الاول عند طلبه باعطائه ما يحتاج اليه من سلاح وعتاد وغيره بعد تحرير بلاد الفريق الاول .

١١ ـ اذا انتهت الحرب قبل اخراج جيش العدو من بلاد الدول العربية فعلى الفريق الثاني تأمين استقلال الدولة المذكورة كما في المادة الاولى .

وبموجب هذا التفويض فقد اتصل رشيد عالي الكيلاني مع فون بابن سفير المانيا في تركيا وطلب منه زيارة المانيا لبحث التعاون مع حكومتها في ضوء هذه المقترحات . وقد سلم السفير نسخة من هذه الوثائق ارسلها السفير بدوره إلى وزارة الخارجية الالمانية في برلين التي رحبت بزيارة الكيلاني . وفي ضوء ذلك كلفت المخابرات الالمانية بتهريب الكيلاني من استنبول إلى برلين حيث اقام في البداية في منزل الحاج امين الحسيني . ولم تكن الاتصالات بين الرجلين قد انقطت قبل ذلك فحين كان الكيلاني مقيما في استنبول والمفتي في المانيا ، كانت الاتصالات مستمرة بينهما من خلال بعض انصار الحاج امين الذين كان يوفدهم لتركيا . كما ان بعضهم كان مقيما في تركيا وذلك من اجل شرح موقف الحكومة الالمانية من القضية العربية . وكان يرى المفتي ان الالمان مازالوا عند وعدهم وانهم يبدون استعدادهم لمساعدة العرب والاعتراف بحقوقهم غير ان ذلك الكلام فضلا عن ان المفتي ابلغ به شفاهة فقط ، فانه لا يرتقي إلى مستوى التعهدات الملزمة .

خلاف على صيغة خبر

بعد ثلاثة ايام من وصوله إلى برلين بعثت وزارة الخارجية الالمانية إلى السيد رشيد عالي صيغة معدة لخبر يعلن عن وصوله إلى المانيا للحصول على موافقته عليه قبل اذاعته . غير ان السيد رشيد عالي رفض الصيغة التي قدمت اليه لانها وصفته بانه رئيس حكومة الدفاع الوطني السابق في العراق . وسلم مبعوث وزارة الخارجية نص الصيغة التي يريدها وهي عبارة عن بيان رسمي طلب ان يصدر عن وزارة الخارجية الالمانية ، وليس مجرد خبر عادي ، يعلن عن وصول السيد رشيد عالي الكيلاني رئيس حكومة الدفاع الوطني الشرعية في العراق التي تعترف بها حكومة الرايخ الالماني . ولم توافق وزارة الخارجية على هذا الاقتراح . وطلب وزير

الخارجية فون ريبنتروب مقابلته . وتمت هذه المقابلة بتاريخ ١٩٤١/١٢/١٦ .
في هذا اللقاء قال الكيلاني للوزير الالماني . . «انا لم آت إلى برلين لاجئا او هاربا . وانما جئت للاستمرار في الكفاح ضد الانجليز والاستعمار بكل الوسائل . فاذا كانت حكومة الرايخ الالماني تعترف بي وبحكومتي الشرعية فانا باق في المانيا . وبخلافه فانا ساغادر ، وارجو ان ترتبوا اجراءات سفري إلى خارج المانيا . فسأله الوزير الالماني إلى اين تفكر بالسفر في هذه الحالة . . ؟ فاجابه الكيلاني بلهجة حاسمة « هذا ليس شغلك » . . ! وازاء هذا الموقف المتصلب قال ريبنتروب انه لا يملك اتخاذ القرار في هذه المسألة . وانه يجب ان يعرض الامر على الفوهرر هتلر . وان هذا قد يستغرق بعض الوقت .
ووفق ما رواه الدكتور غروبا للكيلاني فان هتلر حين كان يقرأ تقرير وزير الخارجية بحضوره وذلك بتاريخ ١٩٤١/١٢/١٩ قال ان هذا الرجل -الكيلاني -يجب ان يكون مهما وان يلقى كل الاحترام والتقدير . وانه الرجل الذي يجب ان نعطيه كل ثقتنا ، وافق هتلر على صيغة البيان الذي اقترحه رشيد عالي وطلب ان يقابله ، وهي المقابلة التي تمت في ١٩٤٢/٧/١٥ . اما البيان فكان على شكل خطاب رسمي حمل تاريخ ١٩٤١/١٢/١٩ وقد سلمت نسخة رسمية من الخطاب إلى السيد رشيد عالي وهذا نصه .
« ان حكومة الرايخ الثالث ترحب بقدوم السيد رشيد عالي رئيس وزراء العراق الشرعي كما ان لحكومة الرايخ الشرف في ان تعترف بهذه المناسبة باستقلال العراق وان الشعب والجيش العراقي الذى كافح عدوان بريطانيا العظمى - تحت زعامة الكيلاني - لجدير بالاستقلال التام ، وانه ليزيد حكومة الرايخ شرفا ان تعترف للعراق بحقه المشروع في التمتع بموارده الطبيعية - وان حكومته ستبقى معترفة بصفة السيد رشيد عالي رئيسا شرعيا للعراق » .

مكتب في برلين

وبذلك فان السيد رشيد عالي حقق البند الاول من بنود التفويض الذي حمله من الزعماء العرب ، وبعد ان اعترف البيان بصفته الرسمية باعتباره رئيس حكومة العراق الشرعية بدأ في تأسيس مكتب في برلين يمارس عمله من خلاله ، وقد التحق به في برلين وزير الدفاع ناجي شوكت ووزير التربية محمد حسن سلمان كذلك التحق به عدد من الضباط وكان المكتب يتولى

التنسيق مع وزارة الخارجية الالمانية ، كما كان يوجد به ضابط ارتباط للتنسيق مع الجيش الالماني حيث كان قد بدىء في توسيع الفيلق العربي الذي اشرف على تأسيسه الحاج امين الحسيني قبل وصول الكيلاني .

وبعد ان اكتمل تأسيس المكتب الذي سمي باسم المكتب العربي لان الكيلاني فوض بالحديث باسم كل العرب كما اشرنا بالاضافة إلى كونه رئيس حكومة الدفاع الوطني في العراق المعترف بها من قبل الحكومة الالمانية ، حدد موعد للسيد رشيد عالي الكيلاني كي يقابل هتلر . وقد تمت المقابلة في مقر القيادة العسكرية الميدانية على الجبهة الشرقية مع الاتحاد السوفييتي . وقد رافق الكيلاني في الطائرة العسكرية التي نقلته الدكتور غروبا الذي كان قد اصبح ضابط الارتباط في وزارة الخارجية الالمانية مع المكتب العربي بحكم منصبه الجديد كوزير مفوض لدى حكومة الدفاع الوطني الشرعية في العراق .

تمت هذه المقابلة يوم ١٩٤٢/٧/١٥ الذي صادف يوم الاربعاء وكانت ودية جدا . ووفق ما رواه المرحوم الكيلاني فقد كان في استقباله في المطار العسكري الذي هبطت فيه الطائرة ضابط كبير اصطحبه في سيارة عسكرية من طراز مرسيدس إلى مقر القيادة حيث استقبله هتلر بحضور وزير خارجيته فون ريبنتروب الذي كان في انتضاره في مدخل القيادة .

وكان مقر القيادة يقع داخل غابة لا يبدو من خارجها ان هناك مقرا في مثل هذه الاهمية يقع بداخلها ، واحتاج الامر نصف ساعة من اجل ان تصل السيارة إلى مقر القيادة قطعت خلالها طرقا ملتوية بحيث يحال الوصول إلى مقر القيادة لمن لا يعرفه ، وكان مقر القيادة بالكاما مبنيا من الخشب .

مذكرات متبادلة

وقبل ان يتم اللقاء مع هتلر كان الكيلاني قد نجح في جعل الحكومة الالمانية تكرس اعترافها به كرئيس لحكومة العراق الشرعية حيث توصل إلى توقيع معاهدة معها من خلال تبادل المذكرات مع وزير الخارجية ريبنتروب في ١٨ مارس ١٩٤٢ ، وقد وقعت ذات المعاهدة مع ايطاليا ايضا بذات الطريقة حيث جرى تبادل المذكرات مع وزير خارجية ايطاليا في ٣١ مارس ١٩٤٢ .

وبعد مقدمة جاء فيها :

لما كانت دولتا المحور « المانيا وايطاليا » تقدران ما للعراق من كفاءة تامة لادارة شئونه بنفسه وما له من حق وجدارة بان يتبوأ مكانه اللائق به بين شعوب العالم وان يتمتع باستقلاله التام .

ولما كان الشعب العراقي قد اظهر في ظروف وحوادث كثيرة ثقته واطمئنانه لدولتي المحور ولغايتهما السابقة في هذه الحرب واشترك معهما في الكفاح ضد العدوان البريطاني .

ولما كان كل من دولتي المحور والدولة العراقية يرغب الرغبة التامة في تحكيم الصداقة وعلاقات حسن التفاهم بينهم وفي توطيد التعاون الودي بين بلادهم .

ولما كانت هذه الرغبة تتحقق على الوجه الاكمل بعقد معاهدة صداقة وتحالف بينهم لمصلحتهم المشتركة وتنظيم علاقاتهم المتبادلة في المستقبل ، نصت المعاهدة على ما يلي :

١ ـ تعترف دولتا المحور « ايطاليا والمانيا » بالاستقلال التام والسيادة المطلقة لدولة العراق .

٢ ـ تتعهد دولتا المحور بالتعاون مع العراق على تحريره من سيطرة الانجليز وجيشهم ، وبتجهيز العراق بما يحتاجه من السلاح وغيره لهذه الغاية ، واذا انتهت الحرب الحاضرة قبل اخراج جيش العدو من العراق فان دولتي المحور تستمران في تعهدهما على هذا التعاون لتحرير العراق ولتأمين استقلاله التام .

٣ـ تتعهد دولة العراق بان تبذل اقصى جهودها بجميع الوسائل الممكنة من مادية وادبية وسلبية وايجابية لمساعدة دولتي المحور في هذه الحرب التي تعتبر انها موجهة ضد عدوهم المشترك وان النصر فيها يكفل مصالحهم المشتركة .

٤ ـ توافق دولة العراق على التعاون الاقتصادي مع دولتي المحور « المانيا و « ايطاليا » على اساس تبادل المنافع والاستفادة من الوجهة الفنية والثقافية والتدريب العسكري وتجهيز الجيش بالسلاح المقتضى له وامثال ذلك مما تتطلبه حاجة البلاد على ان تعين تفاصيل ذلك في اتفاقية خاصة تعقد بين الطرفين المتعاقدين .

٥ ـ تتعهد دولتا المحور بمساعدة العراق على حصوله على التعويضات المالية من انجلترا لقاء الخسائر التي الحقتها به في عدوانها الاخير عليه .

٦ ـ تتعهد دولتا المحور بمساعدة دولة العراق على تقديم ما تطلبه من سلاح وعتاد وغيره بعد الحرب ايضا على ان يعين تفصيل ذلك باتفاقية خاصة تعقد بين الفريقين المتعاقدين .

٧ ـ يتعهد كل من المتعاقدين بان لا يتخذ مع الدول الاجنبية موقفا يخالف احكام هذا التحالف وان لا يبرم معاهدة سياسية او اتفاقيات اقتصادية او عسكرية تتعارض مع

نصوص هذه المعاهدة او الاتفاقيات الملحقة بها :

٨ ـ تعتبر هذه المعاهدة نافذة من تاريخ التوقيع عليها من قبل مفوضي المتعاقدين.

الاجتماع مع هتلر

مقابلة الكيلاني مع هتلر استمرت لمدة ساعة كاملة ما بين الساعة ٤ ـ ٥ من مساء يوم ١٩٤٢/٧/١٥ وقد دون الكيلاني بخط يده محضرا دقيقا لما دار فيها على النحو التالي :

استقبل الفوهرر « رشيد عالي الكيلاني في المحل والزمان المعينين اعلاه بحضور الفون روبنتروب وزير خارجية الرايخ والوزير « هيغل » مدون محاضر المقابلات والدكتور غروبا وزير المانيا المفوض للعراق وقد رحب الفوهرر بالكيلاني واظهر سروره من مقابلته .

اجاب الكيلاني : اني اشكر الفوهرر على مقابلته هذه لي رغم اشغاله الخطيرة الكثيرة . واني انتهز هذه الفرصة لاعرب اولا عن تهاني القلبية باسم الشعب العربي على ما احرزه الجيش الالماني تحت قيادته الحاذقة من انتصارات باهرة في مختلف ميادين الحرب ضد اعدائنا المشتركين الانكليز وحليفتيها امريكا وروسيا الشيوعية واليهودية العالمية التي تلعب وراءهم ، وارجو ان يثق بان الشعب العربي عامة والعراقي خاصة لم يكن موقفه ازاء ذلك بالموقف المقدر والمعجب ببطولاتكم وعبقريتكم وبوطنية الشعب الجرمي وتضحية جيشه الباسل فحسب ، وانما يشارككم ويشارك شعبكم النبيل في الشعور والعمل والهدف السامي الذي من اجله تحاربون . ان الشعب العربي باسره مستعد لان يقوم بما يترتب عليه من واجب التعاون معكم في هذه الحرب بكل ما يستطيع حتى النصر النهائي لانه يعتبر نصركم نصرا له حيث تقاتلون عدوا مشتركا لكم وله ، فلهذا الاعتبار يعدكم الشعب العربي صديقا طبيعيا له ويعد الانجليز وحليفتها واليهودية العالمية اعداء طبيعيين له لان العرب قد جربوا الانجليز مدة عشرين سنة وقاموا بجنبهم في الحرب العالمية الماضية واراقوا دماءهم في سبيل استقلال بلادهم الذي وعدهم به الانجليز ، ولكن هؤلاء الانجليز بعد ان تم لهم النصر قلبوا ظهر المجن للعرب فاحتلوا بلادهم ، فهذه سوريا ولبنان مازالتا تئنان تحت النير البريطاني ، وهذه فلسطين ذاقت مر الاضطهاد منهم وجعلوا منها وطنا قوميا لليهود ومازالت تحت احتلالهم وهذا العراق رغم المعاهدة التي وقع عليها الانجليز وتعهدوا بها باحترام استقلاله وحقوقه المشروعة فلم يفوا بعهدهم فارادوا ان يجعلوه تحت استعمارهم المباشر ، فانتبه رجالات

العرب إلى غدر الانجليز بهم ونكثهم لعهودهم باستقلال البلاد العربية فاخذوا يوجهون افكار ابناء بلادهم الى صداقة المانيا وحلفائها وتظاهر هذا عندما اعلنت هذه الحرب وعندما طلب الانجليز من حكومة العراق قطع العلاقات السياسية مع حكومتهم ، وقد كان على رأس الحكم اذ ذاك ولسوء الحظ نوري السعيد معتمد الانجليز ورجلهم فقرر قطع العلاقات السياسية مع حكومتكم المحترمة بدون ان ينظر إلى مصالح العراق وشعوره الصادق وحسن آمله بكم وما كان عليه من شعور العداء ضد الانجليز . فاستاء الشعب العراقي عن بكرة ابيه من تصرف تلك الوزارة إلى ان تفاقم الامر ضدها فقتل وزير ماليتها في مقر حكومته واضطر نوري السعيد إلى ترك الحكم وقد تسلمت بعده . وقد طلب الانجليز من حكومتي قطع العلاقات السياسية مع حليفتكم « الحكومة الايطالية » ولاعتقادي بضرورة دوام الصداقة معكم وحليفتكم ذلك الاعتقاد المنبعث من رغبة الشعب العراقي ، رفضت طلب الانجليز بذلك . فاخذ الانجليز يضمرون العداء للشعب العراقي والحكومة التي كنت ارأسها إلى ان ادى بهم الحال إلى الاتيان بجيش من الهند إلى البصرة وانزلوه اليها واحتلوها واطلقوا النار على قوة جيشنا المرابط في امكنته . وكان كل ذلك خلافا للمعاهدة المنعقدة بيننا وبينهم . فلم تر حكومتي والشعب غير الدفاع عن شرف العراق واستقلاله حيث تأبى وطنية العرب الذل والخضوع لعدو يتحدى كرامتهم ويستهين بحقوقهم . فبالرغم من اننا كنا مدركين بأن قواتنا ليست متكافئة مع قوة انجلترا ، وان الوقت غير مناسب لهذه الحركة لبعد المدد عنا من اصدقائنا الالمان ، غير انه بعد ان تعدى الانجليز على كرامة بلادنا وهددوا استقلالنا فما كان لنا الا اختيار احد الامرين : اما الذل والاستكانة . . واما الدفاع عن شرف بلادنا والدفاع عن حريتنا واستقلالنا . فرجحّنا ان نموت بشرف وعز من ان نبقى احياء اذلاء . فقاتلنا انجلترا واظهرنا للعالم ما تكنه نفوسنا من غيره على كرامة وطننا واقدام في التضحية في سبيل استقلالنا . ولم نترك القتال إلى ان نفذت اخر طائرة من طائراتنا ونفذ اخر معداتنا . ومع هذا اننا لا نعتبر خسرنا المعركة وخسرنا بلادنا لأن ابناء البلاد الغياري لايزالون مستمرين في الكفاح ضد عدوهم . ولا يزالون يلاحقون ويهاجمون من وقت إلى آخر مقراته ويخربون طرق مواصلاته العسكرية . ولم تثبط عزائمهم بما يقوم به الانجليز ضدهم من اعدام ونفي وحبس . وثانيا اننا معتقدون بحسن نية الفوهرر تجاه قضيتنا . وهو دائما في ظهرنا . ومن كان يسانده الفوهرر لا يخسر ولا يهضم له حق واني اؤكد للفوهرر بأنه عندما تقترب جيوشكم سيقوم الجيش العراقي وعشايره باعادة الكفاح والقتال بمقياس واسع

ضد انجلترا الغاشمة بمعاونتكم ومساعدة جيوشكم الى ان تطهر بلادنا من جيوشها .
اني بهذه الفرصة اشكر الفوهرر على ارساله عددا من الطائرات والدكتور غروبا الوزير المفوض للعراق مع هيئته السياسية عندما اشتبكنا مع قوات الانجليز في حركتنا الوطنية وقد قاما بكل المساعدة الممكنة غير ان ذلك العدد من الطائرات لم يكن كافيا الا انه لا ينكر انه كان رمزا لعطف الفوهرر على قضيتنا ودليلا على عزمه على تعاوننا وكان لها تأثير كبير في نفوس الشعب العراقي اذ بينما كانت الطائرات البريطانية تلقي بقنابلها على جيشنا وشعبنا ظلما وعدوانا ، كانت الطائرات الالمانية تشترك مع جيشنا في الدفاع عن كرامة بلادنا واستقلالها . واني كنت اقدر الظروف في ذلك الوقت التي لم تمكن الحكومة الالمانية من ارسال العدد الكافي من الطائرات وغيرها من المعدات العسكرية كانشغال الجيش الالماني في ذلك الوقت باشغال كثيرة ، وبعد المسافة بين المانيا والعراق ، وعدم قبول تركيا بارسال المعدات الحربية لنا . ولكن مع كل ذلك اننا نأمل ان ننال المساعدة الحربية الكافية عندما يقترب جيشكم الباسل من حدود بلادنا لنقوم كما عرضت بالقتال ضد عدونا المشترك لاخراجه من بلادنا والبلاد العربية كلها .

الفوهرر يرد

واجاب الفوهرر : ان السبب الاصلي لعدم امكان ارسال المساعدات العسكرية الكافية إلى بلادكم هو عدم وجود البانزين فقد سعينا كثيرا مع تركيا لتساعد على ارسال ما يلزم اليكم من معدات حربية وقد وافقت اولا على ذلك ولكنها امتنعت اخيرا . غير انها قبلت بامرار البنزين وكان ذلك متأخرا ايضا . وقد جربنا ان نرسل اليكم قطعات عسكرية بواسطة الطائرات عن طريق سوريا ولكن عدم وجود البنزين عاقنا عن ذلك . وتأسفنا كثيرا لأننا لم نتمكن من أن نساعدكم مساعدة كافية في ذلك الوقت .
وسأل الفوهرر كم من الفرق تحتاجون لأخراج الانجليزي من بلادكم . . ؟
فاجاب الكيلاني :
حسبما اعلم منذ ثلاثة اشهر فانه توجد الآن في العراق نحو عشرة فرق بريطانية . وتوجد منها فرقة استرالية والباقي فرق هندية . فنظرا إلى هذا والى ما اذا كان جيشكم تقرب الى حدودنا من جهة القفقاس فسنحتاج الى نحو فرقتين اليتين وطائرات كافية واسلحة لازمة فيتمكن اذا جيشنا وعشائرنا من اخراج الانجليز من بلادنا . واننا لا نود ان نكتفي بذلك بل

نريد ان نخرجه من جميع البلاد العربية كسوريا وفلسطين وشرق الاردن ولبنان .
فاجاب الفوهرر :

هذا صحيح لأن كل البلاد العربية في الشرق مشترك بعضها مع بعض ويجب اخراج الانجليز منها جميعا لأن اخراجهم من قسم وتركهم في قسم اخر يكون خطرا على جميع البلاد العربية ايضا . ويجب ان نخرج اليهود ايضا من فلسطين لان قضية اليهود مهمة فيجب اخراجهم من اوروبا وكذلك من البلاد العربية .
فأجابه الكيلاني :

ان قضية اليهود تهم جميع البلاد العربية لاننا لا نعتبر خطرهم منحصرا في فلسطين اذ انه ما كنا سمعناه من وقت إلى آخر من تصريحات بعض الساسة الامريكيين والبريطانيين فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي وتوسيع دائرته يجلعنا نعتقد ان امريكا وانجلترا تؤيدان توسيع الوطن القومي اليهودي إلى سوريا ولبنان بل والعراق . وهؤلاء اليهود خطرهم على الامة العربية اشد منه على اوروبا نظرا لحالة البلاد العربية الحالية والاقتصادية فضلا عن انهم لا يمكن ان يتوقع منهم غير الشر والضرر ونكران الجميل . واسمحوا لي ان اضرب لكم مثلا عن خلقهم هذا فضلا عما هناك من امثلة لما عملوه ويعملونه من انواع الخداع والدس والضرر في فلسطين بل وفي العالم . فعندما تركنا العراق بعد نفاذ قوانا وبالرغم من ان الشعب العراقي منذ مئات السنين كان ينظر اليهم بعين العناية والرعاية وكان فاتحا لهم عين الحقوق المدنية والسياسية الممنوحين للعرب وكان قد صان وحافظ على حقوقهم هذه المدة الطويلة وعلى ذلك فانهم عند انسحابنا من بلادنا وعند دخول الجيش البريطاني المحتل لبلادنا خرجوا وفي ايديهم باقات الزهور يستقبلون بها الجيش البريطاني بالترحاب والتصفيق ناثرين عليه الزهور في وقت لم تكن قد جفت فيه دماء شهدائنا ، وفي وقت كانوا يرون باعينهم جور الانجليز وعسفهم على ابناء بلادنا ظلما وعدوانا . فهذا عملهم الذي لا يلائم العرفان بالجميل وما كانوا يرونه من حسن معاملة من ابناء البلاد مما اثر تأثيرا سيئا في نفوس ابناء البلاد العربية فهجموا على اليهود رغم التجائهم للجيش البريطاني المحتل ووقعت معركة دموية قتل وجرح فيها من اليهود ما يقارب الالف شخص .

ويصف الكيلاني هتلر وهو يستمع إلى شرحه فيقول انه كان يسمع ذلك وعلائم التأثر بادية في محياه فيواصل الكيلاني « اننا مصممون ان نطبق النظم التي تطبقونها ضدهم في بلادكم » .

قراري قطعي

ثم بدأ الفوهرر بالكلام فقال : احب ان أؤكد لك بأن قراري قطعي باخراج الانجليز واليهود والشيوعيين من بلادكم وليست لنا أي غاية في البلاد العربية سوى حصولها على استقلالها وحريتها . ولا اريد منها غير ثلاثة اشياء وهي كما قلت اخراج الانجليز واليهود وعدم تسرب الشيوعيين اليها لأني اعلم ان البلاد العربية بعيدة عن بلادنا ولا طمع لنا فيها اصلا . ان جيشنا بعد حرب ثلاث سنوات يحتاج الى الراحة فبعد اخراج الانجليز واليهود والشيوعيين من بلادكم يترك بلادكم ويسلمها لكم مستقلة حرة . وارجو ان تثقوا في ذلك . واود ان أبينّ لك امر لا يعلم به الا افراد قليلون جدا وهو اني مقرر تماما اعطاء تصريح كما اعطينا إلى مصر وذلك عند وصول جيشنا قرب حدود بلادكم كما لو وصلنا إلى جنوب القفقاس وتأكدوا ان ذلك سيكون قريبا جدا .

فاجاب الكيلاني : اني اشكر لكم صراحتكم بشأن عزمكم الاكيد على تحرير البلاد العربية من الانجليز واليهود والشيوعيين ونيل استقلالها وحريتها ، واني اثق كل الوثوق من حسن نواياكم بشأن مستقبل البلاد العربية . ولهذا السبب فان الامة العربية باسرها ترقب انتصاراتكم باهتمام زائد وتتمنى لكم ولجيشكم الباسل النجاح وهي مستعدة ان تشترك معكم بارواحها وبكل ما لديها في سبيل تحقيق هذه الامنية .

فاجاب الفوهرر :

ـ نعم على الامة التي تريد استقلالها ان يريق ابناؤها دماءهم في سبيل ذلك . واني اقدر العراق على حركته الوطنية ضد انجلترا وان ما قمتم به في هذا الشأن من الدفاع عن شرف امتكم وكرامتها كان صوابا ، واذا كان قد اضعتم الحرب في المرة الأولى فستربحونها في الثانية ، وهذه فنلندا فانها خسرت الحرب في المرة الأولى ضد روسيا الشيوعية ولكنها ربحتها في هذه المرة باراقة دماء ابنائها ، واني عاونتها في ذلك ، وهكذا سيكون شأن العراق .

الكيلاني مرتاح للتطمينات

اجاب الكيلاني : اني اشكر شعوركم النبيل هذا وتقديركم لحركتنا الوطنية واني مسرور جدا ان اسمع من الفوهرر هذه التطمينات بشأن مستقبل بلادنا . وأحب ان أؤكد للفوهرر باننا كما ارقنا دماءنا في حركتنا الوطنية ضد الانجليز فاننا مصممون على ان نريق دماءنا ثانية

إلى ان نحصل على استقلال بلادنا بمعاونتكم لاننا موقنون بان لا فائدة ترجى من استقلال بلاد لا يتحقق باراقة دماء ابنائها .
فاجاب الفوهرر : اني اقدر شعوركم الوطني واطمنك باني قررت بصفة نهائية العمل على تحرير بلادكم من الانجليز وتطهيرها من اليهودية والشيوعية . وسيكون هذا قريبا جدا .
اجاب الكيلاني : استطيع ان اؤكد للفوهرر بان الامة العربية بما فيها العراق ناظرة اليكم وترقب نصركم وتشجع كل ظفر تحرزونه وهي قطعت كل امالها في انجلترا وحلفائها وتوجهت اليكم بجميع قلوبها منتظرة قرب وصول جيشكم الى بلادها لتقوم بما هو واجب عليها من تعاون فعلي مع جيشكم الباسل لتحريرها من الانجليز وتخليصها من اليهودية وعدم تسرب الشيوعية اليها . وان العراق ومن ورائه الامة العربية سيقوم بجيشه وعشائره بالاشتراك مع جيشكم ضد عدونا المشترك . . وجيشنا وعشائرنا يشعران بضرورة القيام بمساهمتها التحريرية . . ولذا سيكون جيشنا امام جيشكم في مقاتلة العدو ليضحي بدمائه في سبيل تحقيق غايته ولاجل ان يأخذ جيشكم قسطه من الراحة .

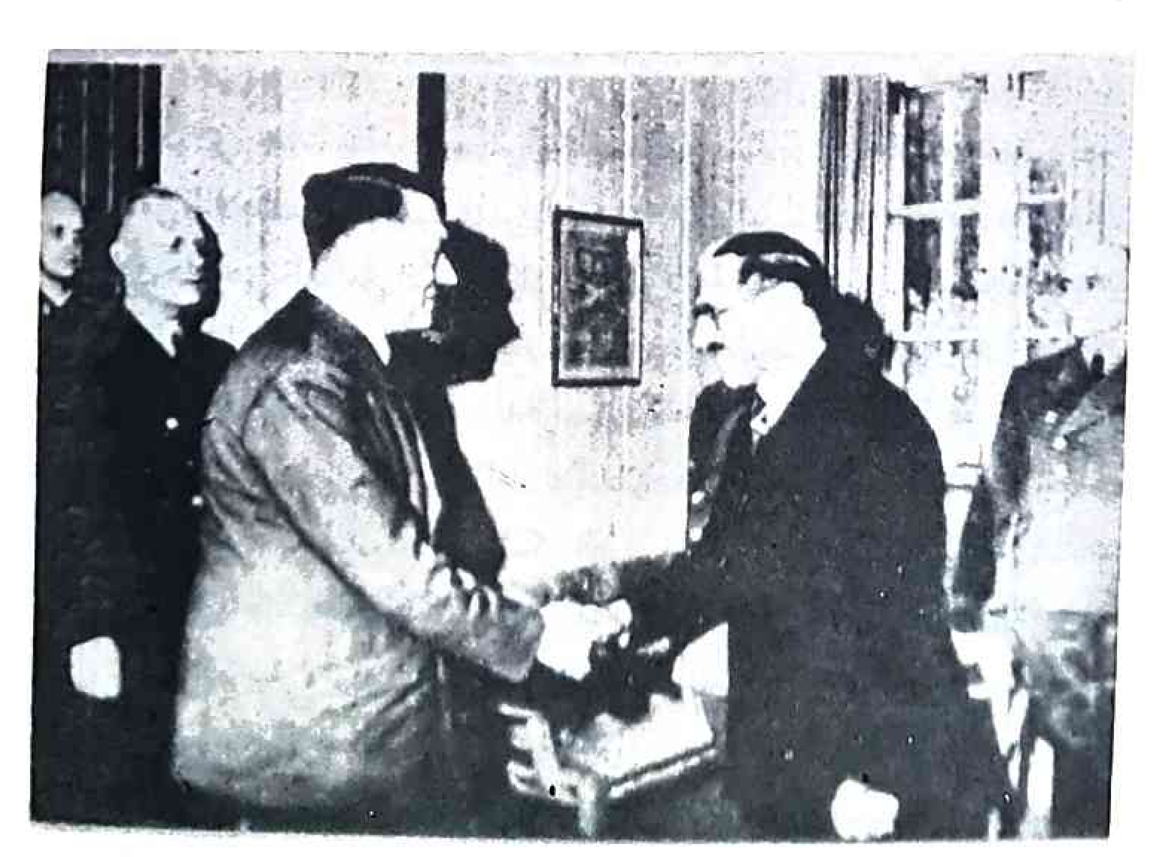
واضاف الكيلاني : اننا متفقون معكم في تنفيذ الاشياء الثلاثة التي تفضلتم بها وهي اخراج الانجليز من البلاد العربية وتخليصها من اليهود وعدم تسرب الشيوعية اليها لان هذه غاية كل عربي ولان هذه هى العوامل الاصلية التي جعلت الامة العربية توقن بحسن نيتكم اتجاهها وتعتقد بضرورة التعاون بكل ما تستطيع معكم في هذه الحرب ، غير اني اود ان اضيف امرا رابعا على ذلك وهو ان نبقى معكم بعد الحرب ايضا اصدقاء حميمين طول الزمن : وستعاون معكم فيما يزيد عن احتياجاتنا من المواد الابتدائية على اساس تبادل المنافع .
وزاد الكيلاني على ذلك : اني اشكر الفوهرر على التصريح المشترك الذي اذاعته الحكومتان الالمانية والايطالية بشأن استقلال مصر . واننا نعتبره الوثيقة التاريخية الاستقلالية الاولى للبلاد العربية ، واني اؤكد لكم بان هذا التصريح قد اثر تأثيرا حسنا في نفوس المصريين وجميع ابناء الامة العربية ، وقد تفاءلوا به خيرا ، ونظرا إلى ما وصلني من الاخبار من اخواننا العرب الساكنين في استنبول فانه على اثر هذا التصريح اصبح المصريون ينتظرون وصول جيش المارشال رومل الى بلادهم ليشتركوا معه فعلا ضد الانجليز . وعلى اثره فقد اشتدت حركات العداء ضد انجلترا في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق . . حتى ان رئيس الوزارة العراقية لم يتمكن من معرفة مكانه من شدة الخوف الذي استحوذ عليه والاستياء

الشامل فى البلاد . . وبدأ الاهالي يرشقون الجيش البريطاني بالحجارةعند مروره في شوارع بغداد .

اني ارى من واجبي ان اشكر الفوهرر على المساعدة في نقلي من استنبول إلى هنا وعلى الحفاوة والعطف الذي شهدته ومازلت اشهده من حكومة الرايخ ومن الشعب الالماني اينما حللت واينما وجدت .

وبالختام ادعو الله تعالى ان يمد الفوهرر بعنايته وان يطيل عمره وينصر جيشه الباسل على اعدائه الذين هم اعداؤنا .

ويقول الكيلاني في نص محضر الجلسة الذي كتبه بخط يده ان الفوهرر اظهر ارتياحه العظيم من ذلك وودعه وداعاً حميماً بعد ان دعاه الى شرب الشاي معه .



هتلر يستقبل الكيلاني . ويبدو وزير الخارجية الالماني فون رينتروب خلف هتلر

وعد الفوهرر للمفتي

هتلر : هدف اليهود تأسيس دولة مركزية للهدم والتخريب في جميع انحاء العالم

كما هو واضح من نص محضر اللقاء فان الكيلاني سعى في البداية إلى الحصول على تصريح من هتلر باحترام استقلال البلاد العربية المستقلة ، وتأييد استقلال البلاد العربية الواقعة تحت النفوذ الأجنبي ، واستقلال فلسطين العربية .. الخ .. كما جاء في البند الثاني من التفويض العربي الذي توجه به الكيلاني من الزعماء العرب في تركيا إلى برلين ، وبعد الحصول على التصريح كان يمكن ان تبدأ المرحلة الجديدة بعرض توقيع المعاهدة التي صاغ شروطها الزعماء العرب وتتضمن تكريس ما جاء في التصريح ، الا ان هتلر اعتذر عن اصدار التصريح وبرر ذلك بان اصدار التصريح سيكون من شأنه التعجيل بقيام ثورة في الأقطار العربية الواقعة تحت الاحتلال البريطاني والفرنسي في الوقت الذي ما زالت القوات الالمانية وقوات المحور بعيدة عنها ولا تستطيع ان تقدم لها أي عون ، وبالتالي فان اصدار التصريح سيكون مردوده عكسياً لانه سيؤدي إلى القضاء على القوى التي يمكن ان تقوم بثورة مستمرة لدى اقتراب قوات الحلفاء من المنطقة العربية ويكون بمقدورها ان تقدم لها العون الضروري لالحاق الهزيمة بالقوات البريطانية والفرنسية المتحالفة معها .

لذلك ارتأى هتلر ان يصار إلى اصدار التصريح المطلوب حين تقترب قوات المحور من جنوبي القفقاس وتصبح قريبة من البلاد العربية ، وقد كان هذا هو نفس موقف موسوليني الذي التقاه الكيلاني في روما قبل اللقاء مع هتلر وذلك في ١٨ شباط ١٩٤٢ وبعد ان كان قد

التقى مع ملك ايطاليا في ١٤ شباط ومع وزير خارجيتها الكونت شيانو في ١٠ شباط .

وقد قدم الكيلاني للدوتشي مطالبه التي شملت اتفاقية مكتوبة عن التعاون مستقبلا بين العراق ودول المحور سواء على شكل معاهدة أو على شكل خطابات متبادلة ، واصدار بيان بضمان دول المحور لاستقلال البلاد العربية ، على ان يكون البيان مذاعا أو على شكل بروتوكول أو خطاب رسمي ، وكان الكيلاني قد توجه إلى روما هو ومفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني الذي التقاه ملك ايطاليا في ١٣ شباط .

وبذلك فان هتلر ، ومن قبله موسوليني ، ولم يبد اعتراضا على مضمون التصريح الذي طالب به الكيلاني بل كان الاعتراض منصبا على التوقيت فقط كما قال . ولذلك فاثناء اجتماعه مع الكيلاني وجه هتلر كلامه إلى وزير خارجيته وطلب منه اعداد محضر رسمي للاجتماع مع السيد رشيد عالي على شكل وثيقة رسمية كي يوقعها وتكون المانيا ملزمة بتنفيذ الوعود التي تعهد بها الفوهرر كما وردت في نص المحضر الذي اعده الكيلاني ، ولكن للاسف فان هذه الوثيقة كانت الوحيدة التي اختفت من ارشيف وزارة الخارجية الالمانية حيث ذهبت بعد عشر سنوات من انتهاء الحرب لاحضار بعض الوثائق من المانيا ، كما ان النسخة التي سلم للكيلاني من المحضر الرسمي كانت أيضا الوحيدة التي فقدت من حقيبة وثائق الكيلاني التي اودعها قبيل مغادرته المانيا لدى فون هنتش وهو دبلوماسي الماني كان رئيسا لدائرة الشؤون العربية في وزارة الخارجية الالمانية ورافق الكيلاني في اللحظات الاخيرة له قبل الهرب لدى اجتياح قوات الحلفاء للاراضي الالمانية ، وقد افتقد الكيلاني هذه الوثيقة حين استعاد الحقيبة من فون هنتش حيث ارسلها له إلى القاهرة في وقت لاحق بوساطة الأخ عبد الله بلخير سكرتير الملك سعود بن عبد العزيز ملك السعودية في ذلك الوقت .

وقد اتصل الكيلاني بفون هنتش فيما بعد ليطلب منه الوثيقة التاريخية المهمة ، كما اتصلت انابه عنه ولكن دون جدوى ، وقد تم الاتصال الاخير سنة ١٩٨٢ حيث بعثت له برسالة اسأل فيها عن الوثيقة فاجابني برسالة يقر فيها بانه كانت هناك وثيقة غير انه يقول انها فقدت ولا يعرف أين أصبحت مع أوراق اخرى تخصه .

رسالة إلى فون هنتش

لقد اشرت في رسالتي إلى فون هنتش المؤرخة في ١٩٨١/١٢/٢٤ إلى قضيتين على النحو

التالي :

« وتجدون طي كتابنا هذا صورة طبق الأصل من رسالة الكيلاني لكم حيث يسأل فيها عن بعض الوثائق المفقودة ، وان الدافع الذي حملني على ارسالها لكم هو اني لم أجد جوابا منكم على هذه الرسالة » .

اما القضية الاخرى التي اشرت إليها في رسالتي فهي غاية في الأهمية وتتعلق بحقيقة موقف هتلر من اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين جاء في الرسالة .

« يا صاحب السعادة إلى جانب ما أطلبه من سيادتكم بشأن الكيلاني يسرني جداً ان أعرف ما إذا نشرتم أو جمعتم أوراقكم الثمينة والوثائق الخاصة بفلسطين ودوركم خلال فترة سياسة الاستيطان اليهودي في فلسطين . لقد قرأت منذ زمن بعيد ان السيد فون هنتش قد كلف من قبل هتلر باجراء مباحثات مع المنظمات السرية اليهودية وغيرها من أجل قبول يهود المان في فلسطين لقاء تصريح بشأن اقامة دولة يهودية في فلسطين ، كان هذا في سنة ١٩٤٠ / ١٩٤١ وذلك ضمن مهمتكم إلى سوريا . وتوضّح الوثيقة اضافة إلى ذلك بان المنظمات اليهودية رفضت المقترح الالماني ، أرجو يا صاحب السعادة ان كان لديكم أي شيء بهذا الخصوص فانه يسرني ان أقف على حقيقة الأمر منكم لاني أحاول ابراز دور المانيا تجاه فلسطين ، العرب ، الكيلاني ، الحاج أمين الحسيني ، المفتي الأكبر والعالم الاسلامي ، خلال تلك الحقبة من تاريخنا المعاصر .

رد فون هنتش

وفي تاريخ ١٩٨٢/١/١٢ كتب إلى فون هنتش الرسالة الجوابية الآتية :

بيلفاد ١٩٨٢/١/١٢ ..

عزيزي الدكتور السهروردي :

دعني أشكرك لاحياء الذكريات الخاصة بالفترة التي كنت فيها مسؤولا عن العلاقات العربية ـ الالمانية .

كانت آخر مهماتي الرسمية في ذلك الوقت مساعدة أصدقائنا العرب وبخاصة أسرة الرئيس

الكيلاني من مآسي الحرب التي كانت على وشك الانتهاء يوم كانوا يقيمون بالقرب من انسبروك ـ التيرول ـ في ذلك الوقت .

وبالنسبة إلى دراساتك فانه من المؤسف اني فقدت جميع أوراقي في نوفمبر ١٩٤٣ وكل ما جمعت من أوراق منذ ذلك الحين ، فقد اودعتها مركز الارشيف بمكتب وزارة الخارجية الالمانية ، اما الوثائق التي اودعها الرئيس الكيلاني لدي في سنة ١٩٤٥ فقد اعيدت في هوليوبولس « مصر الجديدة » بوساطة بالخير . (ويقصد عبد الله بلخير) .

وعلى قدر تعلق الأمر بزيارتي في سنة ١٩٤٠ / ١٩٤١ فقد وصفتها في مذكراتي « حياتي رحلة رسمية » وقد كتبتها حين بلغت ٧٥ سنة من العمر وكان ذلك قبل عشرين سنة ، وفي الصفحة ٣٣٨ من هذه المذكرات أقول . . « وبسرعة متناهية كما تتنقل الاشاعة فقد عرفت الدوائر السياسية المعنية خبر وصولي إلى بيروت والذي لم يشمل العرب فقط ، بل الكلدانيين والاكراد والارمن وأغلب الطوائف الدينية المختلفة ذات العلاقة ، كانت العادات الشرقية تقضي بالترحيب بالقادم الجديد مفيدة ومريحة بالنسبة لي ، كذلك كانت الاهتمامات « مغيظة » وكنت على ثقة للتسوية بين الناس الذين لم يقيموا العلاقات معنا أو الذين لم يرغبوا ان يشاهدوا من قبل الفرنسيين وطبيعي فان العرب كانوا الأكثر بروزا تحت قيادة رئيس وزراء لبنان الأسبق رياض الصلح . وكان كذلك ممثلون من عرب فلسطين من بينهم المحبوب والمقتدر موسى العلمي . هذا وكان أبرز وفد قد جاء من فلسطين برئاسة ضابط وسيم أبدى استعداده للتعاون مع النازين ضد شعبه وبخاصة الصهاينة إذا كان هتلر مستعداً للاعتراف بوطن قومي لليهود في فلسطين وهكذا . . ـ اتفاقات متعددة . . مشكلات كثيرة واما ل ووعود حملوها المانيا . الا ان التعليمات الموجهة إلى كانت تنحصر بجمع المعلومات فقط .

مشكلتان كانتا لا بد ان تحلا :

أولا : حماية أصدقائنا العرب من الضغط السيء في القسم الواقع تحت سيطرة قوى الانتداب الفرنسي واطلاق سراحهم من معكسرات الاعتقال .

ثانياً : الاجابة على الأسئلة الخاصة باهتمامنا والوضع السياسي .

وعلى قدر تعلق الأمر بالضابط اليهودي ـ فقد تأكدت مهمته من قبل أحد المؤرخين اليهود ، وقد قتل الشاب فيما بعد بحادث وكان جوابنا له خلافا لما قيل لك . كان مقترحه غير

مقبول إذ لم يكن هتلر مصمماً على الاعتراف[1] بدولة يهودية بأي حال من الاحوال في الشرق الأدنى فقد اعتبر الشرق ملكاً للطليان حيث كان لهم وفد عسكري في بيروت ولكن هذا الوفد لم يجرؤ على التحرك بحرية ولم يتخذ موقفاً ابداً .

يؤسفني باني لسنت في وضع يسمح لي بتزويدك بمعلومات اضافية .

مع اعادة امنياتك الحسنة ـ أطيب تحياتي لكم ولأسرتكم . . »

فون هنتش

ويجدر ان نلاحظ ان الكيلاني كان يتعامل مع الحكومة الالمانية بشكل رسمي وقانوني لا دور للمجاملات فيه حيث انه أستاذ للقانون في الأساس ، ولذلك فقد كان دائماً يستخدم الوسائل القانونية من أجل تثبيت أي اتفاق مع الجانب الالماني بشكل ملزم .

انطباعات ممتازة

لقد خرج الكيلاني من لقائه بهتلر بانطباعات ممتازة عن الفوهرر ووفق ما رواه لي فان هتلر يتسم بالجدية العاقلة والهادئة وليس كما كان يبدو عليه الانفعال في خطاباته وكما كان يشاع عنه ، فقد كان اثناء اللقاء في منتهى الهدوء والدراية والعقل . وكان يناقش بطريقة تدل على انه على اطلاع مسبق على كل ما يتعلق بالعلاقات مع العراق ، ولم تكن تصدر عنه حركات على العصبية أو العجلة وان اللقاء كان في منتهى الود والصدق ، وانه كان مرتاحاً جداً سيما وانه شعر بصدق الفوهرر فيما اعطاه اياه من وعود وذلك على خلاف اللقاءات الاخرى التي

---

(١) كان الضابط اليهودي المعنى من أفراد عصابة شتيرن الصهيونية ويعمل تحت امرة مناحيم بيغن واسحاق شامير . وقد أقدم شامير على قتل هذا الضابط من أجل كتم سر الاتصال الذي كلف الضابط باجرائه مع مبعوث هتلر عن اليهود .

تعودها مع رجال السياسة التي يقال فيها الكثير ويلتزم منه بالقليل . اما هتلر فكان يزن كل كلمة يقولها وكأنه كان يقرأ من كتاب ، وبالفعل فقد التزم هتلر بكل الوعود التي قدمها للكيلاني .

والواقع ان الكيلاني قبل ان يتوجه للقاء هتلر كان قد اجتمع مع الحاج أمين الحسيني الذي كان ينسق معه في كل صغيرة وكبيرة واتفقا معاً على ما سيقوله الكيلاني للفوهرر ، وكان الحاج أمين الذي وصل إلى المانيا قبل الكيلاني قد افتتح مكتباً هو الآخر خصص للاشراف على العمل من أجل فلسطين والقضية الفلسطينية ، وقد استمر هذا المكتب يعمل بشكل منفصل عن المكتب العربي بسبب خصوصية القضية الفلسطينية ، ولكن التنسيق بين الرجلين كان مستمراً وشاملا وكانا يجتمعان بمعدل مرة كل أسبوع ويتشاوران في كل شيء وبعد اللقاء مع هتلر . اجتمعا مرة اخرى ، وابلغ الكيلاني الحاج أمين بكل ما دار في اللقاء . وكان تقويم الحاج أمين مطابقاً لتقويم الكيلاني .

وكان الحاج أمين الحسيني قد التقى مع هتلر هو الآخر في ٢٨ / ١١ / ١٩٤١ أي بعد أسبوع من وصول الكيلاني إلى برلين . وقد خرج المفتي من هذا اللقاء بوعود مماثلة للوعود التي خرج بها الكيلاني ، وقد وجدت ضمن وثائق الكيلاني محضراً بخط يده لاجتماع المفتي مع هتلر . ويبدو انه قد كتبه في ضوء ما أخبره به المفتي بعد اللقاء مباشرة .

تدوين أقوال هتلر

وقد اقتصر هذا المحضر على تدوين ما قاله هتلر فقط . ويفهم منه ان المفتي طرح على الزعيم الالماني اصدار تصريح يضمن حق العرب في الاستقلال والوحدة ويلغي وعد بلفور البريطاني لليهود باقامة وطن قومي لهم في فلسطين وهذا هو النص :

ان خطط كفاحي واضحة وهى أولا اني أكافح اليهودية بدون هوادة (هدنة) . ويدخل في هذا الكفاح ضد ما يقال عنه « الوطن القومي لليهود » في فلسطين لان اليهود يريدون ان يؤسسوا دولة مركزية لاجل مقاصدهم البربرية ونشاطهم الهدام التخريبي ازاء دول العالم (وغيرهم من الشعوب) .

وانه من الواضح ان اليهود لم يقوموا بعمل انشائي في فلسطين فان ادعاءهم هذا كذب .

ان كل الأعمال الانشائية التي اقيمت في فلسطين ترجع إلى فضل العرب لا اليهود ، اني مصمم على ان أجد حلاً للمشكلة اليهودية دفعة فدفعة (خطوة فخطوة) وبدون انقطاع .

انني سأوجه الدعوة اللازمة المناسبة إلى جميع البلاد الأوروبية ثم إلى البلاد التي خارج أوروبا في هذا الصدد ، انه لصحيح ان أعداءنا المشتركين هم بريطانيا والشيوعية اللتان تختلفان مبادئهما ولكن الأثنين ورائهما « اليهودية القائدة » التي تسوقهما ، اليهودية التي لها غرض واحد في نفس البلدين . اننا الآن في صراع الحياة والموت (البقاء والفناء) مع هاتين الأمتين . ان هذا الصراع سوف لا يفصل بين الوطنية الاشتراكية واليهودية فحسب بل ان قيادة هذا الكفاح الناجحة ستأتي بالمساعدة الصحيحة الايجابية إلى العرب الذين هم واقفون في نفس الصراع وليس فقط تأميناً خيالياً لان هذا التطمين لا فائدة فيه مطلقاً . ولكن التأمينات التي تعضدها (تساندها) قوة ظافرة فقط هي التي يكون لها قيمة حقيقية ، فمثلا في الحرب العراقية كان عطف الشعب الالماني بأجمعه نحو العراق وكان من قصدنا ان نعطي المساعدة للعراق ولكن الظروف منعتنا من الامداد بالمساعدة الحقيقية . ان الشعب الالماني رأى فيهم (في الشعب العراقي) زملاء الآلام لان الشعب الالماني عانى كما عانوا ، ان المساعدات التي اعطيناها للعراق لم تكن كافية لمساعدة العراق ضد القوة البريطانية ، ولهذا السبب فانه يجب ان يراعى شيء واحد ، انني في هذا الصراع الذي سيفصل في مصر (مقدرات) العرب لا استطيع الا ان أتكلم كرجل صاحب فكرة وكزعيم عسكري وكجندي ، وكل من وجد نفسه متحداً في هذا الكفاح العظيم وساهم في مساعدته بنجاح فهو يخدم القضية المشتركة ، وبذلك يخدم العروبة (القضية العربية) . وكل تأويل خلاف ذلك الآن أضعاف للوضعية العسكرية ولا يمكن ان يفيد القضية العربية ، ولذلك يجب ان نقدر رأي الخطوات ستفيدنا ازاء اليهودية العالمية والروسية الشيوعية وانكلترا وما يضرنا منها ، فاذا انتصرنا في هذه الحرب فان ساعة الخلاص ساعة تحقيق اماني العرب تكون قد حانت أيضاً .

ان الموقف هو كما يلي : اننا نقوم بكفاح جبار في سبيل افتتاح الطرق إلى شمالي القوقاز ، الصعوبات في هذا ناشئة عن مسألة العقوبات بسبب الخطوط الحديدية الميسرة والطرق . . وكذلك بسبب الشتاء (الثلج) ، فاذا استعجل في هذا الظرف باعطاء تصريح يتعلق

بسوريا فان العناصر الموالية إلى (ديغول) ستقوى ، وهذا سيكون سبباً لاحتلال فرنسا . وهؤلاء الناس (الفرنسيون) سيعتقدون ان موقفهم مع بريطانيا سيكون أكثر ملاءمة والفصل في قضية سوريا سيتخذونه مثلا يطبق على الامبراطورية الفرنسية وسيقوى موقف (ديغول) في المستعمرات فاذا اعطى تصريح الآن فان مصاعب ستنشأ في غربي اوروبا وستكون سبباً لاشغال بعض قوى الدفاع وسبباً لمنعنا من وضع جميع القوى في الشرق سأقول لكم شيئاً أرجو ان يبقى مكتوماً لديكم :

أولا : سأستمر في كفاحي إلى ان تدمر الدولة اليهودية الشيوعية تماماً .

ثانياً : وفي اثناء هذا الكفاح ـ ولا ندري بالتحقق متى ـ ولكن ليس في مستقبل بعيد سنصل إلى منحدرات جنوبي القوقاز .

ثالثاً : انئذ فانني أريد ان اعطي تصريحاً . إذ حينئذاك تكون قد دقت ساعة تحرير العرب . ليس لالمانيا هناك أي مطامع الا القضاء على القوة التي تحمي اليهودية .

رابعاً : انني سعيد لنجاحكم وانتم الآن عند دول المحور وستأتي الساعة التي تكونون فيها صاحب الكلمة العليا وليس فقط ناقلا لتصريحاتنا بل الرجل الذي يسير القوة العربية . وحينذاك فقط تكون قد حلت الساعة التي لا ابالي فيها (بعكس التأثير) الذي يحدث في الشعوب الغربية .

خامساً : من رأى انه في تقدمنا هذا يكون قد بدى انهيار عالم الدولة البريطانية . ان الطريق من رستوف إلى ايران فالعراق هو أقصر من الطريق من برلين إلى رستوف . اننا نأمل في السنة المقبلة ان نفتح هذا الباب ـ انه من الاوفق ان يعطى إذ ذلك تصريح وليس الآن حيث لا نستطيع ان نساعد بشيء .

انني أفهم تشوق العرب إلى هذا . ولكن . على سماحة المفتي ان يفكر انني بعد خمسة أعوام من تسلمي رئاسة الحكومة الالمانية وصيرورتي زعيماً لالمانيا استطيع ان اعطي تصريحاً كهذا . وذلك لان قوة السلاح مكنت من اعطاء مثل هذا التصريح . وعندما تصبح فرق الدبابات الالمانية والمصفحة واسراب الجو واقعة في جنوب القوقاز يكون إذ ذاك قد حان الوقت لاجل النداء (التصريح) .

الكيلاني يتفاهم مع ايطاليا بعد ان فوضتها المانيا بالمشرق العربي

تصريحات قليلة

وقال الفوهرر « جوابا على طلب تصريح أو معاهدة سرية » ان تصريحاً يعرفه عدة أشخاص لا يبقى سراً بل يكون تصريحاً علنياً . انني اعطيت في حياتي قليلا من التصريحات على العكس من الانكليز الذين اعطوا تصريحات كثيرة . ولكني إذا اعطيت يوماً تصريحاً فانني افي به . قد قلت مرة إلى مارشال فنلندي بأنني سأساعد وطنه إذا هاجمه العدو مرة اخرى . وهذه الكلمة كانت أكثر تأثيراً من أي تصريح خطي .

انني حقاً أريد أن اصرح لكم بما يلي : عندما نكون (نصبح) في جنوب القوقاز يكون قد حان وقت تحرير العرب . وبامكانكم ان تعتمدوا على كلمتي هذه . لقد كان عندنا اضطراب لاجلكم . انني اعرف تاريخ حياتكم وقد كنت شديد الاهتمام بتتبع رحلتكم الطويلة الخطيرة وكثيراً نقلق عليكم لانكم عندنا الآن . وبانكم تستطيعون تقديم قواكم للقضية المشتركة .

رغم الكلمات الواضحة التي خطب بها هتلر الحاج أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني فانه يجدر ان لا نغفل عن حقيقة ان هتلر لم يفعل أكثر من انه اعاد تقرير بعض ما سبق ان وعد به موسوليني الزعيمين العربيين . ومرد ذلك ان المانيا كانت قد اقامت تحالفها مع ايطاليا على أساس تفويضها بقضايا الشرق العربي . ولذلك فحين وصل الكيلاني ومن قبله المفتي إلى برلين ليقدما المطالب العربية قال لهما المسؤولون الالمان ان التفاهم يجب ان يتم مع الحكومة الايطالية .

رحلة إلى روما

ولهذا توجه الكيلاني والمفتي إلى روما في شهر شباط عام ١٩٤٢ حيث التقى الكيلاني مع وزير الخارجية الايطالي الكونت شيانو والملك فيكتور عما نوئيل والسنيور موسوليني على التوالي . فيما التقى المفتي مع الملك فقط . ويتضح من محاضر هذه اللقاءات ان التفاهم

الفعلي مع دولتي المحور قد تم في روما ومع الكيلاني من الجانب العربي .

كان اللقاء الأول مع الكونت شيانو وزير الخارجية . وقد تم في مقر وزارة الخارجية الايطالية واستغرق ٣٠ دقيقة ابتداء من الساعة السادسة من مساء ١٠ / ٢ / ١٩٤٢ . ويقول الكيلاني في نص محضر الاجتماع الذي كتبه بخط يده :

لقد استقبل صاحب المعالي الكونت شيانو وزير خارجية ايطاليا رشيد عالي الكيلاني في وزارة خارجية ايطاليا في الوقت المبين اعلاه وذلك بعد وصول الكيلاني إلى روما بثلاثة أيام . وأول ما شاهد الكيلاني بين له الكونت شيانو سروره من مجيئه إلى روما وامتنانه من مشاهدته اياه شخصياً . وقد شكره الكيلاني على هذه العواطف الطيبة وقال له انه يرى من واجبه ان يتقدم بالشكر لحكومة ايطاليا والشعب الايطالي على ما لاقاه من حفاوة وترحاب عند دخوله إلى الحدود الايطالية وعند وصوله العاصمة . واردف قائلا بانه يشكر معالي الوزير على تفضله بمجيء عائلتي إلى هنا وما أبداه في هذا الشأن من الشعور النبيل .

فاجاب معالي الوزير : من دعاوي سرورنا ان نراك ونرى عائلتك بين ظهرانينا . وأرجو ان تتأكد بان ايطاليا هى بلادكم أيضاً . وان ايطاليا حكومة وشعبا تقدر كل التقدير الحركة الوطنية التي قام بها العراق حكومة وشعبا تحت قيادتك ضد العدوان البريطاني . واننا معجبون ببسالة الجيش العراقي وشعبه . وها اني أقدم اليك كتاباً بمناسبة قدومك إلى هنا يتضمن اعتراف حكومتي بتلك الوطنية والبسالة التي اظهرها الشعب العراقي وحكومته وبجدارته بالاستقلال التام .

فأجابه الكيلاني : اني أشكر الحكومة الايطالية ومعاليكم على هذه العواطف الطيبة نحو الشعب العراقي . واني متحمس كثيراً من هذا الشعور النبيل وان هذا الاعتراف والكتاب الذي تضمنه سيبقان خالدين في نفسي ونفس الشعب العراقي . وانهما سيقومان روابط الصداقة والتعاون بين الشعبين وسيذكرهما الشعب العراقي بكل اعجاب وتقدير . وان هذه العواطف الطيبة التي شاهدتها من معاليكم ونية حكومتكم الحسنة التي نعتقد بوجودها نحو العراق والشعب العراقي يجعلاني أكثر قدرة على العمل من أجل تحرير بلادنا . أرجو من معاليكم ان تتفضلوا بالمساعدة على اعطاء وثيقة لنا متضمنة استقلال البلاد العربية الاخرى (سوريا وفلسطين) والبلاد التي تحت الانتداب البريطاني لاننا نرى حاجة شديدة إلى ذلك

لا لتطمين انفسنا فاني وسماحة المفتي الأكبر قانعان بحسن نوايا الحكومة الايطالية بذلك ولكننا نريد هذه الوثيقة لتكون سداً قوياً ازاء الدعاية البريطانية في البلاد العربية ولتكون عاملا متينا لتشجيع ابناء هذه البلاد للاستمرار في حركاتهم الوطنية . إذ بدون ذلك لا نستطيع ان نقوم بأي عمل من شأنه الحيلولة دون الدعاية البريطانية . وها انى أقدم إلى معاليكم نسخة من المعاهدة والبروتوكول المقترحين بهذا الشأن .

فأجاب معالي الوزير : أرجو ان تتأكد بان حكومتي موافقة كل الموافقة على استقلال جميع البلاد العربية التام . ولا يوجد هناك أي ريب في ذلك . وان هذه المعاهدة والبروتوكول المتضمنين تثبيت استقلال العراق والبلاد العربية الاخرى التي تحت الانتداب البريطاني اني كمبدأ موافق على أساسها وهو الاستقلال التام للبلاد العربية المذكورة . واني سأعرضهما على الدوتشي وأبذل قصارى جهدي لانجازهما ، وكن مطمئنا على ذلك إذ انك تعلم ان النفوذ السياسي والاقتصادي في حوض البحر الأبيض قد تقرر بان يعود للحكومة الايطالية . وان حكومتي لا تضمر للبلاد العربية في ذلك الحوض الا الاستقلال التام .

وهنا سأل الوزير الكيلاني ما إذا كان يوجد للحكومة الالمانيـة علم بهذه المعـاهـدة والبروتوكول . فأجابه الكيلاني نعم انه قدم نسخة من كل منهما إلى وزارة الخارجية الالمانية وان كمبدأ موافق عليهما وهما الآن تحت الدرس هناك . وانني أرجو من معاليكم المساعدة على الاسراع في انجازهما . فأجاب معالي الوزير اني سأساهم بذلك . وساتصل بصديقي الحميم الفون ربينتروب وزير خارجية المانيا لانجازهما بأسرع ما يمكن لاننا قانعون بضرورة عمل شيء من هذا القبيل لتشجيعكم ولتتمكنوا من القيام بما تقتضيه مصالحنا المشتركة في بلادكم . وسأعرض كل ذلك على الدوتشي . وانكم ستقابلون الدوتشي إذا تريدون ذلك .

فأجابه الكيلاني : ان لي الشرف العظيم بأن أقابل الدوتشي . فأرجو ان تساعدني على ذلك . وأكرر شكري الجزيل على اهتمامكم بقضية المعاهدة والبروتوكول لأن المعاهدة بنيت على أساس كتاب الاعتراف . وهى تتضمن أيضاً المبادىء التي بني عليها تعاوننا مع دولتي المحور ايطاليا والمانيا من الوجهة العسكرية والاقتصادية والمالية والثقافية . ولا يمكن البدء في اتفاقيات توضح طرق هذا التعاون ما لم تنجز المعاهدة . واما البروتوكول فهو مبني على هذه

المعاهدة أيضاً . وهو وثيقة تتضمن الاعتراف من قبل دولتي المحور باستقلال البلاد العربية التام التي تحت الاحتلال البريطاني أو اشرافها وان انجازه أمر ضروري ومستعجل لأن جميع أبناء البلاد العربية ينتظرون من سماحة المفتي الأكبر ومني ان نثبت مستقبل البلاد العربية معكم ونضمن لها استقلالها وحريتها التامتين .

فأجاب معالي الوزير : انني متفق معكم وأؤكد لكم اني مبدئياً موافق على ذلك وسأعرضها على الدوتشي واسعى جهدي لانجازهما بالسرعة الممكنة . وباستطاعتي ان اؤكد لكم أيضاً انكم سترجعون في الوقت القريب إلى بلادكم بالمركز اللائق بكم وهى نائلة حريتها واستقلالها . وسأعرض على الدوتشي أمر رغبتكم في مقابلته وآمل انه سيقابلكم خلال الأيام الثلاثة المقبلة .

فشكره الكيلاني شكراً جزيلا على عواطفه النبيلة . وأستأذن بالانصراف فودعه معالي الوزي توديعاً حميماً قائلا له انك في أمكانكم ان تقابلني متى شئت . أخبر السنيور گبريللي واني مستعد لمقابلتك في كل وقت . واتمنى لك راحة واقامة سعيدة في روما . وودعه معالي الوزير إلى غرفة الانتظار حيث كان هناك السنيور كبريللي سفير ايطاليا في العراق والسنيور مكيني سكرتيره الأول . وكان الكيلاني قد ذكر لمعالي الوزير معاونتهما له وللعراق اثناء الحركة الوطنية الاخيرة . واثنى عليه فلاطفهما معالي الوزير عند مشاهدتها وبين السنيور گبريللي ذلك .

خطوة عملية

ويتضح من كلام الوزير الايطالي ان روما كانت مهيأة للأقدام على خطوة عملية لتكريس تحالفها مع حكومة العراق المقبلة بعد انتصار دول المحور كما كانت تتوقع . ولذلك فهى مستعدة لتوقيع وثائق اتفاقات أو معاهدات مع حكومة المنفى العراقية باعتبارها الحكومة الشرعية للعراق . كما ان موسوليني راغب في مقابلة رشيد عالي الكيلاني رئيس حكومة الدفاع الوطني لذات الغرض ، ولكنه كان يريد أن يطلب الكيلاني ذلك وقد فعل . وقبل ان يعقد اجتماع العمل المطلوب بين الكيلاني والدوتشي ، عقد لقاء مجاملة بين الكيلاني وامبراطور ايطاليا الملك فيكتور عمانوئيل . . في القصر الملكي بروما .

بدأ اللقاء مع الملك الساعة العاشرة من صباح ١٤ / ٢ / ١٩٤٢ واستغرق ٤٥

كلام الفوهرر مع سماحة المفتي الاكبر
الجمعة ٢٨ كانون الثاني ١٩٤١ من الساعة ٤،٣٠
الى الساعة ٦ وبضع دقائق

ان خطة كفاحي واضحة وهي اولاً اني اكافح اليهودية بدون هوادة (هدنة) ويدخل في هذا الكفاح ضد ما يقال عنه "الوطن القومي لليهود" في فلسطين لان اليهود يريدون أن يؤسسوا دولة مركزية لأجل مقاصدهم البربرية ونشاطهم الهدام التخريبي ازاء دول العالم (وغيرهم من الشعوب).
وانه من الواضح ان اليهود لم يقوموا بعمل انشائي في فلسطين فان ادعائهم هذا كذب. ان كل الاعمال الانشائية التي انجزت في فلسطين ترجع الى فضل العرب لا اليهود. اني مصمم على ان اجد حلاً للمشكلة اليهودية دفعة فدفعة (خطوة فخطوة) وبدون انقطاع.
انني سأوجه الدعوة اللازمة المناسبة الى جميع البلاد الاوروبية ثم الى البلاد التي خارج اوروبا في هذا الصدد. انه
ان اعدائنا المشتركين هم بريطانيا والشيوعيون اللذان تختلفان مبادئهما ولكن الاثنين تقف ورائهما ؟ اليهودية "
التي تسوقها اليهودية التي لها غرض واحد في نفس البلدين.
اننا الآن في صراع الحياة والموت (البقاء والفناء) مع هاتين الامتين. ان هذا الصراع سوف لا يفصل بين الوطنية الاشتراكية واليهودية فحسب بل ان قيادة هذا الكفاح الناجحة ستأتي بالمساعدة الايجابية الى العرب الذين

● الصفحة الأولى من كلام الفوهور مع المفتي بخط يد الكيلاني

دقيقة . وهذا هو المحضر كما كتبه الكيلاني بخط يده :

لقد تفضل صاحب الجلالة الامبراطور فيكتور عمانوئيل امبراطور وملك ايطاليا المعظم وقابل بحضوره في الوقت المذكور رشيد عالي الكيلاني . وعندما دخل الكيلاني في غرفة جلالته شاهد جلالته واقفا قرب باب غرفته وبعد اجراء الاحترام اللائق بجلالته صافح جلالته الكيلاني واخذه من يده وأجلسه على كرسي بجنبه ورحب جلالته بالكيلاني قائلاً له انه يسره ان يراه في روما ويتعرف به شخصياً لانه يقدر شجاعته ووطنيته وشجاعة الشعب العراقي وجيشه . وقال جلالته ان الشعب العراقي شعب محارب شجاع ويستحق كل تقدير وهو جدير بالاستقلال التام .

● جزء من محضر اجتماع شيانو والكيلاني

فاجابه الكيلاني : اني أشكر صاحب الجلالة الامبراطور المعظم على تفضله بقبولي ، وعلى ما شاهدته من لدن جلالته من عطف ولطف ، وما شاهدته عند دخوله ايطاليا من ترتيب ودي من حكومة جلالته وشعبه النبيل . كما اني أتقدم بجزيل الشكر إلى صاحب الجلالة المعظم على شعوره النبيل نحو الشعب العراقي وتقديره لشجاعته ووطنيته التي أظهرها ضد العدوان الانكليزي في الحركة الاخيرة . واني أرجو من جلالته ان يكون الشعب العراقي والشعب العربي كشعب عربي واحد مشمولا بعناية جلالته وأن يساعد جلالته على استقلاله التام وتأمين وحدته .

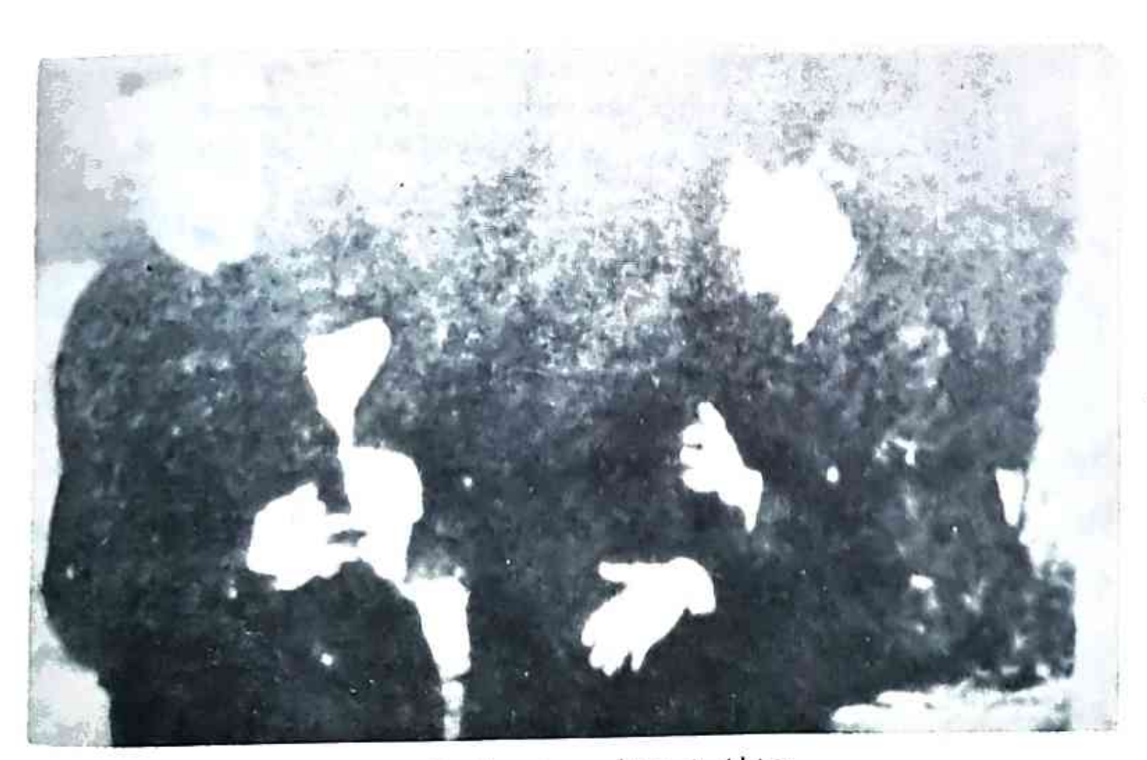
فأجاب جلالته : ان مبدأنا في هذه الحرب هو استقلال الشعب العربي أيضاً . وان حكومتي جادة في ذلك . ثم تفضل جلالته وسأل عن مقدار نفوس العراق واقتصادياته .

● اجتماع امبراطور ايطاليا بالكيلاني

وكيف تعدى الانكليز على كرامته . فأجابه الكيلاني موضحاً ذلك . وعندما انتهى الكيلاني من حديثه عما قام به الانكليز في تعد فظيع على كرامة العراق واحتلالهم البصرة وتجاوزهم على الجيش العراقي واطلاقهم النار عليه قال جلالته ان الانكليز بالحقيقة أمة مغرورة غدارة .

ثم تحدث الكيلاني عن تعدي الانكليز على حرية فلسطين وكيفية سيطرتهم عليها ووعدهم بتأسيس وطن قومي يهودي فيها والفظائع التي ارتكبوها ضد عرب فلسطين . وما ارتكبه الفرنسيون في سوريا من وحشية وفظاعة وسلبهم حرية الأمة السورية . فأظهر جلالته تأثراً كبيراً وقال كم نفوس فلسطين وسوريا . فأوضح الكيلاني لجلالته ذلك . ثم قال جلالته اني زرت بيت المقدس في فلسطين واعرف تلك البلاد ثم اني سافرت إلى سمرقند وطشقند وبين ما شاهده هناك من مؤسسات اسلامية وجوامع كثيرة . ثم انتقل جلالته إلى

حديث السياسة العمومية فسأل الكيلاني عن حالة الهند وتأثير اليابان على الشرق الاقصى والشرق الادنى . فأجابه الكيلاني موضحاً اراءه في هذا الشأن . فقال جلالته : وهذا ما أراه انا . ثم سأل جلالته الكيلاني رأيه عن وضع تركيا الحاضر فأجاب الكيلاني جلالته على هذا السؤال بتفصيل . وسأل جلالته ما هو رأي الاتراك عن البلاد العربية فأوضح الكيلاني رأيه . وقال جلالته للكيلاني ان ما ابديته من آراء أراه جواباً وأقدر جداً أفكارك التي تدل على فهمك الحقائق تماماً . وبعد ما انتهى هذا الحديث أستأذن الكيلاني جلالته فأذن له هذه المرة حيث تفضل في المرة الأولى مبقياً الكيلاني مدة اخرى لدى جلالته . فشكر الكيلاني جلالته شكراً جزيلا على هذا العطف الخاص . وخرج جلالته مع الكيلاني إلى باب غرفة جلالته . ولما فتحت رأى جلالته في غرفة الانتظار السنيور كبرييلى سفير ايطاليا في العراق فسأل جلالته عن السنيور كبرييلي فأجاب الكيلاني انه رجل مخلص وخدم العراق ولا سيما في الحركة الاخيرة خدمة تذكر فتشكر . فناداه جلالته إلى الغرفة ولاطفه وأظهر له امتنانه . وبعد ذلك أستأذن الكيلاني فخرج هو والسنيور كبرييلي شاكراً وممتناً كثيراً على هذه العاطفة الملكية واللطف الامبراطوري .



●الحاج امين الحسيني مجتمعا بهتلر

في حضرة الزعيم

الدوتشي : نعطيكم كتاباً سرياً يطمئنكم على استقلال بلادكم
اما التصريح العلني .. فبعد ان تصل جيوشنا إلى مناطق قربكم

اما لقاء العمل التاريخي بين الكيلاني والدوتشي موسوليني فقد عقد في مقر « الزعيم » واستغرق مدة ساعة كاملة ما بين الخامسة والسادسة من بعد ظهر يوم الأربعاء ١٨ / ٢ / ١٩٤٢ وحضره الكونت شيانو وزير الخارجية . وهذا هو محضر اللقاء كما دونه الكيلاني أيضاً .

استقبل الدوتشي رشيد عالي الكيلاني في المحل والوقت المذكورين اعلاه وكان الاستقبال ودياً وحميماً للغاية وقد رحب الدوتشي بالكيلاني ترحيباً قلبيا كما رحب به في المقابلة الأولي .
وقد قال الدوتشي للكيلاني : ها أنا أحب ان أسمع ما تريد فابتدأ الكيلاني قائلا :

اني أشكر الدوتشي أولا على ما غمرني به من عطف بتفضله بقبولي هذه المرة أيضاً وتخصيص وقت ثمين من أوقاته لسماعي ، واني أرجو ان يعلم الدوتشي مني شخصياً أيضاً ما يكنه الشعب العربي من اخلاص لحكومة ايطاليا وخاصة لشخصه الكريم إذ اني أعلم ان الدوتشي ملم تماماً بشؤون البلاد العربية ولكني أريد ان أؤكد له بان الأمة العربية أصبحت ذات عقيدة راسخة بعداء الانكليز إليها لان هذه الأمة العربية الطموحة لنيل استقلالها وحريتها كانت قد اتفقت مع الانكليز في الحرب العامة الماضية للحصول على بغيتها ، وقد برت بوعدها لانكلترا حيث قاتلت جنباً لجنب جيوشهم وأراقت كثيراً من دماء ابنائها لهذه الغاية ، ولكن الانكليز نكثوا بكل وعد قطعوه للأمة العربية في استقلالها بل انهم لم يكتفوا

بهذا فقط وانما منذ عشرين سنة أخذوا يضطهدون الأمة العربية باساليب شتى فهم بينما يجب عليهم ان يبروا بوعدهم باستقلال فلسطين إذا بهم وعدوا اليهود ـ بعد وعدهم للعرب ـ بتأسيس وطن قومي يهودي في فلسطين . واشتدوا في ضغوطهم على العرب هناك لسلبهم أراضيهم واعطائها لليهود والتضييق على عيشهم لارغامهم على قبول الوطن القومي اليهودي والفتك بهم بطرق مختلفة كالتمثيل بهم وتشريدهم واحراق قراهم ، وكذلك ضغطوا على حليفتهم فرنسا فسلبت هذه بدورها ما كانت قد وافقت عليه في معاهدة واستقلال سوريا احتلوها بجيوشهم وكذلك عملوا في العراق فخالفوا معاهدتهم واحتلوها بجيوشهم ، فلذا قاتلت الأمة العربية في سبيل استقلالها من الانكليز والاتراك والفرنسيين ، وان العراق قد قاتل الانكليز اخيرا لا لأجل الدفاع عن حريته فقط ، وانما لأجل استقلال سوريا وفلسطين وشرق الاردن أيضاً إذ انه يرى ذلك واجباً عليه نحو شقيقاته .

وعود الكيلاني

فلهذا ان الأمة العربية وهى ترى بأم عينها ان الانكليز منذ عشرين سنة لم يبروا بأي وعد قطعوه باستقلال بلادهم بل بالعكس قد احتلوها كلها وها هى اليوم سوريا وفلسطين وشرق الاردن والعراق تئن تحت نير الاحتلال البريطاني فلا يمكنها بعد ان تعتقد باية نية حسنة لانكلترا وعلى ذلك فان رجال الأمة العربية المخلصين قرروا ان يعادوا انكلترا في هذه الحرب العالمية وان لا يساعدوها وان يوجهوا الرأي العام العربي لجانب دول المحور ويعتمدوا على صداقتهم لان دول المحرر تقاتل عدوهم الالد الانكليز واليهود والشيوعيين ، وثانياً ان العرب يعتقدون بحسن نيـة دول المحور في معـاونتهم على الحصـول على استقـلالهم وحريتهم ، وهذا ما كان ، فان الانكليز لما طلبوا قطع العلائق السياسية مع ايطاليا في العراق رفضت حكومة العراق ذلك ، ولما طلب الانكليز معاونة الجيش العراقي في سبيل اغراض بريطانيا رفضت الحكومة العراقية هذا الطلب أيضاً ، ولما أراد الانكليز تجنيد رجال من الأمة العربية رفض أبناؤها ذاك ، فالأمة العربية يا حضرة الدوتشي تنتظر من صديقتها ايطاليا ومن شخصكم الكريم مساعدتها على استقلالها وحريتها وهى سائرة وستسير معكم بكل اخلاص ، ويمكنكم ان تثقوا بصداقتها ومعاونتها في الحاضر والمستقبل ، وهى تنتظر من عندنا من سماحة المفتي ومنى ان نحصل منكم على ما يطمنها على مستقبلها ونيل استقلالها من ضمان ، فاذا كانت الظروف الحالية لا تسمح باعطائكم تصريحاً في هذا الشأن فلا بأس

من اعطاء كتاب سري يتضمن استقلال هذه البلاد العربية وتأمين وحدتها حسب رغبة اهاليها . واننا نرى ان اعطاء مثل هذا الضمان ضروريا جداً في الظروف الحاضرة لان الانكليز اخذوا يشتدون في الأيام الاخيرة بدعايات غاشمة نحو صالح المحور في البلاد العربية من جهة ويضغطون على احرار الأمة العربية بالحبس بالاعدام والنفي لاضعاف الروح الوطنية من جهة اخرى ولم يترددوا بقطع وعود باستقلال البلاد العربية وتشكيل حكومات فعلية في سوريا ولبنان إلى غير ذلك من أمور بقصد تخدير الرأى العام العربي وتضليله ، فلا جل مكافحة هذه الدعايات المضللة وتشجيع الروح الوطنية في البلاد العربية لا بد لنا من ضمان كهذا يكون في أيدينا لنتمكن من ان نستند إليه لتطمين الرأي العام العربي ونعمل دعاية معاكسة للدعاية البريطانية اليهودية بدون ان تذيع عنه شيئاً .

كتاب سري

فاجاب الدوتشي : اني فهمت جميع ما قلته واتفق معك على اعطاء ضمان لكم لتتمكنوا من القيام بالدعاية بواسطة الراديو أوغيره لمكافحة الدعاية الانكليزية وتشجيع الروح الوطنية في الأمة العربية ، واني لا أرى اعطاء تصريح علني في هذه الظروف لان اعطاء مثل هذا التصريح لم يحن بعد وقته ، ولكن لنعمل على مرحلتين ، الأولى نعطيكم كتاباً سرياً يطمنكم على استقلال البلاد العربية ويكون في أيديكم كضمان لتطمين شعبكم على مستقبله وحريته ، والثانية نعطكيم التصريح العلني عندما يصل جيش المحور قرب بلادكم ، إذ لا فائدة من تصريح علني لا تدعمه قوة في الحال لتنفيذ ما جاء فيه ، وانما أرجو ان تتأكدوا ان غايتنا هي استقلال الأمة العربية وسنسير لتحقيق ذلك ، واني الآن أحضر الضمان اللازم اليكم (وهنا قدم له معالي وزير الخارجية مسودة البروتوكول المتضمن اعتراف حكومتي المحور باستقلال البلاد العربية الواقعة تحت الاحتلال البريطاني أو اشرافها وتأمين وحدتها حسب رغبة اهاليها ، وبين للدوتشي بان هذا البروتوكول قدمه الكيلاني إلى وزير الخارجية فأخذ الدوتشي يقرأه وقال مؤكداً سيحضر ما هو لازم لاعطاء الكتاب المقتضى بهذا الشأن) .

فأجاب الكيلاني شاكراً عطف الدوتشي وشعوره النبيل نحو الأمة العربية واستقلالها التام مبيناً امتنانه العظيم على موافقة الدوتشي على اعطاء الضمان المطلوب ككتاب سري إلى ان

يحين الوقت المناسب لاعطاء التصريح العلني ، ورجا الدوتشي بالتفضل الكتاب بأسرع ما يمكن إذ لا يمكن القيام من قبلنا بأي عمل ودعاية بدونه ، فأجاب الدوتشي بانه يقدر ذلك بالتمام ، ولما انتهى الكيلاني من كلامه هذا بشأن الأمة العربية سأله الدوتشي ، هل عندك بعد ما تريد ان تقوله لي ؟

ربط المقدرات

فأجابه الكيلاني : نعم إذا تسمحون لي ان ابين لكم وضع العراق وما يتطلبه من شخصكم الكريم من مساعدة ، فقال الدوتشي : أرجو ان تبين لي كل ما تريده بكل صراحة . فقال الكيلاني : ان العراق يا سيدي الدوتشي ربط مقدارته بكم وهو ينتظر منكم مستقبله الزاهر لانه لم يقاتل الانكليز ولا الانكليز اشتدوا بعدائهم له الا من أجل اعتقاد الانكليز بان العراق اتجه بكليته اليكم لا سيما عندما اعلنتم الحرب على انكلترا وفرنسا ، وطلب الانكليز من حكومة العراق التي كنت رأسها إذ ذاك قطع العلائق السياسية مع الحكومة الايطالية ورفضت طلبهم هذا ، وقد اعتقد الانكليز بصداقة العراق اليكم وبعدائه لهم ، واني لا انسى عندما طلب مني سفير بريطانيا في بغداد « السير بازل نيوتن » قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا قال لي « انه عليك ان تختار اما صداقة بريطانيا أو صداقة ايطاليا ، اني كنت مدركاً خطورة الموقف وتتائج جوابي وماذا يصيب بلادي من وراء ذلك ومع هذا صرحت برأي أمتي باننا لا نريد ان نعادي ايطاليا في وقت هي لم تظهر لنا الا نية حسنة ، لم يسعني في ذلك الوقت الا ان أكون صريحاً لاني كنت معتقداً ان قطع العلائق السياسية مع ايطاليا يفقدنا صداقتها ويضيع علينا عطفها الذي نأمل من ورائه كل خير لبلادنا .

اني كنت واثقاً بان الانكليز بعد هذا الحادث سيشهرون عداءهم على شخصياً وعلى حكومتي وبلادي وكنت قد فاتحت وزير ايطاليا المفوض في بغداد السنيور كابر يلي . لاتخاذ ما يلزم لنا في الاحتياطات ما كنا نتوقعه من عدوان بريطانيا ، وقد أعتقد الانكليز بانهم - بوجودي في الحكم وباتباعي هذه السياسة الموالية لحكومة ايطاليا وحليفتها - لا يتمكنون ان يستفيدوا من العراق في هذه الحرب ولا يمكن ان يتخذوا منه قواعد عسكرية جديدة وخطوط دفاع ضد ما كانوا يتوقعونه منذ ذلك الوقت من احتمال اعلان المانيا الحرب ، ضد روسيا ، فعقدوا النية على ازاحتي من الحكم وعملوا لهذه الغاية ما عملوه من دسائس وحيل بوساطة الوصي على العرش ، اذ ذاك « عبد الاله » واعوانه نوري السعيد وجميل المدفعي ، ولكنهم

باءوا بالفشل حيث اصطدموا بقوة الشعب العراقي وجيشه الذي كان مؤيداً لسياستي تلك وطرد الوصي واذنابه من العراق فاندفع الانكليز إلى سوق جيش كبير وارادوا انزال قسم منه بقصد امراره في العراق ، وكنت وافقت على ذلك لان المعاهدة بيننا تقضي به .

خالفوا المعاهدة

ولكن الانكليز خالفوا شرفهم والمعاهدة فانزلوا الجيش ولم يمرره من العراق بل واحتلوا البصرة وساقوا قوة اخرى إلى سن الذبان ، وكان القصد احتلال العاصمة ، وفي ليلة اطلقوا النار على جيشنا المرابط في العاصمة وسن الذبان فما كان لنا الا ان نختار أحد أمرين : اما الخضوع واما الدفاع عن كرامة الأمة وشرفها ، وانتا بالرغم من علمنا بعدم كفاية جيشنا من حيث العدد والعدة رجحنا القتال ضد الانكليز وان تموت اعزاء من ان نبقى أحياء ، ولم يستطع الانكليز ان يحتلوا بغداد الا بعد ان نفذت آخر طائرة لدينا وآخر دبابة أو مدفع يصلح للدفاع عن بلادنا ، ولو كنا قد أمددنا بمائة طائرة وخمسين دبابة لما تمكن الانكليز من احتلال بلادنا ، اني أقدر الظروف في ذلك الوقت التي لم تمكنكم من ارسال ما يكفي لنا من الطائرات والدبابات . وأعلم كيف ان الاتراك لم يساعدوا على امرار المعدات عن طريق تركيا إلينا ، ومع هذا فان ارسالكم الاثنتي عشرة طائرة كان دليلا محسوساً على ما تكنونه لبلادنا وللبلاد العربية من خير وتمتع باستقلال تام ، وهذه الارسالية برهنت للعالم كيف ان الانكليز يعتدون على كرامة بلادنا واستقلالها ويوجهون علينا نيرانهم الحامية من الطائرات والمدافع وانكم بالعكس ترسلون لنا ما مكنتكم الظروف في ذلك الوقت من طائرات وبعض المعدات للدفاع عن استقلالنا وكرامتنا ، فكان هذا آخر دليل على هتك الانكليز حرمات بلادنا وعلى حرصكم على حريتها . فأرجو ان تثقوا بان عملكم هذا كان له أثره الجميل الخالد في نفوسنا ونفس كل عربي .

بداية الكفاح

وعلى كل حال فاننا إذا كنا نسلم بان الانكليز نجحوا علينا في المرحلة الأولى من الكفاح فاننا نعتبر ان ذلك هو بداية كفاحنا وان الكفاح لم ينته بل مستمر حتى الآن كما تعلمون ، إذ لا يمر شهر الا ونسمع بعمل عدائي قام في العراق وفي البلاد العربية ضد انكلترا كما ضربت في العراق قبل مدة بعض الجسور وتم ضرب الخط الحديدي بين البصرة وبغداد ، وكذلك

بين سامرا وبغداد ، وهجم الجيش العراقي على الجيش الانكليزي في كركوك . وان هذا سيستمر حتما لان عداء الأمة العراقية والعربية أصبح مستحكماً في نفوس أبنائها ضد الانكليز ، وإذا كان وضعنا في ذلك الوقت لم يمكننا من ان نقوم بالمعاونة الكافية في الكفاح معكم ضد عدونا المشترك غير اننا على قدر استطاعنا وحالتنا نستطيع ان نقول باننا ساعدناكم أولا في اشتراكنا الفعلي حسب قدرتنا ضد هذا العدو باعلاننا القتال عليه ، بهذا أظهرنا للأمة العربية بل للعالم الإسلامي جشع الانكليز في البلاد العربية ونيتهم السيئة ضد الشعوب وهتك حرماتها واستقلالها فاضاع الانكليز بهذا كل ما كان لهم من مركز أو عطف في العالمين العربي والإسلامي إذا لم أقل في العالم أجمع ، وكان من نتيجة ذلك انهم اضطروا وما زالوا مضطرين لابقاء عشرات من الفرق من جيوشهم في البلاد العربية في سوريا وفلسطين والعراق حفظاً للأمن الداخلي لها . وثانياً لم يتمكنوا من الاستعانة بالأمة العربية وتجنيد أي نفر منها كان قد تيسر لهم في الحرب العامة الماضية .

فهذا ما يمكننا ان نعمله ضد انكلترا الآن ولصالح أصدقائنا انتم وحليفتكم المانيا ، ولكننا سنقدم مساعدتنا الفعلية على نحو أوسع من هذا عند ما يقرب جيش المحور من بلادنا ويصبح بامكاننا .

فهذا ما يمكننا ان نعمله ضد انكلترا الآن لصالح أصدقائنا . . انتم وحليفتكم المانيا .
ولكننا سنقدم مساعدتنا الفعلية على نحو أوسع من هذا عندما يقترب جيش المحور من بلادنا ونصبح بأمكاننا ان نجهز جيشنا وشعبنا ولا سيما عشائرنا بما يلزمهم من المعدات وسترون ان جيشنا وعشائرنا وشبابنا سيكونون جنباً لجنب مع جيوشكم لمقاتلة الانكليز واخراجهم لا من العراق فقط بل جميع الأراضي العربية التي تحت احتلالهم واشرافهم لأننا أمة تريد استقلالها ومجدها ولو باراقة الدماء .

وأرجو ان تتأكدوا من ذلك ومن صداقة الشعب العراقي فهو صديق صادق لكم وباستطاعتكم ان تثقوا به كل الوثوق واني أرجو من حبكم إليه وإلى شخصياً ان تجعلوا من الشعب العراقي صديقاً قوياً لكم في المستقبل لكي تستفيدوا من صداقته استفادة كبيرة .

كما اني أرجو ان تساعدوه على ضم « عربستان » وهى القطعة العربية الواقعة في جنوب ايران والتي جميع سكانها عرب محض وعشائر وما زالوا رغم الاضطهاد الايراني يتكلمون لغة

ابائهم وأجدادهم ومحافظين على تقاليدهم العربية . وهى كانت من العراق في زمن العثمانيين وبودلت مع ايران على خلاف العدل والانصاف ثم اني أرجو من الدوتشي أن يساعد على انجاز المعاهدة المتضمنة تأكيد استقلال العراق وتنظم أسس مناسباتنا التعاونية معكم ليكون ضماناً قوياً آخر يطمئن نفوس أبناء البلاد العربية لا سيما ان منهم المحبوسون في الاهواز « والفاو » ومنهم المحكوم عليهم بالاعدام والسجن الأبدي والذين هم وأخوانهم الآخرون في البلاد ينتظرون منا ان نثبت مصير بلادهم ومستقبلها وتأمين استقلالها معكم .

ازدياد الحماس

نعم ان الانكليز لاظهار حقدهم وعدائهم الشديد نحوي ونحو رفاقي الذين اشتركوا معي في القتال ضدهم حكموا علي وعلى قواد فرقنا وبعض وزرائنا بالاعدام وعلى البعض الآخر بالسجن الابدي أو الطويل المدد . وان هذا لا يثبط من عزمنا ولا ينقص من عدائنا لانكلترا . بالعكس انه يزيد من الحماس في نفوسنا ونفوس أبناء بلادنا . واني اتلقى هذا الحكم كوثيقة شرف لنا وشهادة مشرفة لنا صادرة من اعدائنا إذ انه يكفي ان يصرح « بان الكيلاني معروف بعدائه لبريطانيا فساق الجيش والشعب العراقي لمقاتلتها . وانه رفض قطع العلائق السياسية مع ايطاليا وانه كان يتصل مع وزير ايطاليا المفوض في بغداد وانه لم يمنع الدعاية الفاشية والنازية في البلاد . . إلى غير ذلك من الأسباب التي تثبت عداءنا لانكلترا وصداقتنا الصادقة معكم .

فاذا كانت انكلترا قد احتلت بلادنا فان هذا الاحتلال وقتي لاننا بحركتنا الوطنية قد كسبنا صداقتكم القيمة . فما دمتم في الحياة ، فنحن رابحون إذ ان الذي ساعده الحظ على كسب صداقتكم لا يخسر واني لواثق بأنه من وراء صداقتكم ستنال بلادنا استقلالا وحرية أكثر مما كانت في حلفها مع انكلترا .

وها اني اليوم اتيت إلى هنا وساعدني الحظ على التشرف بزيارتكم فأرجو أن تنظروا إلى العرب عامة والعراق خاصة فيما يخص ضمان استقلالهم التام وتأمين حريتهم كما اني أرجو ان تساعدوا على الموافقة على مسودة المعاهدة لتثبت أركان استقلال العراق ـ التي قدمتها إلى معالي وزير الخارجية لنتمكن من ان نشرع باحضار الاتفاقيات التي تتعلق بتعاوننا العسكري والاقتصادي والمالي .

فأجاب الدوتشي : اني لأقدر كل التقدير الشجاعة والبسالة التي اظهرتها انت وشعبك في مقاتلة الانكليز . وانني لا يمكنني ان انسى ذلك . وان هذه الشجاعة لضمان قوى لمستقبلك ومستقبل بلادك . واني اتفق معك انه أحسن طريق مشرفة اخترتموها ، هى انكم رجحتم القتال ضد العدوان الانكليزي على الاستسلام والخضوع . واني مؤمن بانه لو كنا قد تمكنا ان نوصل اليكم في وقته مائة طائرة وخمسين دبابة لما كان استطاع الانكليز ان يحتلوا بلادكم . ولكنك تقدر الظروف التي منعتنا من ذلك . انني اعتقد كما قلت بانكم لم تخسروا شيئاً في مقاتلة الانكليز دفاعاً عن كرامة بلادكم لاني ارى ان كفاحكم نفسه هو فوز لكم ونجاح لبلادكم .

ان الحكم الصادر عليك وعلى اخوانك هو وثيقة ضمان لكم ولمستقبل بلادكم . وهو يجب ان يكون كما قلت مشجعاً للروح الوطنية ومزيداً في حماس الشعب العراقي لاستمراره في الكفاح ضد اعتداء بريطانيا الاثيم على بلادكم .

اني أوافق معك انه من الضروري انجاز المعاهدة التي ذكرتها (وهنا قدم وزير الخارجية مسودتها إلى الدوتشي فأخذ يقرأها مادة فمادة) وقال اني سأقوم بما يلزم وكن واثقاً من ذلك .

اني أريد ان ارى العراق دولة مستقلة وكبيرة لتكون لنا صديقة ذات فائدة . ولهذا من الطبيعي ان يرتبط بها ما يجاورها من البلدان العربية . وهذا مبدأ مقبول لدينا . (وهنا خاطب وزير الخارجية قائلا له خذوا هذه الجهة بنظر الاعتبار) . هذا واني أحب ان ابين لك تقديري لشخصك وانك سترجع لبلادكم كأكبر شخصية وتكون كل شيء .

فشكره الكيلاني على هذه العواطف الطيبة والشعور النبيل مؤكدا له على انه وبلاده بل والعرب أجمع سيكونون عند حسن ظنه وباستطاعته ان يثق بصداقتهم ويعتمد عليهم وسيقومون بكل ما يجب لتقوية روابط الود والتعاون بينكم وبينهم ويبذلون كل ما في استطاعتهم للدوام في الكفاح جنباً إلى جنب معكم ضد العدو المشترك . ثم ودعه الكيلاني وقد شيعه الدوتشي تشييعاً ودياً وهو يسير معه في التشييع ويسأل عن استراحته ويتمنى له طيب الاقامة له ولعائلته في روما .

الاعتراف السري

وهكذا فقد وافق الدوتشي على :

أولا : اصدار كتاب سري ـ بدلا من البروتوكول الذي طالب به الكيلاني والذي أعده بالاشتراك مع الزعماء العرب في استنبول ـ يتضمن اعتراف حكومتي المحور باستقلال البلاد العربية الواقعة تحت الاحتلال البريطاني أو اشراف بريطانيا . (ولم يشر الكتاب إلى الدول العربية الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي أو اشرافها سواء في المشرق العربي (سوريا ، لبنان) أو في المغرب العربي (الجزائر ، تونس ، المغرب) بالاضافة إلى ليبيا التي كانت تحتلها القوات الايطالية . وقد برر الجانب الايطالي عدم الاشارة إلى سوريا ولبنان بعدم الرغبة في اغضاب فرنسا والفرنسيين في هذا الوقت حتى لا يؤدي ذلك إلى تقوية حكومة ديغول المؤيدة للحلفاء . اما دول المغرب العربي فانها لم تكن موضع بحث بين الزعماء العرب منذ البداية) .

ثانياً : التوقيع على معاهدة سرية أيضاً تقضي باستقلال العرب .

ثالثاً : انجاز الكتاب السري ومعاهدة استقلال العراق بين الكيلاني والكونت شيانو بأسرع وقت ممكن .

غير ان السرعة التي تم الانجاز بها لم تكن بالقصوى كما ان انجاز الكتاب السري والمعاهدة السرية لم يتم في وقت واحد ووفق المقترحات التي قدمها الكيلاني وفوضه الزعماء العرب بابرامها .

ففي ٣١ مارس ١٩٤٢ . . أي بعد شهر ونصف الشهر من تاريخ اجتماعه مع الدوتشي ، عقد الكيلاني جلسة عمل مع الكونت شيانو انتهت بتبادل مذكرات رسمية بين الجانبين بشأن استقلال العرب غير ان المذكرتين تضمنتا بنداً يعتبر جميع « الاتفاقيات والامتيازات » والمنح من أي نوع كانت التي سبق ابرامها أو منحها أو التي ستبرم ، من قبل الحكومة الحالية غير المشروعة ، بين العراق أو هيئات أو شركات عراقية من جهة وبريطانيا وجميع الدول المحاربة لايطاليا والمانيا أو هيئات أو شركات مختصة بهذه الدول من الجهة الاخرى لاغية لا يعول عليها « كما تضمنت تعهداً بأن العراق سيراجع ايطاليا والمانيا في كل ما يحتاج إليه لاعماره وانمائه ولتنظيم جيشه وتسليحه » . . واما تفاصيل هذا التعاون المبني على المنافع المتبادلة فانها

ستحدد بموجب اتفاقية خاصة » .

حجر الأساس

ويقول الكيلاني في محضر الاجتماع الذي دونه بيده كما جرت عادته : لقد استقبل الكونت شيانو وزير خارجية الحكومة الايطالية رشيد عالي الكيلاني في مقر وزارة الخارجية الايطالية في روما في الوقت المبين اعلاه . وبعد ان رحب معالي الوزير بالكيلاني ترحيباً ودياً قال معاليه باننا الآن نوقع على الكتابين ونتبادلهما بيننا . وبهذا نكون قد وضعنا الأساس الرصين لاستقلال العرب التام الذي هو جدير به كل الجدارة لما قام به من شجاعة وبطولة ضد العدوان البريطاني دفاعاً عن حريته واستقلاله .

فأجابه الكيلاني شاكراً الحكومة الايطالية والدوتشي ومعاليه على عطفهم على الشعب العراقي وعلى اعترافهم باستقلاله التام مبينا له بأن هاتين الوثيقتين ستكونان حجراً أساسياً تبنى عليه الصادقة والتعاون الودي بين الحكومتين الايطالية والعراقية وشعبيهما . وان العراق سيبرهن في المستقبل أيضاً بانه جدير بهذه الثقة من قبل دولتي المحور وانه بامكانكم ان تثقوا بأني سأكون صديقاً مخلصاً لتحقيق هذه الثقة .

فأجاب معالي الوزير بانه يشكره الشكر الجزيل على هذا الشعور النبيل وانه لواثق بصداقة الكيلاني والشعب العراقي لدولتي المحور . ثم رجاه الكيلاني بالاهتمام بقضية البلاد العربية الاخرى لأهميتها ولضرورة اعطاء ضمان لاستقلالها المطلق في هذه الظروف لا سيما والأمة العربية تنتظر بفارغ الصبر عطف ايطاليا عليها . فأجاب معالي الوزير اننا مهتمون بها أيضاً الاهتمام اللائق بها .

فودعه الكيلاني شاكراً عل هذه العواطف والثقة ورجا من معاليه ان يعرض تشكراته واحترامانه القلبية إلى الدوتشي . فأجابه معالي الوزير بانه سيعرض ذلك عليه ، وقد شيعه إلى باب غرفة الانتظار بكل ود واحترام .

ووقع كل من الكونت شيانو والكيلاني الكتابين المتبادلين بينهما حسبما هو مربوط بهذا المحضر .

وهذا هو نص الكتاب الذي وجهه الكيلاني لشيانو :

يا صاحب المعالي :

قد اعربت في المحادثات التي جرت مع معاليكم عن ثقة الشعب العراقي في دول المحور وفي الغايات التي تقصدها وعن ارادته الراسخة بتحرير الوطن من السيطرة البريطانية والحصول على استقلاله وعن رغبته في تأسيس نظام ملؤه التعاون الوثيق المستمر مع ايطاليا والمانيا .

وبالنظر إلى هذه الرغبة والتأكيدات التي اعطيتموني اياها ، أتشرف بان اصرح لكم بان الشعب العراقي يتعهد بان يشترك بكل قواته وما لديه من الامكان المادي والمعنوي في كفاح ايطاليا وحلفائها ضد العدو المشترك حتى الحصول على النصر النهائي .

واتشرف أيضاً لكم بان العراق على اثر التعدي البريطاني عليه يعتبر جميع الاتفاقيات والامتيازات والمنح من أي نوع كانت التي سبق ابرامها أو منحها أو التي ستبرم من قبل الحكومة الحالية غير المشروعة بين العراق أو هيئات أو شركات عراقية من جهة وبريطانيا وجميع الدول المحاربة لايطاليا والمانيا أو هيئات أو شركات مختصة بهذه الدول من الجهة الاخرى لاغية لا يعول عليها .

ان رغبتي ورغبة الشعب العراقي هى تأسيس وادارة نظام مخصوص ملؤه التعاون الوثيق الدائم مع ايطاليا والمانيا . وسيتبع العراق سياسة ملهمة من روح هذا التعاون . وله الثقة بان ايطاليا والمانيا ستمدانه بكل المعاضدة . ان العراق سيراجع ايطاليا والمانيا في كل ما يحتاج إليه لاعماره وانمائه ولتنظيم جيشه وتسليحه . واما تفاصيل هذا التعاون المبني على المنافع المتبادلة فانها ستحدد بموجب اتفاقيات خاصة .

ان العراق يعتمد على معاضدة ايطاليا والمانيا في حل المسائل الاقتصادية والمالية التي قد يبحث فيها حين عقد الصلح .

ومن المفهوم ان نص هذا الكتاب ومضمونه سيبقيان سراً متكوماً على الاطلاق إلى حين عقد اتفاق آخر بهذا الخصوص .

رد الكونت شيانو

وقد رد عليه الكونت شيانو بالكتاب التالي متضمناً ذات محتوى الكتاب السابق والكتابين

من اعداد وزارة الخارجية الايطالية :

يا صاحب الفخامة :

اتشرف بالرد على الكتاب الذي وجهتموه إلي بتاريخ اليوم تأكيداً للمباحثات التي جرت مع فخامتكم بما يلي :

ان الحكومة الايطالية قد قدرت تمام التقدير الموقف الحازم لشخصكم ولحكومتكم وللشعب العراقي في الكفاح الذي اضطر العراق إليه ضد التعدي البريطاني دفاعاً عن استقلاله . كما انها (الحكومة الايطالية) قدرت كل التقدير ثقتكم وثقة الشعب العراقي في دول المحور وفي الغايات التي تقصدها .

ان ايطاليا بالاتفاق التام مع المانيا تعتبر بانه من ضمن هذه الغايات استقلال العراق التام وسيادته المطلقة . ولهذا الغرض فان ايطاليا مستعدة للاشتراك معكم ومع الشعب العراقي لتحرير وطنكم من السيطرة البريطانية ولتجهيز الجيش والشعب العراقي بالأسلحة وبكافة ما يلزم لتحرير العراق التام من الاحتلال البريطاني .

واتشرف بان آخذ علماً ان العراق على أثر التعدي البريطاني عليه يعتبر جميع الاتفاقيات والامتيازات والمنح من أي نوع كانت التي سبق ابرامها أو منحها أو التي ستبرم من قبل الحكومة الحالية غير المشروعة ، بين العراق أو هيئات أو شركات عراقية من جهة ، وبريطانيا وجميع الدول المحاربة لايطاليا والمانيا أو هيئات أو شركات مختصة بهذه الدول من الجهة الاخرى كلاغية لا يعول عليها .

ان ايطاليا ترحب بصورة خاصة برغبتكم ورغبة الشعب العراقي الرامية إلى تأسيس وادامة نظام مخصوص ملؤه التعاون الوثيق المستمر مع ايطاليا والمانيا . وسيتبع العراق سياسة ملهمة من روح هذا التعاون . كما اني اخذت علما بان العراق سيراجع ايطاليا والمانيا في كل ما يحتاج إليه لأعماره وانمائه ولتنظيم جيشه وتسليحه . واني باستطاعتي ان أؤكد لفخامتكم منذ الآن بان ايطاليا مستعدة بقدر الامكان لاجابة رغائب العراق بهذا الخصوص من جميع الوجوه .

واما تفاصيل هذا التعاون المبني على المنافع المتبادلة فانها ستحدد بموجب اتفاقيات خاصة .

ان العراق يقدر ان يعتمد على معاضدة ايطاليا في حل المسائل الاقتصادية والمالية التي قد يبحث فيها حين عقد الصلح .

ومن المفهوم ان نص هذا الكتاب ومضمونه سيبقيان سراً مكتوماً على الاطلاق إلى حين عقد اتفاق آخر بهذا الخصوص .

وأرجو يا فخامة رئيس الوزراء ان تقبلوا فائق احتراماتي .

توقيع
شيانو
وزير خارجية ايطاليا

كتاب الاستقلال

اما انجاز الكتاب الخاص باستقلال الأقطار العربية الخاضعة لسيطرة الاستعمار البريطاني أو اشراف بريطانيا فقد تأخر حتى ٢٨ / ٤ / ١٩٤٢ . وتم أيضاً على شكل تبادل كتابين رسميين وجه الأول الكيلاني بالاشتراك مع مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني وهذا نصه :

يا صاحب المعالي :

لقد اعربت في محادثاتنا التي جرت معكم عن ثقة الشعب العراقي بدول المحور وبأهدافها السامية واوضحنا لكم الاماني الوطنية للبلاد العربية في الشرق الأدنى التي ترزح حاليا تحت الاضطهاد البريطاني . وكذلك قد صرحنا باستعداد الشعب العربي للقيام بنصيبه من الكفاح ضد الأعداء المشتركين حتى النصر النهائي . ولهذا فاننا نتقدم إلى الحكومة الايطالية راجين منها ان تصرح باستعدادها لمنح البلاد العربية الرازحة حاليا تحت الاضطهاد البريطاني كل مساعدة ممكنة في كفاحنا للتحرر . وللاعتراف بسيادة واستقلال البلاد العربية في الشرق الأدنى الرازحة في الوقت الحاضر تحت الاضطهاد البريطاني ، وللموافقة على اتحادها فيما إذا رغب بذلك من قبل ذوي الشأن ، وكذلك على الغاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وانه لمن المفهوم بان نص هذا الكتاب ومضمونه سيظلان مكتومين كل الكتمان إلى ان يتفـ
على قرار مشترك آخر . وتفضلوا بقبول اسمى احتراماتنا .

السيد أمين الحسيني رشيد عالي الكيلاني

وقد رد شيانو بكتاب وجهه إلى الكيلاني وهذا نصه :

يا صاحب الفخامة

جواباً على الكتاب الذي وجهتموه إليّ بتاريخ اليوم بالاشتراك مع سماحة المفتي الأكبر السيد أمين الحسيني وتأكيداً للمحادثات التي جرت معكم اتشرف بابلاغكم ما يلي :

ان الحكومة الايطالية تقدر كل التقدير ثقة الشعب العربي بدول المحور وبأهدافها واستعداده للقيام بنصيبه من الكفاح ضد الأعداء المشتركين حتى النصر النهائي . وانها لتدرك تمام الادارك ما اوضحتموه من الاماني الوطنية للبلاد العربية في الشرق الأدنى التي ترزح حالياً تحت الاضطهاد البريطاني .

ولهذا فاني أتشرف بان اؤكد لكم بالاتفاق التام مع الحكومة الالمانية ان استقلال وحرية البلاد العربية الرازحة في الوقت الحاضر تحت الاضطهاد البريطاني هما أيضاً من أهداف الحكومة الايطالية .

ولهذا فان ايطاليا مستعدة لان تمنح البلاد العربية في الشرق الأدنى الرازحة تحت الاضطهاد البريطاني كل مساعدة ممكنة في كفاحها للتحرر ، ولان تعترف بسيادتها واستقلالها ، ولان توافق على اتحادها فيما إذا رغب بذلك من قبل ذوي الشأن وكذلك على الغاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وانه لمن المفهوم بان نص هذا الكتاب ومضمونه سيظلان مكتومين كل الكتمان إلى ان يتفق على قرار مشترك آخر .

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول اسمى احتراماتي ،،،

● رد وزير خارجية ايطاليا على رسالة الكيلاني

● محضر استقبال الدوتشي (كانوا يسمونه الدوجه) مع رشيد



● الدوتشي موسوليني



الرسالة التي بعث بها أمين الحسيني والكيلاني إلى وزير خارجية ايطاليا

● محضر اجتماع الكيلاني مع وزير خارجية ايطاليا

● رسالة الكيلاني إلى وزير الخارجية الايطالية

رسائل عربية من أجل وحدة العرب

كان السيد رشيد عالي الكيلاني حريصا على ابلاغ الزعماء العرب فى استنبول بتفاصيل الاتصالات التي كان يجريها في كل من برلين وروما . فهؤلاء الزعماء هم الذين فوضوه بالاتصال مع دولتي المحور . وكان من ضمن ما كلفوه به بحث امكانية تشكيل حكومة عربية موحدة في المنفى يكون مقرها برلين . وهو الأمر الذي لم توافق عليه دولتا المحور حيث اقتصر الاتفاق معهما على النحو الوارد في الوثائق السابقة . وهذا لم يكن يولد ردود فعل ايجابية لدى الزعماء العرب في كل الأحوال خاصة السوريين منهم كما يتضح من مجموعة رسائل تلقاها الكيلاني من الزعيم السوري نبيه العظمة . وقد وجدت ضمن وثائق الكيلانى عددا من الرسائل التي تلقاها من العظمة كما وجدت ايضا عددا من الرسائل التى تلقاها من الزعيم اللبنانى عادل ارسلان .

ويصعب أن نحدد ما اذا كانت هذه هي كل الرسائل التي تلقاها الكيلاني من الزعيمين السوري واللبناني . كما يصعب ان نحدد ما اذا كان لم يتلق رسائل غيرها من زعماء عرب آخرين . وعموما فان الرسائل الجوابية التي وجدناها تتعلق موضوعاتها باتصالات ومفاوضات الكيلاني ومفتى فلسطين مع الحكومتين الالمانية والايطالية . وبذلك فان رسائل الكيلاني يفترض ان تكون قد تضمنت تلخيصا لنتائج اتصالاته مع حكومتي دولتي المحور . وهذا ما فصلته الوثائق السابقة من محاضر الاجتماعات والوثائق .

تتضمن رسائل نبيه العظمة بالذات مجموعة من الملحوظات والانتقادات للنتائج التي تم التوصل اليها في برلين وروما . كما ويعرب فيها عن مخاوفه من نوايا دولتي المحور وخاصة ايطاليا وهي التي لم تكن موضع ثقة الكيلانى ايضا كما سنتبين لاحقا . وان كانت هذه

المراسلات تنحصر موضوعاتها بنتائج الاتصالات مع دولتى المحور فان هناك رسائل أخرى يفترض ان يكون قد تم تبادلها مع الزعماء العرب فى استنبول والأقطار العربية المعنية تعلقت موضوعاتها بتحضير الوضع الداخلي في هذه الأقطار للانتفاض والثورة في ساعة الصفر التى تتحدد مع اقتراب جيوش المحور من المنطقة العربية وهذا ما سنتناوله فيما بعد .

وقد رأيت ان اسجل فيما يلي نصوص رسائل نبيه العظمة وفق تسلسل تواريخها ثم رسائل عادل ارسلان بذات الطريقة . وسيكون من السهل مقارنة تاريخ كل رسالة مع تاريخ التطورات التى نعالجها من خلال مراجعة تواريخ محاضر الاجتماعات التى عقدها الكيلاني في برلين وروما وتواريخ المذكرات التي تبادلها مع المسؤولين في عاصمتي المحور .

وفيما يلي نص رسائل نبيه العظمة وعددها ثلاث[1] .

الرسالة الأولى للكيلاني

الرسالة الأولى مؤرخة في ١٩٤٢/٤/٢٨ وفيما يلي نصها :

فخامة الأخ رشيد بك الكيلاني المحترم

احترام وبعد

بعد أن قدمت كتابي المؤرخ ٢٣ نيسان ١٩٤٢ جاءتني الأخبار الموثوقة الآتية التي تؤيد تحليلاتي ومن سبق واتصل بى عن الوضع ومسير القضية لديكم :

● اختلافكم المشتد مع سماحة الأخ[2] بسبب بعد رجال القضية عنكم .

● انفراد سماحة الأخ بالعمل .

● حصر جهود سماحته لدى المانيا وايطاليا لأخذ تصريح بسيط لا معاهدة ينافي جوهر روح ما قررتموه هنا وفوضكم الاخوان به ومساعيه لتأمين الاعتراف برياسته .

● عدم التفات دول المحور الى وحدة الدول العربية الشمالية والاتحاد العربى العام .

● اخراج سوريا من جميع المفاوضات .

● اتجاه دول المحور وتحسباتهم لفرنسا وتركيا وتساهل المانيا مع ايطاليا على حساب البلاد العربية .

● تبارز مطامع ايطاليا في القسم الحيوي الدقيق من البلاد العربية .

أعني البلاد الواقعة على ساحل البحر الأبيض .

● ترك ألمانيا ايانا بايدي واحضان ايطاليا .

● ايجادهم عمليا اربعة معسكرات للعرب :

- ابن السعود عن الحجاز ونجد .
- فخامتكم عن العراق .
- سماحته عن فلسطين وسوريا ! (ونحمي العرب جميعا !!)
- ومعسكر فوزي القاوقجي للحركات التي يتطلبونها عند حاجتهم اليها !

وقد تركوا اليمن غير مذكورة لغرض في نفس يعقوب ، وبالنتيجة يا سيدي لابد من ان يكون لكل من هذه المعسكرات اتجاهين في كل شيء .

● ارضاء ومسايرة الذين اعترفوا بهم .

● العمل لاضعاف ومهاجمة المعسكرات الاخرى .

وهكذا قد نجحوا بتفريق كلمتنا والتلاعب في قضيتنا لتنقلب انانيتنا ولوجود استعداد قوي في نفوسنا لذلك ، مع الاسف لا اريد ان اقول الآن اكثر من هذا حتى يأتي منكم ما يرشدني وينورني ويضعني بعكس ذلك .

وبالختام لابد لي من أن أقول انكم انتم المفوضون والمسؤولون عن سير القضية .

● لانكم رأس حكومة عربية معترف بها .

● لانكم زعيم الحركة العربية الأخيرة .

● لأن الأمة العربية جميعها ايدتكم ابان قيامكم بحركتكم .

● ولأن رجالها البارزين بتأييد حركتكم مازالوا يؤيدونكم ضن تفويضهم . وبهذه المناسبة ارجو ان يكون اهتمامكم قبل كل شيء بتأمين الاعتراف للعراق باستقلاله مقدمة لدخولكم مفاوضات جديدة لعقد معاهدة تؤمن ما عرضته عليكم بتوقيعي من اسس وما فوضكم الاخوان هنا . هذا واني بانتظار ما يشرح من الحادث ويطمن ، حسب وعدكم والله تعالى يهدينا لما يرضيه ويوفقكم لكل خير سيدي .

- اقدم لكم طيه صورة كتاب ارسلته لسماحته في حينه جوابا على كتاب ورد منه لتطلعوا عليه .

المخلص/ العظمة

وتحمل رسالة العظمة تاريخ ١٩٤٢/٤/٢٠ وهذا هو نصه كما استلمه الكيلاني مرفقا بالرسالة السابقة :

صاحب السماحة الأخ الكبير

جوابا على الكتاب المرسل الي بواسطة مندوبكم ! رقم ١٥ نيسان[٣] .

● ليس بكتابكم ما يطمن قلبي عن سير مفاوضات قضيتنا مع المانيا وايطاليا خاصة بعد أن جاءت عباراتكم التطمينية الرسمية السياسية بعد :

- مضى سنة عن اتصالكم العملي معهم .

- حرب العراق .

- أراء أعضاء لجنة الهدنة ورجال المانيا وايطاليا في سوريا واراء بعض الالمان الموجودين في استنبول التي لا تختلف عما كانت فرنسا وانجلترا يبدأونه .

- تصريحات وزير الاقتصاد الألماني في روما وبرلين اخيرا عن البلدان الواقعة حول البحر الابيض واقتصاديات العالم .

- قول ناجي بك شوكت بكتابه لاخيه هنا في روما بأنه اعترف باستقلال العراق وهنالك وعود بالنظر بالقضية السورية والفلسطينية بما يوافق طلبات اهلها في المستقبل .

- أقول سماحتكم من ان تأخركم بالاجابة لتجيبونى بوضوح وما ينير الوضع فلم توفقوا الى ذلك حتى الآن .

- أخبار برلين القائلة بان هنالك عقدا بصدد القضية السورية الآن . الأخبار بالمطابقة لما سبق وجاءنا من العراق حينما كنا في دمشق .

- دوام ارى فرنسا المزدوجة بعلاقاتها بسوريا ، ومباشرة حكومة « لافال » عملها بتهيئة اسباب استرداد سوريا من الديجوليين . وهذا جاء متسللا لما نعلمه نحن .

- عدم وجود اي صراحة رسمية عما تنويه الدولتان بصدد استقلال العرب ووحدتهم في جميع بياناتهم وتصريحاتهم واعلاناتهم الواقفة حتى اليوم .

الوقت الذي كان على المانيا وايطاليا ، ومن مصلحتهما ان يكون قد كون أراء ومبادئ ثابتة بما يتعلق بالبلاد العربية والاسلامية وجميع البلاد التي كان وما زال يستعمرها أعداؤهم قبل بدئهم الحرب واعلان ذلك عند اعلانهم الحرب وفي بدئه ليمكنوا رجالات البلاد

المستعمرة من تكوين رأي قطعي من جابنهم ولتقوية معنويات تلك الشعوب .

ومن التبلبل والتردد الظاهر الآن في سوريا والعراق وفلسطين ومصر والحجاز واليمن والهند وغيرهما من الأقطار أما لأنهم يجهلون نوايا المانيا وايطاليا واليابان بمصير بلادهم . فخوفا من أن تكون النتيجة تبديل أجنبي بأجنبى وتيس بتيس ولو اختلفت التعابير التي ستستعمل بهذا الصدد .

وعندي انه لا يكفي ان يكونوا المستعمرين أعداء لانجلترا وفرنسا ولا أن تكون ألمانيا قوية وغالبة لأجل استمالة وجعل الأمم التي كانت رازخة تحت نير اعدائها بجانبها ، ولهذا يا سيدي انا لم أفهم حقا هذا التأخر والتردد بالعمل والاعلان من جهتنا وجهتهم .

ـ وعن مدى ومعنى مبدأ السماحة الحيوية الالمانية وشكل وعلاقة هذا المبدأ في البلاد العربية .

وعن شك وحدود وعلاقة مبدأ إعادة مجد روما في البلاد العربية .

ـ وعن طبيعة ميل المانيا لارضاء ايطاليا في مطامعها كحليفة اساسية .

ـ وعن عدم اشراك ممثلين سوريين في المفاوضات وعدم ظهور أي ميل لدى رجال المانيا للاتصال برجال سوريا بل وابعادهم عن المفاوضات .

ـ وعن ارغامكم على الذهاب لروما ودوام بقائكم فيها . كما انه ليس ايضا يا سيدي ما يطمئن مثلي عمليا عن وجود اى استعداد في شخصكم للتفاهم والاتفاق وتوحيد الجهود مع اخوانكم وخاصة السوريين المثلين لاقطارهم مثلكم والذين لا يمكن لغيرهم اعطاء قرار قطعي والبت بما يجري .

وهذا بعد .

ـ ان انفردتم في العمل في العراق وفي برلين وروما ايضا .

ـ ان قلتم انكم وصلتم برلين وباشرتم العمل مع من وجدتموهم هناك ! من هم هؤلاء المسؤولين ؟! بعد ان يكون فوزي(٤) بك مثلا خارجا عنهم .

ـ ان انتخبتم ابن شقيقتكم اسحق(٥) افندي مندوبا عنهم ومركزا لكم للاشتغال بالقضية الفسطينية حتى والسورية تحديا لرجال القضية هنا .

ـ ان قلتم انه سيكون نفعا في الاشتراك بهذا العمل لكل من يستطيع الحضور والتعاون بعد ان سديتم فى وجه امثال هؤلاء وما كان واجبا اشراكهم ، كل سبل للوصول .

ـ ان استهدفتم في كل أعمالكم شخصكم وعاطفتكم وكونتم لانفسكم جبهة في برلين وروما

واستنابول من الذين يتحببون اليكم ويستطوعون لكم .
ـ ان اسندتم الي (من الحماية) اعذارا وشروطا للحضور .
ـ ان اهملتم العمل والاتصال في داخل البلاد ليسهل لنا تكوين وتهيئة الأمة لتقوم بواجباتها عندما تقترب جيوش المانيا وايطاليا من البلاد حتى لا يكونوا وحدهم قد فتحوها ونضطر جميعا ان نكون كاحجار الشطرنج بايديهم وقضيتنا فى مهب الرياح بين مطامعهم .
فهذا كله يجعلنى اعقتد بعدم صلاح البداية والتأسيس والسير التى تنهجونه ولضعف أملي فلا يمكن معه ان اسكت واصمت طويلا اكثر مما مضى . لهذا انتظر جوابكم في الموضوع والله تعالى يلهمنا لما فيه الخير . سيدي .

المخلص/ العظمة

الرسالة الثانية للكيلاني

وكما يتضح من رسالة العظمة الى المفتي فان ملحوظاته من الوضوح بحيث لا تقتفي أي تعليق . أما رسالته الثانية للكيلاني فهي مؤرخة في ١٣/٥/١٩٤٢ وهي ملحقة برسالة أخرى مؤرخة في ٢٨/٤ كما يقول ولكنا لم نجدها ضمن وثائق الكيلاني . وفيما يلي نص الرسالة الثانية .

فخامة الأخ رشيد بك عالي حفظه الله .

ذيل لكتابي المؤرخ في ٢٨ نيسان ١٩٤٢ .

لمناسبة التصريح الذي اعلن عنه وبشرّ به من قبل سماحة الأخ ارجو ان تعودوا بتفكيركم لقبل ٢٨ سنة وتذكروا المغفور له الملك حسين(٦) وموقفه وكيف انه رغم ضعف قواه التي كانت عبارة عن كمشة بدو ، ومحدودية علمه وبالتالي تفكيره وسنه . ورغم جهله درجة عطف الأمة على تفكيره وعلى ما وضع من مبادىء وعلى ما تحمل الأمة من روح نحو هذه المبادىء . ومع قلة اتصاله بها وبرجالها وقتئذ . وفى حين لم تكن الأمة قد قدمت اى مثال للتضحية ولا على عطفها على حريتها ، الأمة التي كانت نائمة نوما عميقا منذ زوال حكم العرب واستقلالهم ، وكانت مستسلمة لدولة وامة من ذات دينها .

وكانت ترى انها مشتركة معها في الحكم ففي ذات الجبهة قام ذلك الرجل العظيم واعتنق مبادىء وافتكر وقرروا جزم وسار حتى اتفق مع بريطانيا وأخذ منها عهودا ووجودا ثم جاهد وناضل فى سبيل تنفيذها ضد اعدائها ومعها حتى المهات . ولو نفذت لكانوا العرب الآن بخير .

ثم عودوا بذاكرتكم للحوادث التي توالت بعد هذا الاتفاق وما قدمت الأمة من جهود وضحايا وما اعتزمت من تصميم وما اعتنقت من مبادىء وما ناضلت لتأمين تنفيذها حتى اليوم .

وانظروا الى سير الحوادث التي اخذتم قيادها (انتم المسؤلون عنها حتى النهاية) وما استحصل منها حتى الآن مقابل حركة العراق الأخيرة وضحاياه على الأقل بصرف النظر عن ضحايا الماضي . وقابلوا بين ما أخذه ذلك الشيخ الجليل بمفرده وبين ما اعتبره سماحة الأخ انه ناجح به . رغم ما فى الأمة العربية ورجالها اليوم من حيوية واستعداد وما في شبابها من جلد للنضال بالنسبة ليوم قيام الحسين رحمه الله .

ورغم هذا فلا تنسوا ان الامة لم تعذر الملك حسين على ما فرط « نعم الأمة اعتبرته مفرطا لأنه رغم مركزه الممتاز بالنسبة لبقية رجال الأمة اعتبرته انانيا ومستبدا ومحتكرا لعمله بذاته وبفضله دون ان يستشر احدا من أبناء الأمة ورجالها ولأنه لم ينل الضمانات الكافية لتنفيذ العهود ولم يعمل به بما وصل الى يده ويد ابنائه » مع بريطانيا التى كان قد رفض انها اقوى اخلاقا واصدق وعدا وأوفى كلاما وأغنى نفسا وما لا (شبعانة) .

فالأمة الآن يا سيدي لا تقبل ولن تقبل بالحلول الواقعة وترفض هذا التصريح ترفض ان تكون مقدراتها بيد اى دولة أجنبية . كيف ولا هي قد رفضت قبول ي مداخلة بريطانية أو فرنسية في بلادها وبمقدراتها وناضلت دون استعمارهم ضالا لم تس فها اليه أمة .

لهذا جئت أذكركم باسم الأمة عامة وسوريا خاصة تعيدوا النظر في الموقف الحاضر بهذه الدقيقة الحرجة لعلكم تتمكنوا من ايقاف الموقف عند حد . وتعملوا لتعديل ما فرط من اخونا صاحب السماحة(٧) .

وارجو ان يفتكر بمصير المرحوم الملك حسين الذي كان اقوى من سماحة الأخ عنصرا وعصبية واقرب لانجلترا من قرب الأخ لايطاليا .

ولا يكفي كما سبق وعرضت من ان تكون بريطانيا عدوتنا والمانيا عدوة عدوتنا . ولا ان

تكون بريطانيا ضعيفة حتى ومغلوبة ، والمانيا قوية وعالية ، ولا ان تكون ايطاليا سبق ودفعت لبعضنا بعض الأموال ، لتأمين استمالة شعبنا وتوجيهه نحوها .

وبالاختصار اقول :

- ان الشعب العربي اثبت انه واع ، وانه مؤمن بقضيته ويعمل لها بايمان . فسوف لا يتقدم بقيادة احد ما خطوة دون ان يعلم معناها ومصيرها .

- لم تقف الامة السورية بجانبكم بنضالكم ولم تؤيدكم الا لأملها أن تكونوا وحركتكم رمزا لامانيها الخاصة والعامة التي ناضلت للحصول عليها ٢٨ عاما متواصلة فكانت قطب الدائرة للحركة العامة وضحت في هذا السبيل عنها وعن غيرها من امتها بكل غال .

- يؤلمني أن أقول ان الخطوة الثانية منكم (ان انتهت بتصريح سماحته) لم تكن موفقة ابدا بل رجوع القهقرى بالنسبة للأماني والآمال المعقودة عليكم - اين المعاهدة واتحاد العرب ووحدتهم ، واين حدود استقلالهم وحريتهم . . ؟

- لهذا ، بصفتكم زعيم الحركة العربية الاخيرة فأنتم المسؤولون قبل كل أحد ، أمام الله والتاريخ وامتكم عما جرى وعن النتائج حتى لو كان السبب والاسباب مباشرة لستم وليست منكم وخارجة عن استطاعتكم .

- فالأمة لم تفوض احدا بتبديل نير بنير ، ولا تقبل ما يقال ان هذا الممكن . فالأمة مبادىء وآمال تستهديها ولن تبخل بشيء لاستحصالها . ففخامتكم تصدرتم للقيادة والأمة قبلتها شرط ان تستهدفوا هدفها ، ولا تجعلوا سبيلا لأحد لمخالفة أهدافها .

وهنا لابد لي من أن أسأل ماذا يكون الفرق بين من يقبل بالتصريح هذا وبين عبد الله وعبد الاله ونورى السعيد وراغب النشاشيبي[٨] والشيخ ناجي[٩] وغيرهم حينما تكون النتيجة التى يعملون لها واحدة والكل يقبل الممكن من الأجنبى .

فانا بلسان سوريا والسوريين الذين امثلهم وبلسان العرب الاحرار في العراق وفلسطين والأردن الذين أمثلهم مثل تمثيل غيري من أصحاب المبادىء وبلسان الحجاز واليمن الذين مثل روحهم استنكر هذه النتيجة التي أتى بها سماحة الأخ .

طالما كل ما توصل اليه هو الاعتراف بزعامات وبالتصريح وعلى ما يقول باعتراف لاستقلال العراق على حدة . . !

وأرجويا سيدي أن تعذروني من شرح رأيي بهذا الشكل الصريح وتتقبلوا مني ذلك بصدر

واسع وتعطفوه لاخلاصي للقضية ولأشخاصكم لأنها تهمنى من جهتين صداقتى ومصلحة أمتى .

وبالنتيجة أرى :

- أن تحتفظوا بزعامتكم ومظهر وقيادة سير القضية حسب ما فوضتم به وحسب ما تنتظره الأمة منكم التي انتم مسؤولون عنها اكثر من غيركم .

- ان تعملوا كل الممكن لاقناع سماحة الأخ للاشتغال والتفاهم معكم وتضحوا في هذا السبيل بكل شيء الا جوهر القضية ومصلحتها لكي تظهروا أمام « . . . »[10] كلمة واحدة على ان تستشيروه في كل شيء ويكون لرأيه وزنا كرأيكم .

- ان تعتبروا اعترافهم باستقلال العراق وبكم رئيسا له مبدأ والعمل بعد الاعتراف وتعتبروا التصريح ايضا مقدمة للمعاهدة . وتبدأوا باصرار والحاح لعقد معاهدة ضمن ما فوضتم مع انجاز أماني البلاد والأمة منذ نهضتها الأولى واختفاء اثرها ، واهم ما في الأمر وجوهره استقلال صريح وحرية مطلقة ووحدة لاجزاء واتحاد مع بقية الأجزاء العربية ، وحلف مع من يعترف بهذا .

- ان تكون علاقة مع المانيا ومع غيرها .

- فان قنعتم بامكان الوصول الى ما رغبتم فيها والا فتنسحبوا من المفاوضات والاتصال .

- وتتردد مقدمة لفرصة اخرى وتعلمونا بالنتيجة .

هذا ما اراه الآن كمقدمة لعمل جدي جديد وان وافقتم على ما عرض ورأيتم امكانا لذلك فلي معروضات اخرى كخطوة ثانية جدية اقترحها .

وها أني بانتظار ما وعدتم من تفصيل وايضاح عن الموقف وعن « . . . »[11] والله تعالى يهدينا الى ما يرضيه . اكرر احتراماتي لفخامتكم وتحياتي لاخوانكم الكرام سيدي .

المخلص العظمة

حاشية : حررت وقدمت كتابا لسماحة الأخ بهذا المعنى ولكن مختصر .

وواضح ان الرسالة السابقة ارسلت للكيلانى بعد ان بلغت تفاصيل زيارته لروما هو والمفتى الى نبيه العظمة وكذلك النتائج التي تم التوصل اليها مع موسوليني ووزير خارجيته الكونت شيانو .

الرسالة الثالثة للكيلاني

امام الرسالة الثالثة والاخيرة التي وجدتها فتحمل تاريخ ١٩٤٢/١١/٢٥ .
وهذا نصها :

فخامة الأخ الجليل :

جوابا على كتاب فخامتكم رقم ٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٢ بعد تقديم واجب الاحترام اعرض اني انا ايضا ادعو الله تعالى ان يوفقنا لاستهداف الغاية المنشودة التي ضحت امتنا المسكينة في سبيلها تضحيات عظمى لم تسبقها اليها امة ما . ويكفي للتدليل على ذلك .

- ظروف المرحوم الملك حسين الذي نهض بها ضد الأتراك .
- دفاع سوريا فى ميسلون ضد فرنسا .
- قيام العراق الأول الذي ارغم انجلترا للاعتراف به على الأقل .
- الثورة السورية التي دامت ثلاث سنوات وجعلت دمشق مدة ستة أشهر تحت سيطرة الثوار الوطنيين .
- ثورة فلسطين واضرابها مدة ستة أشهر الاضراب الذي تعجز عنه اية امة .
- حرب العراق ضد انجلترا بقيادتكم ضد اقوى دولة بالنسبة اليه وانحيازه لجانب المانيا ولصقها بلا قيد وشرط .

هذا عدا عن بقاء البلاد العربية مدة ٢٤ سنة ثائرة ضد مستعمريها بلا انقطاع وسفكها ازكى الدماء في سبيل غاياتها ، فالغاية هي التى علينا ان لا نحيد عنها ولا نضعف امام نوالها والزعماء (وعلى رأسهم فخامتكم) هم المسؤولون امام الله والتاريخ والأمة وامام ضمائرهم عن مصائر هذه الغاية والأهداف . ولا يجوز لهم ان يجتهدوا في تأويلها وتفسيرها . واهم خطوة عملية اولى هي جمع شمل من يدعون انهم يخدمون القضية قبل كل شيء ثم تأتي خطوات تكوين الأمة وتوجيهها وبعد ذلك ، وبالاستناد الى هذه القوى المعنوية على الأقل ، يدخلون فى مفاوضة من يعتقدون فيهم الفائدة والمساعدة من الدول الصديقة وقبل ذلك لا يهتم احد بنا ولا بأمتنا ولا بقضيتها .

والحالة الحاضرة فى برلين وروما اليوم قاطع على ما اقول . هذا ما أراه . واما انا فاني لم اقصر باعلام ارائى هذه وما يتفرغ عنها وبالدفاع عن جوهر قضيتنا والضغط على من خالف السير فى طريق الوصول الى مباديها .

لانني اعتقد اننا لا يمكن ان تتم الخطوة الأولى بلا رأس والرأس بالنسبة لظروفنا ووضعنا الحاضر يجب ان يكون العراق ورجل العراق اليوم انتم . . فتروني قد ايدتكم مؤمنا بفائدة

هذا التأييد لمصلحة أمتي . وقد شرحت كل هذا لسماحة الأخ والجميع من خابروني من جماعة ايضا ، لذلك لا ارى نفسي استحق اي شكر لاعلان رأيي وارائي هذه وارجو أن اكون قد اصبت باعتقادي واجتهادي هذا . وأسأل الله ان يوفقنا لكل ما يرضيه .

فأما الواقع فاني أراه لا يطمن قلبي وخاصة من حيث الثقة المتقابلة بين رجال الأمة وشعورهم مع بعض وما يستهدفونه .

ولربما لهذا اسباب كثيرة منها العجز بالنسبة للظروف . فاذا دامت هذه الظروف واراها تدوم ، فما الفائدة من حضوري برلين وانا عاجز عن الحركة لظروفي الخاصة . هذا خلاصة ما عندي والله تعالى يلهمنا لما فيه الخير سيدي .

المخلص العظمه

رسائل ارسلان .. تختلف

وتختلف رسائل الزعيم اللبناني عادل ارسلان من حيث خلوها من الانتقادات الحادة ، وان لم تخل من بعض الملحوظات التي صيغت بشكل مرن . والرسائل الأربع التي وجدتها ضمن وثائق الكيلاني بعث بها عادل ارسلان من فندق « سركل دور يان » في استنبول .
وهذا هو نص الرسالة الأولى المؤرخة ١٩٤٢/٢/١٦ :
فخامة الأخ الكريم رشيد بك ايده الله .

ارجومن الله ان تكون جميع المسائل سائرة حسب مرغوبكم وان تكون سياحتكم الاخيرة مع سماحة الأخ الهمام قد جاءت بالنتائج الحسنة . الاحوال العامة تبعث على تفاؤل كثير بفضل اخواننا الشرقيين واعمالهم الباهرة وشجاعة الأصدقاء الآخرين في سائر الميادين . ولا اعتقد ان هذا الموقف يتغير بل ارى باطل اولئك الخصوم بقي له جولة ثم يزول .

ساءنى سفر الاخوان كلهم بحيث صرنا معرضين للشعور بالوحدة والغربة ومن الآن الى الربيع نكون على استعداد للسفر اذا كان هناك ضرورة والا بقينا هنا في انتظار تشريفكم .

اما اذا فرغتم من الأعمال التمهيدية ووصلتم الى قضية اعلان حكومة[١٢] كما كنا نقول هنا قبل سفركم فأرجو أن تقبلوني مكان موسى[١٣] وعلى كل سواء أكان تأليف وزارة جديدة مختلطة وابقاء القديمة ، كما هي ، فاني اقدم نفسي للقيام بالواجب في الخارجية[١٤] .

الأخ كامل[١٥] يخبركم عن بعض مقترحات تكلم فيها وتكلمت انا ايضا وتنفيذها يكون

له صدى هائل ورائع في بلادنا خاصة وفي الشرق عامة . . ويسهل قرب النهاية .
وفي الختام وافر السلام والشوق والاحترام .

الرسالة الثانية

الرسالة الثانية كانت بتاريخ ١٩٤٢/٥/٨ وهذا نصها :
سيدي الأخ الكريم .
اشكركم كثيرا للخبر السار الذي تفضلتم به ، وأرجو ان يكون التوفيق رفيقا لكم في هذه المهمة كلها . كنا في قلق شديد بسبب ما اتصل بنا قبلا كما يظهر لكم ذلك في كتابي الأول[١٦] الذي يصل اليكم مع هذا .
اخبرني اليوم الدكتور صائب بك[١٧] انه سمع بالراديو خبر اعدام يونس[١٨] ومحمود سلمان وفهمي سعيد في بغداد . ارجو ان يكون ذلك خطأ أو مجرد دعاية لأجل الارهاب .
يهمنا كثيرا وحدة الكلمة والمسعى وفي هذا السبيل كما في غيره . . انا حاضر لكل تأييد وتعضيد . ارجو تقبيل وجنات الأخ كامل وتطمينه على البيت والأجرة تدفع شهريا حسب التعليمات التي تركها عند الجيران - لكني اريد أن أسأل عن حساب شركة الغاز . فالبواب يقول ان الحساب دفعه كامل بك والشركة تطالب بحساب ٢٣ ليرة عن شهري كانون الثاني وشباط واعتقد انها كاذبة ، لكن لا يوجد هنا سند يثبت دفع الحساب .
ارجو ارسال المقبوض ان كان مع كامل بك كذلك مفتاح الاسانسور . هذا مع ازكى السلام وكثير الاحترام .

عادل

الرسالة الثالثة

الرسالة الثالثة كتبت بتاريخ ١٩٤٢/٧/٦ وهذا نصها :
فخامة الأخ رشيد
بكل سرور تلقيت كتابكم لكن لم اسرع في تقديم الجواب انتظارا لاخبار مهمة الآن فهمت ان كتابي الذي ارسل مع فلسطيني لم يصل اليكم لانكم لم تذكروا عنه شيئا . والحقيقة ارسلت كتابين ولا يوجد فيهما شيء سوى رجاء خاص عن سائر الاخوان وقد كتبنا مثل ذلك

لسماحته . لا أخفي عنكم ان الابطاء في ايصال المذكرات الي نتيجة ناجزة صريحة لم يعجبنا وادركنا انكم بذلتم الجهد كله والاجوبة التي سمعناها من البعض للاعتذار عن عدم التعاقد لن تتفق ، والبلاد والأمة من ورائنا في قلق شديد . هذه المرة بمناسبة تصريح مصر كنا نحسب ان الأمر يشمل الجميع بصراحة .

رأيت بعض القادمين من بغداد . خلاصة الاخبار ان الوصي[١٩] يخرج الى الشوارع أما نوري[٢٠] فلا يراه احد من يوم اعدام الشهداء . والناس تأثروا لاعدامهم لاسيما محمود سلمان . عبد الله الدملوجي[٢١] استقال احتجاجا على الاعدام . توفيق[٢] عرض عليه ان يكون وزيرا في اميركا فقبل بشرط اعادة ناجي[٢٢] باشا الى بغداد فرفضوا الشرط فرفض هو ذلك المنصب الذي اخذه جودت[٢٤] وقد كلف جودت مبالغ طائلة . وكان نوري يريده لنفسه لكن الانجليز اصروا ان يبقى فى بغداد . الأهالي لاسيما الأولاد يرجمون جنود الاحتلال بالحجارة والجنود يتجاهلون ذلك بأمر من قوادهم خشية تفاقم الحوادث . فى دمشق اعدم ستة كتمت اسماؤهم . صبرى العسلي[٢٥] ورفقاؤه تحت النظارة في قضية راشيا في لبنان . اعدم في حلب اربعة احدهم من طرابلس والثاني من بيروت أو صيدا والثالث فلسطيني والرابع دمشقي كان تلميذ طب هنا فى استنبول وأبوه ضابط متقاعد في دمشق . فى لبنان خاصة غلاء شديد . الجند يسافر الى مصر وقد نزل جنود اميركان الى العقبة . عامة الناس في مصر ينتظرون خرق الجبهة او دخول القادمين للاشتراك معهم وكذلك في سائر البلاد لكن المفكرين يسألوننا دائما ماذا تم ؟ ماذا جرى ؟ الى اين وصلتم ؟ ونحن نجيب بالوعود الفارغة .

نعم حسن الظن وسوء الظن وكل شيء في محله حسن ، الله يوفقكم ، بلغني ان السيدة الكريمة[٢٦] دخلت المستشفى ارجو ان يكون المرض بسيطا وان يكون الشفاء عاجلا .

ابراهيم شهبندر[٢٧] هنا بقصد المعالجة والتداوى وكذلك صفوت باشا[٢٨] وبنات المرحوم ياسين[٢٩] وعلي باشا كركوك[٣٠] وفي الطريق جمال بابان[٣١] وعائلته واكثر هؤلاء يخشون المراقبة لكن لابد من تفهم اخبارهم . الامير زيد[٣٢] أيضا رجع ولم اره .

ابن ثنيان[٣٢] استدعاه صبيح[٣٤] الى انقرة واقنعه بالرجوع فرجع لكن الحكومة رفضت نقله من المدينة التي كان فيها غريبا فريدا لا يوجد فيها من يتكلم العربية وعند وصوله الى بغداد حبسوه . صلاح الدين[٣٥] رفضت محكمة انقرة تسليمه وكان قرارها اتفاق تسليم المجرمين بالتبادل لا يشمل مثل التهمة الموجهة اليه لانها لم تعتبر الوصي رئيس الدولة فالآن لا يوجد عليه خطر .

جميع الأخوان هنا بخير يسالون خاطركم . ارجو من الأخ الكامل ان يكتب لي ماذا يريد ان اعمل بالبيت هل يريد ابقاءه لحسابه ام يريد تركه ونقل العفش الى مكان آخر او بيعه ام ماذا ؟

عسى ان تكون الامور هناك صارت حسب الرغبة وتوحدت الجهود والأعمال والأقوال نحن هنا مستعدون لتأييد كل قول أو عمل في مصلحة الأمة ، تحياتي واشواقي للاخوان ناجي بك[٣٦] والدكتور[٣٧] وكامل بك وبقية من عندكم ولكم ازكى السلام والاحترام .

عادل

الرسالة الأخيرة

الرسالة الرابعة والأخيرة مؤرخة فى ١٩٤٢/١٠/١٠ وهذا نصها :

فخامة الأخ الرشيد ايده الله .

ارجو من لطفكم عدم المؤاخذة بتأخر جوابي فقد فكرت طويلا في امر السفر اجابة لطلبكم بعد ان كنت قررت نهائيا البقاء هنا الى فرصة أخرى وكدت اغيّر فكري املا بمشاركتكم بالعمل من جهة وتسهيل التفاهم مع سماحته من جهة أخرى لأن هذه المسألة هي فى نظرنا جميعا على جانب عظيم من الأهمية لأنه لا يجوز بقاء هذه الحالة ، ولكن بعض الظروف الطارئة اخيرا قد جعلتني اعود الى فكرة التربص لاسيما الأحوال لا تبقي مجالا الآن للاهتمام بمثل الشؤون التي نحن في صددها . وكل ما نتمناه الآن هو ان يتمكن الأصدقاء من الاستمرار في أعمالهم بنفس النجاح الباهر الذي شهدناه الى الآن . ولا ريب في ان عزائمهم سوف لا تعجز عن ذلك ، ولا يخفى عنكم ان الدعاية المنظمة التي لدى الخصوم ستفعل فعلها في الشرق الأدنى . فوجودنا هنا لا يخلو من فائدة . ثم أكرر رجائي بان تكون الكلمة واحدة في كل شيء والعمل واحد لغاية واحدة واشكر لكم سعيكم للحصول على ذلك الجواب[٣٨] في شأن الأمة العربية ومكانتها في نظر الأصدقاء فقد خدمتموهم بذلك وخدمتكم الأمة . جزاكم الله خيرا . وارجو ان تتوفقوا الى ماهو اعظم وان يرافقكم النجاح التام في مساعيكم القومية لخير وطننا الكبير . وسوف لا اترك التفكير في قضية السفر ودرس فوائد البقاء هنا والذهاب الى هناك . لكن في الوقت الحاضر رأيي كما عرضت .

تحياتي للأخ كامل ولسائر الأخوان ممن في معينكم مع الرجاء بأن تتكرموا علي باخباركم من حين الى آخر . الرفاق بخير ولم اخبر احدا بورود كتابكم .

هذا مع تقديم أزكى تحياتي والدعاء مكررا بالفوز المطلوب ، ويسرني حصول صديقي القديم الدكتور بروقي[٣٩] فارجو اهداءه سلامي وكذلك صديقنا الدكتور[٤٠] الآخر والسلام على سيدي الأخ ورحمة الله .

● رسالة من نبيه العظمة إلى الكيلاني

SERKL DORYAN
ISTANBUL

١٦ - ٢ - ٤٢

حضرة الأخ الكريم رشيد بك أيده الله

أرجو من الله أن تكونوا جميع [illegible] سالمين حسب رغبتكم وأن
تكون سياحتكم [illegible] مع ساعة الأخ الهمام قد جاءت
بالنتائج الحسنة. الأحوال العامة تبعث على تفاؤل
كبير بفضل انتصارات [illegible] الباهرة وشجاعة
أصدقائنا الآخرين في سائر الميادين ولو اعتقد أن هذا
الوقت [illegible] باطل [illegible]
[illegible].

[illegible] بحيث [illegible] للشعور
[illegible] الربيع [illegible] استعداد.
[illegible] إذا كان هناك ضرورة [illegible]
[illegible]..

أما إذا [illegible] التمهيدية [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وتفضلوا بقبول السلام [illegible] والاحترام

[illegible]

SERKL DORYAN
ISTANBUL

٨ [illegible] ١٩٤٢

سيدي الأخ الكريم

أشكركم كثيراً على الأسطر التي تفضلتم
[illegible] رفيقاً لكم في
هذه المهمة [illegible]. كنا في قلق شديد
بسبب ما اتصل بنا [illegible] ذلك
من كتاب [illegible] الذي يصل إليكم مع هذا

أخبرني اليوم الدكتور [illegible] أن
[illegible] يونس ومحمد [illegible]
[illegible] ذلك [illegible]
[illegible]

[illegible] وحدة الكلمة [illegible] هذا
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] السلام [illegible] الاحترام

[illegible]

● رسالتان من عادل ارسلان للكيلاني

هوامـــــش

(١) ننشرها كما وردت باخطائها النحوية .

(٢) المقصود هنا هو المفتي الحاج أمين الحسيني .

(٣)وردت هكذا في الأصل ويقصد تاريخ ١٥ نيسان .

(٤) فوزي القاوقجي .

(٥) اسحاق الحسينى .

(٦) الحسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى .

(٧)لا يوضح نية العظمة في رسالته ما الذي فرط به المفتي بالذات . غير أنه واضح من الرسالة السابقة ان المفتي تفاوض باسم فلسطين وسوريا . وكما تشير الوثائق فانه حصل فقط على وعد معاكس لوعد بلفور في حين انه لم يتوصل لأي شيء بخصوص سوريا ولبنان خشية اغتصاب فرنسا ، كما بررت ايطاليا موقفها في حين انها ـ ايطاليا ـ كانت طامعة بخلافة فرنسا في سوريا ولبنان .

(٨) زعيم فلسطيني تعامل مع الانجليز اثناء الانتداب البريطاني على فلسطين .

(٩) بحثت طويلا عمن يمكن ان يكون الشيخ ناجى دون جدوى مما جعلني اعتقد ان المعني بهذا الاسم هو أي عميل انجليزى حيث كان العرب يلقبون الانجليز بابى ناجى .

(١٠) لم اتمكن من قراءة هذه الكلمة وفك حروفها .

(١١) لم اتمكن من قراءة هذه الكلمة وفك حروفها .

(١٢) الحكومة العربية الموحدة في المنفي التي كلف الكيلاني ببحث امكانية تشكيلها مع دولتي المحور .

(١٣)الزعيم الفلسطينى موسى كاظم الحسينى والد الشهيد عبد القادر الحسينى .

(١٤) وزارة الخارجية .

(١٥)كامل الكيلاني شقيق رشيد عالي الكيلاني ، وزير مفوض عراقي سابق في انقرة ١٩٤١ .

(١٦) لم اجد الكتاب المعني .

(١٧) الدكتور صائب شوكت شقيق ناجى شوكت وكان قد لجأ الى تركيا بعض الوقت ثم غادر الى بغداد وتوفي سنة ١٩٨٤ .

(١٨) يونس السبعاوى وزير الاقتصاد في حكومة الدفاع الوطنى . وهو محام من الموصل وكان عضوا فى مجلس الأمة .

(١٩) عبد الاله الوصي على عرش الملك فيصل الثاني .

(٢٠) نورى السعيد .

(٢١) عبد الله الدملوجي كان عضوا في مجلس الامة من انصار نوري السعيد ولكن ضميره لم يحتمل احكام الاعدام الجائزة فاستقال .

(٢٢) توفيق السويدي .

(٢٣) ناجي السويدي شقيق توفيق وكان وزيرا في حكومة الدفاع الوطني وقد نفاه الانجليز الى جنوب افريقيا .

(٢٤) علي جودت الايوبي .

(٢٥) صبري العسلي زعيم سوري تولى رئاسة الحكومة السورية .

(٢٦) زوجة رشيد عالي الكيلاني .

(٢٧) شقيق موسى الشابندر وزير الخارجية في حكومة الدفاع الوطني .

(٢٨) صفوت باشا العوا وهو من سوريا وقد رافق الملك فيصل الأول منذ اندلاع الثورة العربية الكبرى .

(٢٩) ياسين باشا الهاشمي رئيس وزراء سابق ومن الرموز القومية في العراق .

(٣٠) من اعيان مدينة كركوك في العراق .

(٣١) وزير سابق في حكومات نوري السعيد ومن انصاره وانصار عبد الاله .

(٣٢) الامير زيد شقيق الملك فيصل الاول .

(٣٣) الملازم أول يحيي ثنيان كان مدير المخابرة بالقوة الجوية في معسكر الرشيد طرد من الجيش بعد ثورة ١٩٤١ وساهم في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

(٣٤) صبيح نجيب السفير العراقي في انقرة .

(٣٥) الشهيد العقيد صلاح الدين الصباغ حيث لم يكن قد القي القبض عليه بعد .

(٣٦) ناجي شوكت وزير الدفاع في حكومة الدفاع الوطني وقد التحق بالكيلاني في برلين .

(٣٧) الدكتور محمد سلمان وزير المعارف في حكومة الدفاع الوطني .

(٣٨) مذكرة الاعتراف باستقلال الدول العربية الخاضعة لبريطانيا ووحدتها .

(٣٩) لم اتمكن من معرفة من هو الدكتور بروفي .

(٤٠) غالبا ما يكون المعني هو الدكتور غروبا الوزير المفوض الالماني الاسبق في بغداد الذي سبق لعادل ارسلان ان تعرف عليه في العراق .



● الحسين بن علي



● فوزى القاوقجي

الفيـــلق العـــربي

■ رفضنا الانضمام الى الفيلق العربي ... لانه لم يكن عربيا
■ جنود الفيلق قتلوا على الجبهة الروسية ما عدا ثلاثة

كانت خطة تحرك هتلر العسكرية في اتجاه الشرق الاوسط تقضي بدخول المنطقة عبر القفقاس في آسيا السوفيتية كي يلتف من حول تركيا ويدخل ايران وذلك لتجنب الصدام المباشر مع تركيا والانكليز والفرنسيين في قلب الشرق الاوسط . فقد كان الانكليز يحتلون جزيرة كريت وقناة السويس في مصر ، كما انزلوا قواتهم في اليونان في حين كانت تركيا محايدة . وقد ركزت قيادة المحور على شمال افريقيا العربي من اجل الوصول الى مصر من الغرب .

وقد حث السيد رشيد عالي الكيلاني والحاج امين الحسيني هتلر وموسوليني على التعجيل بالعمل في قلب الشرق الاوسط . ولم تكن دول المحور غافلة عن اهمية ذلك ولهذا الغرض كان قد بدىء في تشكيل فيلق عربي بمساعدة الجيش الالماني منذ آواخر سنة ١٩٤١ . . . وقد ضم الى هذا الفيلق الاسرى العرب من قوات الحلفاء كما جرى حث العرب للانضمام اليه لتكون نواة جيش التحرير العربي . غير ان هذا الجيش زج به للقتال في جبهات اوروبية وليس في البلاد العربية كما سنوضح لاحقا . وعلى كل حال فقد كان الفيلق العربي واحدا من اولى قضايا الخلاف التي برزت في وقت مبكر بين الكيلاني والمانيا .

كان الاتفاق على تشكيل هذا الجيش قد تم بالاتفاق بين المفتي والسلطات الالمانية اثناء

وجود السيد رشيد عالي في استنبول ، غير انه استشاره في هذا الامر بوساطة المبعوثين . وبارك الكيلاني الفكرة في البداية قبل ان يعود ويسحب يده من هذا الفيلق .

والمفتي كما ذكرنا كان قد لجأ من ايران عبر المنطقة التي كانت خاضعة للاحتلال السوفييتي مستخدما جواز سفر ايطاليا دبلوماسيا حصل عليه من السفارة الايطالية في طهران ، ومن هناك الى تركيا التي غادرها الى روما بدون ان يتصل باي احد فيها بما في ذلك السيد رشيد عالي الكيلاني . وقد امضى عشرة ايام داخل السفارة الايطالية في تركيا الى ان سافر بالقطار الى روما وهو يرتدي قبعة اوربية على رأسه بدلا من العمامة . . !!

في رومــــــا

وفي روما اتصل المفتي مع الكونت شيانو وزير خارجية موسوليني وصهره كما قابل موسوليني بعد الاعلان عن وصوله بواسطة بيان اصدرته وزارة الخارجية الايطالية . . ووفق معلوماتي فان اللقاء مع موسوليني اتسم بانه كان لقاء ترحيب ومجاملة وقد حضره وزير الخارجية الايطالي . . وفي هذا اللقاء اتفق على عقد لقاء اخر هو الذي اشرنا اليه حيث حضر هو والسيد رشيد عالي الى روما في شباط - (فبراير) ١٩٤٢ .

كان المفترض ان يبقى المفتي في ايطاليا بسبب متانة العلاقات التي كانت تربطه مع حكومتها الا انه غادرها الى المانيا ضمن عملية التنسيق بين وزارتي خارجية البلدين فضلا عن ان المانيا هي التي تبنت فكرة انشاء الفيلق العربي في ذلك الوقت . وكان مقر هذا الفيلق في كاب سونيون خارج اثينا في اليونان بمسافة ٧٠ كم . وحين وصل الكيلاني الى برلين كان قد مضى قرابة الستة اشهر على البدء في انشاء الفيلق العربي . وكان يشرف عليه العقيد فوزي القاوقجي قائد جيش الانقاذ في فلسطين بصفة رسمية وهو من مدينة اهالي طرابلس الشام . ثم ساهم في الاشراف عليه بعد ذلك ايضا القسم العسكري في المكتب العربي في برلين بعد تأسيسه - المكتب - وكان القاوقجي قد ساهم هو الاخر في الحرب ضد بريطانيا حيث قاتل في منطقة الرطبة الحدودية مع الاردن على رأس اكثر من ٣٠٠ مقاتل كانوا قد انسحبوا معه للعراق بعد ان توقفت العمليات العسكرية لثورة ١٩٣٦ في فلسطين . ولم يكن العقيد القاوقجي مقيما في المعسكر بل كان مقيما في برلين . اما القائد الفعلي في المعسكر فقد كان الميجر الالماني ريكس

وكان المعسكر يضم في بدايته ستة متطوعين عرب فقط . واحد من العراق وهو المرحوم علي الجرجفجي والاخرين من فلسطين وسوريا . ثم ارتفع العدد الى اكثر من ٢٠ الف مقاتل فيما بعد .

في الطريق الى اثينا

حين ذهب السيد رشيد عالي الكيلاني الى برلين كان قد ترك عائلته في استنبول . وفي ١٠ فبراير ١٩٤٢ كان قد ازف موعد التحاق عائلته به في العاصمة الالمانية ، وكنت قد غادرت تركيا مع ثلاثة عراقيين من الشباب الى صوفيا والتحقت بالاسرة عند وصولها صوفيا وقد غادرنا استنبول الى برلين بواسطة القطار . وضمت قافلتنا ايضا السيد ناجي شوكت وزير الدفاع في حكومة الدفاع الوطني والدكتور محمد حسن سلمان وزير التربية وحكمت سامي سليمان الذي كان سكرتيرا ثانيا في السفارة العراقية والسيد كامل الكيلاني شقيق السيد رشيد عالي واسرته حيث كانت الحكومة العراقية قد فصلته من عمله كوزير مفوض في السفارة العراقية في تركيا وجزمي سليمان شقيق زوجته . الذي التحق بالكيلاني في استانبول .

غير اني لم اصل مع القافلة الى برلين في تلك الرحلة . فاثناء توقفنا في بودابست يوم ١٨ فبراير ، جاءني القنصل الالماني في المدينة الى الفندق وطلبني بالاسم وابلغني انه تلقى برقية من السيد رشيد عالي الكيلاني يطلب فيها مني ان اتوجه انا وثلاثة شباب عراقيين اخرين كانوا معنا الى اثينا للالتحاق بالفيلق العربي ، فاستأذنت من السيد كامل الكيلاني وغادرنا بودابست بالقطار العسكري الى اثينا الذي كان كثير التوقف بحيث وصل بلغراد بعد ثلاثة ايام حيث امضينا فيها اربعة ايام ننتظر موعد القطار الذي اقلنا الى سالونيك في اليونان حيث بقينا ثلاثة ايام في انتظار اصلاح جسر منسوف لا بد من عبوره للوصول الى الجهة الاخرى من الوادي لمواصلة السفر الى اثينا .

مآس يـــــــونانية

في سالونيك بدأنا نشاهد المآسي الانسانية فقد كان يموت في هذه المدينة اليونانية ما يتراوح بين ٥٠٠ الى ٦٠٠ انسان يوميا جوعا حيث كان الشعب اليوناني قد اعلن المقاومة السلبية للاحتلال الالماني . فأضرب الشعب باسره عن الانتاج بما في ذلك انتاج الطعام او نقله او استيراده الامر الذي يعني ان اضرابا عمليا عن الطعام قد نفذ بشكل جماعي من قبل كل

الشعب . . . وكنا نرى الناس يتساقطون موتى في الشوارع ونحن ننظر اليهم دون ان يكترث لهم احد بالنظر الى كثرة عددهم . وكانت سيارات نقل تقوم بالطواف بالشوارع خصيصا من اجل جمع جثث الذين يموتون ويتساقطون في الطرق والاماكن العامة . وكان صاحب الفندق الذي نزلنا فيه يقول لنا انه يعرف كم عدد الايام المتبقية من عمره . فقد حسبها على اساس كمية المواد الغذائية التي تبقت لديه . وحين وصلنا اثينا كانت الحالة قد تفاقمت اكثر .

كان عدد الذين يموتون بهذه الطريقة في العاصمة اليونانية يتراوح بين الف والف وخمسمائة انسان يوميا ، ونتيجة لذلك فاننا لم نجد اي غصن اخضر طوال الطريق ، فقد اكل الناس حتى الحشائش واغصان وجذور الاشجار ، علما بان اليونان كانت جنة خضراء من قبل كما عرفتها في سنة ١٩٣٩ حيث زرتها ضمن وفد منتخب كرة القدم في الجامعة الامريكية في بيروت .

وصلت الى معسكر سونيون في ٢٩ فبراير ١٩٤٢ وكان ذلك في منتصف الليل . . . كان في استقبالنا احد الاخوة السوريين واسمه رمزي الاجاتي الذي كان يرتدي الزي العسكري الموشي بالعلم العراقي الذي كان شعار الفيلق العربي . وفي صباح اليوم التالي الباكر استدعينا مع بقية العناصر التي كانت في المعسكر للمشاركة في ساحة العرضات حيث اكتشفنا في ضوء الشمس ان المعسكر يقع على شاطىء احد الخلجان التي تطل عليها اثينا . وبعد التعداد شرح لنا نظام المعسكر وتعارفنا على بقية الاخوة الذين سبقونا . . ابلغنا ان هذا اليوم سيكون يوم راحة لنا واننا سنجتمع في اليوم التالي مع الميجر ريكس آمر المعسكر .

بيـــــــانات

وفي اليوم التالي التقى بنا الميجر ريكس وسلمت لنا نماذج الالتحاق بالفيلق العربي كي نملاءها بالبيانات المطلوبة ونوقع عليها على ان نتسلم بعد ذلك التجهيزات والعدة العسكرية فطلبت من احد الاخوة العرب ، وكان يسمى رستم وهو من طرابلس الشام وكان يحمل رتبة عريف في المعسكر ، ان يترجم لي نص النموذج الذي يراد منا توقيعه . . وقد فوجئنا بان البند الاول من النموذج يتضمن اقرارا من موقعه بانه متطوع في الجيش الالماني ! فقلت للميجر ريكس نحن اتينا للتطوع في الفيلق العربي وليس للتطوع في الجيش الالماني . فرد قائلا نحن حلفاء ، اجبته اذا كنا حلفاء فيجب ان نكون طرفين .

واذا وقعت انا هذا النموذج فسوف يكون هناك طرف واحد فقط . وسوف اصبح انا ضابطا في الجيش الالماني ، حيث كان مقررا ان ندخل في دورة ضباط . لذلك اعتذرت واعتذر الاخوة الذين كانوا معي عن عدم التوقيع . وهنا فوجئنا بان الميجر ريكس قد ثار بعصبية بالغة وضرب بيده على الطاولة وامر بسجننا وقد تكرر اللقاء مع آمر المعسكر ثلاث مرات ولم يفلح في اقناعنا بالتوقيع .

بعد ذلك استدعاني الآمر الالماني بمفردي سألني من هو زعيمك . . ؟ اجبته رشيد عالي الكيلاني . . سأل ثانية والمفتي . . ؟ اجبته انا صاحب قضية وقد حضرت الى هنا بموجب تعليمات الكيلاني دون ان يعني ذلك اي انتقاص من مكانة واحترام المفتي . سأل من جديد : والقاوقجي . . ؟ اجبته بان العقيد فوزي القاوقجي هو ضابط في الجيش العراقي . . وعموما فاذا كان الحاج امين الحسني او العقيد القاوقجي هنا فارجو ان اكلمهما ، فغضب من جديد واعادني الى السجن الذي كان عبارة عن غرفة عادية وضع على بابها حراسة .

استدعـــــاء . . . وسجن

في اليوم التالي استدعاني الآمر من جديد ليسألني اذا وافق السيد رشيد عالي الكيلاني على هذا النموذج فهل تقبل التوقيع عليه . . ؟ اجبته اذا وافق السيد رشيد عالي فاني لا اعود اعترف بزعامته ، وانا واثق انه لا يعرف شيئا عن امر هذا النموذج ، انه لا يمكن ان يوافق عليه . غضب مجددا واعادني الى السجن ليستدعيني مرة اخرى في اليوم التالي ويسألني ماذا تريد . . . ؟ اجبته لا نريد شيئا سوى ان تتركونا . لقد حضرنا للتطوع في الفيلق العربي وقد عدلنا عن ذلك . ونحن لم نأخذ أية مخصصات من اية جهة المانية حتى الان سواء في استنبول او بودابست او بلغراد او حتى هنا رغم ان ذلك كان يعرض علينا . ونحن طلاب علم قررنا ان نتطوع لخدمة بلدنا بزعامة السيد رشيد عالي الكيلاني ولم نأت للتطوع في الجيش الالماني .

لذلك ارجوا ان تتركونا ، فغضب ثانية واعادني الى السجن ليستدعيني في اليوم التالي على ذات المنوال حيث سألني ماذا تريد . . . ؟ قلت ان ارحل من هنا . . سأل الى اين ؟ اجبت اريد ان اذهب الى حيث يوجد السيد رشيد عالي الكيلاني في برلين . وهنا ابرز لي برقية من السيد رشيد عالي يقول فيها انه يعترف اننا متطوعون . قلت له انه لا يقول اننا متطوعون في

الجيش الالماني . . وهنا وافق على ترحيلي الى برلين بمفردي . . . ولكن ازاء اصرار الاخوة الاخرين الذين جاءوا معي وافق على ان نرحل جميعا ، اما الاخوة العرب الذين كانوا في المعسكر من قبل فقد منعوا من الاتصال بنا منعا باتا حتى لا نحرضهم باستثناء رستم الذي كان يتولى الترجمة .

وقد اتضح لي فيما بعد ان اصرار القيادة الالمانية على التوقيع على هذا النموذج يعود الى سوء تصرف من قبل السلطات الالمانية تجاه الحاج امين الحسيني والعقيد القاوقجي اللذين كانا لا يعرفان ماذا يحتوي نموذج التطوع . وقد سبق لهما ، بكل اسف . ان وافقا عليه . وقد اتضح لي ذلك فيما بعد حيث ارسل كل الذين وقعوا الى هذا النموذج للقتال في الجبهة الشرقية مع الاتحاد السوفييتي .

الى برلين

وبعد ان امضينا ١٢ يوما في سجن المعسكر رحلنا منه يوم ١٠ مارس مجددا الى برلين بواسطة القطار العسكري . . غير انهم رحلوا كل اثنين منا على حدة بعد ان زودونا بكتاب قالوا فيه اننا مطرودون من الجيش . . . وبعد ان وقعنا على كتاب تعهدنا فيه بعدم افشاء ما حدث معنا في المعسكر ، وبخلافه نعرض انفسنا لعقوبة الاعدام ، ولذلك فقد عوملنا في القطارات بخشونة وعدم احترام بشكل لا يصدق . والمضحك اننا لم نكن نعرف مضمون الكتاب الذي معنا حيث كنا نعتقد انه كتاب لتسهيل مهمتنا . وكنا نبرزه بسبب وبلا سبب . . . وكانت النتيجة اننا امضينا يومين في القطار الذي نقلنا من اثينا الى بلغراد وقوفا لعدم وجود اماكن للجلوس ، وكان رفيقي في السفر الاخ رشيد السامرائي وكان المجال الوحيد للراحة هو ان نستلقى على الارض حيث يقف القطار في اي محطة .

من بلغراد غادرنا الى فيينا بقطار آخر بعد ان ارتحنا لمدة ثلاثة ايام انتظارا للقطار القادم من المانيا ، اما في فيينا فقد اقمنا فيها مدة ١٥ يوما مع احد الاصدقاء وبانتظار عودة السيد رشيد عالي الى برلين حيث كان في ذلك الوقت في روما هو والمفتي لمقابلة موسوليني .

وصلنا برلين في ٢٥ مارس وكان استقبال السيد رشيد عالي لي مفاجئا من حيث حدته ، فبمجرد ان رآني صرخ في وجهي بغضب شديد ـ انت سودت وجهي احرجتني امام الالمان وامام العرب . وانا كنت اثق بك وكان اعتمادي عليك مختلفا عن الاخرين . . ولذلك فلا

اريد ان اسمع منك اي عذر . ورفض ان يسمع مني اي كلمة ، فقلت له انا لست جبانا وانت مسئول عن الاخوة الذين تركتهم في المعسكر من المتطوعين وكي اثبت لك باني لست جبانا ساعود الى المعسكر ، لكنه تركني وانا اتحدث وغادر المكان غاضبا حانقا علي .

الغضب المسؤول

وقبل ان اغادر برلين عائدا الى المعسكر التقيت السيد كامل الكيلاني شقيق السيد رشيد عالي الذي ابلغته بما حدث معي وبأني ساعود للمعسكر بعد اسبوع ، فطلب مني التريث في العودة ريثما يشرح الموقف لاخيه . وبعد يومين استدعاني السيد رشيد عالي الى مكتبه ، دخلت عليه ففاجأني بمصافحته لي وسألني : هل مازلت غاضبا . . ؟ اجبته ليس من حقي ان اغضب ،ولكن الذي آلمني هو عضبك انت . . . اجاب يبدو اني قد تسرعت في الحكم ، واريد ان اسمع منك . ورويت له كل شيء . . . سألني هل انت على استعداد لأن تقول ذلك امام المسئولين الالمان . . فوافقت .

وفي اليوم التالي استدعاني السيد رشيد عالي الى المكتب العربي حيث كان مجتمعا مع الدكتور غروبا واحد الضباط الكبار من وزارة الدفاع الالمانية لا اذكر اسمه . ولم ادخل انا الى الاجتماع غير اني سمعت من خارج الباب المغلقة السيد رشيد عالي وهو يتحدث بعصبية شديدة باللغة التركية التي كانت لغة التفاهم مع غروبا . قال الكيلاني انا لم اكن اتوقع ان يبلغ التعامل معكم حد الكذب والتضليل ونحن الان في اول الطريق فكيف سنعمل في المستقبل اذا كان اساس عملنا مبنيا على الكذب . . ؟ كيف سنحارب وابناؤنا يتطوعون في الجيش الالماني . . . ؟ ما هو موقع الفيلق العربي وما هو موقعي كمسؤول عنه . . ؟ وما موقع الحاج امين والاخرين . . ؟ وابلغهم انه اعتبارا من تلك اللحظة في حل من مسؤوليته عن الفيلق العربي . وخرج من الاجتماع ليعتذر مني على ما بدر منه بحقي . وكانت قد نقلت اليه صورة مغايرة للحقيقة حيث افهم بان انصاره الذين ارسلوا للتطوع رفضوا الالتزام بتعليماته وبأني لا اعترف بزعامته . ؟ !

سحب يده

وقد ابلغ السيد رشيد عالي الزعماء العرب بما حدث وبانه قد سحب يده من الفيلق

العربي . ولم يتراجع الالمان عن موقفهم واستمر العمل في الفيلق العربي بذات الطريقة وظل يرفع العلم العراقي باعتباره شعار العرب . . غير ان الحاج امين الحسيني الذي كان يشرف على الفيلق العربي اقتصر دوره بعد ذلك على التنسيق مع الجانب الالماني بشأن هذا الفيلق الذي اصبح تحت الامرة الكاملة للقيادة الالمانية . وقد ضمت اليه هذه القيادة جميع الاسرى العرب الذين كانوا ضمن القوات البريطانية التي استعادت اليونان وكان عددهم ٣٢٠ اسيرا من بينهم عراقي واحد وهو ابراهيم الاعظمي الذي اتهم فيما بعد في عملية اغتيال الملك عبد الله في الاردن ونجا لعدم ثبوت الادلة ضده . الا انه اعدم فيما بعد في الاردن بقضية اخرى .

في مطلع العام ١٩٤٣ نقل الفيلق العربي الى الجبهة الروسية بعد ان بلغ تعداده اكثر من ٢٠ الف مقاتل جندوا من العرب الذين كانوا في فرنسا وايطاليا وشمال افريقيا . وكان اكثر هؤلاء يعملون من قبل في الجيش البريطاني او الجيش الفرنسي . وبالتالي فان قسما من هؤلاء المتطوعين كانت تنطبق عليهم مواصفات المرتزقة في حين اقتنع قسم اخر منهم بجدوى التطوع .

وفي الجبهة الروسية كان مقر هذا الفيلق في مدينة ستالينو القريبة من مدينة ستالينغراد التي دارت فيها اعنف المعارك مع الجيش السوفييتي . وقد قاتل هذا الفيلق هناك غير ان بعض افراده رفضوا القتال . وكان من بين الذين رفضوا اثنان من العراق هما علي الجرجفجي وناجي عبد الرزاق القيسي الذي اصبح دكتورا فيما بعد . وقد نقل الاثنان من الجبهة الى السجن العسكري في برلين حيث تمكن ناجي عبد الرزاق من الاتصال بي وذهبت وقابلتهما داخل السجن .

ونتيجة للقتال في الجبهة الروسية فقد قتل جميع افراد الفيلق العربي الذين نقلوا الى جبهة موسكو باستثناء ثلاثة فقط نجوا من الموت وقد التقيت باحدهم وكان مغربيا يحمل الصليب الحديدي الذي يمنح لمن يصاب اكثر من ثلاث مرات . وهو الذي روى لي النهاية المأساوية للفيلق العربي وكيف فتكت بهم الثلوج الى جانب الجيش السوفييتي الاحمر . اما بعض الجنود الذين كانوا قد بقوا في ستالينو فقد اعيدوا الى المانيا حيث بدىء في اعادة تنظيم هذا الفيلق بعد ان بقى من افراده على قيد الحياة ١٤ ضابطا و ٢٢٠ جنديا ثم فرز فصيلين منهم فقط وانتقلت المسئولية على الفيلق العربي في المانيا الى ايطاليا وبالتنسيق مع الحاج امين الحسيني الذي ض

ينسق مع القيادة الالمانية بشأن الفيلق حتى النهاية . ونقل مقر الفيلق مع التطور الجديد الى تونس . . وظل بقيادة الميجر ريكس الذي اصبح ارتباطه مع القيادة الايطالية الى ان قتل في غارة جوية امريكية في تونس هو واثنان من الضباط العرب .

بيـــــان المفتـــي

وفي تونس وجهت الدعوة لمن يريد التطوع واصدر المفتي بيانا بهذا الخصوص اذيع من اذاعة برلين عدة مرات طلب فيه من العرب والمسلمين ان يقاتلوا ويجاهدوا في سبيل التحرر والحرية صفا واحدا الى جانب الالمان . غير ان تونس شهدت نهاية الفيلق العربي بدلا من ان تشهد ولادته من جديد حيث قتلت قيادته الميدانية في الغارة الامريكية ولم تلب دعوات التطوع في صفوفه الا في نطاق ضيق للغاية لا تفي بالغرض .

ولم يعرف السيد رشيد عالي الكيلاني بقرار نقل الفيلق العربي الى الجبهة الروسية الا حين ابلغته بوجود علي الجرجفجي وناجي عبد الرزاف في سجن برلين العسكري فتوسط مع الدكتور غروبا واطلق سراحهما وتسريحهما من الجيش الالماني (الفيلق العربي) . . . واعاد الى ذهن الدكتور غروبا اعتراضاته الاولية التي بناها على الموقف الذي شرحته له بشأن الفيلق العربي . . . والواقع ان اعتراضات السيد رشيد عالي كانت احد الاسباب التي املت على المانيا نقل المسئولية عن الفيلق العربي الى القيادة الايطالية فاخلت بذلك مسئوليتها من الاخطاء التي ارتكبت امام الكيلاني والرأي العام العربي .

وبذلك فان موقف الكيلاني كان مغايرا لموقف المفتي في موضوع الفيلق العربي . كما انهما اختلفا في تقويم الدور الايطالي حيث لم يكن الكيلاني يثق بالايطاليين . لذلك فقد اتفقا على ان يتولى المفتي مسئولية الاتصال بالطليان في حين انحصرت علاقة الكيلاني مع وزارة الخارجية الالمانية فقط ، وهذا يقودنا للحديث عن علاقات الحاج امين الحسيني مع المانيا وايطاليا والعرب والمسلمين في تركيا ويوغسلافيا . فقد زار المفتي يوغسلافيا ونسق مع قادة المسلمين هناك بشأن تشكيل فيلق آخر اسلامي من المسلمين اليوغسلاف وذلك في سنة ١٩٤٢ . ولم يكن هذا وجه الخلاف الوحيد بين الرجلين فالسيد رشيد عالي رفض اصدار بيان مماثل لبيان المفتي الى عرب شمال افريقيا حيث طلب الالمان منه ذلك وكان الالمان يعولون على بيانه لانه حفيد الشيخ عبد القادر الكيلاني الذي له مكانة خاصة لدى مسلمي شمال

افريقيا . . وكان منتظرا ان يكون بيانه اكثر تأثيرا من بيان الحاج امين . . . وبرر الكيلاني للالمان رفضه اصدار البيان بانه لا يجوز شرعا اعلان الجهاد الا في سبيل الاسلام . ولا يجوز اعلان الجهاد من اجل القتال في صفوف دول المحور ضد الحلفاء الانكليز والروس والفرنسيين والامريكيين وسواهم .

الالمان اكدوا للكيلاني : العرب ليسوا جنسا منحطا !

وقـــف المخـصـصات

وبسبب موقف الكيلاني هذا توقفت وزارة الخارجية الالمانية عن دفع المخصصات الشهرية للمكتب العربي في برلين لمدة ثلاثة اشهر عشنا خلالها في ضنك حقيقي ، اذلم يعد في مقدورنا ان ندفع حتى اجرة الانتقال الزهيدة بواسطة الترماي . . . وكنا ننتقل مشيا على الاقدام . . وكان الكيلاني يقدم للعاملين معه من ماله الخاص ما يكفيهم ليأكلوا فقط اذ لم يكن يملك الكثير . ولم يكن هذا الموقف منتظرا من الالمان . وكنت انا في ذلك الوقت اقوم بدراسة تنظيمات الشباب الالمانية بتكليف من السيد رشيد عالي بالاضافة الى اني كنت قد التحقت بجامعة برلين للدراسة ، وكان الكيلاني يخطط للاقتداء بتجربة منظمات الشباب والعمل الالزامي من حيث المستوى التنظيمي بعد العودة للعراق . . . وكانت لنا في العراق تجارب رائدة في مجالات الفتوة وكتائب الشباب .

وبعد ثلاثة اشهر من قطع المصاريف والمخصصات عن المكتب العربي دون ان يطلب الكيلاني اعادتها او ان يجري اي اتصال لهذا الغرض . تراجعت وزارة الخارجية الالمانية عن قرارها من تلقاء نفسها ، وابلغ الدكتور غروبا الكيلاني ان توقف دفع المصاريف حدث لانه كان يجرى وضع الميزانية الجديدة . واعتذر عن التأخر . ولم يقتنع الكيلاني بهذا التبرير ، وقال لغروبا انه لم يكن يعتقد او ينتظر ان تؤدي كلمة الحق لما ادت اليه من تعطيل اعمال المكتب وانه لم يكن بامكانه ان يصدر البيان الذي طلب منه اصداره لانه ليس من حقه ولا من الاصول حتى يعلن الجهاد . . . كما انه غير مقتنع بذلك . .

وباستثناء هذا الخلاف لا اذكر ان خلافا حادا اخر وقع مع الالمان . . . وقد استقرت

العلاقة بين الجانبين بعد ذلك غير انه مع التطور السلبي في سير العمليات الحربية وبدء تراجع القوات الالمانية ، تراجع الاهتمام الالماني بالمناطق الحارة وهو المصطلح الذي يشمل البلاد العربية واصبح عمل المكتب يقتصر على اذاعة بعض البيانات من اذاعة برلين وقد حدث هذا التحول بشكل خاص بعد سقوط ستالينغراد في ايدي الجيش الروسي .

ويمكن النظر الى موقف السيد رشيد عالي الكيلاني من الفيلق العربي واصطدامه مع الحكومة الالمانية حفاظا على وجهة نظره التي تصلب في التمسك بها نموذجا يوضح طبيعة العلاقة التي كانت تربطه مع حكومة الرايخ . فلقد كان حريصا على ان يتعامل مع الحكومة الالمانية بندية . وهناك نموذج آخر على هذه الندية في المعاملة وهو نموذج مهم لانه يتعلق بنظرة حزب العمال الوطني الاشتراكي حزب هتلر ـ الى العنصر العربي .

رسالة الى جروس

ففي ١٩٤٢/١٠/١٧ وبعد التقائه مع هتلر بثلاثة اشهر بعث الكيلاني بالرسالة التالية الى الدكتور والتر جروس رئيس قسم سياسة العنصرية في حزب العمال الوطني الاشتراكي الالماني ، ننشرها كما وردت في الترجمة الحرفية : .

حضرة الاستاذ المحترم . .

. . . يزعم اعداء المحور في دعاياتهم ان المانيا تعتبر العرب في مصاف اليهود من حيث انحطاط العنصر او انها تعتبر العنصرية العربية في عداد العناصر الانسانية الدنيئة .

وانا بصفتي رئيس الوزراء للمملكة العراقية اعلم جيدا عن بني وطني بل وعن العرب عموما انهم لا يعيرون هذا الزعم اي اهتمام ذلك بانهم قد رأوا تقدير الالمان ومساعدتهم لهم في كفاحهم من اجل حريتهم وحقوقهم حتى انهم يوقنون باحترام الالمان وصداقتهم لهم . .

ولكن بما ان دعاية الاعداء لا تفتأ تردد هذه الاكذوبة ارى من المفيد ان تواجه هذه الدعاية من جهة المانية رسمية بحقيقة الحال في الموقف الالماني ازاء العنصر العربي .

ولذلك اكون لكم مدينا بالشكر الوافر لو تفضلتم علي بصفتكم رئيسا لقسم سياسة العنصرية في حزب العمال الوطني الاشتراكي الالماني ، وبصفتكم ممثلا جليلا للبحوث العنصرية في المانيا ببيان عن نظرية العنصرية لدى الوطنية الاشتراكية وعن رأي المذهب

العلمي الالماني الخاص بالاجناس . . .

وتفضلوا بقبول اجل احتراماتي . . .

وتلقى الكيلاني الرسالة الجوابية التالي في ذات التاريخ :

فخامة رئيس الوزراء . . .

اجابة لطلبكم في خطابكم المؤرخ في ١٧ / ١٠ / ١٩٤٢ ادلى الى فخامتكم فيما يلي برأي نظرية العنصرية لدى الوطنية الاشتراكية وفي المذهب العلمي الالماني الخاص بالعنصرية في مسألة العنصر العربي .

● اولا : ان حقيقة السياسة العنصرية في الوطنية الاشتراكية وغاية هذه السياسة في بعض نواحيها ، انما هو وقاية الشعب الالماني من تأثير اليهودية الفتاك . ونعني بها ذلك الخليط العنصري غير المنسجم الذي يمثل حدثا تاريخيا غير عادي في بابه ، والذي يتميز عن عنصر شعوب الشرق الادنى ، فهو والحالة هذه يتميز عن الشعوب الناطقة باللغات السامية .

● ثانيا : وبناء على هذا فتسمية الحركات التي قامت في اوروبا منذ عشرات السنين لمقاومة اليهودية بالحركات « اللاسامية » خطأ محض ، لان هذه الحركات انما اثيرت لمقاومة اليهودية الفتاكة ، وليس لمقاومة جميع الشعوب الناطقة باللغات السامية التي قد ناصبت اليهود واليهودية العداء منذ القديم .

وعلى هذا النحو ان سنن الدفاع التي استنتها القوانين الالمانية لا تقاوم اليهود باعتبار انهم يتكلمون باللغة السامية او لانهم قد اتوا من الشرق . كلا ، وانما تقاومهم فقط لخلقهم الاناني وبغضهم لكل نظام اجتماعي .

● ثالثا : بينما نحن نرفض اليهودية كعنصر وكظاهرة تاريخية رفضا باتا ، كانت الشعوب العربية السامية ولغاتها وحضارتها ـ وما زالت ـ موضوع عناية العلم والعلماء في المانيا . ولم يشذ عن هذا موقف النظرية العنصرية في المانيا في العصر الحديث ، بل ان موقفها يتناسب تماما مع الاحترام العظيم الذي يكنه الشعب الالماني دائما نحو الشعوب الاجنبية ذات الحضارات ونحو الحضارات على العموم . هذا ولم تذهب مطلقا جهة المانية الى اعتبار ان العرب من عنصر منحط او انهم يأخذون مكانهم في جدول العناصر الواطئة ، بل على العكس من هذا فان نظرية العنصرية في الوطنية الاشتراكية تعتبر العرب عنصرا رفيعا له

تاريخ مجيد ملىء باعمال البطولة . ولذلك فكفاح العرب سياسيا ضد اغتصاب اليهود لفلسطين قد تتبعته المانيا بعناية خاصة كما ايدته وتؤيده .

وختاما تقبلوا فائق احتراماتي .

ورسالة الى روز نبرغ

وقد وجدت ضمن وثائق الكيلاني الرسالة التالية الموجهة الى وزير الرايخ لمناطق اوروبا الشرقية المحتلة الهر الفريد دوزنـبرج وهي تتعلق بذات الموضوع ايضا. غير اني لم اعثر على الرسالة الجوابية التي يفترض ان يكون الكيلاني قد تلقاها من الوزير الالماني . ومع ذلك فان رسالة الكيلاني المؤرخة في ١٤/١٢/١٩٤٢ لا تفقد قيمتها في الدلالة على الندية التي كان يعامل الحكومة الالمانية بها . تقول الرسالة :

معالي الوزير المحترم

... تفضل حضرة الاستاذ الدكتور والتر جروس المدير العام لقسم العنصرية السياسية في حزب العمال الوطني الاشتراكي الالماني ، فبعث الي في ١٢ اكتوبر من هذا العام خطابا شرح فيه رأي نظرية العنصرية لدى الوطنية الاشتراكية وموقف علم الاجناس الالماني تجاه المسائل الخاصة بالعنصر العربي . ويتضح من خطابه ان سياسة العنصرية في الرايخ الالماني موجهة ضد تأثير اليهودية الهدام في حين ان الشعوب السامية العربية ولغاتها وحضارتها كانت دائما موضع العناية والاهتمام عند العلم والعلماء في المانيا .

ثم تطرق الاستاذ الدكتور جروس في خطابه المذكور الى القول بانه ليس هناك جهة ما في المانيا ذهبت الى ان العرب منحطون عنصريا ، او الى ان مقامهم بين العناصر الانسانية واطىء مهمل . بل على العكس من ذلك ترى نظرية العنصرية الوطنية الاشتراكية ان العرب ينتسبون الى عنصر سام رفيع له تاريخ مجيد ملىء باعمال البطولة . وقد تصدت الاذاعات المعادية لدول المحور للخطابين المتبادلين بيني وبين الاستاذ الدكتور جروس فزعمت ان بياناته لا تنطبق على الاراء التي ثبتموها معاليكم في مؤلفاتكم واعلنتموها في خطبكم . ولذلك فاكون ممتنا شاكرا لمعاليكم لو تفضلتم بالرد على هذه المزاعم التي تزعمها الاذاعات المعادية .

وتفضلوا بقبول اسمى احتراماتي ...

قصة يونس البحري

ومن الطريف ان نروي هنا قصة اخراج المذيع المعروف يونس بحري من اذاعة برلين العربية بعد ان كان هو بالذات العامل الرئيسي الذي ادى الى نجاحها في الاستحواذ على آذان المستمعين العرب في كل مكان .

لقد اخرج يونس بحري من الاذاعة بقرار من الحاج امين الحسيني لانه لم يكن يلتزم بنصوص البيانات والتعليقات التي كان يعدها المكتب العربي لتذاع من الاذاعة . فقد كان بعد ان يدخل الى الاستوديو ويبدأ في القراءة ينفعل ويفقد السيطرة على نفسه ويأخذ في اضافة الشتائم غير المكتوبة الى النص الذي في يده ويوزعها على ملوك العرب وفي كل الاتجاهات . وكان يخص عبد الاله الوصي على عرش العراق بالجزء الاكبر من شتائمه وكذلك الملك عبد الله في الاردن الى جانب نوري السعيد ووزرائه وبعض الصحف التي كانت تهاجم المانيا من لبنان . وكان المفتي لا يريد ان تؤدي شتائم يونس بحري الى تفجير علاقاته مع ملوك العرب .

لذلك طلب من يونس ان يلتزم بالنص الذي يعطى له لاذاعته . فلم يستطع ان يفعل ذلك اكثر من فترة بسيطة ثم عاد الى تجاوزاته . وهنا استخدم اسلوبا جديدا معه وهو ان تسجل تعليقاته على اسطوانة ـ حيث لم تكن قد اخترعت المسجلات بعد ـ حتى لا يذاع على الهواء مباشرة وذلك بهدف اخضاعه للنص ، ومع ذلك لم تفلح محاولات ضبط يونس بحري اذ كان يقيم علاقات قوية مع المسئولين الالمان في الاذاعة حيث كان يقدم لهم الهدايا من زجاجات « الشنابس » والنبيذ وكذلك السجائر الانكليزية التي كان يشتريها من الاسرى الانكليز . ومقابل ذلك كان يدخل الى الاستديو ويوقف الاسطوانة ويبدأ في البث المباشر بذات طريقته المعهودة في توزيع الشتائم ، وبعد ان نفذت حيلة المفتي في ضبطه اضطر الى طرده من الاذاعة ثم نفاه الى ميونيخ ، وكانت للمفتي علاقات جيدة مع ادميرال كنارس مدير المخابرات الخارجية وهملر مدير الغستابو بحكم التنسيق معهما بشأن العمليات الفدائية التي كان يقوم بها رجال المفتي ضد الانكليز في فلسطين . ولم يكن يونس بحري يحظى في ذات الوقت باحترام السيد رشيد عالي لانه كان بذيء اللسان وكذابا وغير ملتزم . والى جانب كل ذلك كان سكيرا .

ولم يطق يونس بحري الاقامة في ميونخ لذلك عمل المستحيل من اجل مصالحة المفتي والعودة للاذاعة ، وبعد ان وافق المفتي قدم اليه يونس بحري وقبل يده .

وبالفعل فلم يعد الى شتم الملوك العرب في هذه المرة بل اخذ يشتم المفتي نفسه في كل مكان يجلس فيه . وفي الاذاعة لم يعد يذكر اسم المفتي الا في الحالات النادرة واخذ يتعمد ان يذكر اسم المفتي بعد اسم السيد رشيد عالي ولذلك نفاه المفتي مجددا الى بوخارست .

برلين في ١٧ ــ ١٠ ــ ١٩٤٢

رشيد عالي الكيلاني
رئيس الوزراء للمملكة العراقية

الى رئيس قسم سياسة العنصرية في حزب العمال الوطني الاشتراكي الالماني الاستاذ دكتور والتر جروس .

حضرة الاستاذ المحترم .

يزعم اعداء المحور في دعاياتهم ان المانيا تعتبر العرب في مصاف اليهود من حيث انحطاط العنصر ، اوانها تعتبر العنصرية العربية في عداد العناصر الانسانية الدنيئة .

وانا بصفتي رئيس الوزراء للمملكة العراقية اعلم جيدا عن بني قومي وطني بل وعن العرب عموما ، انهم لايعيرون هذا الزعم اى اهتمام ، ذلك بانهم قد رأوا تقدير الالمان ومساعدتهم لهم في كفاحهم من اجل حريتهم وحقوقهم ، حتى انهم يوقنون باحترام الالمان وصداقتهم لهم .

ولكن بما ان دعاية الاعداء لاتفتأ تردد هذه الاكذوبة ، ارى من المفيد ان تواجه هذه الدعاية من جهة المانية رسمية بحقيقة الحال في الموقف الالماني ازاء العنصر العربي .

ولذلك اكون لكم مدينا بالشكر الوافر لو تفضلتم علي بصفتكم رئيسا لقسم سياسة العنصرية في حزب العمال الوطني الاشتراكي الالماني ، وبصفتكم ممثلا حقيقيا للبحوث العنصرية في المانيا ، ببيان عن نظرية العنصرية لدى الوطنية الاشتراكية ، وعن رأى المذهب العلمي الالماني الخاص بالاجناس .

وتفضلوا بقبول اجل احتراماتي .

رشيد عالي الكيلاني

حضرة رئيس قسم سياسة العنصرية في
حزب العمال الوطني الاشتراكي الالماني
القسم العام في الرايخ
جناب الاستاذ دكتور فالتر جروس

● رسالة الكيلاني الى الدكتور جروس

● رد الدكتور جروس الى الكيلاني

برلين في ١٢ - ١٠ - ٤٢

ترجمة

خطاب من رئيس قسم العنصرية في حزب العمال الوطني الاشتراكي الالماني الى

فخامة رئيس الوزارة للمملكة العراقية رشيد عالي الكيلاني .

فخامة رئيس الوزراء .

اجابة لطلبكم في خطابكم المؤرخ في ١٧ - ١٠ - ١٩٤٢ ، ادلي الى فخامتكم فيما يلي برأي نظرية العنصرية لدى الوطنية الاشتراكية ، وفي المذهب العلمي الالماني الخاص بالعنصرية في مسألة العنصر العربي .

اولا - إن حقيقة السياسة العنصرية في الوطنية الاشتراكية فهي غاية هذه السياسة - في بعض نواحيها - انما هو وقاية الشعب الالماني من تاثير اليهودية الفتاك ، ويعني بها ذلك الخليط العنصري غير المنسجم الذي يمثل حدثا تاريخيا غير عادي في بابه ، والذي يتميز باخلاقه وطبيعة تكوينه (بيولوجيا) تمام التميز من عنصر شعوب الشرق الادنى ، فهو والحالة هذه يتميز من الشعوب الناطقة باللغات السامية

ثانيا - وبناء على هذا ، فتسمية الحركات التي قامت في اوربا منذ عشرات السنين لمقاومة اليهودية بالحركات " اللاسامية " خطأ محض ، لان هذه الحركات انما اثيرت لمقاومة اليهودية الفتاكة ، وليس لمقاومة جميع الشعوب الناطقة باللغات السامية ، التي هي ايضا قد قاست اليهود واليهودية العداء منذ القدم .

وعلى هذا النحو ان شتى الدفاع التي استنتها القوانين الالمانية لاتخاذ اليهود باعتبار انهم يتكلمون باللغة السامية اولانهم قد اتوا من الشرق ، كلا ، وانما تقاومهم فقط لتخلفهم الاناني بخصمهم لكل نظام اجتماعي .

ثالثا - بينما نحن نرفض اليهودية كعنصر وكظاهرة تاريخية رفضا باتا ، كانت الشعوب العربية السامية بثقافتها وحضارتها - ولا زالت - موضوع حماية العلم والعلماء في المانيا ، ولم يشذ من هذا موقف النظرية العنصرية في المانيا في العصر الحديث ، بل ان موقفها يتناسب تماما مع الاحترام العظيم الذي يكنه الشعب الالماني دائما نحو الشعوب الاجنبية ذات الحضارات ونحو الحضارات على العموم .

هذا ، ولم تذهب مطلقا جهة النازية مشيرة الى ان العرب من عنصر منحط او انهم باعتدي تكامهم في مدلول العناصر الواطئة ، بل على العكس من هذا ، فان نظرية العنصرية في الوطنية الاشتراكية تعتبر العرب عنصرا رفيعا ، له تاريخ مجيد ملئ بالاعمال البطولية .

ولذلك فكفاح العرب سياسيا ضد اغتصاب اليهود لفلسطين ، قد تتبعته المانيا بعناية خاصة ، كما ايدته وتؤيده .

وختاما تقبلوا فائق احترامي .

الاستاذ

دكتور جروس

١



● يونس البحري مع امير ربيعة في مهرجان الفروسية الملكي في العراق بتاريخ ٤/٤/١٩٣٩

فصول من التشرد

■ هتلر غير خططه وقرر ان يبدأ الهجوم على سوريا ولبنان

في بداية تأسيسه لم يقتصر عمل المكتب العربي في برلين على النشاط الاعلامي من خلال الاشراف على اذاعة برلين العربية ، كما انتهى اليه الحال . فقد كان المكتب ينشط في الاتصال مع الزعماء العرب الذين سبق للكيلاني ان وضع المشروع العربي بالاتفاق معهم . وكانت هذه الاتصالات تتم عبر المبعوثين إلى سوريا والعراق وفلسطين وكذلك الى الشخصيات العربية التي كانت تقيم في تركيا وخاصة في استنبول . فقد ابلغهم الكيلاني مثلا بنتائج لقائه مع هتلر وموسوليني . وكان المكتب العربي في ذلك الوقت على اتصال وتنسيق نشط مع وزارة الخارجية ووزارة الدفاع الالمانيتين . فبالاضافة إلى الاتصال المستمر مع وزارة الخارجية من خلال الدكتور غروبا ، كان يوجد في المكتب العربي ضابط ارتباط مع وزارة الدفاع الالمانية هو النقيب الطيار ابراهيم جواد .[1]

كانت استنبول تعتبر قاعدة الارتكاز الاساسية في الاتصال مع الانصار والزعماء العرب في مختلف الاقطار العربية وكذلك سويسرا . وكانت هذه الاتصالات تركز على نقل الموقف الالماني من القضية العربية ، وحث الشباب العربي على التطوع في الفيلق العربي . وكان المفتي يلعب الدور الرئيسي في ذلك من خلال المكتب العربي بعد ان سحب الكيلاني يده من موضوع الفيلق العربي مبكرا . ومن خلال هذه الاتصالات امكن نقل مجموعتين من الجنود العرب إلى المانيا عبر طريق استنبول ـ روما ـ برلين ، احداها قاتلت ضد القوات البريطانية

---

(١) زوج اخت الشهيد محمود سلمان

سنة ١٩٤١ في الرطبة بقيادة العقيد فوزي الفاوقجي .

وفي احدى المرات تمكنت السلطات البريطانية من القاء القبض على واحد من انشط حلقات الاتصال بين مكتب برلين والانصار في سوريا ولبنان وهو شاب سوري اسمه جلال ، القى القبض عليه في حلب مع ١٤ شابا اخرين حوكموا واعدموا جميعا .

وظلت استنبول حلقة الاتصال الاساسية للمكتب مع الاقطار العربية حتى انتهاء وفشل تجربة الفيلق العربي بعد مقتل غالبية افراده تقريبا في الجبهة الروسية كما اسلفنا . ولم تكن هذه الاتصالات تقتصر في الواقع على حث الشباب العربي على التطوع في الفيلق العربي ، بل كانت تجس النبض بشأن امكانية تحريك الشارع العربي في حالة اقدام قوات المحور على فتح جبهة عسكرية في المشرق العربي من اجل القضاء على القوات البريطانية والفرنسية فيها . وكان هتلر الذي سبق له ان خطط للالتفاف حول المنطقة العربية من القفقاس عاد ووضع خطة اخرى بديلة تقضي بان يبدأ الهجوم على سوريا ولبنان . ومن هنا تنطلق قوات المحور في اتجاه الاردن وفلسطين والعراق . وقد اعد هتلر لهذه الغاية ١٢٠ فرقة عسكرية من جيوش البلغار والهنغار والرومان والالمان كانت تعسكر في بلدانهم . وقد شرح هذه الخطة لي المرحوم السيد رشيد عالي ذات مرة حين جاءه خياط إلى منزله في برلين لاخذ مقاساته من اجل خياطة بزة عسكرية له ، وكنت متواجدا في البيت . وكانت البزة مماثلة لبزات ضباط الجيش العراقي غير انها لم تكن تحمل اية رتبة . وقد حدث ذلك في شتاء ١٩٤٣/٤٢ حيث كان الكيلاني يستعد للتوجه إلى الاراضي العربية التي تستولى عليها قوات المحور . غير ان الامور لم تسر وفق ما خطط له كما اسلفنا ، وبعد ذلك سقطت فكرة حرب التحرير في المشرق العربي من ذهن الكيلاني تماما .

الخطة الالمانية

كانت الخطة وفق ما عرفته من الكيلاني تقضي بان يقوم الجيش الالماني بعملية انزال جوي وبحري في سوريا ولبنان على ان تنطلق القوات المهاجمة من اليونان وذلك بالتعاون مع العرب في الداخل الذين كان يتمثل دور الكيلاني والمكتب العربي عموما في تحريكهم .

وفي خضم الاستعدادات التي كانت جارية لتنفيذ الخطة لم يكن هناك ما يحول دون اصدار تصريح الماني رسمي علني في هذه المرة بالعمل على تحرير جميع الاقطار العربية ووحدتها

بالاضافة إلى الغاء وعد بلفور البريطاني الخاص باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . وهكذا استغل الفون ريبنتروب فرصة عقد اجتماع عربي احتجاجي في ذكرى اصدار وعد بلفور في ١٩٤٣/١١/٢ وبعث بالبرقية التالية للسيد رشيد عالي الكيلاني دون ان يشترط سرية محتوياتها كما كان يحدث في السابق :

فخامة رئيس الوزارة العراقية السيد رشيد عالي الكيلاني اوتيل كايزر هوف ـ برلين KAISERHOFF اود ان اعرض لفخامتكم لمناسبة الاجتماع المنعقد اليوم في عاصمة الرايخ تحت رئاسة صاحب السماحة مفتي فلسطين الاكبر ضد الحكم اليهودي ـ البريطاني القائم في فلسطين ما يلي : ان المانيا مرتبطة مع الامة العربية بصداقة قديمة ارتباطا وثيقا ، وقد زاد هذا الارتباط اليوم اكثر مما كان عليه في اي وقت مضى ، واصبح ارتباطا طبيعيا حقيقيا .

ان الغاء الوطن اليهودي القومي المزعوم وتحرير جميع البلاد العربية من انياب استعمار الدول الغربية واستثمارها هو جزء من سياسة المانيا العظمي التي ستبني عليها الامة العربية استقلالها التام الناجز في المستقبل كي تحقق وحدتها وهي مستقلة استقلالا تاما كملا .

فون ريبنتروب

بداية التخطيط

كان التخطيط لتحرك قوات المحور قد بدأ منذ الفترة الاولى لوصول الكيلاني والمفتي إلى برلين حيث طلب هتلر وموسليني تأخير اصدار التصريح الخاص باستقلال ووحدة الاقطار العربية إلى حين اقتراب قوات المحور من الاراضي العربية . وكان الكيلاني قد طلب من قيادة العمليات العربية في الجيش الالماني اعطاءه فرصة لاجراء الاتصالات اللازمة مع قيادات الداخل ليقوموا بعمليات مقاومة للقوات الانجليزية ويشلوا حركتها من خلال قطع طرق المواصلات والاتصال ايضا من هاتف وسواه ومهاجمة معسكرات القوات البريطانية والقيام باعمال المقاومة السلبية في دوائر الدولة .

كان مقررا ان يقوم الفيلق العربي بدور رئيسي في الهجوم بعد ان ارسل للجبهة السوفيتية

بهدف التدريب ، غير ان التطورات السلبية التي حدثت على الجبهة السوفيتية غيرت الستراتيجية الالمانية برمتها . كما ان المعلومات التي وصلت للقيادة الالمانية في حينه افادت ان تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في فترة الحرب العالمية الثانية كان قد هيأ ٥٠ فرقة عسكرية لغزو اليونان التي كان يفترض ان تنطلق القوات الالمانية منها الى سوريا ولبنان . وبالتالي لم يعد ممكنا تحريك قوات خارج هذه المنطقة بعد ان اصبحت القيادة الالمانية تحتاج إلى قوات لتعزيز قبضتها فيها مما ادى إلى تجميد ١٢٠ فرقة عسكرية لدول المحور .

وكان تشرشل قد خطط من اجل فتح جبهة اخرى في اوروبا انطلاقا من اليونان التي لم يتعاون اهلها ابدا مع الجيش الالماني كما اشرنا سابقا . وكان الموقف في يوغوسلافيا مماثلا للموقف في اليونان . بل ان اليوغسلاف قاوموا الاحتلال الالماني عسكريا من خلال حرب العصابات بقيادة الرئيس السابق جوزيف بروس تيتو .

ولست ادري ان كانت خطة الهجوم الالماني على سوريا ولبنان محل موافقة ايطاليا ام لا ، وهي التي كانت متفقة مع المانيا منذ ما قبل الحرب العراقية ـ البريطانية في مايس ١٩٤١ على ان تكون هي ـ ايضا ـ المسئولة عن منطقة الشرق الاوسط والتعامل مع العرب .

غير ان ضرورة التنسيق بين برلين وروما كانت احد الاسباب المهمة التي كانت تشغل بال الكيلاني والمفتي .

تنسيق . . ولكن

كان التنسيق بين برلين وروما مطلوب في ضوء التقارب في وجهات النظر بين العاصمتين بشأن كيفية العمل في المنطقة العربية . فلم تكن المانيا تقر تحركات الحاج امين مع ايطاليا من حيث اساليب التحرك التي لم تكن موضع ثقة الالمان الذين كانوا يظلون بعيدين عن المشاركة في اي عمل يتم الاتفاق عليه بين المفتي والطليان ويطلبون من المفتي والطليان ان ينفذوا ما خططوا له بانفسهم . وكان الكونت شيانو وزير خارجية ايطاليا يدرك ذلك . ولهذا فحين كان يجري الاتفاق معه على امر ما كان يبادر إلى القول : وبالطبع فان الالمان لن يوافقوا ! ويعكس هذا الواقع ان الموقف الالماني الايطالي من القضية العربية كان موحدا في البيانات الرسمية فقط في حين لم يكن كذلك في العمل اليومي حيث كانت ايطاليا تشجع على القيام بعمليات التخريب ضد القوات البريطانية في الدول العربية على العكس من المانيا التي كانت

تتحفظ عليها . وبلغ التشجيع الايطالي لعمليات التخريب درجة ان الطائرات الايطالية العسكرية كانت تسقط الفدائيين الفلسطينيين بواسطة المظلات من اجل القيام باعمال تخريبية تستهدف القوات البريطانية التي القت القبض في احدى المرات على الفدائي « ذو الكفل » الذي التقيت به بعد ذلك في مصر بعد ان كانت الحرب العالمية الثانية قد وضعت اوزارها .

ورغم ان موسوليني قد اكد للكيلاني والمفتي ذات الموقف الذي سبق ان التزم به هتلر لجهة استقلال ووحدة العرب فان الكيلاني لم يثق بهذه الوعود كما وثق من قبل بوعود وتعهدات هتلر . وبعد ان خرج من مكتب موسوليني ابلغ الكيلاني مشاعره للمفتي وقال له ان علاقاتك مع الطليان اقوى . لذلك ارجو من الآن ان تتكفل بامر الاتصال والتنسيق معهم .

مر الحماس

واعتقد من جهتي ان حماس الايطاليين للجوء إلى اسلوب الاعمال التخريبية ضد القوات البريطانية في البلاد العربية كان مرده انه لم يكن لهم اصدقاء عرب بعد ان خسروا كل الاصدقاء في المنطقة سواء في شمال افريقيا او مصر وغيرها . وساعد على ذلك ان الطائرات الايطالية كانت اول من قصف بيروت في نهاية سنة ١٩٣٩ حيث جرى قصف الميناء كما انها قصفت المنشآت النفطية في البحرين حيث انطلقت الطائرات الايطالية لاداء هذه المهمة من اثيوبيا . كما ان الطائرات الايطالية قصفت في حينه الاسكندرية وبورسعيد في مصر بهدف تعطيل خطوط المواصلات البريطانية . وقد ساد انطباع لدى العرب بسبب ذلك ان الطليان اعداء لهم سيما وانهم كانوا يحتلون ليبيا والصومال في ذلك الوقت ايضا . ولذلك فانه لم يكن من السهل اقناع الرأي العام العربي بالتعاون مع ايطاليا في وقت كان يوجد فيه من يعتقد جازما انها تخطط لوراثة فرنسا وبريطانيا في المنطقة العربية وليس لتحريرها . وكان يعزز هذا الاعتقاد ان ايطاليا طلبت من المانيا تفويضها بالمنطقة العربية . وكان رشيد عالي من ضمن الذين لا يثقون بنوايا ايطاليا .

إن عدم ثقة الكيلاني بنوايا ايطاليا يقودنا في الواقع إلى التساؤل حول ما إذا كانت ثقته في المانيا كانت في محلها ام لا . ذلك ان المانيا كانت قد فوضت ايطاليا بمنطقة الشرق الاوسط مقابل تفويض ايطاليا لها في اوروبا وذلك ضمن صفقة تقاسم النفوذ . اي ان المانيا قد اقرت باطلاق يد ايطاليا في البلاد العربية . . ؟

الواقع ان المانيا كانت فوضت ايطاليا بمنطقة الشرق الاوسط قبل نشوب او في مطلع الحرب العالمية الثانية . غير ان النظرة الالمانية قد تغيرت خاصة بعد التنسيق العراقي الالماني في الحرب ضد بريطانيا ، وبعد ان التقى هتلر السيد رشيد عالي الكيلاني ووقع على محضر اللقاء الذي تضمن التعهدات التي اشرنا اليها في حينه بشأن استقلال ووحدة العرب . ورغم ان مصداقية هذه التعهدات لم تمتحن حيث ان المانيا قد هزمت في الحرب في نهاية المطاف الا انه كانت هناك بعض المؤشرات التي تفيد وتؤكد ان تغيرا قد طرأ على الموقف الالماني ازاء تفويضها لايطاليا . وكان ابرز هذه المؤشرات المغامرة الكبيرة التي قادت رودولف هس نائب هتلر إلى بريطانيا .

هبوط هس

في ١٠ مايس ١٩٤١ هبط نائب هتلر بواسطة مظلة في اسكتلندا وطلب مقابلة عضو في مجلس العموم البريطاني بعد ان سلمه فلاح كان قد لجأ إلى بيته إلى مخفر للشرطة حيث عرف نفسه فورا في حين انه كان قد ابرز هوية باسم مستعار للفلاح .

ووفق محاضر محاكمة هس فقد كشف للسلطات العسكرية البريطانية في خلال اجتماعين عقدت بعيد هبوطه الدراماتيكي بالمظلة انه قادم إلى بريطانيا في مهمة تتلخص في الاتي :

اولا : ان تجري مفاوضات بين المانيا وبريطانيا بهدف عقد صلح بينهما .

ثانيا : ان تتفق المانيا وبريطانيا على استمرار الحرب ضد الاتحاد السوفييتي من اجل وقاية العالم من الشيوعية . ولم تكن المانيا قد فتحت جبهة حرب مع الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت بعد .

وفي الاجتماع الثاني طلب هس عند الاتفاق بين المانيا وبريطانيا ان توقف بريطانيا قتالها ضد العراق فورا وان يعلن استقلال العراق كاملا وان يصبح السيد رشيد عالي الكيلاني رئيسا للحكومة العراقية . وقد اثار هذا الطلب استغراب الانجليز ان يطرح موضوع العراق في وقت يجري فيه بحث تحقيق صلح بين بريطانيا والمانيا . فسألوا هس هل هذا رأيك الشخصي . فاجاب هذا هو رأيي ورأي هتلر والشعب الالماني وكل الاحرار ، وهو احد شروط الصلح التي تضعها المانيا .

وفي اجتماعين اخرين سعى الانجليز إلى معرفة تفاصيل المقترحات الالمانية بشأن مهاجمة الاتحاد السوفييتي ومدى التنسيق بين هتلر في مهمته الغريبة ، غير انه رفض الاجابة وقال انه مستعد لشرح التفاصيل إذا اتفق على النقاط الرئيسية اولا . وبالمناسبة فان هس ولد في الاسكندرية حيث كان يقيم اهله وعاش فيها ١٥ سنة قبل ان يعود لالمانيا . هذا وقد أفردنا لقصة رودولف هس ـ سجين السلام فصلاً كاملاً في يوميات مواطن كتابنا اللاحق ليغطي قصة الرجل في حياة أمة !؟

وانا اعتقد ان هتلر سعى إلى تحقيق صلح مع بريطانيا من اجل ان لا يخوض حربا معها في العراق ، واعتقد ان عدم رغبة هتلر في الصدام مع بريطانيا في العراق كان ايضا من ضمن الاسباب التي اخرت وصول السلاح الالماني للعراق وذلك اضافة للاسباب التي اشرت اليها سابقا ، ومهم ان نلاحظ هنا ان كل عمليات ارسال الاسلحة الالمانية للعراق تمت بعد ان اعلنت المانيا في ١٦ مايو ١٩٤١ عن هرب نائب هتلر بعد ان اصيب بلوثة عقلية . . ! وكان متفقا ان تعلن برلين ذلك اذا لم تبلغ رسميا بنجاح مهمة هس في بريطانيا .

ومن جهتي فاني ارى ان وجود مؤشرات تفيد ان المانيا قد غيرت موقفها ازاء تفويض ايطاليا بمنطقة الشرق الاوسط يجب ان لا يعني بالضرورة انه لم يكن هناك اطماع ذاتية لالمانيا في المنطقة ، فالصراع الالماني ـ البريطاني على منطقة الخليج العربي هو صراع قديم يعود في بعض فصوله إلى عهد الدولة العثمانية حين اوقف الانجليز مشروع سكة حديد برلين بغداد الذي كان مخططا له ان يصل من برلين حتى الساحل العراقي على الخليج العربي في مدينة البصرة ، واستطرادا فان القيادة الالمانية التي كانت ترى ان صراعها مع الاتحاد السوفييتي هو الصراع الرئيسي فانها لابد ان تكون قد فكرت في تطويق جنوب الاتحاد السوفييتي عبر العراق وايران وافغانستان ، وكان الصراع بين الاممية الثالثة (الماركسية ـ اللينينية) في الاتحاد السوفييتي والاشتراكية القومية او الوطنية في المانيا على اشده في ذلك الوقت ، وكانت المانيا الهتلرية ترفع راية حماية اوروبا من المد الشيوعي الذي نبتت بذرته الاولى في المانيا ذاتها على يد كارل ماركس . اليهودي الالماني .

وبالتالي فإن المصالحة بين المانيا وبريطانيا التي سعى اليها هتلر من خلال مهمة هس الغريبة وقبل ذلك من خلال المباحثات السرية التي اجراها ادميرال كنارس مع ثلاثة من المسئولين

البريطانيين في البرتغال سنة ١٩٤٠ . . هذه المصالحة كانت تؤمن لالمانيا ، بالاضافة إلى تطويق جنوب الاتحاد السوفييتي مشاركة بريطانيا في الاستفادة من الاراضي التي تحتلها ، فقد كانت بريطانيا في ذلك الوقت تحتل قناة السويس ، ومتنفذة في الخليج العربي والمستعمرات الالمانية السابقة في افريقيا ، وهذه الاستفادة كان يمكن ان تتحقق عن طريقين . . تنازل بريطانيا عن نفوذها لصالح المانيا في بعض المناطق وضمن هذا الاطار يمكن ان نفهم الشرط الخاص بالعراق الذي نقله هس لبريطانيا والقاضي ببقاء حكومة الكيلاني يعني عمليا فقدان بريطانيا السيطرة على خطوط مواصلاتها البرية مع الهند ، وبالفعل كانت حكومة الكيلاني قد قطعت هذه الخطوط دون ان تضطر المانيا لان تخوض معركة من اجل تحقيق ذلك .

ليس لسواد العيون

ولا شك انه لم يكن يخطر في بالنا ان المانيا ودول المحور كانت تعمل من اجل سواد عيون العرب فقط ، ولكننا كنا نرجو ونعمل من اجل الخلاص من الاستعمار البريطاني خاصة بعد ان خذلتنا بريطانيا في اعقاب تحالف العرب معها في الحرب العالمية الاولى ضد الدولة العثمانية في حين ان المانيا كانت تخشى الخوض في صدام مباشر مع الانجليز ، لقد كان الالمان يتصورون ان بريطانيا عبارة عن بعبع مخيف . ولذلك كانوا يخشونها ، وحاولوا ان يكسبوها إلى جانبهم بمختلف السبل ، وتظهر هذه الخشية بشكل جلي في توقف القوات الالمانية عند القتال الانجليزي وعدم مهاجمتهم لبريطانيا ، وكذلك في محاولتهم « السلمية » لجعل بريطانيا تعترف بحكومة الدفاع الوطني في العراق بدلا من الاسراع إلى تقديم الاسلحة التي يحتاجها الجيش العراقي من اجل القتال .

غير ان المانيا التي كانت تحاول ان تحقق اهدافها في العراق دون خوض معركة لم تكن تغفل الجانب العسكري . فقد عقد في روما اجتماع يوم ١٠ مايس ١٩٤١ اليوم الذي هبطت فيه مظلة هس في اسكتلندا برئاسة موسوليني وشارك فيه كل من وزير خارجيته الكونت شيانو ووزير خارجية هتلر فون ريبنتروب والجنرال الفرنسي دارلان الذي كان يقود القوات الفرنسية في سوريا التي خضعت لحكومة فيشي الحليفة للالمان ، وبانوا ميشان وزير الداخلية الفرنسي السابق الذي كان موجودا في سوريا هو الآخر . وقد ابدى بانوا ميشان والجنرال دارلان في هذا الاجتماع استعدادهما لان تسلم للعراق الاسلحة المخزونة للجيش الفرنسي في سوريا ولبنان ، كما وافقت ايطاليا في هذا الاجتماع على ان ترسل اسلحة للعراق عبر البحر إلى سوريا ومنها للعراق ، وهو الامر الذي لم يحدث بسبب تسارع الاحداث كما هو معروف .

نعود الآن إلى ابادة الفيلق العربي في الجبهة الروسية ، لقد مثل هذا الحادث المفجع بداية العد التنازلي لوجود الكيلاني والمكتب العربي في برلين ذلك ان معركة ستالينغراد التي حسمت لصالح السوفييت كانت معركة فاصلة في الحرب العالمية الثانية برمتها ، ففي اعقاب هذه المعركة بدأت الجيوش الالمانية تتراجع في الجبهة الروسية الشرقية التي كان يبلغ عمقها خمسة الاف كيلو متر حتى بلغت الحدود الدولية لالمانيا مع الاتحاد السوفييتي التي كانت قائمة قبل فتح هذه الجبهة ، ومنذ ان عادت الجيوش الالمانية إلى حدودها في صيف ١٩٤٤ في الجبهة بدأت الصورة تتغير داخل المانيا ككل ، ومن ضمن الذي تغير توقعات الكيلاني بالنسبة للنتائج النهائية المنتظرة للحرب العالمية الثانية .

والواقع انه بعد فترة من اتضاح الكيفية التي حسمت بها معركة ستالينغراد والنتائج الحقيقية لهذه المعركة بدأ رفاق الكيلاني وعائلته بالتفكير في مغادرة المانيا او على الاقل اخراج عائلاتهم منها ، ولكن السيد رشيد عالي رفض هذا الاقتراح الذي تحمس له شقيقه السيد كامل ، فقد كان واضحا بعد معركة ستالينغراد ان الحرب قد تدور في المرحلة المقبلة داخل المانيا ذاتها معرضة كل شيء للدمار في حين انه لم يعد هناك ما يبرر بقاءنا فيها ، وكان الاقتراح يقضي بالتوجه إلى سويسرا التي كانت محايدة في الحرب ، وكانت السلطات الالمانية قد بدأت تشعر باننا نمثل عبئا امنيا عليها حيث نقلتنا من برلين إلى منطقة (ارتس كيبرجه) الجبلية في اواسط المانيا وهي قريبة من مدينة درسدن في سكسونيا ، وكنا نقيم في قرية اسمها (فالد دياله) تبعد ٢٢ كم عن المدينة وحوالي ٣٠٠ كم عن برلين .

كانت وجهة نظر السيد رشيد عالي انه معيب ومن غير اللائق ان نغادر المانيا في مثل هذه الظروف دون ان تكون هناك مبادرة من السلطات الالمانية ، وكان الحاج امين الحسيني يسكن هو الاخر في منطقة قريبة وكانت وجهة نظره مطابقة لوجهة نظر الكيلاني .

ورغم الحالة الصعبة التي كانت تعيشها المانيا في مرحلة التراجع فانه ظل هناك ضابط اتصال من وزارة الخارجية الالمانية اسمه راكوفسكي كان يتصل بنا اسبوعيا في مقر اقامتنا الجبلي من اجل متابعة طلبات واحتياجات الاسر المقيمة هنا ، وقد حدث ان فاتحه السيد كامل الكيلاني دون معرفة السيد رشيد عالي بشأن الاحتمالات القائمة وامكانية تسفير النساء والاطفال على الاقل إلى خارج المانيا ، وقد وافق على الفكرة وابلغ الموافقة إلى السيد رشيد عالي الذي رفض الفكرة مجددا .

غير ان الطائرات البريطانية والامريكية قصفت مدينة دريسدن قصفا شديدا في بداية العام ١٩٤٥ حيث تعرضت المدينة لغارات جوية متواصلة لمدة ساعتين بلغ مجموع الطائرات خلالها ثلاثة الالف ، وقد اسفرت هذه الغارات عن تدمير المدينة بالكامل حيث سويت بالارض تماما ، وسبب هذا الاصرار على تدمير المدينة ان الانجليز والامريكان كانوا يعتقدون انها تحتوي على مصانع لقنابل ذرية ، علما ان دريسدن وفينا كانتا قد اعلنتا من ضمن المدن المفتوحة التي يحرم قصفها لاحتوائهما على اثار تاريخية يجب المحافظة عليها ، وكان هذا الاعتقاد في غير محله ذلك ان مصانع القنابل الذرية كانت توجد في مدينة (كمنتس) التي تقع في سكسونيا ايضا ، فاحتلتها القوات الامريكية ، واكتشفت هذه المصانع فيما بعد ، وقد استبدل اسم هذه المدينة حيث تعرف الان باسم مدينة كارل ماركس .

الرحيل من المانيا

بعد قصف مدينة دريسدن الذي قتل فيه مواطنان عراقيان هما سالم الالوسي الذي كان قنصلا عاما للعراق في روما وعبد المطلب سيد يحيي من بغداد ، وكان طالبا في المانيا ، جاءنا الدكتور راكو فوسكي وابلغنا انه يجب على السيد رشيد عالي الكيلاني ان يغادر المنطقة إلى جهة لم يحددها لنا ، وقد اتصل بي في ذلك الوقت حكمت سامي سليمان سكرتير السيد رشيد عالي الكيلاني وطلب مني الاستعداد خلال ساعة واحدة كي نغادر مع السيد رشيد عالي دون ان يحدد لي الوجهة التي سنقصدها ، وكنت اسكن في ذلك الوقت في منزل واحد مع السيد كامل الكيلاني ، فتوجهت إلى منزل السيد رشيد عالي القريب حيث فهمت منه انه هو ايضا لا يعرف وجهته .

وعلى كل لم نغادر في ذلك اليوم ، بعد ان تغيرت خطة الالمان في نقلنا ، وفي اليوم التالي عرفت من راكوفسكي ان سبب قرار نقل الكيلاني بمفرده في اليوم السابق وبصفة عاجلة كان مرده ان القوات السوفيتية كانت تتقدم باتجاه دريسدن ، غير ان الهجوم قد توقف واصبح بالامكان ان يتم ترحيل كل الاسرة على مهل ودون حاجة للعجلة ، وقد رحلنا بعد ثلاثة ايام إلى منطقة التيرول التي تقع في النمسا الان ، وكانت تقع في جنوب المانيا ، شرق سويسرا ، شمال ايطاليا ، واستخدمنا في الارتحال سيارة باص كبيرة ، وقد بلغ عدد ركاب السيارة ٤٢ شخصا بعد ان بعث السيد رشيد عالي من يبحث عن العرب المتواجدين في المنطقة كي يرحلوا معنا .

توجهنا إلى التيرول عن طريق تشيكوسلوفاكيا وبافاريا وقد استغرقت الرحلة خمسة ايام

حيث كنا نسير في الليل فقط اونسير في النهار ونوكل لشخصين مهمة مراقبة السماء خشية ان تقصفنا الطائرات الامريكية ، ومع ذلك فقد قصفنا مرتين ، وفي احداهما اصيبت سيارة نقل كانت محملة بامتعتنا من قبل الطائرات التي كانت تقصف اي شيء يتحرك بواسطة الرشاشات ، وقد تعرضنا إلى غارة جوية اخرى حين كنا نتزود بالوقود في مطار عسكري سري في منطقة بافاريا ، وعلمنا من قائد المطار ان هذه اول مرة يتعرض فيها هذا المطار للقصف منذ بداية الحرب ، وشاركت في هذه الغارة مطار دتان وقاذفة امريكية واحدة ، واسفرت الغارة عن تدمير ٧٢ طائرة عددتها بنفسي على مدرج المطار حيث كانت جاثمة على الارض بدون طيارين .

في التيرول

في اليوم السادس وصلنا إلى التيرول حيث اقمنا في فندق كبير اسمه ايكلرهوف Iglerhoff ويقع خارج مدينة انسبروك وهي عاصمة التيرول . وكان اسم المنطقة التي يقع فيها الفندق ايجلز . Igls وبعد يومين جاءنا رئيس دائرة الشئون العربية في وزارة الخارجية الالمانية فون هنتش حيث سلم كتابا مطبوعا ومختوما من قبل وزارة الخارجية إلى السيد رشيد عالي وهو موجه إلى الحكومة السويسرية وترجو فيه الحكومة الالمانية قبول دخول السيد رشيد عالي الكيلاني ومرافقيه إلى سويسرا . وكان الموقف مؤثرا . وفي لحظة الوداع قدم السيد رشيد عالي لفون هنتش ساعته وقلم حبر ومعطفه هدية . وطلب مني ان اوصله إلى محطة القطار في انسبروك . وقبل ان يغادر فون هنتش الفندق سلمه السيد رشيد عالي حقيبة صغيرة كانت تحتوي على كل الوثائق السرية التي نظمت العلاقة بينه وبين المانيا وايطاليا طيلة فترة وجوده في برلين . ومن ضمنها نسخة من محضر اجتماعه مع هتلر الذي اشرنا اليه سابقا . واتفقا على ان يتقابلا بعد انتهاء الحرب لاستعادة الحقيبة منه . وبعد ان غادر فون هنتش بالقطار واوصلته انا الى المحطة ، عدت الى الفندق حيث توجهنا فورا إلى الحدود السويسرية . وكانت المفاجأه ان الحكومة السويسرية رفضت دخول السيد رشيد عالي الى اراضيها كما رفضت دخول مرافقيه . وكان الموقف محرجا جدا لاننا لم نكن نعرف الى اين يجب او يمكن ان نتوجه .

هذا ، ولم نكن نحن الوحيدين الذين رفضت سويسرا استقبالنا . فقد كانت الحدود غاصة بالاجانب من مختلف الجنسيات الذين كانوا يحاولون مغادرة المانيا . ومن بينهم جنود الفيلق الهندي الذي قاتل إلى جانب الالمان ضد بريطانيا بقيادة جاندرا بوز . . وهكذا ، لم يكن امامنا من حل سوى العودة إلى الفندق في ايجلز حيث وجدنا ان الغرف التي كنا ننزل فيها

قد شغلت من قبل نزلاء جدد . ورغم ان المسافة بين الحدود وايجلز تقطع في الاحوال العادية خلال ٣ ساعات فقط فقد استغرقت رحلة العودة يومين وبصعوبة بالغة تمكنت من اقناع موظف في الفندق ان يعطينا غرفة واحدة للنساء والاطفال وذلك بعد ان اعطيته ليرة انجليزية ذهبا كانت تساوي في ذلك الوقت ١٢ الف مارك المانيا أي ما يعادل ١٢٠٠ دينار .

صوب الشرق

في اليوم التالي قرر السيد رشيد عالي ان يتوجه صوب الشرق لأن القوات الامريكية كانت تتقدم من جهة الغرب من بافاريا باتجاه التيرول . وقد غادر الفندق متجها نحو السيارة التي كانت في انتظاره خارج الفندق . وكان بها مرافق الماني برتبة نقيب فشلت كل محاولاته للاتصال بالقيادة الالمانية لابلاغها بعودة السيد رشيد عالي ومرافقيه من الحدود السويسرية . فقد كانت المانيا في حالة انهيار في ذلك الوقت وقوات الحلفاء تتدفق عليه من كل الجهات .

اثناء قطع المسافة الفاصلة بين الفندق والسيارة رافق السيد رشيد عالي في تلك اللحظات زوجته وصاحب هذه المذكرات وابراهيم جواد الذي قال للكيلاني نحن تحت تصرفك وابدى استعداده لمرافقته بعد ان لاحظ انه صعد في السيارة دون ان يطلب من أي احد ان يرافقه حتى سائقه نعيم وهو كرخي من بغداد . . في هذه اللحظات قلت له انا سآتي معك . اجاب لا اريد احدا . . وكان يركب معه فقط في السيارة المرافق الالماني الذي جلس في الامام في حين جلس الكيلاني في المقعد الخلفي . ولم استطع ان لا اتصرف . طلبت من سائق السيارة نعيم الذي لم يكن يستقلها ان يعطيني مسدسه واخذت موقعي خلف مقود السيارة كي اتولى قيادتها . وطلبت من الاخ الصديق الوفي ممدوح الميداني وهو من سوريا العربية مرافقتنا حسب الاتفاق الذي تم بيننا اثناء العودة إلى التيرول . وكان الجميع واقفا في الساحة المقابلة لمدخل الفندق يشاهد هذا الموقف . . زوجته وشقيقه وبناته ونسيبه وبعض الضباط العراقيين . وفجأة اخذ السائق نعيم بالبكاء والصراخ من شدة الانفعال وحين كان في هذه الحالة من الانفعال امسكني من يدي وانزلني من السيارة وصعد هو فيها وطلب مني السيد رشيد عالي في ذات اللحظة ان اظل مع العائلة . وكان قد صعد إلى السيارة معي الطيار ابراهيم جواد وممدوح الميداني كما اشرت وقد اصبح مديرا للامن في سوريا سنة ١٩٤٦ . وقد ظل الاثنان في السيارة وكان الميداني يحمل ثلاثة جوازات سفر . . عراقي وسوري وفرنسي بالاضافة إلى هوية ضابط الماني وهوية طالب في المانيا . وكان بذلك يستطيع التحرك في مختلف الاتجاهات.

انطلقت السيارة دون ان يقول السيد رشيد عالي اكثر من كلمة وداع . . في امان الله .

ولكنه لم يقل إلى اين يعتزم او ما يجب علينا ان نفعله وانقطعت اخباره عنا منذ تلك اللحظة .

فصل جديد

اما نحن فقد بدأ في اليوم التالي فصل جديد من رحلتنا مع التشرد . فقد دخلت القوات الامريكية إلى التيرول واحتلوا عاصمتها انسبروك وجاءوا إلى الفندق الذي كنا ننزل فيه واتخذوه مركز قيادة عسكرية للمنطقة . وقد تأخر احتلالهم للمنطقة ٦ ساعات بفضل مقاومة ٢٠ شابا فقط من مقاتلي الشبيبة الهتلرية الذين تتراوح اعمارهم بين ١٤ و ١٥ سنة وقامت القوات الامريكية بمصادرة الاسلحة وكاميرات التصوير التي كانت في حوزة نزلاء الفندق من قبيل السلب . كما القت القبض على كل الضباط الالمان وبعض موظفي وزارة الخارجية الايطالية بعد سقوطها بيد قوات الحلفاء ، وجرى تحقيق مع المقيمين بالفندق للتعرف على هوياتهم

وغادرنا نحن الفندق في قرية ايجلز الى قرية اخرى اسمها باتش كانت تبعد ٤ كم عن ايجلز . وفي باتش هذه حصلنا على منزل كبير اقام فيه الجميع لمدة سنة كاملة تحت الاحتلال الامريكي اولا ثم الفرنسي ، وتحت الاقامة الجبرية في كل الاحوال لان القوانين التي سنتها قوات الاحتلال كانت تفرض على جميع المواطنين عدم الانتقال من قرية إلى اخرى او من مدينة إلى اخرى الا بموافقة مسبقة من السلطات العسكرية التابعة لبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي مجتمعه حيث كان يوجد ممثل لكل دولة من هذه الدول في كل مقر قيادة حتى لو لم تكن هناك قوات لهذه الدولة في المنطقة المعنية .

ومن حسن الحظ ان القوات الامريكية التي سيطرت على التيرول لم تتعرف على حقيقتنا إذ كانت قطعات احتلال مشاه مسلحة بل انني طلبت مساعدة القائد الامريكي في ايجلز حين اتخذ من النفدق مقرا لقيادته اذ سهل لنا امر البحث عن سكن وامر جنوده بمساعدتنا في نقل اغراضنا ، وكان من بينهم جنود عرب من اصل سوري ولبناني يقضون الخدمة الالزامية في الجيش الامريكي بعد ان هاجروا للولايات المتحدة واكتسبوا جنسيتها . وظللت اتردد على القائد الامريكي ما بين فترة واخرى . وكان لطيفا معنا مقدرا لظروفنا باعتبارنا اجانب احتجزتنا الحرب وحالت دون عودتنا الى بلادنا . وقد عين الدكتور عبد المسيح جيد ، وهو مصري ، طبيبا للقرية دون ان يدري انه كان مدير الشئون الطبية في الجيش العراقي وانه هرب لالمانيا مع الكيلاني .

كنا نقايض الجاكيت بالبيض والكاميرا بالسكر والحذاء بالطماطم !

نعيش على المقايضة

كانت حياتنا خلال هذه الفترة اصعب من ان تصور أو توصف . فقد نفدت نقودنا القليلة بسرعة ولم يكن هناك أي مصدر للدخل لدينا . فاصبحنا نعيش على المقايضة . . كنا نقايض الجاكيت بالبيض والكاميرا بالسكر والحذاء بالطماطم . . وهكذا . . حياة بدائية لم يكن يشوبها الا وجود بطاقات تقنين الحصص الاستهلاكية التي بدونها لم يكن مسموحا باتمام عملية المقايضة . . ويجدر ان اسجل هنا ان القوات الامريكية المحتلة فرضت على الالمان قبول مارك امريكى صكته الحكومة الامريكية كي تدفع رواتب جنودها به وذلك بسعر صرف مماثل للمارك الالماني . وذات الشيء فعلته الدول المحتلة الاخرى .

بعد اربعة اشهر حلت قوات فرنسية محل القوات الامريكية فاكتشفوا هويتنا فورا . وجاءنا في مقر اقامتنا اثنان من الضباط اجريا معنا تحقيقا سريعا شمل السيد كامل الكيلاني شقيق السيد رشيد عالي الكيلاني ومحمد سلمان . . شقيق الشهيد محمود سلمان وجزمي سليمان نسيب الكيلاني وحكمت سامي سليمان ثم اخذوهم إلى مقر قيادتهم في انسبروك وحققوا معهم لمدة ثلاثة ايام قبل ان يعيدوهم . وحصلوا منهم في هذا التحقيق على قائمة باسمائنا وعددنا وكل المعلومات الضرورية دون اشعارنا بأي ارهاب وكان الضابطان لطيفين . وفي نهاية التحقيق طلب ان يتوجه واحد منا يوميا إلى مقر قيادتهم كي يوقع بالحضور .

وقد استغربنا هذا اللطف غير اننا عرفنا فيما بعد ان القوات البريطانية كانت في ذلك الوقت قد طردت القوات الفرنسية من سوريا . وهي الفرصة التي لم يفوتها المفتي الحاج امين الحسيني الذي سارع للجوء إلى باريس . وقد اخبرنا الضباط الفرنسيون بلجوئه وأبدوا استعدادهم لتقديم اية مساعدة نحتاجها . وجعلنا هذا نشعر بالارتياح الذي حل محل القلق رغم ان قانون الاقامة الجبرية استمر مفروضا لمدة سنة كاملة منذ دخول القوات الامريكية لأول مرة .

في شباط ١٩٤٦ سمعنا من اذاعة النمسا ان « المجرم رشيد عالي الكيلاني » . . كذا . . الذي قاد العراق في الحرب ضد بريطانيا سنة ١٩٤١ وصل إلى المملكة العربية السعودية . وسررنا جدا لهذا الخبر . وكان اول خبر نسمعه عن السيد رشيد عالي منذ غادرنا قبل عام كامل . وفي ضوء ذلك قررنا ان نغادر التيرول . وقدمنا طلبا للقوات الفرنسية من اجل العودة للعراق . والذي شجعنا على ذلك ان الصحف بدأت تنشر بيانات صادرة عن قوات الحلفاء مفادها ان الاجانب من غير الالمان باستطاعتهم ان يرحلوا الى مواطنهم عن طريق مقرات قيادة قوات الحلفاء . وقد ابدى الفرنسيون استعدادهم لتسهيل مهمتنا . بل انهم رحبوا بنا ان نسافر عن طريق فرنسا شريطة ان نوقع على تعهد بعدم البقاء في مصر او لبنان اذا مررنا بهما في طريقنا للعراق . ولكنهم اخبرونا في ذات الوقت ان هذا التعهد شكلي وانهم كفرنسيين لا يمانعون في ان نقيم في اي بلد نشاء . . وعندما عرض الامر على القيادة المشتركة للحلفاء وافق مندوبو فرنسا وروسيا وامريكا على طلبنا ورفضه المندوب البريطاني فقط .

واشترط المندوب البريطاني لموافقته على رحيلنا ان نمر في منطقة الاحتلال البريطانية بالنمسا . . وهذا ما حدث فعلا ، ولكن الانجليز القوا القبض علينا . . وكان قرار الرحيل عبر القطاع البريطاني نتيجة اصرار بعض افراد العائلة في حين ان الفرنسيين ابدوا استعدادهم لترحيلنا إلى فرنسا باعتبارنا بلا وطن على ان نغادر فرنسا للعراق باعتبارنا عراقيين . غير ان هذا الخيار رفضه اغلب افراد العائلة .

ركبنا القطار من انسبروك في اتجاه كرنثيا وهي المقاطعة النمساوية التي كانت تخضع للاحتلال البريطاني . وفي محطة القطار في مدينة فيلاخ التي تبعد ٦ كيلو مترات فقط عن الحدود الايطالية صعد ضباط بريطانيون إلى عربة القطار التي كنا نستقلها وكان معهم قائمة باسماء الرجال فقط حيث طلبوا منا ان نرافقهم لبضع دقائق لان هناك تغييرا طفيفا على برنامج الرحلة يريدون مناقشته معنا قبل ان نستأنف سفرنا .

معتقل فيدراون

رافقنا الضباط إلى مكتب ادارة المحطة حيث كانت في إنتظارنا سيارة نقل مساجين ذات قفص حديدي وضعونا في داخله ونقلونا إلى معتقل فيدراون الذي بقينا فيه سبعة اشهر . . !

اما القطار فقد غادر المحطة بالنساء والاطفال في اتجاه ايطاليا حيث كان في نيتنا ان نستقل باخرة من البندقية إلى الاسكندرية . . وفي ايطاليا جرى اعتقال النساء والاطفال من قبل الانجليز وكان بينهم طفل عمره اسبوع واحد فقط هو ابن نجدت الشواف .

بالنسبة لنا وجدنا في المعتقل الذي وضعنا فيه ٤٥٠ معتقلا من مختلف الجنسيات . . وكان من ضمن الذين وجدناهم في المعتقل الاخ الصديق الوفي الشريف محمد ابن الشريف شرف الذي اختارته حكومة الدفاع الوطني وصيا على عرش العراق بعد هرب عبد الاله . . وكان محمد شرف قد اقام في المانيا على اثر احتلال الانجليز العراق . . وفي المعتقل وجدنا ايضا عائلة رئيس وزراء يوغوسلافيا الذي تعاون مع هتلر . . زوجته . . ابناءه . . وحتى السائق والطباخ والخدم . . وكذلك سفيره في برلين . . اما رئيس الوزراء فكان قد تمكن من الهرب من المعتقل قبل اسبوع من وصولنا اليه وهو مسلم . وكذلك فعلها السفير بعد شهرين !

في هذا المعتقل كانت تستخدم سياسة التجويع مع « النزلاء » . . كانت توجد قائمة بالسعرات الحرارية التي يحتاجها الانسان فان لم يحصل عليها تبدأ صحته بالانحراف بعد ثلاثة اشهر . . وكانوا يعدون المعتقلين ثلاث مرات في اليوم خشية ان يكون اي منهم قد تمكن من الهرب . . وكان يسقط يوميا بين اربعة وخمسة من المعتقلين من جراء الاعياء الذي يسببه الجوع ويجري نقلهم إلى المستشفيات . . وقد قتل المانيان من جراء اطلاق الرصاص عليهما لدى محاولتهما الهرب . . اما من مجموعتنا فقد نقل للمستشفى ثلاثة من جراء الاعياء .

في ظل هذه الاجواء اخضعنا للتحقيق ٢٢ مرة فقط . . ! وكانت اسئلة التحقيق تتركز حول السيد رشيد عالي الكيلاني . . وكان يتولى التحقيق معنا خمسة ضباط منهم اثنان من يهود فلسطين . . وكان اعلى الضباط رتبة يحمل رتبة كابتن . . وشارك في المراحل النهائية من التحقيق ضابط اشوري من العراق برتبة كابتن كان يعمل من قبل (جرسونا) ناذل في احد ملاهي بغداد وقد قدم لنا بعض المساعدات بعد ان فشل هو واسياده لاستنطاقنا !؟ .

رسائل احتجاج

ومن داخل هذا المعتقل تمكنا من ارسال رسالة احتجاج على سوء المعاملة إلى القائد العام للجيوش البريطانية . والاهم من هذا اننا تمكنا بوساطة جنود الحراسة من الايرلنديين ان نبعث رسائل إلى اهلنا نخبرهم عن مكان وجودنا . . ورسائل اخرى إلى الملوك والرؤساء

العرب كافة نحثهم على التدخل لاطلاق سراحنا . وكان من بين الذين ارسلنا اليهم الملك فاروق في مصر ، والملك عبد الله في الاردن ، والملك عبد العزيز بن سعود في السعودية ورؤساء الجمهوريات والحكومات في سوريا ولبنان . كما بعثت برقية إلى والدي زودته فيها بعنواننا وقلت له « رجاء ان تبعثوا لنا خبزا » . . ! وقد روي لي فيما بعد انه اخذ البرقية وذهب بها إلى السيد ارشد العمري الذي كان قد اصبح رئيسا للوزراء وقال له . . يابيك انا لا اعرف قراءة الانجليزية فارجو ان تقرأ لي هذه البرقية التي وصلتني . . ؟ وبعد ان قرأها وفهم المعنى بعدم القدرة على قراءة الانجليزية قال ضاحكا . . لا تعرف قراءة الانجليزية . . ؟ على كل حال ها نحن قد عرفنا اين يوجدون وان شاء الله سوف نحضرهم جميعا للعراق .

وبالفعل فبمجرد انتهاء التحقيقات جاء لزيارتنا في المعتقل القائد العام للقوات البريطانية . غير انه وصل إلى باب المعتقل ورجع بفعل الضجة التي احدثها المعتقلون وفق التبرير الذي ابلغ لنا . غير اننا نعتقد ان زيارته كانت لهدف اعلامي فقط في ضوء الاتصالات التي اجرتها الحكومات العربية مع الحكومة البريطانية بشأننا . وقد اعلن في وسائل الاعلام انه قد زار المعتقل فعلا . . وبذلك فقد جرى التشكيك في صحة المعلومات التي بعثنا بها في رسائلنا بشأن عملية التجويع وتساقط المعتقلين وقتل بعضهم . . الخ . . وهذاهو شأن الانجليز في الخداع .



● رودولف هيس .



● ممدوح الميداني الذي رافق الكيلاني في هروبه من المانيا إلى السعودية .

منير العجلاني

يـــــــروي :

حكايات ملك !!

مجلة الاسبوع العربي ١٩٧٥/٣/٣١

■ خذوني مكانه ! ■

قابل الممثل البريطاني في جده المغفور له الملك عبد العزيز ، بعد وصول المرحوم الزعيم العراقي رشيد عالي الكيلاني إلى المملكة ، وابلغه ان بريطانيا العظمى تعتبر الكيلاني « مجرم حرب » وتطلب تسليمه فورا إلى حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

وسمع الامير فيصل - وكان وزيرا للخارجية - كلام الممثل البريطاني ، الذي كان يحمل طابع التهديد والوعيد ، فلم يملك الصبر حتى ياتي الجواب من ابيه - وكان ذلك من عادته وادبه امام والده دائما - فخاطب الممثل السياسي البريطاني بكلمات قوية ، ابية ، جاءت على مسمعه كأنها ضربات سيف :

« اعلموا ان رشيد عالي الكيلاني هو عندنا لاجىء سياسي ، وقد قبلنا التجاءه وارتبط بذلك شرفنا ، فلن نسلمه قط ، ومن اراد ان ينتزعه من بيننا فسوف يجدنا امامه .

« اما اذا كنتم تريدون رجلا تجعلونه الضحية او الفداء ، فخذوا اي واحد منا ، وانا في المقدمة ونفذوا فيه اقصى عقوباتكم ، لانه لم ينفذ امركم بتسليم المستجـير بحماه » .

. . . وابلغ الممثل البريطاني حكومته ماسمعه وما شاهده ، فتراجعت الحكومة البريطانية ورفعت عن الكيلاني تهمة « المجرم السياسي » وسكتت عن بقائه في المملكة بصفته لاجئا سياسيا .

لجوء الكيلاني الى الرياض

■ الكيلاني ينتحل صفة « العتال » ويغادر فرنسا الى بيروت

وفق ما رواه لي الكيلاني وومدوح الميداني وجميل الجابي الذي رافق الكيلاني من براغ ، توجهت السيارة التي اقلت الكيلاني من التيرول الى اقرب مطار عسكري حيث طلب من آمر احد المطارات العسكرية نقله بواسطة طائرة عسكرية الى سويسرا او الى اسبانيا غير ان آمر المطار اعتذر لسببين . . خطورة الرحلة اولا حيث كان يتوجب على الطائرة ان تحلق فوق اراضي محتلة من قبل قوات الحلفاء مما يعرضها للقصف . والثاني انه لم تكن توجد طائرة ذات مدى بعيد يمكن ان تصل الى اسبانيادون التزود بالوقود في الطريق . وهنا تم الاتجاه الى مطار اخر حيث جرت محاولة اخرى مع آمر المطار دون جدوى . وعندها قرر السيد رشيد عالي ان يتجه الى المناطق التي من المتوقع ان تحتلها القوات السوفييتية كي يلجأ الى الاتحاد السوفييتي وذلك خشية ان يقع في يد قوات الحلفاء الاخرى فتقوم بتسليمه للعراق حيث كان قد صدر حكم غيابي عليه بالاعدام . وكان الكيلاني كما اشرنا سابقا قد اتصل مرتين بالاتحاد السوفييتي يوم كان رئيسا لوزراء العراق في سنتي ١٩٤٠ و١٩٤١ بهدف اقامة علاقات دبلوماسية معه . وبالفعل تم التوجه صوب براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا . وقبل وصول القوات السوفيتية الى تشيكوسلوفاكيا كان السيد رشيد عالي الكيلاني قد وصل الى براغ .

وفي براغ تمكن بوساطة مرافقه الضابط الالماني من الاستدلال على مواطن عراقي اسمه

حمدي الخياط الذي استضاف الكيلاني في داره لمدة ٢٨ يوما متخفياً[١] .

الخلاص من الحلفاء

وبعد دخول القوات السوفيتية الى المدينة القى القبض على كل الضباط الالمان ومن بينهم مرافق الكيلاني الذي ادلى باعترافات تفصيلية عن مهمته . وهكذا عرف السوفييت ان السيد رشيد عالي موجود في براغ . . . وفي هذه الاثناء كان حمدي الخياط قد عرف من اصدقاء عراقيين له في براغ ان سائق رشيد عالي نعيم وهو عراقي ، وابراهيم جواد قد اعتقلا . كما ان المرافق الالماني قد اعتقل ايضا . ولذلك توقع ان تلقي القوات السوفيتية القبض على الكيلاني فنصحه بمغادرة براغ . وبالفعل فبعد يومين من مغادرة الكيلاني جاءت قوات سوفيتية الى منزل الخياط وكان معهم المرافق الالماني . طرقوا باب المنزل ففتح لهم الخياط ، سألوه عن الكيلاني فانكر معرفته بوجوده كما انكر انه التقى المرافق الالماني من قبل . فتم اعتقال حمدي الخياط حيث اخضع للتحقيق لمدة شهرين اصر خلالها على الانكار . وقد روى لي الاخ حمدي حين التقيته في كولون بعد الحرب تفاصيل ما حدث معه بعد مغادرة الكيلاني .

وكان الكيلاني وممدوح الميداني وجميل الجابي وهو سوري التقاه رشيد عالي في براغ قد توجهوا الى قرية صغيرة خارج براغ حيث اقاموا لمدة شهر لدى امرأة عجوز تشيكية . وكان الكيلاني قد حصل على هوية تفيد انه طالب تركي يدرس في تشيكوسلوفاكيا وقد اقتضى منه ذلك ان يحلق شاربه ويغير ملابسه ويستغنى عن نظارته الطبية .

وبعد شهرين من التنكر اعلنت قيادة قوات الحلفاء في براغ بيانا ابلغت فيه الغرباء ان بامكانهم ان يغادروا الى بلدانهم . وهنا تقدم جميل الجابي وممدوح الميداني بطلبي مغادرة باعتبارهما سوريين ، كما قدما طلبا باسم مستعار للسيد رشيد عالي بطلب مغادرة باعتباره تركيا . ووافق على الطلبات الثلاثة فاستقلوا طائرة الى بروكسل ومنها استقلوا القطار الى باريس التي كان الحاج امين الحسيني قد غادرها الى القاهرة . وهناك اتصل جميل الجابي الذي

---

(١) بعث الينا الاخ الوفي الدكتور حمدي الخياط تفاصيل لجوء الكيلاني الى براغ والذي قام بحمايته واخفاءه في شقته قرابة شهر معرضا نفسه وحياته الى اقصى العقوبات والذي سننشره في كتابنا اللاحق « يوميات مواطن » قريبا جدا باذن الله .

كان محاميا معروفا بالسفارة السورية حيث استطاع من خلال احد اصدقائه ان يفاتح السفير السوري عدنان الاتاسي في امر الحصول على هوية او جواز سفر باسم مستعار للسيد رشيد عالي الكيلاني كي يتمكن من مغادرة فرنسا . غيران السفيرخاف واعتذر فطلب منه الجابي ان يقسم على حفظ السر ففعل وقد التزم بقسمه .

عتال في مرسيليا

في فرنسا توجه الثلاثة الى مخيّم اللاجئين الاجانب الذي كان قد اقيم في مرسيليا حيث وفر لهم بذلك مكان للنوم بالاضافة الى المأكل والمشرب بانتظار اول باخرة كانت ستغادر ميناء مرسيليا الى الشرق العربي بعد انتهاء الحرب . ولكن كيف يمكن للكيلاني ان يصعد الى الباخرة المتجهة الى بيروت وهو يحمل هوية تفيد انه تركي في ظل الظروف التي كانت سائدة في ذلك الوقت بعد انتهاء الحرب . لقد كانت هذه الهوية ستثير الشكوك فيما لو ابرزت ، ولهذا فقد كان لابد من التفكير في طريقة لصعوده الى ظهر الباخرة وقد تولى ممدوح الميداني هذه المهمة اذ اتفق مع عامل عتالة مقابل بعض المال ليصعد الكيلاني الى الباخرة باعتباره عتالا . . . وهذا ما حدث .

وكما تولى ممدوح الميداني تصعيد الكيلاني الى الباخرة في مرسيليا بدون هوية ، تولى كذلك انزاله في ميناء بيروت بدون هوية ايضا . فقد لاحظ بعد الوصول الى الميناء ان الاجراءات المستخدمة تقتضي تعبئة بطاقة خاصة لكل مسافر بالمعلومات الواردة في جواز سفره ، قبل ان ينزل من الباخرة حيث ينزل بعد ذلك من الباخرة بموجبها . وقد استطاع ممدوح الميداني ان يسرق بطاقتين وان يزور واحدة منها باسم احد الركاب ليغادر الباخرة قبل الشخص الذي انتحل شخصيته . ويقول الكيلاني انه فور ان لامست قدماه الارض وكان ذلك ليلا اخذ يجري حيث توجه الى اقرب سيارة اجرة واستقلها الى دمشق حيث كان المحامي جميل الجابي قد زوده بعنوان اخيه عمر الجابي هناك وهو طبيب اسنان . وكان ميناء بيروت في ذلك الوقت تحت سيطرة القوات البريطانية التي كانت تحتل لبنان وسوريا ايضا . وحين غادر الكيلاني الباخرة كان الجنود الانكليز يتولون حراسة الميناء . .

من بيروت الى دمشق

وصل الكيلاني الى دمشق صباحا فتوجه الى عيادة الدكتور الجابي بعد ان تناول طعام

الفطور في مطعم . في العيادة جلس ينتظر دوره للدخول الى الطبيب باعتباره مريضا جاء للمراجعة الطبية وحين جاء دوره ودخل الى غرفة الطبيب وطلب منه ان يراه على انفراد . فاستغرب الرجل هذا الطلب وتردد ، فقال له انا رشيد عالي الكيلاني فلم يفهم الدكتور ما سمع وقال للكيلاني ما به رشيد عالي . . ؟ ! اجابه انا هو . وشرح له الموقف فاصطحبه معه الى منزله حيث افرغت له غرفة فيه . وبعد ثلاثة ايام وصل الى دمشق ممدوح الميداني وجميل الجابي حيث تبين انهما قد احتجزا في بيروت وكل ركاب الباخرة الاخرين طيلة هذه المدة بمجرد ان اكتشف ان هناك بطاقتين باسم واحد . . . كما تبين فيما بعد ان برقية قد وصلت الى السلطات البريطانية في ميناء بيروت ابلغت عن وجود شخص مطلوب على ظهر الباخرة ولهذا جرى تفتيش الباخرة بدقة دون طائل . وقد جرى احتجاز كل من امكن اعادته من الركاب الى ظهر الباخرة لمدة ثلاثة ايام . وروى لي جميل الجابي ان مخبرا في الامن اللبناني ابلغه ان البحث جار عن رشيد عالي ، فأبدى الجابي استغرابه وقال له ما الذي يأتي برشيد عالي الى حيث الانكليز في لبنان . . ؟! ان رشيد عالي في المانيا . .

والواقع ان السيد رشيد عالي لم يكن يقصد البقاء في دمشق التي كانت تحت الاحتلال البريطاني ايضاً وانما كان يعتزم التوجه الى السعودية باعتبارها البلد العربي الوحيد الذي يمكن ان يوفر له الحماية من الانكليز . وهكذا فبعد وصول جميل الجابي الى دمشق تمكن بوساطة مسئول امني صديق له ان يستخرج للسيد رشيد عالي هوية سورية باسم مستعار باعتباره من منطقة البوكمال السورية التي يتكلم اهلها باللهجة العراقية ، وكان المسئول اياه يصحب معه السيد رشيد عالي في سيارته في جولات ليلية في مختلف انحاء دمشق . وصادف ان كان وصول الكيلاني الى دمشق في شهر رمضان وبعد حصوله على الهوية السورية بدأ في الاستعداد للسفر الى السعودية فاطلق لحيته واخذ يرتدي اللباس العربي . وحين ازفت ساعة السفر الى السعودية زوده جميل الجابي وممدوح الميداني برسالة اعدها له احد المخلصين افادت بانه فقد بعض الغنم داخل اراضي الجزيرة السورية باعتباره تاجر اغنام واستأجروا سيارة اقلتهم ثلاثتهم الى منطقة الجزيرة حيث ضلوا الطريق واقتربوا ، وربما دخلوا الحدود العراقية عن طريق الخطأ . وقد اكتشفوا ذلك حين صادفتهم سيارة عسكرية عراقية وقام الجنود العراقيون بعد ان دققوا في هوياتهم باستضافتهم على الطعام ودلوهم على الطريق الصحيح دون ان يدروا ان الذي استضافوا هو اهم مطلوب للحكومة العراقية . . !

وعبر الاراضي الاردنية وصلت السيارة الى الحدود السعودية وقد دخلوها كما دخلوا الاراضي الاردنية باعتبارهم تجار اغنام يبحثون عن اغنامهم الضائعة . وبعد دخولهم اول مدينة سعودية زاروا اميرها وابلغوه انهم يمثلون وفدا قادما في مهمة خاصة يريد مقابلة الملك عبد العزيز وقد عرفه جميل الجابي وممدوح الميداني بنفسيهما اما السيد رشيد عالي فقد عرف نفسه وفق الاسم الذي اعطي له في الهوية السورية وهو قاسم محمد سعيد . فقام امير المدينة بابلاغ الرياض التي طلبت السماح للوفد بمتابعة رحلته . وتابعوا رحلتهم واصبح امير كل مدينة سعودية يبلغ امير المدينة التي بعدها ان في الطريق اليه وفدا متوجها لزيارة الملك فكان الامراء يستضيفون الوفد ويكرمونه ويسهلون مهمته حتى وصل الى الرياض بعد ١٢ يوما .

وجها لوجه مع الملك

وفي الرياض ابلغ الملك عبد العزيز انه يوجد وفد سوري قادم في مهمة خاصة جدا وسرية جدا يريد مقابلته ، فوافق رغم انه كان يستعد للسفر خارج الرياض . ولدى دخوله « الوفد » - يروي السيد رشيد عالي - انه بعد ان صافحوا الملك طلب منهم الجلوس فقال له الكيلاني فور ان جلس . . طال عمرك انا رشيد عالي الكيلاني . . . ! وانت تعرف من هو رشيد عالي . . . وكان يعني بذلك ان وجوده في السعودية قد يسبب لها المتاعب . فنظر اليه الملك عبد العزيز في محاولة لتشخيصه وسأله انت رشيد عالي الكيلاني . . ؟ وكانه لا يصدق . . . اجابه نعم وعندها صمت واغمض عينيه قرابة الخمس دقائق حتى ظنه رشيد عالي انه يتمكن من قراءة ملامح وجهه وهو في تلك الحالة ليعرف ان كان سيقبل حمايته ام لا .

ويقول الكيلاني انه تصور ان الملك عبد العزيز لم يكن يفكر خلال تلك الدقائق في عواقب اجارته فقط بل كان يستعرض ايضا في ذهنه تاريخ العلاقات معه . فيوم ان كان رشيد عالي رئيسا لحكومة الدفاع الوطني بعث الملك عبد العزيز يطلب منه التريث وعدم التعجل حتى لا يصطدم مع الانكليز وهو الاصطدام الذي حدث . كذلك فان رشيد عالي يوم كان رئيسا للحكومة رفض طلبا للملك عبد العزيز سنة ١٩٣٣ بان يسلمه زعماء آل الرشيد وبعض الرعايا السعوديين الذين هربوا من السعودية للعراق . وبالتالي فلم يكن منتظرا ان تكون مشاعر الملك عبد العزيز ودية حيال رشيد عالي .

وفجأة فتح الملك عينيه وقال « سلمت يا رشيد » ولحظتها استرد الكيلاني انفاسه التي

ظلت محبوسة طيلة الدقائق التي صمت خلالها عبد العزيز وسأله الملك كيف وصلت من المانيا الى الرياض . . ؟

اجابه السيد رشيد عالي الله سبحانه وتعالى هو الذي هداني ان آتي اليك ، وهو الذي رعاني طوال رحلتي الى الرياض ، واستدعى عبد العزيز ولي عهده « الامير » سعود وابنه الاخر « الامير » فيصل وقدم لهما رشيد عالي حيث رحبا به ، وطلب منهما ان يخصصا دارا لاقامة الكيلاني وصحبه وان لا يذيعوا خبر وصوله ابدا حتى يتم تدبر بعض الامور ، وترك الملك السيد رشيد عالي في رعاية ولي عهده وغادر الرياض الى مكة حيث كان مرتبطا بمواعيد هناك . وقام « الاميران » سعود وفيصل بواجب الضيافة خير قيام .

يومان فقط استغرقت زيارة الملك عبد العزيز لمكة عاد بعدهما الى الرياض وهو في عجلة لان يستمع الى قصة هروب رشيد عالي من العراق الى المانيا اولا ، ثم من المانيا الى الرياض اذ لم يكن هناك متسع من الوقت لذلك قبيل مغادرته الرياض ساعة وصول الكيلاني .

بعد صلاة العشاء ارسل الملك في طلب الكيلاني الذي انزل في دار احد الامراء حيث خصصت له ووضعت عليها حراسة لحمايته ووفرت له كل وسائل الراحة . واستمر الكيلاني يروي قصة هربه المتواصل على مدى اربع ليال ووفق رواية الكيلاني لنا فانه شرح للملك كافة الملابسات التي ادت الى نشوب الحرب العراقية ـ البريطانية سنة ١٩٤١ ، وكيف انه لم يستطع ان يوفق في تحاشي نشوب هذه الحرب بسبب اصرار الانكليز على القيام بهذه الحرب والاستمرار بها حتى يتم احتلال ايران وذلك ضمن استراتيجيتهم العامة التي خاضوا على اساسها الحرب العالمية الثانية وليس لاسباب ذاتية تتعلق بالعراق فقط وقد اقتنع الملك بوجهة نظر الكيلاني .

ولم تكن هذه وجهة نظر الملك اثناء تتابع الاحداث التي انتهت الى نشوب الحرب بين العراق وبريطانيا وقد اوضحنا ذلك في فصل سابق ، وفي حينه ارسل الكيلاني وفدا الى جدة برئاسة ناجي السويدي وزير العدل في حكومة الدفاع الوطني في محاولة لتوسيط الملك عبد العزيز لوقف الحرب . وقد شرح السويدي الموقف كاملا للملك الذي استدعى السفير البريطاني في جدة ابلغه ان الكيلاني يبدي استعداده للالتزام بمعاهدة ١٩٣٠ وعدم التصادم وايقاف القتال والعودة للاجتماع والتفاوض على امور جديدة يتفق عليها الطرفان . غير ان

الحكومة البريطانية لجأت الى المماطلة بعد ان ابلغها سفيرها بموقف العراق كما سمعه من الملك عبد العزيز . فقد ردت لندن على برقية سفيرها انها ستدرس العرض . وظلت تماطل الى ان عاد الوفد العراقي الى بغداد بعد ان ظل في جدة عشر ايام .

وقبل ان يعود الوفد العراقي الى بغداد شرح ناجي السويدي كل الملابسات للمك عبد العزيز الذي اقتنع في حينه ان موقف العراق سليم وان حكومة الدفاع الوطني لا تريد الحرب غير انه كان يرى انه من اجل تلافي نشوب الحرب غير المتكافئة ، كان يجب على العراق ان يوافق على الشروط البريطانية التي سبق ان طرحها السفير البريطاني كورنواليس على السيد رشيد عالي ورفضها في حينه . وهي شروط تتعلق بتواجد القوات العسكرية البريطانية في العراق وعدم اعادة العلاقات الدبلوماسية مع المانيا كما اشرنا سابقا .

وشرح الكيلاني للملك عبد العزيز في جلسات المصارحة كيف ان الشروط البريطانية كانت تعني في حينه ان بريطانيا تريد ان تحتل العراق بلا حرب حيث كانت قد انزلت فرقتين من قواتها في العراق وشرعت في انزال الفرقة الثالثة . وكانت تريد من العراق ان يغض النظر عن نص معاهدة ١٩٣٠ التي تقضي بعدم جواز انزال قوات بريطانية جديدة قبل مغادرة القوات التي سبق انزالها وكيف ان بريطانيا كانت تريد السيطرة على كل العراق من خلال السيطرة على طرق المواصلات والمرافق العامة فيها وخاصة المرافق ذات العلاقة بالجوانب العسكرية وهذا ما لا يمكن لاي حكومة عراقية ان توافق عليه وان تظل تحترم نفسها في ذات الوقت فضلا عن احترام الشعب وتأييده .

كذلك فقد شرح السيد رشيد عالي للملك العوامل التي جعلته يرفض طلبه ، حين كان رئيسا للوزارة لاول مرة في سنة ١٩٣٣ ، بتسليم آل رشيد الذين لجأوا الى داخل الحدود العراقية بعد ان قاتلهم الملك . وكان آل رشيد يسيطرون من قبل على منطقة الحسا ويتخذون من حائل مركزا لسلطتهم . وقد تعاونوا مع الملك عبد العزيز في البداية ودانوا له بالطاعة ، ثم عادواواختلفوا معه فقاتلهم وهزمهم مما جعلهم يلجأون للعراق . وبرر رشيد عالي للملك موقفه بانه لم يكن بامكانه ان يسلم من استجار به وهذه هي عادات العرب منذ ما قبل الاسلام .

حين كان السيد رشيد عالي يشرح للملك عبد العزيز وجهة نظره من هذين الموقفين .. الحرب مع بريطانيا ورفضه تسليم آل رشيد ، ويفصل له كيف هرب من العراق الى

المانيا . . وما جرى معه هناك . . وكيف هرب بعد ذلك من المانيا فيما كانت تتدفق عليها قوات الحلفاء ، كان الملك يفكر في الطريقة التي يمكن ان يعلن بها عن وصول رشيد عالي الى الرياض دون ان يؤدي ذلك الى صدام بينه وبين بريطانيا .

الاعلان عن وصول الكيلاني

وبعد عشرة ايام من التفكير اهتدى الملك الى ما يجب عليه ان يفعله وما يمليه عليه واجبه كعربي مسلم حيال واحد من زعماء العرب المجاهدين .

ذهب الملك الى مضارب له في الصحراءخارج مدينة جدة وارسل في طلب السفير البريطاني الى هناك . وهذه اول مرة يطلب الملك سفيرا للقاء رسمي في الصحراء !

ادخل السفير على الملك بوجود ولي عهده الامير سعود ووزير خارجيته في ذلك الوقت « الامير » فيصل ووفق ما رواه الملك والامير سعود للسيد رشيد عالي فبمجرد ان جلس السفير قال له الملك لقد استدعيتك من اجل ان ابلغك ان رشيد عالي الكيلاني موجود الان في السعودية وانه في حمايتي . نحن نعرف انه محكوم بالاعدام في العراق واود ابلاغك اننا لن نسلمه لاي سلطة سواء كانت بريطانيا أو عراقية . وطلب منه ابلاغ الحكومة البريطانية بذلك وابلاغه بردها فور وصوله . واضاف الملك انه كعربي مسلم لا يمكن ان يسلم من يستجير به مهما حدث وانه يدرك ان لا قبل للسعودية بمقاومة بريطانيا اذا فكرت في اللجوء الى السلاح من اجل القبض على رشيد عالي . ولكنه مع ذلك مستعد لان يأخذ رشيد عالي معه ويذهب به الى قلب الصحراء من اجل حمايته .

ولكن اين ذكاء السفير من ذكاء الملك عبد العزيز ففجأة سمع السفير نساء الملك يخاطبنه من الجانب الاخر للمضرب حيث كانوا يجلسون ويقلن له . . يا عبد العزيز ، اياك ان تسلم رشيد عالي . . اذا كانوا يريدون دما فاعطهم دم سعود وفيصل اي ولي العهد واخيه . وكانت هذه اشارة الملك الى ان الموقف يخلو من اية ابعاد سياسية . فكل ما هناك ان الشرف العربي يأبى تسليم المستجير .

ازاء هذا الموقف الصلب من جانب الملك عبد العزيز لم يكن بوسع الحكومة البريطانية الا ان تبحث عن طريقة تحفظ بها ماء وجهها في السكوت على وجود رشيد عالي في السعودية ،

وهي التي سبق لها ان بررت غزوها لايران بسبب لجوء رشيد عالي اليها . وهكذا بعثت حكومة تشرتشل بردها على برقية السفير التي ابلغها فيها بما سمعه من الملك . وجاء الرد انها توافق على عدم المطالبة بتسليم رشيد غالي شريطة ان لا يقوم باي نشاط سياسي في الاراضي السعودية . ولم يكن يوجد لدى الملك عبد العزيز اي سبب يجعله يرفض هذا الشرط .

وفي ١٧ سبتمبر ١٩٤٥ اثير موضوع وصول السيد رشيد عالي للسعودية في مجلس العموم البريطاني حين سأل بعض النواب كيف تمكن رشيد عالي من الافلات من قبضة القوات البريطانية والحليفة والوصول الى الرياض . وقد اجاب وزير الخارجية بيفن بالقاء بيان ضمنه اسماء الدول التي مر بها الكيلاني قبل وصوله الى السعودية . وقال انه لدى مراجعة قائمة اسماء مجرمي الحرب لم يكن اسم رشيد عالى الكيلاني مدرجا فيها علما انه صدر بحقه حكم بالاعدام من قبل محكمة عراقية .

وسأل احد النواب . . هل تعتقدون ان وجود الكيلاني في السعودية من شأنه ان يشجع على قيام ثورة اخرى في العراق . . . ؟ فاجاب الوزير بالنفي مؤكدا ان الوضع مستقر بشكل كامل .

وقبل ان يثار الموضوع في مجلس العموم البريطاني كانت بريطانيا قد بادرت الى اعلان النبأ . . وعندما وجه الملك عبد العزيز برقيات الى بعض ملوك ورؤساء الدول العربية والجمعيات الاسلامية ابلغ فيها بوصول الكيلاني الى السعودية وشرح وجهة نظرة في الاسباب التي دعته الى قبول حمايته وطلب تأييد وجهة نظره فيما اذا اثير هذا الموضوع من قبل اطراف اخرى ، وكان يعنى بذلك العراق . والواقع انه بعث ايضا برقية الى عبد الاله الوصي على عرش العراق ابلغه فيها بوصول الكيلاني وطلب منه اصدار عفو عنه يسقط بموجبه حكم الاعدام الصادر بحقه .

وصعق عبد الأله . . . وبدلا من ان يستجيب لطلب الملك عبد العزيز كلف محيي الذين المميز القائم بالاعمال العراقي في جدة بتقديم مذكرة رسمية للحكومة السعودية طلب فيها باسم الحكومة العراقية تسليم رشيد عالي الكيلاني باسرع وقت ممكن . وقد قدمت المذكرة بعد يومين من ارسال برقية الملك . وجاء في المذكرة التي حملت توقيع وزارة الخارجية ان رشيد عالي الكيلاني مجرم اساء للعروبة والاسلام وتآمر على الدستور والاسرة الحاكمة لصالح

الالمان . ولم ينظر للمصلحة الوطنية او القومية باي شكل من الاشكال .

رفض المذكرة العراقية

ووفق ما رواه لي محيي الدين المميز القائم بالاعمال العراقي في جدة الذي سلم المذكرة الى الملك شخصيا ان الملك عبد العزيز بعد ان قرأ المذكرة سأله قائلا . . . قل لي يا محيي الدين . . بذمتك بشرفك . . . لو كنت مكاني هل تقوم بتسليم رشيد عالي . . . فأجاب بالنفي . . . سأل الملك ثانية . . هل تقبل يا محيي الدين ان اسلم رشيد عالي . . ؟ اجاب المميز . . حاشاك . . وهنا قال الملك للقائم بالاعمال العراقي . . اذا كنت انت لا ترضى والغيرة والشرف لا يرضيان فكيف يرضى عبد الآله لي ان افعل ذلك . . ؟ اكتب لعبد الآله بان عبد العزيز لا يقبل ان يسلم من استجار به .

ويقول محيي الدين المميز انه فور ان غادر قصر الملك توجه الى السفارة وبعث ببرقية الى بغداد ضمنها ما سمعه من الملك عبد العزيز حرفيا ومنح نفسه اجازة لمدة شهر واستقل اول مركب متوجة الى الحبشة حيث امضى اجازة هناك كي يعفي نفسه من ان يكون وسيطا في جدل الملوك . . ومن ان يكون الشخص الذي يطالب بتسليم السيد رشيد عالي الذين كان يؤيده في قرارة نفسه ويكن له كل احترام .

وفي الوقت نفسه كان الملك عبد العزيز قد تلقى برقية جوابية من عبد الآله تضمنت ذات المحتوى الذي اشتملت عليه المذكرة الرسمية . وفي ضوء ذلك قرر الملك ان لا يرد على عبد الآله بشكل مباشر وان يكتفي بالرد الذي ابلغه للقائم بالاعمال العراقي .

وكانت وجهة نظره ان عبد الاله لا يشعر انه ملك . لقد خاطبته بهذه الصفة وباعتباره ابن رسول الله ولكنه لم يقدر ذلك . وانا لا استطيع ان اخاطبه بعد الان .

خشد القوات على الحدود

ووصلت العلاقة بين الرجلين الى طريق مسدود وتأزمت العلاقات بين البلدين وانعكس ذلك على المسافرين الذين ينتقلون عبر الحدود بما في ذلك المتوجهين لاداء فريضة الحج حيث اخذت السلطات العراقية تخضعهم للتحقيق . ومنعت السلطات العراقية الكثير من العراقيين من زيارة السعودية وخاصة اذا كانوا ممن سبق لهم ان ناصروا الكيلاني او الضباط

عبد الاله يطالب الحكومة السعودية تسليمه رشيد عالي فورا

السابقين . وشن الاعلام العراقي حملات مركزة على السعودية .

وفي مرحلة من المراحل جرى تبادل حشد القوات العسكرية على حدود البلدين ، اللذين فترت العلاقات بينهما الى اقصى حد علما انها كانت فاترة منذ البداية حيث ان الملك عبد العزيز بالذات هو الذي قضى على ملك الهاشميين في الحجاز ورحلّهم من الجزيرة .

وكان ملك الحجاز في حينه هو الملك علي والد عبد الاله . غير ان الصراع السابق لم يكن السبب الذي جعل الملك عبد العزيز يحمي السيد رشيد عالي لديه . ذلك ان عبد العزيز لم يؤيد سياسات السيد رشيد عالي يوم كان رئيسا لحكومة الدفاع الوطني . ولكنه في ذات الوقت لم يجد مبررا لكل هذا الحقد على الرجل . فالسيد رشيد عالي لم يسقط الحكم الملكي ويعلن النظام الجمهوري وليس هو الذي طرد عبد الاله من العراق بل عبد الاله هو الذي هرب من تلقاء نفسه . واكثر من ذلك فان السيد رشيد عالي حافظ على الملك فيصل الثاني الذي كان طفلا تحت الوصاية وكذلك على والدته الملكة عالية شقيقة عبد الاله وعلى جميع افراد الاسرة المالكة .



عبدالعزيز آل سعود



● هتلر

دبلوماسية البرقيات الملكية

الملك عبد العزيز : أفقد عرشي ولا أسلم الكيلاني الى يد الجلاد

الاطلاع على نصوص البرقيات التي تم تبادلها بين الملك عبد العزيز آل سعود وعبد الاله يظهر :

اولا : مقدار تصلب عبد الاله في قضية السيد رشيد عالى الكيلاني .

ثانيا : وجود موضوعات اخرى للخلاف بين البلدين اثيرت مرة اخرى في عرض مناقشته قضية الكيلاني .

ثالثا : ترتب مشكلات أخرى في العلاقات بين حكومتي البلدين على هذه القضية خاصة فيما يتعلق بتطبيق المعاهدات المبرمة بينهما .

ونورد فيما يلي نصوص البرقيات التي تم تبادلها كما هي وباللغة التي صيغت بها في ذلك الزمان .

وبالطبع كان الملك عبد العزيز هو المبادر في الابراق لعبد الاله ليعلمه بوصول السيد رشيد عالي الكيلاني الى السعودية ويطلب منه العفو عنه . وهذا هو نص البرقية الاولى والبرقيات التي تعاقب تبادلها بعد ذلك .

عبد العزيز يطلب العفو عن الكيلاني

حضرة صاحب السمو الاخ الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق وولي العهد حفظه الله .

اخي انني احب الا تسمعوا منا طول حياتنا الا ما يسركم ولكن المصائب تبتلي الانسان بدون اختيار منه ، وقد حدث عند خروج اخيكم من الرياض ان قدم الينا وقد ادعوا انهم سوريون وبعد ذلك تبين ان احد الوفد رشيد عالي . وسموكم يعرف ان موقفنا من حركة رشيد عالي كان هو موقفكم ومواقف الحكومة البريطانية واننا اظهرنا منافاته ومقاومته ظاهرا وباطنا في إيم حركاته وفيما بعدها ، ولكن بما ان المذكور لجأ بين محارمكم وعيلاتكم يرجو من الله ثم منكم ان نشفع له عند سموكم بالعفو وان يكون بعد ذلك تحت ظلكم وحمايتكم ، لهذا فان اخاكم يرجو عفوكم عنه وشموله بمكارمكم ، وهذا من الشيم التي تقتضيها الروح الدينية العربية وانتم اهل لذلك ، ولا يخامرني شك في ان سموكم ستشملونه بعفوكم وهو المنتظر من شيمتكم ومكارمكم ورجاء آخر من سمو الاخ هو ان تظل هذه المراجعة في هذا الموضوع سرية حتى لا تتداولها الصحف والاذاعات في الوقت الحاضر ، واسأل الله ان يوفقنا ويوفقكم لاحسن الاعمال وان يزيل عنا وعنكم كل مكروه ، انه جواد كريم .

عبد العزيز

مجرم لا يستحق العفو

وقد رد عليه عبد الاله بما يلي :

جلالة الاخ الملك عبد العزيز المعظم . .

ان من اعظم المزايا التي تعجبني في جلالتكم اخذ المفسدين بالقوة « فكيف » بمن اراد ان يفسد كيان القومية العربية والاستقلال العربي اللذين سعى بيتينا في احيائهما السعى الكبير ، ان الشهامة العربية التي يحرص جلالتكم على دعائمها تتنافى وايواء من اراد بابناء قومكم واصدقائكم السوء ، هذا اذا كان اجنبيا « فكيف » به وهو من العرب ، ميثاق الامم المتحدة صريح فيما يختص بايواء مجرمي الحرب لدى الامم المحايدة وبلاد الاخ من ضمن الامم المتحدة ، اتفاقية تسليم المجرمين السياسيين بين شعبينا تحتم تسليم المجرم السياسي ، بقاء المذكور في بلاد جلالتكم يحيي ما اندثر من الاحقاد بين ابناء الشعب العراقي واعتقادي ان جلالتكم اكرم وارفع من احياء مثل هذه الظروف التي يحتاج فيه العرب

الى تعاون امتنا وشعبينا ، تضحية الفرد في سبيل المجموع من اسس التفاهم والتقارب بين الشعوب وخاصة منها الشعوب الشقيقة وفي حوادث التاريخ القريبة والبعيدة الامثلة الكثيرة على هذا ، لقد سبق ان نطقت المحاكم العراقية بحكمها على المجرم رشيد عالي ، موقف جلالتكم من فتنة المجرم اعلى سمعة العرب وبرهن على ما يحمل قلب جلالتكم من نبل واخلاص تجاه العراق ، فالمرجو ان لا يأثر على عواطفكم السامية وموقفكم المشرف استعطاف المجرم ، كل هذه الاسباب تبرر اعتذارى لاخي العزيز كما هي تناشد جلالتكم عدم ايواء المذكور في بلاد الاخ الذي اجله كل الاجلال ، وما طلبي هذا الا لتقيموا جلالتكم للعالم برهانا جديدا على متانة الاخوة والمودة بين شعبينا الشقيقين . تلك الاخوة التي يجب ان لا يعكر صفوها امثال رشيد . والله يحفظكم بعنايته .

عبد الاله

وتتالت المراسلات بين عبد العزيز وعبد الاله ودارت كلها في حلقة مفرغة ، وهذه الرسالة الثانية من عبد العزيز الى عبد الاله .

العفو خارج مقدورنا

من عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى حضرة صاحب السمو الملكي الاخ الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق وولي العهد حفظه الله .

تلقيت برقية سموكم عن طريق القائم باعمال مفوضيتكم في جدة وقد سررت بدوام صحة سموكم كما شكرنا لسموكم عواطفكم الطيبة والحقيقية ، ان كل ما تفضل به سموكم هو عين الحقيقة و الصواب ولا ننكر من ذلك شيئا ابدا ، والحق حق لا ينكر ولا قال فيه شيء بل دائم اخيكم من اعوان الحق وملتزميه ولكن نشرح لسموكم امرين : الاول : املنا بالله ثم بسموكم الذي لم ينقطع ولن يتقطع ان شاء الله كما قيل وتصغر في عين العظيم العظائم لان المسألة هذه عظيمة وكبيرة وثقيلة ولكن عظمتكم وموقفكم ونجابتكم وحرصكم على شرف حزبكم وعضدكم العرب تجعلنا نرجو ونؤمل ان لا ينقطع املنا ورجانا منكم .

ثانيا : اخي ما هو وجه اخيكم عند العالم وما هو نظره الذي ينظر الناس به وما يكون مقام اخيكم عند سموكم الذي نشكره دائما على افعاله الماضية اذا صار امرين - اولا - ان مقامه ما صار شيء في رجائه - الثاني - في تسليم رجل ضرب البر والبحر وصار في وسط محارمكم ان يخرج منهم ويضحى به ولا شك ان هذا امر عظيم وانه عندكم اعظم مما هو عندنا ، فهذا تكون العين التي انظر بها الناس او الشرف الذي ارجو علوه ، بلا سيلحق عارها بآخر رجل عائلتنا ، اما انني اوي الرجل عندي او يستقيم فهذا مستحيل ان اقله ، فانا اولا الى الآن ارجو سماحكم والعفو عنه حتى تنالون بذلك الشرف العظيم والاجر وتجلون المصاعب عن اخيكم الممتحن او انني اطلق سراحه ويضرب الطريق الذي هو يريد ، فالاول هو احب الي وهو عفوكم ، والثاني ما لي مندوحة عنه وانا منتظر جواب سموكم بالسرعة واملي بالله ثم بسموكم الكريم البشارة بما يسر خاطركم اخيكم الذي لا يستغرب اعمالكم الجميلة التي انت من اهلها . حفظكم الله ورعاكم . في ٧ ذي القعدة ١٣٦٤ .

عبد العزيز

الى حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم .

تسلمت برقية جلالتكم المؤرقة ١٣/١٠/١٩٤٥ وشكرت للاخ العزيز ما تضمنته من شعور نبيل ، وبينما اقدر وقف جلالته الاخ الفت نظر جلالته الى دقة موقفى الناشئة عن صعوبة التوفيق بي رغبة جلالته من جهة وبين مسؤوليات واجب الامانة الذي احمله بوصفي وصيا على العرش ورئيسا لدولة مقيدة بدستور وقوانين .

ان ما اشتهر به جلالة اخى المعظم من اهتمامه باحكام الدين والتزامه جانب الحق يجعلني اؤمل من جلالته ان يعالج قضية رشيد عالي من وجهها الآخر . ان هذا المجرم كان دائما عبدا لمطامعه وانانيته وعدوا لبلاده ، وقد رفعته الظروف من الحضيض باستناده الى ظرف شاذ او فتنة عمياء او عضد خارجى وخطته هذه هي التي دفعته الى نكران نعمة الله والتطريح بمستقبل امته وبلاده والى تعرضهما مع باقى الاقطار العربية والشرق الاوسط باجمعه الى اشد المخاطر في ادق مراحل الحرب .

لذلك ليست قضية من الدرجة التي تتبادر لاول وهلة الى ذهن من هم خارج العراق كما انه

ليس من الحكمة اعارتها الاهمية التي لا تستحقها ولو عَلم الله برشيد خيرا لما افقده رشده واركبه فيه وجعل شقاؤه في مطامعه وهو ليس بدويا يسير على عرف العشائر وعاداتها بل هو حقوقي يفهم مغبة انتهاك حركة القانون وخرق المعاهدات . وهو الى ذلك من مجرمي الحرب وليس من صالح بلادينا ان نتجاهل ما نراه من اهتمام الامم المتحدة بمجرمى الحرب والخونة .

لقد اقمنا الدليل دائما على ان مقام جلالتكم عندنا في الذروة ، والقضايا المتعددة التي برهن فيها على عظيم احترامنا لهذا المقام وتلبيتنا لرغباته فى قضايا اهم وادق من قضية رشيد لا تدع مجالا للعتب فيما اذا تعذرت علينا تلبية الرغبة في قضية اعتيادية كهذه . اما بصدد النظر الذى ينظر به الناس الى جلالتكم والشرف الذى ترجون ونرجو علوه فاننا نعتقد بان تسليمكم المجرم اليه الناس - في الشرق والغرب - نظرة اكبار واجلال لانه يجيء برهانا قاطعا على حرص جلالتكم على تنفيذ المعاهدات واحترام توقيع جلالتكم عليها ، وبذلك تزدادون شرفا على شرف بفضل الله .

وقد اتفق الشرع والعرف على تعظيم حرمة العهود والحث على الايفاء بها وحسب جلالتكم انكم حاولتم مساعدة الرجل متخطين في سبيل ذلك جميع الاعتبارات الآنفة الذكر وهذا منتهى العطف والنبل الذين نقدر البواعث الشريفة التي حدث بجلالتكم الى شمول هذه القضية بهما ، اما ان المطلوب تسليمه قد ضرب البحر وصار في وسط محارمنا وما اشرتم اليه من عظم الامر فان ذلك لا يخرجه عن كونه ذلك المجرم الذي سعى في الارض فسادا وعرض بلاده للدمار واهلك الالوف من شبانها وأيتم نسائها وايتم اطفالها والحق بها افظع الاضرار الادبية والمادية .

وجلالتكم ادرى بالعقاب الذي فرضه الله على امثاله واضمن بمحارمنا المشتركة عن ان تتسع لمجرم لم يتورع عن انتهاك حرمات الله .

بناء على ما تقدم نؤكد لجلالة الاخ ما يلي :

اولا : العفو عن الرجل خارج مقدورنا .

ثانيا : ان اطلاق سراحه ليضرب الطريق الذي يريده هو نقض صريح للمادة الثالثة من

معاهدة تسليم المجرمين المنعقدة بين مملكتينا ولاسيما هذه المادة قد وضعت بناء على رغبة واصرار جلالتكم الشخصي حينئذ ، ويقيني ان جلالة الاخ لن يتمسك بأمر فيه نقض لتلك المعاهدة .

انني التمس المعذرة من جلالة الاخ عن عدم تمكني من تغيير وجهة نظرنا في ضرورة تسليم المجرم راجيا ان يسمح لي بان الفت نظر جلالته الى النتائج الوخيمة التي يجلبها اطلاق سراحه على البلدين الشقيقين ، ان اطلاق سراحه سابقة خطرة وبادرة سيئة لن يكون لها الاثر الحسن فى علاقات الصداقة والاخوة التي حرصنا دائما على توثيقها بين بيتينا وبلادينا وان ما نعهده في جلالة الاخ من حرص على توقيف هذه العلاقات وانائها يجعلنا على ثقة من ان جلالتكم لن تدع مجالا لمثل هذه القضية العادية للتأثير فيها .

عبد الاله

نأبى نقض العهد

حضرة صاحب السمو الملكي الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق وولي العهد المعظم .

تناولت بيد الاجلال والتعظيم رسالة سموكم الكريمة عن طريق القائم باعمال مفوضيتكم بجدة واحطنا علما بما جاء فيها ولا يخف سموكم ان المرء يمكنه ان يتغاضى عن امور كبيرة اذا كانت لا تمس بنقض العهود ونكثها وانا اذ نرى ان من حقنا الدفاع عن هذه القضية لا نستهدف الا تذليل العقبات التي تؤدى الى حل المشاكل التي ترضيكم وتكون وسيلة لجمع الشمل . وبالنظر لورود بعض النقاط في رسالة سموكم الاخيرة التي قد يعتبر السكوت عنها اقراراً بها وقد رأينا ان نبين وجهة نظرنا في هذا الصدد والله يعلم اننا لا نقصد من وراء ذلك الدفاع عن رشيد عالي او تبرير عمله وانما نرمي الى دفع كل التباس او غموض يحوم حول المسائل التالية التي ذكرتموها سموكم :

اولا : ذكرتم سموكم ان المعاهدة بيننا وبينكم تنص على تسليم رشيد عالي وان اطلاق سراحه نقض صريح للمعاهدة السالفة الذكر .

ثانيا : ذكرتم سموكم ان المذكور من مجرمى الحرب وانه ليس من مصالح بلادينا ان

نتجاهل ما نراه من اهتمام الامم المتحدة بمجرمي الحرب وخونته .

ثالثا : تذكرون سموكم بانه سبق ان لبيتم رغباتنا في قضايا اهم وادق من قضية رشيد عالي .

اننا يا صاحب السمو نستميحكم العذر في ايضاح ما ورد في مذكرة سموكم من النقاط الثلاثة المارة الذكر احقاقا للحق وتأييدا للواقع :

اولا : كنا اول من استنكر حركة رشيد عالي وناهضها في السر والعلانية . وكنا نأمل على اخمادها واحباطها ولنا شاهد على ذلك الحكومة البريطانية التي كانت مطلعة على مساعينا في هذا الشأن اضف الى ذلك اننا ما استنكرنا حركة رشيد عالي ولا حاربناها لسبب كونها حركة داخلية لان الحركات الداخلية ما لنا فيها اي مدخل الا بموجب معاهدة الحلف التي نصها طلب المساعدة على التعاون على كبحها وهذا لم يقع من قبل العراق ولا رأينا حكومة العراق تطلب منا ذلك .

ثانيا : اشرتم سموكم الى معاهدة تسليم المجرمين وذكرتم انها تقضي بتسليم رشيد عالي وان عدم تسليمه او اطلاق سراحه هو نقض لتلك المعاهدة . ويأبى الله ان نكون ممن ينقض العهد او ينكث به ومراجعتنا لسموكم في هذا الامر ما هى الا زيادة عن المعاهدة وطلبا لما يساعد على تأيد الصداقة بيننا وبينكم اكثر مما تقضي به المعاهدة . وبالنظر لرغبتنا في التودد معكم وليس من شأنا ولا من شأن سموكم الدخول في نقاشات تفاصيل تطبيق احكام المعاهدات فان ذلك راجع الى جهات الاختصاص في الحكومتين . لقد كنت متأكدا من حل الموضوع دون الرجوع الى دوائر الحكومتين وبحث المحاكم فيها . وما ازال ارجو الوصول لذلك الحل دون الرجوع لتلك المناقشات .

ثالثا : واما فيما يتعلق باعتبار المذكور من مجرمى الحرب واهتمام الامم المتحدة به فمسألة مجرمي الحرب هى بيننا وبين الامم المتحدة .

رابعا : ذكرتم سموكم انكم لبيتم رغباتنا بقضايا اهم وادق من قضية رشيد عالي فاسمحوا لنا ان نبين لسموكم باننا لا نذكر حادثا من هذا القبيل كان ادق من مسألة رشيد عالي او قريبا منها تساهلتم فيه . ومع ذلك فقد كنا ومازلنا نصر على ادامة صلات الصداقة

والمودة بيننا رغم صبرنا على امور كثيرة تخل بالمعاهدات المعقودة بيننا .

خامسا : اما فيما يتعلق باطلاق سراح رشيد عالى فهذه مسألة تعود لسموكم وانى وان كنت لا اريد اطلاق سراحه الا انني ما احب ان يبقى عندنا كى لا يسبب وجوده تعكير صفو العلاقات الحسنة السائدة بين بلادينا . وعلى كل فالرأى لكم في هذا الشأن ان احببتم ان نبقيه او نطلق سراحه .

والخلاصة اننا حاربنا رشيد عالي في السر والعلن كما سبق ان اوضحنا لسموكم وشاهدنا على ذلك الحكومة البريطانية وكان المستر بيرد وزيرها المفوض السابق بجدة وسفيرها الحالي في بغداد هو واسطة المخابرة بيننا وبين حكومته .

وان اخاكم يا صاحب السمو يكتب هذه الكلمة وقلبه وجل وباله مضطرب لان وقعها عندي اشد من ضرب السيوف ولانني لا احب ان يكون بيني وبين سموكم والعراق اي خلاف يؤثر في حسن العلاقات السائدة بيننا ولكن لما آل الأمر الى القول بنكث العهود ونقض المعاهدات والى التساهل معنا في قضايا كبيرة ، شق علينا ذلك ورأينا من اللازم ان ندافع عن انفسنا وعن تهمة نقضنا للمعاهدة ونكثنا للعهود ونوضح لسموكم حقيقة الواقع . واما اعتذار سموكم عن عدم موافقتكم عن اجابة رغبتنا بالصفح عن رشيد عالي الذي ما تقدمنا لسموكم وطلبنا ذلك الا نظرا للصداقة التي تربطنا والعروبة التي تجمعنا فاذا قبلتم رجاءنا فهذا هو المأمول من سموكم ونحن نشكركم على ذلك ، واذا لم توافقوا فانا صديقكم على الدوام . والله يحفظكم ويرعاكم . .

عبد العزيز

عبد الاله يرفض طلب الملك

حضرة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم .

بينما نشير الى تسلمنا بيد الاجلال برقية جلالتكم المؤرخة في ١٣٦٤/١١/١٧ الموافق ١٩٤٥/١٠/٢٣ نرى من واجبنا أن نعرب لجلالة الاخ المعظم عن مزيد تألمنا للتأثير الذي لمسناه في برقية جلالتكم . اننا لما لهذا اردنا واننا لشديدو الحرص ان لا يرى جلالة الاخ الا ما هو موضوع سروره وارتياحه . لقد فاتحتمونا جلالتكم في شأن رشيد عالي واقترحتم اما

العفو عنه واما اطلاق سراحه ليركب وجهه . وقد ابرقنا الى جلالتكم موضحين رأينا ومشيرين الى الاسباب التي اوجبت التمسك بذلك الرأى . وقد كانت برقيتنا واضحة وليس فيها ما يستوجب التأثر . واذا لم يكن قد وقع شيء من الخطأ في نقل البرقية فاننا نخشى ان يكون شؤم رشيد الذي اعتاد ان يلازم حركاته وسكناته قد تلمس سبيله الى هذه القضية فعرضها للانتقال من طور الى طور . ان رشيد مشؤوم الطلعة كما لا يخفى ولكننا لن نفسح المجال لسريان شؤمه .

يعز علينا وايم الله ان ينشأ عن هذه المخابرة ما يسبب تأثر جلالة الاخ لذلك اننا نلتمس من جلالتكم ان يسمح لنا ببسط الملحوظات التالية حول النقاط الواردة في برقية جلالتكم والتي لم يخطر ببالنا قط اثارتها .

اولا : ان موقف جلالتكم من فتنة رشيد عالي كان موقفا نبيلا ينطوى على الصرامة والحزم التامين ومثل هذا الموقف هو الذي كنا دائما ننتظره من اخوة جلالتكم . وقد قابلناه من جانبنا بمنتهى التقدير والامتنان وهو الذي يجعلنا نؤمل ان يكون قراركم النهائى في شأن رشيد متلائما مع ذلك الموقف الرائع .

ثانيا : معاذ الله ان يتبادر الى ذهننا ان جلالة الاخ ممن ينقض العهد او ينكث به . بل ان الامر على نقيض ذلك وبرقيتنا الاخيرة الى جلالتكم واضحة في هذ الشأن .

ففضلا عما تضمنته البرقية من تعظيم ما اشتهرتم به جلالتكم من التزام الحق والاعتصام باحكام الدين الحنيف التي تحض على الايفاء بالعهد ، فهى تعرب عن تقديرنا للبواعث الشريفة التي حدت بجلالتكم الى ارسالها .

اما تطبيق احكام المعاهدات راجع الى جهات الاختصاص في الحكومتين فهو ما لا شك فيه ، واذا كنا قد تطرقنا الى ذكر شيء منه فقد كان ذلك من مقتضيات الجواب على برقية جلالتكم . ان حكومتنا سمعت بوجود رشيد في مملكة جلالتكم فكتبت المراجع المختصة عندنا الى المراجع المختصة في حكومة جلالتكم طالبة استرداده ، ولم نتأكد من وجوده الا من برقيتكم . وقد اوعزنا الى المراجع المختصة بعدم متابعة مخابرة الاسترداد نزولا عند رغبة جلالتكم في اعتبار القضية سرية الى نتيجة المخابرة بين شخصينا . واذا كنتم جلالتكم تؤثرون استئناف مخابرة الاسترداد بين تلك المراجع فاننا نوافق على ذلك .

ثالثا : ان اشارتنا الى ان رشيد من مجرمي الحرب والى اهتمام الامم المتحدة باولئك المجرمين ناشئة عن علاقة قضيته بحكومتينا ومن الطبيعي ان هذه المسألة كما انها بينكم وبين الامم المتحدة فيما يتعلق بحكومة جلالتكم فهي ايضا بيننا وبين الامم المتحدة فيما يتعلق بحكومتنا ، وقد رأينا ان من واجبنا ان تعير اهتمام الامم المتحدة باولئك المجرمين بعض التفاتنا عند نظرنا في برقية جلالتكم . لقد احالت الامم المتحدة مجرمي الحرب والخونة من ابنائها الى القضاء دون استثناء او تمييز او تردد . وان ضميرنا ومصلحة بلادنا لا يطمئنان الى استثناء اكبر مجرمي الحرب عندنا واشدهم خطرا وابعاده عن متناول العدالة والقضاء .

رابعا : اما القضايا التي لبينا فيها رغبات جلالتكم مما هى اهم وادق من قضية رشيد فمن سوء الحظ ان لا تذكروا جلالتكم حادثا منها . ويحتم ان يكون ذلك ناشئا عن اختلاف وجهتي النظر الى تلك القضايا . لقد وقفت حكومتنا في قضايا كثيرة مثل موقف حكومة جلالتكم الدقيق من قضية رشيد . وبرغم ذلك فقد آثرت النزول في تلك القضايا عند رغبة جلالتكم حبا بتطمين تلك الرغبات وتوثيقا لعلاقات الود والاخوة بين المملكتين . اما ما ذكرتموه من ان جلالتكم كنتم ولا تزالون مصرين على ادامة صلاة الصداقة والمودة بيننا برغم صبر جلالتكم على امور كثيرة تخل بالمعاهدات المعقودة بيننا فان واجب لمصارحة يتطلب ان نؤكد لجلالتكم اننا لا نذكر شيئا من تلك الامور وان ثمة قضايا كان فيها تساهل حكومتنا مع حكومة جلالتكم عرض لنقد لاذع هنا . ولكنها تغاضت عنه حرصا على تلبية رغبات جلالتكم ورغبة في توثيق روابط التفاهم وحسن الجوار بين البلدين . واذا كان قد وقع شيء مما تفضلتم بذكره واحتملتموه - من غير ان نتنبه اليه في حينه - فذلك فضل كبير من جلالة الاخ كنا ولا نزال نؤمله ونتوقعه من جلالته ولا ولن يخطر ببالنا قط ان جلالة الاخ يندم على فضل تفضل به أو مكرمة سبق اليها بل اننا لا نخال جلالته الا راغب في المزيد من ذلك .

خامسا : لاحظنا ان جلالة الاخ لايزال يهتم بقضية رشيد عالي ولما كنا نخشى ان تعار هذه القضية اكثر مما تستحق من الاهتمام فاننا نرانا مضطرين الى توضيح بعض النقاط حولها برغم كراهيتنا لذلك .

ان هذا الرجل كان دائما عبدا لمطامعه وشهواته وحربا على امته وبلاده ، فقد اعان الاتحاديين على كبح الروح الوطنية في العراق في العهد العثماني ، ولما اضطر الترك الى

الانسحاب من العراق امام الجيوش البريطانية في الحرب العظمى الماضية انسحب معهم الى الموصل . ولما يئس من عودته رجع الى بغداد وخدم في حكومة الاحتلال بينما قاطعها معظم الوطنيين احتجاجا على عدم تأسيس الحكومة الوطنية التى جاءوا في سبيلها . ولما تألفت الحكومة الوطنية شق السبيل اليها عن طريق الفتن والدسائس فكان لا يأتي للمنصب الا عن طريق الدم والنار ولا يغادره الا عن طريق الدم والنار .

فالحق بوطنه من جراء ذلك اضرارا لا تقدر . ولما نشبت الحرب العظمى الاخيرة ساء مطامعه ان تظل بلاده وما يجاورها في نجوة من ويلاتها فاتصل بالمعتدين على استقلال الغير واقحم الجيش العراقي في السياسة حتى اذا بلغت الحرب العالمية ادق مراحلها حرم بلاده نعمة بقائها خارج ساحات القتال ونقل ويلات الحرب اليها فانزل بها الخراب والدمار وقضي على الالوف من زهرة شبابها ونخبة منوريها ونشر البؤس والشقاء على عائلاتهم واطفالهم . ولو لم يرد الله كيد المجرم في نحره ويتدارك امم الشرق الاوسط اجمع بلطفه وعنايته لكانت مسرحا لفظائع وويلات تفوق ما حل بغيرها من بلاد العالم المنكوبة . ولما شعر بالفشل ضن بنفسه ان يبذلها في سبيل الغاية التي يسعى اليها فتخلى عن المخدوعين باحاديثه في ساعة الشدة وانسل انسلال العبد الافاق لائذا باذيال الفرار تاركا رفقائه وبلاده للمصير المظلم الذي كان ينتظره . وقد القى رجاله في بلاد المعتدين الذين ظل حتى الساعة الأخيرة يؤمل استقدامهم لاحتلال بلاده غير متعظ بما فعلوه في بلاد الناس . هذا هو رشيد عالي يا صاحب الجلالة وتلك هى سيرته واعماله تضاف اليها الاساليب الدنيئة والاقوال البذيئة التي لجأ اليها ضد مقام العرش وضد شخص اخيكم . فاذا اتسع العفو لمثل هذا المجرم فلمن فرض القصاص وعلى من يطبق اذا . . ومن يتحمل مسؤولية الدماء الزكية التي أرهقها والارواح البريئة التي ازهقها من غير ان يردعه دين او يخزه ضمير .

سادسا : بناء على ما تقدم نكرر اعتذارنا لجلالة الاخ عن عدم تمكننا من تلبية طلب جلالته بشأن المجرم ونؤكد لجلالته عظيم امتناننا وتقديرنا للمواقف المجيدة التي عودنا وقوفها في سبيل توثيق صلات الود والاخوة بين البلدين وقوى املنا في المزيد من تلك المواقف لاستمرار نجاح القطرين الشقيقين في تذليل المصاعب التي تعترض طريقهما في خدمة قضاياهم الخاصة وقضايا الأمة العربية العامة في عهد يشتد فيه النضال حول تقرير مصائر الشعوب لآمال بعيدة . واننا ننتهز هذه المناسبة لنكرر ما بسطناه لجلالة الاخ من ان مقام

جلالته عندنا في الذروة وانه ليسرنا كثيرا ان لا يرى منا الا ما يوجب سرور وارتياح جلالته .
وفقنا الله جميعا الى ما فيه خير العرب وفلاحهم .

عبد الاله

بسم الله الرحمن الرحيم

١٣٦٤/١٢/٧ ـ ١٩٤٥/١١/١٢

حضرة صاحب السمو الملكي الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق وولي العهد المعظم .

قدم الينا سعادة وزير العراق المفوض بجدة رسالة سمو الاخ الكريمة جوابا على رسالتنا البرقية المؤرخة في ١٧ ذي الحجة ١٣٦٤ الموافق ٢٣ اكتوبر ١٩٤٥ وقد تأملنا ما تفضل به سمو الاخ من بيانات وايضاحات واحللنا الملاحظات التي ابداها محل العناية والاهتمام لاننا نعتقد ان واجبنا تجاه انفسنا وتجاه بلادنا وتجاه امتنا العربية يحتم علينا ان نتصارح وان نتبادل ما يجيش في قرارة انفسنا من آراء وافكار وهذا الاعتقاد هو الذي جعلنا من بداية الامر ومنذ الساعة التى حصلت بها هذه المشكلة نسارع الى المذاكرة مع سمو الاخ لاجل حلها حلا لا يبقى مجالا للاخذ والرد والمناقشة . ويذكر سمو الاخ اننا من اول وهلة ابرقنا لاجل وضع الحل الملائم ، يسوءنا ان نلاحظ انه قد اسيء فهم قصدنا الحسن وحمل على غير محمله الذي رمينا اليه . فنحن لم يتبادر الى ذهننا ولم يخامر ضمائرنا اى شك من جهة الرغبة في الحصول على تطبيق احكام المعاهدات القائمة بين بلادينا ، ولكننا لاحظنا ان قضية تسليم المجرمين تعتورها مشكلات مادية ، وعلمية وترافقه اصول واحكام لا يمكن تخطيها من حيث شمول احكام المعاهدة او عدم شمولها . وكون الجرم سياسيا او غير سياسي ، ولذلك فان ابرقنا الى سموكم اننا نرغب في العمل على حل المشكلة بالروح التي تسمو بكلينا عن مستوى النصوص اللفظية القابلة للتفسير والتأويل . . وفي جو من الوداد الاخوى والاخلاص المتبادل . وقد كان منا ابداء الرغبة في ابقاء امر مفاوضتنا سرا حتى لا تتعثر الحلول المرضية

فوق احكام المعاهدة . وليس عن الرغبة في الانحراف عن جادتها او خوفا من نتائجها . وقد كانت المراجعات منا الى سموكم والى اخواننا ملوك ورؤساء الدول العربية في هذا الموضوع لوثوقنا بالله ثم بان الروابط التي تربط اشخاصنا وبلادنا بعضها ببعض انما هى روابط اجل واسمى ، مما هو مدون في المعاهدات والاتفاقيات ، اما الآن وقد اشعرنا سمو الأخ بان حل هذه القضية فيما بيننا متعذر بسبب الاوضاع والاشكال القانونية والدستورية في العراق واعلن عن رغبته في ترك المراجعات في ذلك الأمر الى حكومتينا طبقا لاحكام المعاهدات القائمة بين البلدين فانه لا يسعنا الا النزول عند رغبة سموه ، مع الاعراب عن اسفنا لعدم حصول ما كنانصبو اليه ونتمناه . وقد علمنا ان الحكومة العراقية قامت فعلا بتقديم طلب التسليم الى حكومتنا وان حكومتنا قد اجابت الحكومة العراقية الصديقة بما تراه في هذا الشأن .

ونحب في الختام ان نكرر على مسامع الأخ الكريم اننا لا نزال حريصين كل الحرص على الابتعاد عن كل ما من شأنه ان يحدث اى اشكال او خلاف في هذا الموضوع او سواه . . وانا لا نفقد املنا في اهتمام سمو الاخ بملاحقة القضية بنظره الثاقب والله سبحانه وتعالى يلهمنا ويوفقنا واياكم الى ما فيه الخير لبلادينا وامتنا العربية .

عبد العزيز

تقاليد أقوى من المعاهدات :

وتوقفت المراسلات بين الملك عبد العزيز وعبد الاله عند هذا الحد . وبدأ نوع آخر من المراسلات الرسمية بين الحكومتين العراقية والسعودية حيث طالبت الحكومة العراقية بتسليمها رشيد عالي الكيلاني . . وبالطبع فقد رفضت الحكومة السعودية ذلك . وهي لم تفقد المبررات التي يمكن ان تقدم بشأن مشروعية موقفها .

ولم يقتصر الجدل بين الطرفين على الرسائل الرسمية ، بل انه تجاوز ذلك الى صفحات الصحف ففي ١٩٤٥/١٢/١٥ نشرت صحيفة « اخبار اليوم » المصرية تصريحا للملك عبد العزيز قال فيه « لقد جاءني رشيد عالي الكيلاني مستجيرا من اعدائه وهو عربي يستجير بعربي ، وانا افضل شنق واحدا من ابنائى على تسليم رشيد عالي الى حبل المشنقة » . .

وقال : « انكم تقولون ان رشيد عالي ليس الا من مجرمي الحرب ، وانا أقول انه عربي استجار بعربي وافضل ان افقد عرشي على تسليمه الى يد الجلاد » .

وفي عام ١٩٤٦ زار الملك عبد العزيز مصر وقد نشرت صحيفة « المقطم » تصريحات له بشأن قضية رشيد عالي في عددها الصادر في ١٤/١٠/١٩٤٦ ، قال الملك « لما قام رشيد عالي بحركته لم اكن راضيا عنها ، بل كنت على عكس ذلك ساخطا عليها مقاوما لها . وهذا يعلمه كل من له علم بحقيقة حركة رشيد عالي » واضاف الملك « ان التجاء رشيد عالي اليّ كان بلية علي فقد قدرت من اللحظة الاولى ما سيسببه ذلك لي من متاعب وانا الراغب في ان اعيش مع جميع جيراني على وفاق . ولكن ماذا اصنع . . ؟ ان الرجل كان عدوي كما قلت لكم ، اما وقد التجأ الي فقد اصبح ضيفي واصبح واجبا على ان احميه بمقتضى التقاليد العربية . . انني لم ابلغ ما بلغت الا بحرصي على امرين : الاول اطاعة ربي والثاني التمسك بتقاليد العرب . فهل يطلب مني بعد هذا العمر ان اتنكر لماضي كله ، وان اخرج على تقاليدي . والله لا افعلن ذلك ولو فنيت بلادنا كلها » وتابع « وقالوا ان المعاهدة التي بيننا وبين العراق تجبرنا على تسليمه والواقع ان المعاهدة لا تجبرنا على ذلك بتاتا واني مستعد لأن احتكم الى اي هيئة كانت لتفصل في ذلك . ومع هذا فان تمسكي بتقاليدي اقوى من كل معاهدة . وانى اقسم بانى شديد الرغبة والاخلاص في ان اعيش بصفاء مع الجميع ولكن من المحال ان يتم ذلك على حساب شرفي المرتبط بتقاليدنا » .

ومن اجل احراج الحكومة السعودية كانت الحكومة العراقية قد حاولت ان تقارن بين موقفها حين سلمت فيصل الدويش للملك عبد العزيز بن سعود ورفضه بدوره تسليم السيد رشيد عالي الكيلاني للعراق . . وقد ناقش هذه المسألة المجاهد الفلسطيني الكبير محمد على الطاهر ضمن مقال له نشر في صحيفة « مصر الفتاة » القاهرية في ١٩٤٥/١٢/٥ جاء فيه « وهناك مسألة فيصل الدويش التي يتذرع بها الانكليز ويدفعون حكومة العراق للاستشهاد بها في طلب تسليم رشيد عالي ، وان حكومة العراق سبق لها ان سلمته الى الملك ابن سعود ، وان ذلك العمل يجب ان يقابل بمثله . والجواب على ذلك ان مسألة فيصل الدويش تختلف عن مسألة رشيد عالي . فالدويش كان عاصيا على ابن سعود وكان يهاجم الانجليز في العراق ، وقد شكت منه الحكومة البريطانية وطلبت من ابن سعود قمعه فقاتله ابن سعود حتى هزمه فاذا بالانكليز يتطوعون لانقاذ عدوهم الدويش ثم يأخذونه الى الهند ليهددوا به ابن

سعود في المستقبل فغضب جلالته من هذا العدوان الصريح وهذا النكث العجيب فلم يسع بريطانيا الا ارجاع الدرويش في طيارة وتسليمه الى ابن سعود .

تلك حكاية رشيد عالي وهذه حكاية الدويش .

فبعد هذا البيان نرجو ان لا يضلل بعض السياسيين الاستعماريين اذهان الناس في الاستشهاد بحكاية الدويش لانها غير مسألة رشيد عالي الكيلاني على طول الخط ، وليس للعراق اي مدخل لا في حماية الدويش من ابن سعود ولا في تسليمه اليه ، فتلك مسألة انكليزية ـ سعودية انتهت بين الطرفين على الوجه الذي ارتضياه لنفسيهما » .

وفي بداية مقالة كان الاستاذ الطاهر قد استغرب كيف تعتبر الحكومة العراقية السيد رشيد عالي الكيلاني من مجرمي الحرب كما ورد على لسان رئيسها في ذلك الوقت حمدي الباجه جي امام مجلس النواب ، في حين ان الحكومة البريطانية التي قاتلها الكيلاني لم تعتبره من مجرمى الحرب . (١)

وفي ذلك الزمن العربي الرديء لم يضطهد السيد رشيد عالي الكيلاني فقط من قبل الحكومة التي اسقطها في العراق لبعض الوقت قبل ان تعيدها القوات البريطانية الى السلطة ، بل ان الذين قدموا مساعدة .. اي مساعدة للكيلاني تعرضوا للاضطهاد من قبل مختلف الحكومات العربية بما فيها حكومة الرئيس شكرى القوتلي في سوريا . وهذا ما يتضح من الرسالة التالية التي بعث بها ممدوح الميداني الى زوجة رشيد عالي . والرسالة تحمل تاريخ ١٩٤٦/٩/٢٧ وهذا نصها :

حضرة صاحبة العصمة حرم دولة رشيد عالي بك الكيلاني المحترمة ..

بقلب ملؤه الحبور اكتب لعصمتك مهنئا بسلامة الوصول مع الانجال الاعزاء ويعلم الله ما قاسينا من الآلام للانباء التي كانت تصلنا عن حضرتك وما تكابدين مع بقية العائلة من مصائب وما قاسيتم جميعا من أهوال .. وها هي صرخاتنا على صفحات الجرائد السورية وغير السورية منادية من بيدهم الامر للعمل على تأمين وصولكم الى الارض العربية في اسرع وقت ممكن .

---

(١) نص الرسالة التي بعث بها الينا مشكورا الاخ الدكتور عصام الطاهر تأكيداً لما جاء .

وسيكون حظي سعيدا اذ اتناول رسالة من عصمتك مطمئنة عن صحة الجميع ومعينة العنوان لا تمكن من ارسال مذكراتى وفيها شرح واف لما قاسيناه في رحلتنا الموفقة حتى مربض اسد العروبة والاسلام جلالة الملك عبد العزيز السعود رعاه الله وايده بنصر من عنده .

ويحز نفسي الما اني لا استطيع مغادرة دمشق الى اي قطر آخر . . هذه مشيئة الحكومة وجزاء المغامرة الجريئة اما ما قاسيت من آلام بعد عودتى من الرياض . . فاترك وصفه الى فرصة انسب .

وكل ما يمكني ان انقله الى صاحبة العصمة عن وضعي بانه اسوأ وضع وانكد عيش فقد فسروا عملي جريمة لا يمكن نسيانها او التكفير عنها . . اما انا فاعدها الواجب وفي سبيله يهون كل عذاب ويستساغ كل الم .

ولم اكتب لصاحب الفخامة منذ ان تركته برعاية سيد الجزيرة العربية اى كتاب حتى لا ازيد في آلامه ألما جديدا والى جروحه جرحا جديدا .

فانا في سبيل عائلتى واولادي الاربعة اصارع الدهر ويصارعني وقد ينتصر وانتصر فالحياة كفاح وللمؤمنين عقبى الدار .

سيدتى . . كنت تركت لك عند التاجر السوري في باريس السيد حسن شبيب مبلغ سبعين الف فرنك فرنسي هو ما فاض معي من ثمن الالبسة وخلافه وكتبت اليه بعد عودتي من الرياض ان يسلمها الى وزيرنا المفوض في باريس السيد عدنان الاتاسي لتحويلها اليكم . . وقد علمت منذ اسبوع ان السيد شبيب تلقى كتابي متأخرا بعد ان سلم المبلغ مقابل حوالة من السيد جميل الجابي الى السيد صلاح الدين الشربجي . . اما اسباب هذا التحويل وباي حق جرى فهو ما لا أعرفه حتى الآن . . والسيد الجابي رافقنا في ثلث الطريق وتمكنا من انقاذه من الهلاك المحتم وقد صرع رفيقاه اللذان كانا معه .

بانتظار جواب عصمتك الى عنواني اعلاه ابعث بتحية مباركة الى جميع من حولك داعيا الله ان يكلأكم جميعا بعين رعايته والسلام .

ممدوح الميداني

وبسبب قضية السيد رشيد عالي الكيلاني تأزم الموقف على نحو خطير بين العراق والسعودية وبلغ درجة تبادل حشد القوات على حدود البلدين . وهنا بادر المرحوم صالح حرب رئيس جمعيات الشبان المسلمين في مصر الى التوسط بين الملك عبد العزيز وعبد الاله من اجل اعادة المياه الى مجاريها بين البلدين . وقد كتب صالح حرب لهذه الغاية الى الرجلين وحثهما على حل المشكلات بين بلديهما لما فيه صالح العروبة والاسلام . فاجاب الملك عبد العزيز بالموافقة على ان يبذل صالح حرب مساعيه لاصلاح الحال . فكتب الاخير الى عبد الاله يقول له انه يعرف انه توجد في العراق وجهة نظر مغايرة لوجهة نظر الملك عبد العزيز تجاه قضية الكيلاني ولكنه يرجو مع ذلك ان لا يؤدي اختلاف وجهات النظر الى توسيع الهوة الفاصلة بين البلدين . وقد وافق عبد الاله في رسالته الجوابية على مبدأ وجوب تحسين العلاقات بين البلدين ولكنه أصر على تسليم رشيد عالي للعراق حين قال ان بقاءه طليقا في السعودية من شأنه ان يؤثر على الامن في العراق .

ورد الملك عبد العزيز على هذه الرسالة يقول « ان عبد الاله ورشيد عالي الكيلاني يعودان لاصل واحد حيث جدهما الاكبر هو الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب المثل الاكبر في العفو عند المقدرة . وانه يأمل من عبد الاله ان يعفو عن رشيد عالي » . وقد اطلعني المرحوم صالح حرب على هذه الرسالة بالذات حين التقيته مساء يوم ٢٧ / ٦ في القاهرة سنة ١٩٤٧ وروى لى تفاصيل هذه المراسلات التي كانت تتم عن طريقه حيث كان كل طرف يرسل كتابه اليه بواسطة سفارة بلده وهكذا . وكان رد عبد الاله ان رشيد عالي لا ينتمي لهذه الاسرة الكريمة ولا يمت لها بصلة والا لما خرج عن جادة الصواب بخروجه على الاسرة وعلى التقاليد . وبالتالي فكيف يكون رشيد عالي من الاسرة الهاشمية . . ؟!

وازاء هذا المنطق الغريب بدأ الملك عبد العزيز ينفد صبره فكتب لعبد الاله يقول ان رشيد عالي لم يخرج على الاسرة الهاشمية وانما هو خرج على اعداء بلده واعداء المسلمين . ومع ذلك ، ولو كان قد خرج على الاسرة وعلى البلد فانت الآن ملك وبيدك السلطة وكم يكون عظيما ان تعفو عنه كي يعود الى خدمة الاسرة والبلد . وكان واضحا في هذه الرسالة ان الملك عبد العزيز قد اخذ يتبنى وجهة نظر رشيد عالي ازاء احداث مايس ١٩٤١ .

ورغم كل اللطف واللباقة وعبارات المجاملة الرقيقة التي كانت تتسم بها رسائل عبد العزيز فان موقف عبد الاله لم يتغير . وهنا رأى المرحوم صالح حرب انه يجب وقف هذه الوساطة بعد ان وصل الى قناعة بانه يكون مخطئا اذا استمر فيها . ذلك ان عبد الاله كما قال لي ليس جديرا بان يخاطب من قبل الملك عبد العزيز الذي هو في مثل عمر والده . بل انه وصل الى قناعة بانه هو نفسه ـ صالح حرب ـ يجب ان لا يخاطب عبد الاله بعد الآن وانه بات يشعر انه من السهل عليه ان تتقبل نفسه مخاطبة نورى السعيد رغم كراهيته الشديدة له على ان يخاطب عبد الاله . ولذلك فقد اعتذر لي عن مفاتحة عبد الاله بموضوع السيد رشيد عالي مرة اخرى حيث كان ذلك هو سبب زيارتى له في القاهرة مساء يوم ١٩٤٧/٧/١١ بمقر جمعية الشبان المسلمين . ففي ذلك الوقت كان عبد الاله بصحبة الملك فيصل الثاني في الاسكندرية في طريقهما للقيام بزيارة الى بريطانيا . وقال لي صالح حرب ان هذا الرجل - عبد الاله ـ لا قيم لديه . فهو لا يعرف معنى ان يكون ملكا وكيف يجب ان يخاطب الملوك والناس . انه رجل حاقد ملأ الحقد قلبه بالسواد ومنعه من رؤية اي شيء آخر . ولم تكن هذه اخلاق الهاشميين . فالملك عبد الله عميد الاسرة الهاشمية في ذلك الوقت طلب من الملك عبد العزيز ان يجمعه مع الكيلاني حين زار السعودية لأول مرة في أواخر شهر يونيو ١٩٤٨ . وقد تم اللقاء في ديوان الملك عبد العزيز وبحضوره . وبعد ان تبادل الرجلان عبارات المجاملة ، وجه الملك عبد الله دعوة للكيلاني لزيارة الاردن فقبلها شاكرا .

وفي العام ١٩٥١ اوفد الملك عبد الله رئيس ديوانه فرحان شبيلات الى القاهرة لتقديم التهاني الى الملك فاروق بمناسبة زواجه . وكان شبيلات استاذا في بغداد وقد درسني سنة ١٩٣٩ ، وكان في ذلك الوقت عضوا في نادي المثنى القومي . وفور ان علمت بوجوده في القاهرة توجهت اليه من بيروت وفاتحته بشأن امكانية توسط الملك عبد الله لدى عبد الاله من اجل الغاء حكم الاعدام الصادر بحق الكيلاني . وقد فوجئت حين اخبرني انه سبق للملك عبد الله ان فاتح عبد الاله بهذا الامر من تلقاء نفسه ولكن عبد الاله لم يستجب له . وقال لي ان الملك مهتم بقضية الكيلاني ووعدني بان يطرح عليه الامر ليبذل جهودا اخرى ، غير ان الملك عبد الله اغتيل بعد فترة قصيرة من ذات العام قبل ان تفلح

جهوده .[1]

● ورسالة موثقة من الدكتور عصام الطاهر ، وفاءً واخلاصاً .

عزيزي الأخ الكريم الأستاذ الدكتور نجم الدين السهروردي
تحياتي واحترامي مع اطيب التمنيات

وبعد ، كنت قد بعثت اليكم برسالة مطولة بتاريخ ١٩٨٧/١١/٧ آمل أن تكون قد وصلتكم ، وكنت قد ذكرت لكم على الهاتف بعيد قراءتي لما اشرتم اليه من رأى كان قد ابداه سيدى العم الاستاذ محمد على الطاهر وهو في صدد دفاعه عن السيد رشيد عالي ومحاولة العراق التذرع بتسليمها فيصل الدويش للملك عبد العزيز كحجة للتعامل بالمثل ، حيث اوضح ان للدويش وضعا مختلفا ، فهو من البادية السعودية وكان يزعج الانجليز في العراق فطلبوا من ابن سعود وضع حد له فلما لاحقه لجأ الى الانجليز الذين نقلوه الى الهند ، ثم وبسبب تشدد ابن سعود سلموه اليه ـ الانجليز هم الذين سلموه ـ .

لقد رويت لكم وبهذه المناسبة انى مازلت اذكر المقابلة التي جرت في القاهرة اثناء زيارة المرحوم الملك عبد العزيز لها في يناير ١٩٤٦ مع وفد فلسطيني قدم للسلام عليه ، وما جرى من حديث بين جلالة الملك وعمى حول السيد رشيد ، وان ذلك قد نشر في مجلة « مصر الفتاة » في حينه . وقد سعيت للحصول على هذا العدد ، وبعد جهد وصلني بفضل معاونة الاخ الصديق الدكتور حلمي مراد الامين العام لحزب العمل الاشتراكي وصهر الاستاذ احمد حسين رئيس مصر الفتاة .

وقبل ان نعرض لما كتبته المجلة ، فان للحكاية خلفية مازلت اذكرها حرفيا وقد سمعتها من العم اكثر من مرة وهى تتضح من الصيغة غير العادية التي كتبت بها وهي كالآتي :

لقد كان التنبيه على الوفد الفلسطيني ان الزيارة للمجاملة فقط ، وكالعادة فان الملك

---

(١) مع الاستاذ فرحان شبيلات ـ يوميات مواطن ـ مخطوط يصدر في كتاب قريبا للمؤلف .

هو الذي يفتح الموضوع الذي يريد بحثه أو الاشارة اليه . وقد كان من السهل تمرير (التعليمات البروتوكولية) لاعضاء الوفد ، ولكن ليس من السهل نقلها لشخص مثل العم الذي تعرفون شدته ووطنيته وصلابته ، فان الوفد ان تبادل بعض العبارات التقليدية عن قضية فلسطين ، وانثر على المجلس الصمت والسكوت ، وعلى حد تعبير العم أصبح الوفد وكأنه وفد تعزية . . فالكل صامت يضع يديه على حجره كتلاميذ المدارس المؤدبين ! ولما كان يعتقد ان مهمة الوفد يجب الا تقتصر على التحية المجردة وان هناك امورا قومية يجب ان يكون فيها اخذ ورد ، فقد هب واقفا وشرع بتوجيه حديثه الى الملك كما جاء بالصحيفة ، وكان رد الملك اطول مما اشارت اليه ، اذ انه أعاد تأكيد حمايته للسيد رشيد عالي بصورة حازمة قاطعة ، وكرر القول بأنه مستعد ان يرسل احد أبنائه وذكر الامير سعود بالاسم ليكون رهينة أو بديلا للسيد رشيد عالي . . الخ . وعندما خرج الوفد من لدن الملك ، بدأ اعضاءه يعلقون : بعضهم بمعنى التأييد وبعضهم بمعنى الدهشة والاستغراب ، والبعض الآخر بمعنى الاستنكار لمبادرة الاستاذ الطاهر في التعرض لموضوع السيد رشيد « لانه ربما كان احراجا وانه ليس من مهمات الوفد التي هي مقصورة على شؤون فلسطين » وهذا هو السبب الذي جعل مقال المجلة يأتي على النحو الذي تراه على شكل ردود على استفسارات و (معاتبات) ! .

هذا وقد روى الاستاذ الشيخ عبد الله بلخير شاعر الامة الكبير وكان حاضرا المقابلة ، روى للعم ان جلالة الملك قال له : يا عبد الله انا ممنون من صاحبنا الطاهر لانه فتح معي موضوع الكيلاني بدون ترتيب وبطريقته الخاصة لأني كنت أتمنى مناسبة أسمع فيها العالم حقيقة موقفي من هذا الموضوع ، ولابد ان جواسيس الانكليز والعراق سوف ينقلون ما جرى من حديث حتى يكفوا عن متابعة الموضوع معي بعد ان اعلنت التزامي وعهدي امام الجميع .

ولعلكم تلاحظون كيف ان الملك اراد ان يعبر عن رضاه وترحيبه بكلام الاستاذ محمد على الطاهر ، فطلب ان يلتقى به في مقابلة خاصة أشارت اليها الجريدة في ذات الصفحة ، ولعل تلك المقابلة كانت ابلغ رد على المعترضين والمرجفين .

وبعد ، فقد طلبتم مني ان اوافيكم بصورة مناسبة للعم وسوف افعل في وقت قريب ان شاء الله .

مغتنما هذه الفرصة لأقدم لكم تحياتي والسلام عليكم .

عصام الطاهر

عند الملك عبد العزيز

١ ـ فتيان العرب وابن سعود منذ ثلث قرن .
٢ ـ عودة السيد أمين الحسيني المفتى الأكبر .
٣ ـ مسألة رشيد عالي الكيلاني .
٤ ـ مناقشة عربية .

« لمندوب مصر الفتاة الخاص »

استقبل جلالة الملك عبد العزيز ابن سعود في الاسبوع الماضي وفودا كثيرة ، وفدت للسلام عليه وتحيته في قصر الزعفران وكان بينها وفد من فلسطين يتألف من عشرين عضوا .

وبعد ان رحب بهم جلالته وأكرم مثواهم ، تكلموا وتكلم جلالته عن فلسطين بما لا يخرج عما نشرته الصحف ، ولكني أبسط للقراء الجانب الذي لم ينشر عن تلك المقابلة .

فقد حدث عند انصراف الوفد ومصافحة جلالته لحضرات رجاله أن تكلم الاستاذ محمد على الطاهر قائلا : يا صاحب الجلالة ان فتيان العرب كانوا قبل ثلث قرن وفي أيام الحكم التركي يشيدون بذكرك ويتغنون باسمك وأنت أمير نجد وكنا نقول في أهازيجنا :

هـيـا بـنـا هـيـا بـنـا
يـابـن الـسـعـود يـا عـزنـا
يـابـن الـسـعـود انت الـعـمـيـد
يـابـن الـسـعـود يـا عـزنـا

كان ذلك منذ ثلث قرن أمنية والحمد لله الذي جعله اليوم حقيقة فأنت اليوم ملاذ الجزيرة العربية بعد أن نشرت أعلامك من شاطىء البحر الاحمر حتى شطوط الخليج الفارسي الذى أصبح عربيا بفضل انتصاراتك وتوفيق الله لك ، ولكن هناك نكبة فلسطين التي لا عزاء لها فنناشدك العروبة أن تسعى لانقاذها ، كما نرجو عنايتك بمسألة رجلنا السيد أمين الحسيني والعمل على فك أسره وعودته إلى وطنه . وهناك بطل عربي آخر يهم العالم العربي مصيره ويشكرك على حمايته وصيانة حياته ذلك هو السيد رشيد عالي الكيلاني الذي دخل في ذمامك واستحق جوارك .

فأجاب جلالة الملك عبد العزيز على هذه المسائل الثلاث بما يعرفه قراء الصحف اليومية من أن جلالته لا يدخر وسعا ولا جهدا يعود على فلسطين والعالم العربي بالخير ، كما أجاب اجابة طويلة على مسألة التجاء السيد رشيد عالي بما يطمئن القلوب ثم انصرف الوفد داعياً لجلالته بطول العمر والنصر .

هذا تلخيص وجيز لما حدث عند الملك ، وإلى القراء مناقشة دارت حول هذه المقابلة بعد انصراف الوفد .

فقد قال أحدهم : كيف يجوز احراج الملك العربي بذكر مسألة السيد رشيد عالي ؟

فقال الاستاذ الطاهر : ان جلالته كان مسرورا باثارتها لأنه أجاب عليها اجابة طويلة وشرحها من الوجهة العرفية ومن الوجهة القانونية ، فلو كان جلالته غير مستريح من اثارتها لسكت أو أجاب اجابة مختصرة أو اجابة مبهمة ، بل انه كملك يستطيع أن يأمر بمنع الاستمرار في موضوع لا يريد إثارته .

فقال أحدهم : ولكن هذا الموضوع يكدر العراقيين فكان من الحكمة عدم البحث فيه .

فقال الاستاذ الطاهر : بل يكدر حكومة العراق فقط ، وأما الشعب العراقي فهو في أشد حالات القلق على حياة السيد رشيد عالي الذي لا تشاركه حكومته الحاضرة المفروضة عليه ذلك الشعور بل تعمل على ارهاقه وكبت انفاسه معتمدة في قهره على قوة الاستعمار الذي سلطها على الشعب العراقي فهى تحكمه بقوة الأحكام العرفية وقوة الرقابة على الصحف وقوة الجستابو .

فقال أحدهم : ولكننا نخشى أن يصل الاستياء بحكومة العراق إلى ترك مسألة فلسطين وشأنها والانسحاب من جامعة الدول العربية . فقال السيد الطاهر : ان الوزارة العراقية التي تضحى بفلسطين من أجل كلمة خير تقال للدفاع عن رشيد عالي ، وان الحكومة العراقية التي تنسحب من جامعة الدول العربية ان لم تتمكن من قتل رشيد عالي لهى حكومة لا تستحق أن تنسب إلى العراق الذي يعد حارس العروبة .

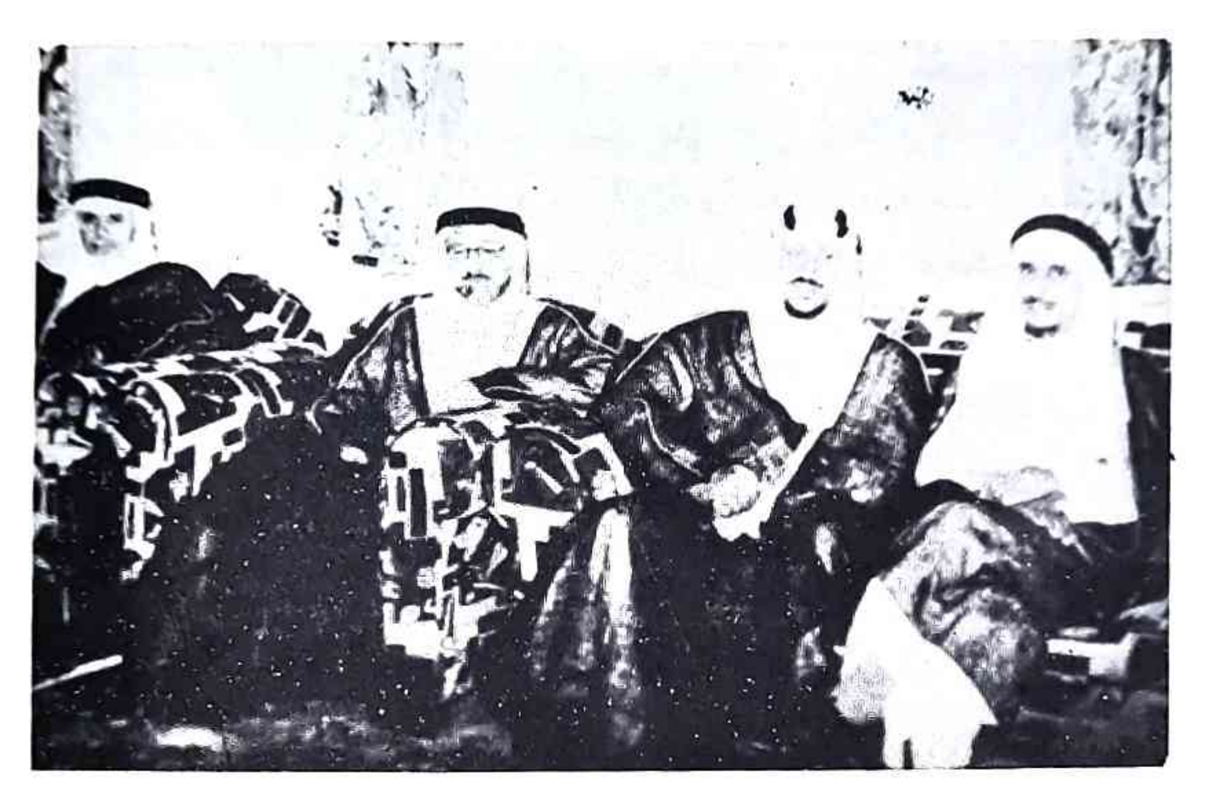
فقال أحدهم : ولكن هذه المسألة تعتبر أساسية عند الوزارة العراقية الحاضرة . فقال الأستاذ : وهى أساسية كذلك عند الأمة العربية كلها ، فالوزارة العراقية الحاضرة ستزول غدا أو بعد غد ، وإما الأمة العربية فهي باقية ، ومن يدرى فقد يأتى ويعود فيه رشيد عالي رئيسا للدولة العراقية مرة أخرى .

ألم تسجن بريطانيا زعيم الهند غاندي ثم أخرجته هى من السجن وفاوضته واستقبله ملك الانكليز في قصر بكنجهام في لندن ؟

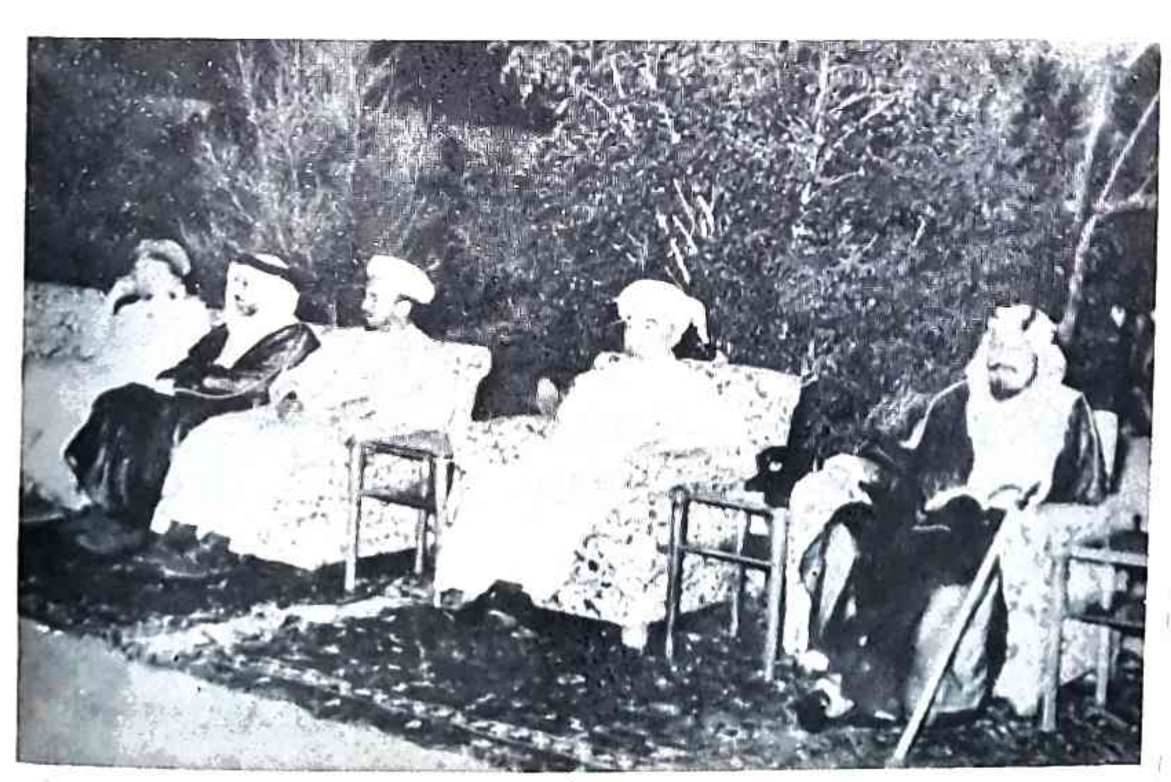
ألم تنف بريطانيا سعد زغلول زعيم مصر إلى سيشل وجبل طارق ثم أطلقته واعادته واعترفت رئيسا للوزارة المصرية وبعد ذلك استقبلته في لندن وفاوضته ؟ .

ألم تحارب بريطانيا مصطفى كمال ثم تفاهمت معه وأصبح صديقها ؟ ، وقبل ذلك كله ألم تخطف بريطانيا المرحوم ياسين باشا الهاشمي منذ سبع وعشرين سنة لما كان وزيرا بدمشق في حكومة سورية الفيصل العربية وحبسته في فلسطين ثم دارت الأيام فاذا بها تطلقه وتعترف رئيسا للوزارة العراقية في بغداد .

لقد وقع هذا كله وشهدناه نحن أبناء هذا الجيل بأعيننا . فهل يبعد أن تتطور الأجواء وأن يرغم الشعب العراقي مستعبديه وقاهريه على اعادة السيد رشيد عالي الى وطنه ثم يجلسه على أكبر كرسي في الدولة ؟ .



● الملك سعود والى يمينه الكيلاني وفي يسار الصورة « الحاج » فيلبي .



● الملك عبد الله في أول زيارة له للسعودية جالسا بين الملك عبد العزيز والكيلاني « الثاني من اليسار » .

اللقاء بين الكيلانى وعبد الناصر

■ ثورتا يوليو ومصدق تدفعان نوري السعيد لكسب ود السعودية

ظلت العلاقات شبه مجمدة بين السعودية والعراق دون ان تتقدم خطوة واحدة حتى شهر مايس سنة ١٩٥٣ ، ففى ٢ مايس ١٩٥٣ جرى تتويج الملك فيصل الثاني على عرش العراق بعد ان بلغ سن الرشد ، وقد وجهت الدعوة للملك عبد العزيز لحضور حفل التتويج فلبى الدعوة وارسل ولي عهده نيابة عنه وحمله بالهدايا للاسرة المالكة في العراق وفى المقدمة الملك فيصل الثانى . . وبهذه الدعوة يكون العراق قد اقدم على خطوة ايجابية في اتجاه السعودية وقد علمت ان نورى السعيد هو الذى كان وراء توجيه الدعوة للملك عبد العزيز .

وعند وصول الامير سعود شكلت بعثة شرف لمرافقته برئاسة صباح بن نوري السعيد الذى كان مديرا عاما لمصلحة السكك الحديدية . والجانب الاعتباري هنا أن صباح هو ابن نوري السعيد .

وفي الوقت الذي كنت افكر فيه بزيارة (الامير) سعود للسلام عليه حيث كنت قد زرت الرياض وتعرفت عليه هناك كما أن سكرتيره الشخصي عبد الله بالخير كان زميلا لي في الدراسة في الجامعة الاميركية ببيروت سنة ١٩٣٨ . . فوجئت بدعوة لتناول طعام الغداء تأتيني من صباح ابن نوري السعيد . والعنصر المهم في هذه المفاجأة هو ان دعوة الغداء كانت على شرف (الامير) سعود . على مائدة الطعام حرص صباح الذى جلس مقابل ولى العهد السعودى ان يجلسنى الى يمينه . وكانت هذه الدعوة اشارة ذات مغزى فصباح كان قد اوفد من قبل والده نوري السعيد مرتين للقاء مع السيد رشيد عالي الكيلانى حيث اقترح عليه في

المرة الاولى ان يقدم كتاب استرحام الى عبد الاله . ولكن الكيلاني رفض هذا الاقتراح ولام صباح وأباه ونوري السعيد لذلك وقال له انا لم افعل شيئا ضد عبد الاله حتى استرحمه . ولم اكن ضده . انا كنت على خلاف مع ابيك ولم اكن على خلاف مع عبد الاله . وفى المرة الثانية اقترح نوري السعيد عبر ابنه ان يقدم السيد رشيد عالي كتابا يقول فيه انه مريض وان ظروفه الصحية لا تسمح له بالبقاء في السعودية وانه يطلب العودة الى العراق والغاء حكم الاعدام الصادر بحقه وايضا رفض الكيلاني هذا الاقتراح .

وعلى مائدة الطعام سألت صباح كيف الاحوال وكيف ترى الامور ، وانا اعنى الامور السياسية بالطبع ، وقد فهم ما اعنيه واجابنى بحمد الله والقول ان الامور الان ليست كما كانت في السابق . ونحن نأمل خيرا وكما ترى فان ولى عهد السعودية موجود هنا الان وهذه اول مرة يقوم بها مسؤول سعودى في هذا المستوى بزيارة العراق . والواقع ان صباح كان يحترم السيد رشيد عالي كما انه كان صديقا لجزمى سليمان شقيق زوجة الكيلانى . ومع ذلك فان صباح طلب من « الامير » سعود بوساطة سكرتيره عبد الله بالخير . كما ابلغنى عبد الله نفسه ، وفور وصول الوفد الى مطار بغداد عدم فتح موضوع السيد رشيد عالي الكيلاني مع الملك فيصل او مع ولى العهد عبد الاله . وهذا الطلب يعني ان بغداد تريد ان تحسن العلاقات مع الرياض بالقفز من فوق قضية الكيلاني . وكانت هذه الرغبة فى تحسين العلاقات بين البلدين ناجمة عن احساس نوري السعيد بضرورة تنسيق المواقف بين البلدين من اجل مواجهة الظروف التي استجدت فى المنطقة في كل من ايران ومصر . فايران كانت قد شهدت حركة محمد مصدق رئيس الوزراء الذى كان يقود حركة تحرير ايران وامم شركات النفط قبل ان تطيح به الولايات المتحدة بعد ان استمرت حركته سبعة اشهر في عامى ١٩٥٠ / ١٩٥١ . اما مصر فقد قامت فيها ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . وبالتالى فان نوري السعيد حيث بعث للكيلاني في الرياض يقترح عليه ما يجب عليه ان يفعله من اجل العودة للعراق كان يخطط فى واقع الامر من اجل ازالة العقبة التى تعرقل التنسيق الذى كان يسعى اليه مع السعودية من اجل مجابهة الظروف المستجدة .

وخلال زيارة ولى العهد السعودى لبغداد اجتمعت به مرتين اكد لي خلالهما ان السيد رشيد عالي بخير في السعودية ، واستفسر مني عن احوال اسرته التى كانت تقيم في القاهرة حيث كنت ازورهم في القاهرة بشكل دورى .

وكانت العلاقة قد توطدت بين رشيد عالى والملك عبد العزيز ، بل انه كان قد اصبح مستشارا غير معلن للملك الذى كان يسأله عن كل شيء تقريبا يتعلق بالعراق والشئون العربية الدولية والاقتصادية وغيرها رغم انه اعتذر عن قبول منصب المستشار بشكل رسمى لانه لم يرغب فى ان يشعر انه بات موظفا يدلى برأيه دون اشتراط الاخذ به . فهذه ليست شخصية الكيلاني . ومع الزمن اكتشف الملك ان السيد رشيد عالي رجل ذو ثقافة غير عادية . فهو ضليع في القانون الدولى وقد عمل بالفعل استاذا للقانون في كلية الحقوق ببغداد في الفترة بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٤١ وخبير في الاقتصاد الى جانب حنكته السياسية وتبحره في الدين والفقه .. وكان الموضوع الاهم الذي يسأل الملك عنه هو حقيقة موقف عبد الاله ونوري السعيد من القضية الفلسطينية . وقد ذكر للسيد رشيد عالي ان الانكليز يمارسون الضغوط على السعودية وكذلك على العراق من اجل التساهل في القضية الفلسطينية حيث كانت بريطانيا تعمل في ذلك الوقت على تنفيذ صك الانتداب على فلسطين القائم على اساس وعد بلفور القاضى باقامة وطن قومى لليهود ، في فلسطين . وكان رأى الملك انه لا يجوز التساهل في هذه القضية غير انه كان يريد ان يعرف الموقف الحقيقى لعبد الاله ونوري السعيد سيما وان المعلومات التي لديه كانت تفيد ان هناك اتصالات بينهما وبين اليهود .

وفى العام ١٩٤٧ دعا الملك عبد العزيز الى عقد مؤتمر للملوك والرؤساء العرب فى العقبة من اجل بحث القضية الفلسطينية . وطلب من السيد رشيد عالي ان يكون عضوا في الوفد السعودى غير ان الكيلاني اعتذر ، فاستغرب الملك وسأله عن السبب ، ونتيجة الحاح الملك قال الكيلاني انه يرفض ان يجالس الخونة . وكان يعنى ذلك بعض الحكام العرب ، ولم يرق الوصف للملك فقال للسيد رشيد عالي هل الحكام العرب خونة . . ؟ ! فقال الكيلاني ان الذي يسلم العقيد صلاح الدين الصباغ لعبد الاله ليعدمه هو خائن . وهذه اشارة الى الرئيس السورى شكرى القوتلي الذى سلم الصباغ للعراق بعد ان لجأ لسوريا قادما اليها من تركيا التي تسلل اليها من ايران بعد ان دخلتها القوات البريطانية والسوفيتية سنة ١٩٤١ . وكان تبريرا ذكيا من الكيلاني لانه اشعر الملك إنه وهو الذي حماه نقيض هؤلاء الحكام . ولذلك فلم تحل اجابة الكيلاني غير الدبلوماسية دون ان تتوطد العلاقة بينه وبين الملك الذي كان يحرص على وجوده في مجلسه بصفة دائمة في الصباح والمساء بل ان السيد رشيد عالي وضع بناء على طلب من الملك نظاما هيكليا للحكم في السعودية اخذ به الملك كله باستثناء

الفقرة الخاصة بانشاء مجلس امة لان عبد العزيز كان يعتقدان الشورى هي اساس الحكم في الاسلام . وكان النظام الذي وضعه الكيلاني يجمع بين الاسلام وروح العصر .

مجلس الملك عبد العزيز

وقد اتيح لي ان احضر مجلس الملك عبد العزيز حين زرت السعودية لاول مرة في شهر كانون الثاني يناير سنة ١٩٤٩ ، بل اني توجهت من المطار الى مجلسه مباشرة بناء على طلبه الذي ابلغني به صالح الخيال المرافق الذي كان يلازم الكيلاني ، وكان في استقبالي بمطار جدة لدى وصولي .

وقبل ان اذهب الى مجلس الملك اوصاني صالح الخيال كيف يجب ان اتصرف ، قال اذا دخلت الى مجلس الملك فلا تسلم على احد سواه ، واياك ان تغلب عليك العاطفة فتسلم على عمك - رشيد عالي - الذي ستجده هناك ، وبعد ان تسلم على الملك وتأخذ مكانك بين الجالسين اياك ان تتحدث الا اذا سألك الملك . واياك ايضا ان تغادر المجلس الا اذا غادر الملك .

ودخلنا مجلس الملك الذي كان عبارة عن مكان متواضع جدا مكشوف في الدور الاول من القصر مفروش بالسجاد الايراني ويوجد طريق مبلط يمكن للسيارة ان تسلكه ويؤدى الى المجلس مباشرة حيث ينزل الملك ، وفي صدر المجلس كان يوجد مقعد كبير ضخم مخصص للملك والى اليسار كان يجلس ابناء الملك والوزراء وكبار المسؤولين في الدولة ، والى اليمين كان يجلس ضيوف الملك واقربهم الى الملك السيد رشيد عالي الكيلاني الذي عرفت ان هذا هو مكانه الدائم . وكان يجلس بجواره مباشرة حين تشرفت بمقابلة جلالة الملك الجاسوس البريطانى الحاج (عبد الله فلبي) الذي لم يكن قد كشف امره بعد ، توجهت مباشرة الى الملك عبد العزيز وسلمت عليه ورحب هو بي بشكل ملفت للنظر وطلب مني ان أجلس على مقعد يظل عادة فارغا ويقع الى يمين الملك . كان الملك رحمه الله ضخم الجثة طويل القامة حسن القيافة والمظهر حاد الذكاء وقوى الشكيمة . . ضاعت يدي بين يديه وانا اصافحه . ولاحظت ان الحضور في المجلس لا يتحدث واحدهم الا مع الملك اذا طلب منه ذلك فاذا سكت الملك سكت الجميع . وكان الوزراء يعرضون امور وزاراتهم على الملك في مجلسه . . يأتى الوزير ويجلس على الارض قرب الملك ويعرض عليه القضية التي جاء لاجلها ويوقع الملك على المعاملة اذا وافق عليها ، شأنه في ذلك شأن المسلمين حين كان أمرهم شورى !

ولم يفاجئنى الملك رحمه الله بحرارة الاستقبال الذي خصني به فقط بل انه اذن لي ان اسلم على عمي بعد ان جلست بعض الوقت الى جواره ، واثناء خروجنا من مجلس الملك بعد ان خرج هو قدم لي احد العاملين في ديوانه واحدا من جلابيب الملك هدية منه وقد كتب على الجلباب « جلالة الملك » وما زال هذا الجلباب لدي حتى الآن احتفظ به للذكرى .

ولقد بادل السيد رشيد عالي كرم الملك عبد العزيز بكل الحب ، فكان يقدره كل التقدير وقال لي يوما انه لا يستطيع مهما فعل ان يوفي الملك عبد العزيز حقه ، فلقد انقذ حياته وانقذ اسرته التى كانت مشردة وتولى الانفاق عليها في القاهرة بالاضافة الى احتضان السيد رشيد عالي نفسه في السعودية وتولى الانفاق على دراسة فيصل ابن السيد رشيد عالي وكان الملك يعتبر اسرة رشيد عالي اسرته ، ويعتبر نفسه فردا منها ويطلب منه أن يخبره بكل صغيرة وكبيرة تتعلق بأي واحد من افرادها غير ان المحبة سببت لي بعض الحرج ، بل كانت مشكلة عويصة رغم تقديرى الكبير للملك عبد العزيز فحين قررت ان اسافر الى الولايات المتحدة لاكمال دراستي الجامعية وكنت قد تزوجت من ابنة السيد رشيد عالي اخبر حماي الملك انني وزوجتي وداد تعتزم السفر للولايات المتحدة وكانت المفاجأة ان الملك رفض ان تسافر زوجتي معي . . وقال له رشيد كيف تقبل ان تسافر ابنتى الى بلاد الكفرة . . ؟ ! وهكذا سافرت وحدي وانا ما زلت عريسا وتركت عروستي فى القاهرة حتى لا يغضب الملك !! رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

ولم تكن العلاقات بين الملك عبد العزيز والسيد رشيد عالي تسير دائما على وتيرة واحدة . . ففي احدى المرات اغضب السيد رشيد عالي الملك ، ولكن الملك كان يعرف كيف يكظم غيظه وقد طلب مني السيد رشيد عالي ان لا تنشر هذه الواقعة في حياته .

كما اشرت سابقا اصبح السيد رشيد عالي مستشارا غير معلن للملك ، وكان يجلسه الى يمينه مباشرة في مجلسه . وكانت عادة الملك انه اذا عرضت عليه قضية سأل الحضور عن رأيهم فيها فيقول كل واحد ما عنده وفي الاخير كان يطلب ان يستمع الى رأي السيد رشيد عالي الذي كان يدعم رأيه بالقانون والصياغة القانونية والبعد الفقهي ، ولذلك فغالبا ما كان يأخذ الملك برأي السيد رشيد عالي .

وقبل وفاة الملك عبد العزيز بسنتين احال ملفات خاصة بالمفاوضات التي كانت جارية لتوقيع اتفاقية نفطية جديدة مع احدى الشركات الاميركية واقترح السيد رشيد عالي على

الملك بنودا محددا لتكون ضمن صيغة الاتفاقية النهائية التى يجرى توقيعها واشار الكيلاني الى احد البنود وطلب من الملك ان يصر الجانب السعودى عليه لان هذا البند سيضيف الى حصة السعودية مليون دولار في العام ، وكان هذا مبلغا كبيرة في سنة ١٩٥٢ . وبعد ان وقعت الاتفاقية ابلغ الملك السيد رشيد عالي ان الاميركان لم يوافقوا على البند المقصود وانه قد استبعد من الاتفاقية ، ويبدو ان السيد رشيد عالي قد تأثر من ذلك فقال للملك « هذه اموال المسلمين ما كان يجب التفريط فيها » ولم ترق الاجابة الملك عبد العزيز فقال يا رشيد « انا ملك » وكأنه اراد ان يقول ما هكذا يخاطب الملوك فرد عليه السيد رشيد عالي . . « العفو » سألتني وأجبتك ، انا اعرف انك ملك بل وملك الملوك ولكن هذه اموال المسلمين .

وقد اغضب هذا الرد الملك لكنه لم يعبر عن غضبه من خلال أي اجراء غير ان الحكاية لم تنته على هذا النحو فقط فالملك عبد العزيز لم يكن صاحب شخصية فحسب ، بل كان صاحب قلب رقيق وضمير يقظ بشكل دائم ايضا ، وظل الملك يفكر هل حقا انه اخطأ . . ؟ ويروي لي العم رشيد عالي انه زار الملك يوما بعد عامين من هذه الواقعة وكان على فراش المرض ، ففوجيء بالملك يقول له « يا رشيد . . ان ضميرى يؤنبني لانني قصرت » لقد طلبت شيئا وكنت على حق حين تفاوضنا مع شركات النفط وكنت انا مخطئا . . ويقول لي السيد رشيد انه ازاء هذا الموقف المؤثر وجد نفسه يبكي ، فقد كان الملك عبد العزيز ورعا تقيا الى اقصى حد يمكن تصوره مما زاد في حب الكيلاني وتعلقه به ، وقد توفي الملك عبد العزيز بعد ايام من ذلك ، رحمه الله وكانت وفاته في ١٩٥٣/١١/٩ في مدينة الطائف .

« ترانزيت » الى عبد الناصر

طوال فترة وجوده في السعودية في عهد الملك عبد العزيز ، لم يكن السيد رشيد عالي يذهب الى مجلس الملك الا اذا طلب منه ذلك ، فكان الملك يقول له في الصباح نراك في المساء يا رشيد ، وفي المساء يقول له نراك في الصباح يا رشيد ، فان نسى الملك ان يقول له ذلك ، كان السيد رشيد عالي لا يذهب الى المجلس الا اذا ارسل الملك في طلبه ، وكان المنطق الذى شرحه السيد رشيد عالي للملك هو انه لا يريد ان يثقل عليه ، فقد يكون لديه من الامور ما لا يريد ان يكشفها امامه .

وعلى مدى عشر سنوات استمر هذا الحال ، وكان السيد رشيد عالي يتواجد في مجلس

الملك كل يوم في الصباح والمساء ومكانه دائما الاول الى يمين الملك .

وبعد وفاة الملك عبد العزيز استمر الحال في عهد الملك الجديد سعود بن عبد العزيز كما كان عليه في عهد والده ، فقد حافظ الملك سعود على عادة ابيه في استشارة الحضور في مجلسه في القضايا التي تطرح عليه قبل ان يتخذ قراره فيها وخلال الاشهر الاولى كان غالبا ما يأخذ بالرأى الذي يدلي به الكيلاني غير ان الامر تغير بعد ذلك ، اذ اصبح يستمع الى رأي السيد رشيد عالي ولا يعمل به ، بل يعمل برأي الاخرين ويبدو ان هذا لم يرق للسيد رشيد عالي بحكم تركيبة شخصيته مما دفعه في احدى المرات ان يقول للملك سعود من قبيل الميانة التي كانت بينهما « ما دمت لا تريد ان تعمل برأيي فأرجو ان تعفيني من الاحراج امام الناس وان لا تسألني عنه » ويبدو ان السيد رشيد عالي كان قد تأثر بشكل خاص من الطريقة التي كان يتم تجاهل العمل برأيه فيها ، فقد كان الملك يثني على رأيه ثم يعمل بخلافه ، كما ان السيد رشيد عالي شعر انه يتعرض للوشايات لدى الملك من قبل بعض افراد الحاشية الملكية الذين كانت تضايقهم منذ عهد الملك عبد العزيز المكانة التي وصل اليها في مجلس الملك من دونهم .

وكمثال على هذه المواقف المحرجة اذكر انه في العام ١٩٥٣ كان الملك سعود واركان الدولة في مطار جدة في انتظار وصول طائرة رئيس الجمهورية المصرية اللواء محمد نجيب الذي كان يرافقه وفد كبير يضم في عضويته كبار اعضاء مجلس قيادة الثورة باستثناء جمال عبد الناصر اذ رافقه صلاح سالم وانور السادات وحسين الشافعي وكمال الدين حسين وقبيل هبوط الطائرة بعدة دقائق فقط سأل الملك سعود السيد رشيد عالي ما رأيك في مستوى الاستقبال المعد للرئيس المصرى . . هل هو جيد ؟ فسأل السيد رشيد عالي الملك . . هل هذا استقبال رسمي . . ؟

اجاب الملك نافيا وموضحا ان الرئيس المصرى قادم لاداء فريضة الحج فأشار عليه الكيلاني انه لا تجوز اذن في هذه الحالة مراسيم الاستقبال التي اعدت وتوزيع الحرس المسلح طول الطريق الى مقر اقامته المقررة ، فقال الملك الذي كان قد، تولى العرش لتوه ولم يتمرس فى اصول البروتوكول بعد . . « بسيطة نحول الاستقبال الى استقبال رسمى » فلفت نظره الكيلاني الى ان هذا لا يجوز لانه يجب ان يكون الرئيس المقبل عارفا لنوعية الاستقبال المعد له من قبل حتى يعرف كيف يجب عليه ان يتصرف بمجرد نزوله من على سلم الطائرة غير ان الملك اعتبر ان اجابته هى بمثابة نقد لشخصه .

وبالفعل كان الموقف ملفتا للنظر وان يكون محرجا لدى وصول الوفد المصرى سيما وان اللواء نجيب ومرافقيه نزلوا من الطائرة بلباس الاحرام غير انه اتضح ان رئيس الجمهورية المصرية الذى كان قد تولي مهام منصبه حديثا هو الاخر لم يكن خبيرا بشؤون البروتوكل ايضا .

وشعر السيد رشيد عالي ان فجوة اخذت تفصل بينه وبين الملك سعود لتشمل قضايا اخرى اكثر حساسية فانقطع عن زيارته وطلب منه مغادرة السعودية فسارع الملك الى الموافقة على الطلب وهو الذي يعرف ان ابواب الدنيا كانت مغلقة في وجه السيد رشيد عالي وان من ضمن الشروط التي جعلت بريطانيا تسكت عن المطالبة به ان لا يسمح له بمغادرة السعودية . وهذا الشرط بالذات هو الذى حال دون حضوره حفل زفافي في القاهرة على ابنته .

وعلم السيد رشيد عالي فيما بعد ان الملك سعود بعد ان ابلغه بالموافقة على سفره بعث برسالة الى الملك فيصل الثاني في العراق يستشيره بشأن السماح له بالسفر وجاء جواب الملك فيصل بأنه لا مانع لدي في سفر « رشيد عالي الكيلاني الى سويسرا على ان لا يحل في أي بلد عربي . . وقد احال الملك سعود رسالة الملك فيصل الى رشيد عالي مع احد اولاده بتاريخ ١٩٥٤/٨/١٥ وهذا هو نصها :

حضرة صاحب الفخامة السيد رشيد عالي الكيلاني سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد ورد من جلالة الملك فيصل الثاني ملك العراق الى جلالة مولاي الملك سعود المعظم الكتاب الآتى نصه :

من فيصل الثاني الى حضرة صاحب الجلالة الاخ العزيز الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية حفظه الله . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فقد تسلمت كتابكم الرقيق المؤرخ في ١٣ شوال ١٣٧٣ الموافق ١٤ حزيران سنة ١٩٥٤ وانى لارجو ان يصل كتابي هذا وجلالة الاخ الكريم على خير ما يكون من الصحة والعافية والهناء وبصدد موضوع المراسلة هذه فانه يسرنى كثيرا أن ألبي طلب جلالة الاخ بشأن خروج رشيد عالي الكيلاني من المملكة العربية السعودية على ان تأمروا بأن يكون مقره فى بلاد سويسرا . وهذا واسال الله ان يحفظكم مؤيدين بالتوفيق والسعادة وان يوفقنا جميعا لما فيه خير العرب والمسلمين .

اخوكم امضاء فيصل « انتهى »

ابلغكم ذلك لمعلومية فخامتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولم استطع التحقق من التوقيع الذي ذيلت به هذه الرسالة لانها ذيلت بالتوقيع فقط دون وضع الاسم الصريح او الصفة غير انها يفترض ان تكون بتوقيع احد كبار المسؤولين في ديوان الملك سعود[1] .

في هذه الاثناء كنت انا موجود في بغداد واعمل بالتدريس حين جاءتني بتاريخ ١٩/١٠/١٩٥٤ برقية من السيد رشيد عالي يطلب فيها مني الحضور الى جدة فورا ، وكانت البرقية ، لدواعي الامن في العراق بتوقيع « مبجل » وهو اسم البنت الصغرى للسيد رشيد عالي ، وفي صباح ٢١ اكتوبر كنت اهبط في مطار جدة قادما عن طريق بيروت وهناك اطلعني السيد رشيد عالي على الملابسات التي ساءت علاقته بالملك سعود ، وانه قد ابلغ بضرورة المغادرة غدا ، وكان الملك سعود قد امر بقطع المخصصات التي سبق ان قررها له والده الملك عبد العزيز ، وقد جاء قرار الملك سعود هذا في الواقع بعد ان قاطع السيد رشيد عالي مجلسه وامتنع عن تلبية طلب الملك بالحضور اليه . وفي خطوة اخرى امر الملك بسحب الحرس الذي كان يتولى حماية الكيلاني ، وحاولت ان افهم الموقف من صديقي عبد الله بالخير سكرتير الملك ومن خلال صديق اخر هو فريد بصراوي الذي يعمل في وزارة الخارجية السعودية وكان هناك اجماع على ان المصالحة مع الملك ليست مستحيلة اذا ذهب السيد رشيد عالي الى مجلسه ، لكنه رفض واصر على مغادرة السعودية .

وبعد وصولي للسعودية بعدة ايام تسلم السيد رشيد عالي مذكرة من وزارة الخارجية السعودية تبلغه فيها بأنه تمت الموافقة على سفره الى سويسرا ولم يكن هو قد طلب السفر الى سويسرا بل الى مصر لزيارة عائلته وفهمت الاشارة فهذا طلب غير مباشر له كي يغادر الى البلد الذى وافق ملك العراق على سفره اليه ، ولم يكن السيد رشيد عالي يحمل جواز سفر فشرحت الموقف لوزارة الخارجية التى اصدرت له جواز سفر دبلوماسيا خلال ساعة واحدة فقط .

---

(١) كتب الينا الدكتور عصام الطاهر في ١١/٧/١٩٨٧ معقبا على هذا الاستفسار مشكورا يقول : « ان التوقيع الذي لم تستطيعوا تبينه هو للسيد « رشدى ملحس » وكان مستشارا للملك عبد العزيز .

حان موعد السفر واذا بي افاجا بالسيد رشيد عالي يقول لي : هل صحيح اننا سنغادر الى سويسرا .. ؟ وكان السؤال استنكاريا ، قلت له ان الدولة العربية الوحيدة التى يمكن ان تقبل اقامتك فيها هى مصر عبد الناصر .. ومع ذلك فالأفضل ان لا تجرى اية ترتيبات مسبقة بل ان تستخدم سياسة الامر الواقع .

وهكذا حجزنا على الطائرة الى سويسرا عن طريق القاهرة ، وفي مطار جدة كان فى وداعنا وزير المالية السعودى والمرافق الذى كان مع السيد رشيد عالي ، صالح ابا الخيل والدكتور مدحت شيخ الارض ، وصعدنا الطائرة مغادرين بتاريخ ٢٥ /١٠/١٩٥٤ دون ان يودع السيد رشيد عالي الملك[1] .

في مطار القاهرة قدمت الجوازات لضابط الامن فختم عليهما بالدخول بصفة ترانزيت دون اعاقة او تعطيل ، واكتفى بسؤالى حضرتك رشيد عالي .. ؟ فنفيت واشرت الى الكيلاني .

ومن المطار توجهنا الى فندق هليوبوليس في مصر الجديدة وبعد ان ارتحنا قليلا اقترحت على السيد رشيد عالي من اجل ان تصبح اقامته في القاهرة امرا واقعا وان يسجل اسمه في سجل التشريفات في القصر الجمهوري في عابدين وان تتوجه لزيارة رئيس الوزراء جمال عبد الناصر فوافق على الفكرة . وبالفعل فبعد ان سجلنا اسماءنا في سجل التشريفات بالقصر الجمهوري توجهنا الى سكرتاريا مكتب جمال عبد الناصر ، وكنت اعرف احد العاملين في مكتبه واسمه صلاح شاهين حيث كنت قد تعرفت عليه في عام ١٩٤٧ ، وبعد ان رحب بنا سألني ان كنت احتاج لاية خدمة فقلت له اقدم لك السيد رشيد عالي الكيلاني ، فأبدى دهشته الشديدة لعدم معرفة مكتب عبد الناصر بموعد وصول الكيلاني حتى يقوموا بواجب وصول الكيلاني حتى يقوموا بواجب الاستقبال ورحب بنا وجعلنا نرتاح في غرفة جانبية مخصصة للاستقبال بانتظار خروج وفد آخر كان يزور عبد الناصر .

وبعد عشرين دقيقة خرج الوفد الزائر ودخلنا نحن فورا .

---

(١) شكراً للأخ الدكتور صلاح الطاهر على ملحوظاته الدقيقة عن اسماء بعض الاخوان التي جاء ذكرها اما سهواً أو خطأ .

وكان اللقاء رائعا بين قائد ثورة مايو ١٩٤١ وقائد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، تعانق الرجلان عناقا حارا وطويلا يعبر عن التلاحم الكامل بينهما من اجل القضية التي ناضلا من اجلها ، ووجدت الدموع تنهمر من عيني تأثرا بالموقف العاطفي وكذلك من عيني انور السادات الذي كان موجودا في مكتب عبد الناصر . ترحيبا كبيرا برشيد عالي الكيلاني . . وعبر عن سعادته الفائقة للقائه . . وقال له هذه فرصة تاريخية سعيدة ان التقى مع الزعيم البطل الذى كان القدوة الاول لنا ونحن نعد للقيام بالثورة في مصر ، ولولا تجربتك الثورية في العراق لما جرؤنا على التفكير بالقيام بثورة في مصر .

كنت متفقا مع الكيلاني قبل الدخول الى مكتب جمال عبد الناصر ان يقتصر حديثنا فقط على التهنئة بجلاء القوات البريطانية عن مدينة الاسماعيلية الذي كان قد حدث في اليوم السابق فقط ، ولكن جو الترحيب الصادق جعل السيد رشيد عالي الكيلاني يعدل عن ذلك حيث بدأ يتدفق الكلام من فمه بشكل عفوي وحماس غير معقول .

قال الكيلاني لعبد الناصر ان الامة العربية تحتاج لمن يقود نضالها على طريق التحرر وان الامل معقود على شخص جمال عبد الناصر . وان القومية العربية والانتماء للعروبة يجب ان يكون قبل الانتماء لاي قطر من الاقطار العربية . فالقومية العربية هي الاساس ومصر بدون العرب ليست شيئا مهما وكذلك العرب بدون مصر يفقدون اهميتهم . . وبدون الترابط القومي لن يكتب للعرب او لمصر النجاح . وقال الكيلاني ان الثورة يجب ان تمتد من مصر الى جميع الاقطار العربية .

وقال الكيلاني انا اتوسم فيك الخير ، وقد تابعت كل خطبك وتصريحاتك وكذلك خطب وتصريحات قادة الثورة الاخرين . . ورجائي ان تحذروا الملوك وكذلك الانكليز بصورة خاصة فالانكليز لا يؤتمنون حتى لو صدقوا . وأشاد الكيلاني بالثورة وشكر عبد الناصر لانه رحب به للاقامة في مصر دون ان يطلب منه الكيلاني ذلك ، ودون ان يخبره ايضا انه دخل مصر كراكب ترانزيت الى سويسرا ، وحين غادرنا مكتب عبد الناصر حاول الخروج معنا لوداعنا خارج مكتبه ، ولكن السيد رشيد عالي اصر على عبد الناصر ان لا يخرج . . وبينما كان يحاول منع عبد الناصر من الخروج مستخدما يديه بل وجسده في محاولة لسد الطريق وقع عقاله على الارض من جراء التدافع حيث كان الكيلاني يلبس اللباس العربي منذ اقام في السعودية . . وبذلك فقد فاتت فرصة التقاط صورة تذكارية بين عبد الناصر والكيلاني حيث كان رجال الصحافة في الانتظار خارج مكتب رئيس الوزراء .

الحكومة المصرية ترفض تسليم الكيلاني والعراق يتوقف عن المطالبة

في نشرة اخبار الساعة الثانية ظهرا أذاع راديو القاهرة ان رئيس الوزراء جمال عبد الناصر استقبل في مكتبه قبل ظهر اليوم السيد رشيد عالي الكيلاني ، وفي الساعة الرابعة من عصر ذات اليوم قدمت السفارة العراقية في القاهرة طلبا الى وزارة الخارجية المصرية بتسليم رشيد عالي الكيلاني ، وكانت العلاقات بين مصر والعراق جيدة في ذلك الوقت ، وفي اليوم التالي جاء السفير العراقي نجيب الراوى لزيارة السيد رشيد عالي سرا في الفندق . . وهذه قمة المفارقة فالسفير كان على علاقة نسب مع الكيلاني كما انه كان تلميذه على مقاعد الدراسة ، والأهم من ذلك انه كان من انصاره ايضا . . ولم تكن هذه هي الزيارة الاولى التى يقوم بها السفير الراوي للكيلاني اذ سبق له ان زاره في السعودية عدة مرات وذلك انه كان سفيرا فوق العادة للعراق في مصر والسعودية والحبشة معا ومقر اقامته في القاهرة .

وعلمنا من السفير انه قدم مذكرة طلب فيها تسليم « المجرم » رشيد عالي بموجب تعليمات من بغداد . واعتذر عن ذلك للكيلاني الذي كان يقدر موقف السفير كموظف .

وبالطبع فقد رفضت الحكومة المصرية تسليم السيد رشيد عالي وردت على مذكرة السفارة العراقية بمذكرة جوابية قالت فيها ان السيد رشيد عالي الكيلاني هو ضيف على الحكومة المصرية وتقدمت السفارة العراقية في هذه المرة بمذكرة احتجاج باسم الحكومة العراقية على موقف الحكومة المصرية الذي اعتبرته غير مقبول ، ورفضت الحكومة المصرية احتجاج الحكومة العراقية وقالت في مذكرة جوابية انه قد اتخذ قرار باعتبار السيد رشيد عالي ضيفا على مصر ولا تراجع عن هذا القرار ، كما قيل لنا .

وهنا كتب السفير العراقي مذكرة الى وزارة الخارجية في بغداد ، كما علمت نصح فيها بغض النظر عن موضوع رشيد عالي الكيلاني اذا كان يراد للعلاقات الودية ان تستمر مع مصر لان الحكومة المصرية لن تتراجع عن قرارها .

ومن اجل ان لا تفتح الحكومة العراقية ملف السيد رشيد عالي الكيلاني ، مرة اخرى تقدم بطلب خطي الى جمال عبد الناصر ليقبل لاجئا سياسيا في مصر في ٩ يناير ١٩٥٥ .

« حضرة صاحب السيادة جمال عبد الناصر ، رئيس مجلس الوزراء المفخم

بعد تقديم واجب التحية والاحترام ، فكما تعلمون سيادتكم اني من القائمين بحركة مايو ١٩٤١ الوطنية في العراق وقد حكمت من اجل ذلك بالاعدام واصبحت مطاردا من قبل الحكومة العراقية منذ ذلك الحين .

وفي وقت تمكنت من الالتجاء الى المملكة العربية السعودية في عهد ملكها جلالة الملك المرحوم عبد العزيز آل سعود وقد اضطرتني الظروف اخيرا الى مغادرتها والتجائي الى الجمهورية المصرية في عهد سيادتكم الميمون ، فأرجو التفضل بقبولي لديكم لاجئا سياسيا ولسيادتكم الشكر والامتنان العظيمين .

رشيد عالي الكيلاني

وفي ١٧ يناير ١٩٥٥ تلقي الكيلاني كتابا موقعا من قائد الجناح علي صبري ، مدير مكتب رئيس الوزراء للشؤون السياسية بقبول طلبه وهذا نصه :

السيد رشيد عالي الكيلاني :

تحية طيبة وبعد . . يسرني أن أبلغ سيادتكم ان السيد رئيس مجلس الوزراء قد وافق على طلبكم الخاص باعتباركم لاجئا سياسيا بالجمهورية المصرية واني اذ ابعث اليكم كتابي هذا أتمنى لكم اقامة طيبة بالاراضى المصرية . .

وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق الاحترام . .

والواقع ان الحكومة المصرية تصرفت بحذر حين وصول الكيلاني الى القاهرة رغم انها كانت راغبة في قدومه اليها . ويعود هذا الحذر الى ان القاهرة لم تكن تريد ان تفسد علاقاتها مع بغداد ، كما ان هذا الحذر يعود في جانب منه الى عدم الرغبة في تعكير العلاقة مع الملك سعود ايضا . فقد تكشف لنا بعد وصولنا الى القاهرة ان الملك سعود كان قد بعث برسالة الى جمال عبد الناصر طلب فيها منه عدم السماح لرشيد عالي بالاقامة في مصر ، وقد رد عبد الناصر على هذه الرسالة بالقول انه لا يستطيع ان يخرج الكيلاني من مصر لوجاء اليها !

والسبب الذى جعل الملك سعود يطلب هذا المطلب ، كما تكشف لنا ، هو ان عبد الناصر كان قد بعث برسالة الى السيد رشيد عالي وهو في السعودية يرحب فيها بقدومه الى مصر ، غير ان الملك سعود امر بعدم ابلاغ رسالة عبد الناصر للكيلاني ، ومع ذلك فقد

عرف الكيلاني بخبر الرسالة حيث اشارت اليها مجلة « اخر ساعة » المصرية قبل اربعة اشهر من مغادرة الكيلاني جدة للقاهرة .

وفي القاهرة تجدد اللقاء بين الكيلاني والمفتي الحاج امين الحسيني كما انه التقي مع احرار وزعماء عرب كانوا قد لجأوا الى مصر الثورة هربا من جور الانظمة والاستعمار .

وتوافدت الكثير من الشخصيات العربية لزيارة الكيلاني والسلام عليه . وكان من بين الذين زاروه صائب سلام رئيس وزراء لبنان الاسبق الذي زاره مساء ٢ نوفمبر ١٩٥٤ ، وكان لقاء غريبا وعاصفا ، وسبب ذلك ان الحكومة اللبنانية كانت قد رفضت دخول الكيلاني الى لبنان خشية اغضاب الحكومة العراقية . . وقد تفجر الموقف حيث قال صائب سلام للكيلاني اثناء الحديث . . ان شاء تزوروننا في لبنان .

فأجابه الكيلاني منفعلا : انا . . الى لبنان . . ؟ !

صائب سلام : لم لا . .

رشيد عالي : لبنان يرفض قبول الكيلاني . . فكيف تقول هذا . . ؟ ! كميل شمعون لم يوافق !؟

صائب سلام ، ولكن هذا غير معقول . . !

رشيد عالى : ألا تعلم ذلك . . ؟

صائب سلام : لا . . ابدا .

رشيد عالي : انكم تخافون رشيد عالي الذى أوى ابطال العرب الاحرار ايام المحن . . واليوم تستأذنون عبد الالاله في قبولي أو عدمه . . !

صائب سلام : ولكني لم اسمع ذلك .

رشيد عالي : عجيب . . ان الايام بيننا وسوف يعود رشيد عالي . . عندئذ سوف تعرفون من هو رشيد عالي . .

. . وللحقية والتاريخ فإن الرئيس صائب بادر إثر عودته إلى بيروت بالوقوف الى جانب الكيلاني بعد ان اطلع على حقيقة موقف شمعون منه . .

بسم الله الرحمن الرحيم

جده

٢ محرم الحرام ١٣٧٤

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم . حرسه الله .

بعد تقديم وافر الاحترام والتبجيل . فارجو التفضل بأصدار امركم السامي لمن يلزم بمنحي جواز مرور ليتسنى لي السفر خارج بلاد جلالتكم . والله اسأل ان يحفظكم .

المخلص :

الكيلاني

رشيد عالي

● رسالة الكيلاني للملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم السيد رشيد عالي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فأننا نرفق مع خطابنا هذا رسالتكم التي أردتم أن نرفعها إلى جلالة الملك ، وحيث أن الطيشي أخبرني بأنه قد تلقى أمراً من جلالته بالموافقة على طلبكم ، فأنه لا داعي لرفع خطابكم لمولاي .

ختاماً تقبلوا تحياتنا .

فهد

١٣٧٤/١/١٤

● رسالة الامير فهد بن سعود الكيلاني



المملكة العربية السعودية
ديوان جلالة الملك
الشعبة السياسية

الرقم ٢٨/٢/٩/٣٩
التاريخ ١٣٧٣/١٢/١٦
الموافق ١٩٥٤/٨/١٥

حضرة صاحب الفخامة السيد رشيد عالي الكيلاني سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله ٠ وبعد فقد ورد من جلالة الملك فيصل الثاني ملك العراق الى جلالة مولاي الملك سعود المعظم الكتاب الآتي نصه :-

((من فيصل الثاني الى حضرة صاحب الجلالة الاخ العزيز الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية حفظه الله))

((السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠))

((وبعد فقد تسلمت كتابكم الرقيق المؤرخ في ١٣ شوال ١٣٧٣ الموافق ١٤ جزيران سنة ١٩٥٤ واني لأرجو ان يصل))

((كتابي هذا وجلالة الاخ الكريم على خير مايكون من الصحة والعافية والهناء ٠))

((وبعد موضوع المراسلة هذه فأنه يسرني كثيرا ان البي طلب جلالة الاخ بشأن خروج رشيد عالي الكيلاني من))

((المملكة العربية السعودية على ان تأمروا بأن يكون مقره في بلاد سويسرا ٠))

((هذا واسأل الله ان يحفظكم مؤيدين بالتوفيق والسعادة وان يوفقنا جميعا لمافيه خير العرب والمسلمين)) ٠

((التاريخ ١١ ذو القعدة ١٣٧٣ — الموافق ٢ تموز سنة ١٩٥٤ اخوكم

امضاء فيصل)) انتهى ٠

ابلغكم ذلك لمعلومية فخامتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

● رسالة الملك فيصل الثاني ملك العراق كما احالها الديوان الملكي السعودي للكيلاني .



● الكيلاني يدلي بأول تصريحاته الصحفية بالقاهرة في مكتب جمال عبد الناصر

الكيلاني مواطن عادي في القاهرة

■ فاروق والسادات حاولا التحالف مع الالمان ضد الانجليز

كان متوقعا ان يلقي السيد رشيد عالي الكيلاني في مصر ترحيبا وتفهما اكبر لمواقفه القومية ، وعلى وجه الخصوص لعلاقته مع المانيا الهتلرية . فاعضاء مجلس قيادة الثورة المصري كانوا في السنة ١٩٤١ وسنوات الحرب العالمية الثانية جزءا من الحركة الوطنية في مصر التي اتجهت عواطفها صوب المانيا . بل ان انور السادات عضو مجلس قيادة الثورة الذي طلب ان يظل في مكتب عبد الناصر كي يلتقي السيد رشيد عالي الكيلاني كان على اتصال مباشر مع الالمان في ذلك الوقت . ولم يكن اتصاله فرديا . بل كان يتصل من ضمن تشكيل من تشكيلات الضباط القوميين بزعامة الفريق عزيز على المصري رئيس اركان الجيش المصري السابق واثناء ثورة رشيد عالي في العراق سنة ١٩٤١ فكر عزيز المصري وانور السادات بالالتحاق بالجيش العراقي من اجل الاشتراك في الحرب ضد الانجليز غير ان الاحداث تسارعت قبل ان تجد الفكرة طريقها إلى تنفيذ . وبعد انتهاء الحرب يقول الدكتور محمد حسن سلمان وزير المعارف في حكومة الدفاع الوطني انه تسلم رسالة قصيرة من الملازم جمال عبد الناصر هذا نصها :

« إلى وزير الشباب العراقي الدكتور محمد حسن سلمان . اني ورفاقي الضباط الاحرار في مصر نتقدم اليكم بقبول طلبنا في التطوع في الحرب العراقية ـ البريطانية . ونرجو اعلامنا عن الطريقة التي يمكن ان نصل بها اليكم » .

وتسلم الدكتور سلمان هذه الرسالة بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٤١ من القنصل العام العراقي في

بيروت تحسين قدري في زيارة للوزير الذي كان قد سافر إلى بيروت للعلاج بعد اسبوعين من تشكيل حكومة الدفاع الوطني وظل بها حتى نهاية فترة الحرب الانجليزية ـ العراقية حيث التحق بالكيلاني في تركيا ثم المانيا .

فاروق والسادات يتصلان بهتلر

وبعد ان وصل السيد رشيد عالي إلى المانيا كانت اتصالات عزيز المصري والسادات بالالمان مستمرة . وقد وضعت خطة من اجل نقلهما إلى المانيا للمشاركة في تشكيل الفيلق العربي . وكانت المانيا مهتمة بشخص عزيز المصري بالذات لدوره التاريخي المعروف في الثورة على العثمانيين وانشاء المنظمات العربية التحررية وبالفعل فقد ارسلت طائرة المانية إلى مصر بعد ان وضعت عليها شارات الطيران المصري . إلّا ان السيارة التي أقلت عزيز المصري تعطلت ولم يستطع الوصول إلى المكان المحدد لهبوط الطائرة فيه فلم تنجح المحاولة .

وحين اعاد الكرة مع عبد المنعم عبد الرؤوف بمساعدة قائد الفرقة الجوية حسين ذو الفقار وتم لهم ما ارادوا تعطلت الطائرة وقبض على الرجلين فاودعا السجن !؟

ويقول انور السادات في مذكراته ان ثورة رشيد عالي في العراق كانت نبراسا انار الطريق لثورة يوليو في مصر وشجعنا على السير في طريق التحدي للانجليز .

والواقع ان ثورة العراق وضغط الانجليز المستمر على الملك فاروق كانا عاملين رئيسين في تحريك الضباط القومين في مصر .

وفي ذلك الوقت ـ مطلع الاربعينات ـ لم تكن الحركة الوطنية في مصر وحدها هي التي تتعاطف مع المانيا وتتصل بها بل ان الملك فاروق نفسه كان قد سئم هو الآخر من تدخلات الانجليز وضغوطهم المستمرة عليه وتحول إلى عدو لهم . ولكنه عدو ضعيف ليس له حيلة ولا يستطيع ان يفعل شيئا او ان يتحدى الانجليز خشية ان يعزلوه عن العرش . وشهادة للتاريخ فان الملك فاروق حين نشب القتال بين الجيش البريطاني والجيش العراقي في ٢ مايس

١٩٤١ سارع إلى استدعاء تحسين العسكري الوزير المفوض العراقي في القاهرة وطلب منه ابلاغ حكومة الدفاع الوطني تأييده لرشيد عالي وثورته ضد الانجليز . ولكن العسكري لم يكتف بابلاغ هذا الموقف للحكومة العراقية في بغداد بل انه ابلغه ايضا الى السير مالزلامبسون السفير البريطاني في القاهرة . وكان موقف الملك فاروق هذا احد العوامل الرئيسية التي جعلت الانجليز يفرضون عليه تكليف مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد بتشكيل حكومة مصرية جديدة . وحين رفض الملك في البداية تكليف النحاس باشا قامت الدبابات الانجليزية بتطويق قصر عابدين في ٤ فبراير ١٩٤٢ وهددته بالعزل عن العرش ان لم يستجب لما طلبه السفير البريطاني منه . . ولم يكن الملك فاروق يملك الا ان يستجيب .

وكان كره الملك فاروق للانجليز قد دفعه إلى الاتصال مع هتلر حيث بعث اليه برسالة اعرب فيها عن استعداده للتعاون مع المانيا ضد الانجليز . وقام السفير المصري في طهران يوسف ذو الفقار وهو على علاقة نسب مع الملك بتسليم هذه الرسالة إلى السفير الالماني (أيتل) حيث اجتمع السفيران في العاصمة الايرانية في ١٩٤١/٤/١٤ .

والواقع ان الملك فاروق في بداية عهده بالملك كان شابا متحمسا مندفعا نحو التغيير . . كان يصلي ويصوم ويكره الانجليز ويريد ان يفعل اي شيء من اجل الخلاص منهم . ولكنه لم يكن يثق بأحد ممن حوله . وهذا ما كان يريده بالتحديد السفير البريطاني الذي كان يتعمد تشكيك الملك في رجاله . اذ كان السفير كلما التقى الملك اشعره انه يعرف كل صغيرة وكبيرة عن تحركاته . فاذا اكل الملك صنفا معينا من السمك سأله السفير البريطاني في اليوم التالي عما اذا كان السمك قد اعجبه ام لا . . ؟ لذلك وصل الملك الى قناعة بان كل الذين حوله هم جواسيس للانجليز .

وكان هناك وجه شبه كبير بين بداية الملك فاروق في الحكم والملك غازي في العراق من حيث كراهية الانجليز والرغبة في الخلاص منهم . مع الفارق بين الانحدار الاسري والنشأة العسكرية لملك العراق . . غير ان مقتل الملك غازي في العراق جعل الملك فاروق يضطر الى تقديم التنازلات . ومن اهم هذه التنازلات التخلي عن علي ماهر الذي كانت قد اسندت اليه رئاسة الحكومة المصرية سنتي ١٩٣٩/ ١٩٤٠ . ويكاد يكون على ماهر هو رشيد عالي مصر حيث كان يكره الانجليز ويحث الملك على التعاون مع الالمان .

ولم يكن يثق ايضا بالطليان . وهذا جعل الملك يثق به . ولذلك فقد ضغط الانجليز على الملك فاروق كي يبعد على ماهر عن رئاسة الحكومة تماما كما ضغطوا في العراق من اجل ابعاد السيد رشيد عالي وتكليفه طه الهاشمي . فقد كان موقع مصر مهما جدا بالنسبة للانجليز ايضا ضمن استراتيجيتهم العامة في الحرب العالمية الثانية . فمصر بسبب وجود قناة السويس في اراضيها كانت تعتبر بوابة اوروبا كلها . وكان دور مصطفى النحاس في مصر ذلك الوقت مماثل لدور نوري السعيد في العراق تماما . فالاثنان عرفا كيف يحصلان على الاغلبية البرلمانية في حين انهما من اشد رجال الانجليز اخلاصا . وكما كان نوري السعيد يقف وراء التوقيع على معاهدة ١٩٣٠ مع الانجليز في العراق فان مصطفى النحاس هو الذي وقع معاهدة ١٩٣٦ في مصر .. !

وبالطبع فقد ادى خضوع الملك فاروق للانجليز الى قيام ثورة يوليو التي كان يؤمن قادتها بذات الاهداف السياسية التي كان قد رفعها السيد رشيد عالي الكيلاني في العراق .

عبد الناصر ينجو باعجوبة

شاء القدر ان يتعرض جمال عبد الناصر لمحاولة اغتيال بعد بضعة ايام فقط من وصولنا إلى القاهرة . فقد اطلق عليه الرصاص احد شباب حزب الاخوان المسلمين اثناء القائه خطابا في الاسكندرية لمناسبة جلاء القوات البريطانية عن الاسماعيلية . وحين اطلق الرصاص على جمال عبد الناصر كان يتحدث للجماهير عن القومية العربية والانتماء القومي لمصر . وهو ذات مضمون الحديث الذي دار بينه وبين السيد رشيد عالي . ومثلت محاولة اغتيال عبد الناصر صدمة قوية للكيلاني لم يكن يتوقعها . وادت المحاولة الي تأجيل موعد كان محددا لزيارة وزير الداخلية المصري زكريا محيي الدين بهدف شكره لانه كان قد كلف احد ضباط الشرطة بمرافقة رشيد عالي بصفة مستمرة لحراسته .

كان لقاء المجاملة مع زكريا محيي الدين هو الاخير في حينه مع اركان حكومة الثورة المصرية حيث توقفت الاتصالات بعد ذلك لمدة عام كامل تقريبا امضينا اول شهرين منه في الفندق قبل ان استأجر شقة صغيرة متواضعة في مصر الجديدة كي نقيم فيها . ولم نكن خلال هذا

العام ضيوفا على الحكومة المصرية . وكان السيد رشيد عالي يقيم في القاهرة شأنه شأن اي مواطن عربي يسكن في مصر .

ويعود سبب ذلك في الواقع إلى ان الحس والاهتمامات القومية العربية لم تكن قد تبلورت بعد لدى اركان النظام الجديد رغم تحدث جمال عبد الناصر عن القومية العربية . والواقع ان نظرة عبد الناصر القومية لم تكن هى الاخرى قد تبلورت بشكل متكامل ، ففي اللقاء الاول الذي تم بينه وبين الكيلاني قال في معرض رده على كلمة الكيلاني ان الثورة في مصر تعمل على ان تكون مصر قادرة على سد احتياجات كل جيوش الدول العربية من السلاح الخفيف الذي كان قد بدء تصنيعه في مصر . وان تبدأ مصر في تصنيع السلاح الثقيل في سنة ١٩٥٦ . وبالطبع فان العلاقة القومية لا تقتصر على ان يزود احد الاطراف الاخرى بالسلاح ، فهذه المهمة يمكن ان يقوم بها طرف غير عربي لاهداف تجارية محضة . وبالتأكيد فاننا لا نستطيع القول ان عبد الناصر كان يفكر بعقلية التاجر ، غير اننا لا نستطيع ان نقول ايضا ان فكره القومي كان قد تبلور في ذلك الوقت المبكر[١] .

ولم يكن هذا مفاجئا لي فقد سبق لي ان اتصلت في مارس ١٩٥٣ بعدد من الضباط الاحرار في مصر بهدف جس نبضهم بشأن ما يمكن ان تقدمه مصر للعراق اذا قامت ثورة فيه . وقد اكتشفت خلال اللقاءات التي عقدتها معهم ان لاعلاقة لهم بالعالم العربي اطلاقا . فهم لم يكونوا يعرفون اي شيء عن العرب والعروبة او عن العراق على وجه الخصوص . وكنت في ذلك الوقت على صلة باول تشكيل عسكري في الجيش العراقي فكر بالقيام بثورة على النظام الملكي في العراق . وكان هذا التشكيل برئاسة اللواء نجيب الربيعي ويضم في عضويته المقدم الركن شاكر محمود شكري والمقدم صالح عبد المجيد السامرائي والعقيد الركن عبد الكريم قاسم . وكنت انا حلقة الاتصال بين هذا التشكيل والسيد رشيد عالي الكيلاني الذي كان بقيادته[٢] .

---

(١) يوميات مواطن ـ مخطوط معد للنشر قريباً لمؤلف وصاحب هذه المذكرات .

(٢) ذات المصدر .

■ الاتفاق التركي ـ العراقي يفجر العلاقة المصرية ـ العراقية

التحضير للثورة

وقبل ان اتوجه إلى القاهرة كنت قد التقيت في السعودية السيد رشيد عالي الكيلاني حيث وضعته في صورة تحرك ضباط الجيش في العراق . وقد ناقشت واياه في هذا اللقاء كافة التفاصيل والخطوات التي يجب ان تتخذ بعد قيام الثورة . فقد ناقشنا كيف يجب ان تشكل الحكومة الاولى بعد الثورة واستعرضنا مواصفات الاسماء المرشحة لعضويتها . كذلك اسماء المحافظين ومدراء الشرطة الجدد الذين يجب ان يعينوا فور قيام الثورة . بل ان السيد رشيد عالي كان قد اعد صيغة البيان الاول فعلا واطلعنّي عليها . وهي تركز على ان العراق الذي عاش تجربة مميزة بالحرية في نيسان ـ مارس وابريل ومايو ١٩٤١ قد فقد حريته بسبب الاحتلال البريطاني الذي كان ما يزال يرزح تحته وان هذه الثورة هي امتداد لثورة ١٩٤١ ومهمتها ان تعيد للعراق استقلاله وللشعب حريته وللامة وحدتها .

ويؤكد البيان على السعي من اجل تحقيق الوحدة العربية واعادة العراق إلى الحظيرة العربية مستقلا سيدا . كما انه تعهد بالحفاظ على علاقات العراق مع الدول الصديقة . وفي فقرة مستقلة تعهد البيان بالالتزام بجميع المعاهدات والاتفاقات المعقودة مع بريطانيا . وبالطبع فقد كان الهدف من ذلك هو عدم تكرار تجربة ١٩٤١ وخوض حرب اخرى مع بريطانيا . ولذات الهدف فقد اخبرني السيد رشيد عالي انه لا يعتزم في البداية الاضرار بمصالح بريطانيا النفطية في العراق .

ولذا فقد كان طبيعيا بعد ان نجحت الثورة في مصر وقطعت خطوات اساسية على طريق الثورة ان نبادر إلى الاتصال مع الضباط الاحرار في مصر من اجل معرفة اتجاهاتهم السياسية في المنطقة العربية وموقفهم المحتمل في حالة قيام ثورة في أي قطر من الاقطار العربية .

ولهذا فقد توجهت إلى القاهرة ، بعد ان ناقشت مع السيد رشيد عالي كافة تفاصيل الثورة ، حيث اتصلت مع الشيخ محمود عبد اللطيف دراز وكيل الازهر الذي سبق له ان شارك في ثورة ١٩١٩ في مصر بقيادة سعد زغلول . وطلبت منه ان التقى عدد من الضباط

الاحرار . وبالفعل اتصل الشيخ دراز مع بعضهم ورتب لي موعدا معهم في قصر عابدين ورافقني إلى الموعد جمال عرفات سكرتير الجمعية الاسلامية التي يرأسها الشيخ دراز . وتم اللقاء في مكتب الشئون العربية التابع لمجلس قيادة الثورة الذي كان عبارة عن غرفة صغيرة في قصر عابدين لا يوجد بها شيء يدل على طبيعة العمل الذي يؤدي فيها سوى اللوحة الصغيرة المعلقة على بابها . ولا شك ان تخصيص غرفة صغيرة واحدة للشئون العربية لهو دليل على ان الاهتمام بالشئون العربية كان لا يزال في بداياته الاولى بعد .

ولقد لخصت تقويمي للاجتماع الذي عقدته مع هؤلاء الضباط في معرض ردي على سؤال للشيخ دراز حول نتائج الاجتماع بقولي « امل ان اعود إلى القاهرة بعد عشر سنوات كي نتمكن من الحديث عن القومية العربية » . . !

ولدى عودتي إلى بغداد توجهت إلى الناصرية حيث كان مقر المقدم شاكر محمود شكري الذي كنت على اتصال به واخبرته بتفاصيل المخطط الذي اتفق عليه مع السيد رشيد عالي . ووافق بدوره عليه وسألني متى نستطيع ان نبدأ في التنفيذ اذن . . ؟ اجبته بالنسبة لحضور السيد رشيد عالي فليس هناك مشكلة . ويمكن احضاره للعراق في اي وقت نشاء . كذلك فقد اخبرته بنتائج الاتصالات التي اجريتها في القاهرة ، وقام شاكر بدوره بتبليغ نجيب الربيعي الذي لم يكن يتصل به او يعرف دوره في قيادة التشكيل سواه . وكذلك عبد الكريم قاسم الذي كان يعرف دور الربيعي دون ان يتصل به .

وإلى جانب ذلك فإن هناك عاملا آخر جعل الكيلاني يعيش في القاهرة باعتباره مجرد مواطن عادي . فالعلاقات بين القاهرة والرياض كانت جيدة في مطلع العهد الجديد في مصر . ولم تكن القاهرة راغبة في اساءة علاقاتها مع احد بل ان مجلس قيادة الثورة المصري كان في حينه قد كلف عضو المجلس صلاح سالم بالاشراف على تحسين علاقات مصر مع الاقطار العربية . اما العلاقات مع بغداد فقد كانت غاية في الحساسية . ففي ذلك الوقت كان نوري السعيد يقوم بخطواته التحضيرية لاعلان قيام حلف بغداد ، وكانت القاهرة على اتصالات مستمرة مع بغداد بهدف ثنيها عن مشروع الحلف . غير ان نوري السعيد وعدنان مندريس وقعا على الميثاق العراقي ـ التركي في ٢٤ شباط فبراير ١٩٥٥ وانضمت له بريطانيا في ٥ نيسان ابريل وباكستان في ٢٢ ايلول سبتمبر وايران في ٣ نوفمبر تشرين ثان والولايات المتحدة في ٢١ نوفمبر تشرين ثان من نفس العام وبعد توقيع الميثاق العراقي ـ التركي تفجرت

علاقات العراق مع مصر .

هنتش وسر الحقيبة

على كل فقد سهلت اقامة السيد رشيد عالي في القاهرة عملية الاتصال بينه وبين التشكيلات العسكرية في الجيش العراقي التي كانت تعمل للقيام بثورة ضد نظام الحكم الملكي كي تخلص العراق من عبد الآله ونوري السعيد . وكنت انا حلقة الاتصال بين الطرفين . بل ان السيد رشيد عالي بعد شهرين من وصولنا إلى القاهرة ارسلني إلى المانيا للاتصال مع فون هنتش مدير الشئون العربية في وزارة الخارجية الالمانية في عهد هتلر للحصول منه على حقيبة الوثائق التي سلمه اياها في التيرول اثناء اجتياح قوات الحلفاء لالمانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ وكنت حاضراً في حينه . .

وبالفعل فقد اهتديت إلى مقر اقامة فون هنتش حيث كان يقيم في قرية صغيرة في جنوب المانيا قرب الحدود السويسرية . ووجدته يعيش عيشة بسيطة ومتواضعة بعد ان استقال من العمل في وزارة الخارجية على اثر خلافه مع المستشار اديناور الذي وصفه ـ هنتش ـ بأنه نازي مثل هتلر تماما . وقد ابلغه بوجهة نظره هذه وجاهة قبل ان يستقيل من منصبه سفيراً في اندونيسيا .

وفي اشارة إلى فقرة قال لي هنتش على مائدة العشاء التي اعدها وكانت تتكون من شوربة وخبز وزبدة فقط . ارأيت . . أن المخلصين في المانيا اصبحوا يعيشون تماما مثل أي مخلص يعاني من الاضطهاد في البلاد العربية . !؟

واعتذر هنتش عن تسليمي حقيبة الوثائق في حينه لانها موجودة مع كل اشيائه في مدينة جارمش باتركرشن القريبة من ميونيخ وظروفه الصحية لا تساعده على التوجه اليها في ذلك الوقت من فصل الشتاء المثلج . ووعدني بالمرور بالقاهرة في الربيع وهو في طريقه إلى السعودية تلبية لدعوة من الملك سعود الذي وافقته على اختياره جهاز « دكتافون » كان قد اخترع حديثا كهدية للملك . . على ان يسلم حقيبة الوثائف للسيد رشيد عالي شخصيا في القاهرة . وقد التزم هنتش بوعده حيث بعث بالحقيبة إلى الكيلاني عن طريق عبد الله بلخير سكرتير الملك سعود غير ان محتوياتها كانت قد نقصت وثيقة واحدة هى الاهم . وهى نص

محضر اجتماع السيد رشيد عالي مع هتلر المعد من قبل وزارة الخارجية الالمانية . وقد ابدى هنتش اعتقاده بأن الوثيقة قد ضاعت من بين جملة اشياء اخرى فقدها . وهذا ما يصعب تصديقه لأن الوثيقة كانت موجودة في مغلف واحد مع مجموعة وثائق اخرى . والمغلف كان لا يزال كما هو داخل الحقيبة وقد كرر هنتش ذات الاجابة ردا على رسالة بعثها اليه الكيلاني واخرى بعثتها انا اليه كما اشرت في فصل سابق .

وبعد ان انتهت مهمتي في المانيا عدت إلى بغداد في شهر يناير ١٩٥٥ وذلك بعد غياب حوالي الثلاثة اشهر عن وظيفتي كمدرس . وقد وجدت في انتظاري في بغداد كتابا بفصلي من عملي يحمل توقيع خليل كنه وزير التربية والتعليم الذي كان مفترضا أن يكون خليفة السيد رشيد عالي الكيلاني في قيادة الحركة القومية في العراق . وجاء في الكتاب ان قرار الفصل اتخذ بسبب تغيبي عن عملي لاكثر من شهرين متواصلين . وقد رفض الوزير الاعتراف بالتقارير الطبية التي احضرتها معي من القاهرة احتياطا . واشر بقلمه « يعتبر مستقيلا من عمله » .

ولم يكن هذا هو السبب الفعلي للاجراء الذي اتخذ رغم قانونيته ، انما علاقتي مع السيد رشيد عالي ومرافقتي اياه للقاهرة وزيارة جمال عبد الناصر . وكان السفير العراقي في القاهرة قد بعث بتقرير في هذا الخصوص . وقد تأكد لي ذلك في جلسة مجلس انضباط الدولة الذي رفعت اليه شكوى ضد قرار اعتباري مستقيلا من العمل . فاثناء مناقشة قانونية الاجراء قال لي رئيس المجلس « يعني جنابك ما تدري شكو بالانجيل » ؟ . . !

وكان موقف خليل كنه وزير التربية مني مستغربا فالرجل كان من الرموز القومية الكبيرة في العراق . وهو احد مؤسسي حزب الاستقلال بالاشتراك مع فائق السامرائي وصديق شنشل ومحمد مهدي كبه وابراهيم باشا الراوي واسماعيل الغانم . وقد تأسس هذا الحزب سنة ١٩٤٦ من الذين خرجوا من السجون والمعتقلات بسبب مشاركتهم في ثورة رشيد عالي . وكان خليل كنه سكرتير عام حزب الاستقلال ولكنه فجأة استقال من الحزب واصبح سكرتير عام حزب الاتحاد الدستوري . . الحزب الذي يتولى رئاسته نوري السعيد . . !

ولم يكن خليل كنه هو الوحيد الذي نقل البندقية من كتف لآخر فقادة حزب الاستقلال جميعهم تخلوا عن السيد رشيد عالي الكيلاني وكذلك بعض انصاره الذين اصبحوا وزراء في حكومة نوري السعيد بعد ان كانوا وزراء في حكومته مثل محمد على الطي بالاضافة إلى خليل كنه . وكان فائق السامرائي يسعى هو الآخر الى كرسي الوزارة .

ومن اجل المناصب الوزارية لم يشارك حزب الاستقلال في الحملة الشعبية التي عمت الوطن العربي من اقصاه إلى اقصاه في عامي ١٩٥٠/١٩٥١ للمطالبة بالعفو عن السيد رشيد عالي والسماح له بالعودة إلى العراق . وقد شاركت في هذه الحملة الجمعيات والاحزاب السياسية والشخصيات في طوال الوطن العربي وعرضه باستثناء حزب الاستقلال الذي لم تشر صحفه حتى الى وجود هذه الحملة التي تكررت مرة اخرى فى سنة ١٩٥٣ . حدث ذلك من حزب الاستقلال في الوقت الذى كانت اخر امنيات سعد الله الجابري رئيس وزراء سوريا الاسبق وهو على فراش الموت هى ان يعفي عن السيد رشيد عالي وان يعود للعراق .

ولم يكن هذا الموقف نتيجة الخوف من السلطة في العراق . فقد كان هؤلاء يمتنعون عن زيارة الكيلاني في القاهرة التي ترددوا عليها كثيرا بين عامي ١٩٥٤/١٩٥٦ . ولم تكن عيون السلطة تلاحقهم هناك . وقد دفعني هذا الموقف إلى زيارة فائق السامرائي وصديق شنشل ، الذي كان مدير عام الدعاية في حكومة الدفاع الوطني ، في مقر حزب الاستقلال سنة ١٩٥١ وسألتهما عن اسباب موقفهما من السيد رشيد عالي وتجاهل الحزب للحملة الشعبية العربية للعفو عنه . يومها اجابني فائق السامرائي هناك وجهة نظر سوف تعرفها فيما بعد . ولم يزد على هذه الكلمات حرفا واحدا . اما اسماعيل الغانم فقد قال لاحد الاصدقاء : . . ولماذا يعود رشيد عالي . . ؟! « خليه يموت في السعودية ويبقى رمزا لثورة العراق القومية » . . !

ونتيجة لهذه الانحرافات في قيادة حزب الاستقلال كان طبيعيا ان تتحول قاعدة هذا الحزب وجلهم من الشباب القومي الى حزب البعث العربي الاشتراكي بمجرد الاعلان عن تشكيله . بسبب الانحراف القومي بقياداته !؟


● الملك فاروق


● انور السادات


● عبد الكريم قاسم

٣ محاولات
لاغتيال عبد الناصر

في العام ١٩٥٦ حدث تحول في تعامل حكومة الثورة المصرية مع السيد رشيد عالي الكيلاني ، ففي ذات يوم جاء إلى منزل الكيلاني أحد العاملين في سكرتاريا الرئيس وأبلغه ان الرئيس عبد الناصر قد أمر بتخصيص فيلا في منطقة المعادي لاقامته .

كانت الفيلا كبيرة وأنيقة ويوحي مظهرها ان تحولا قد حدث في تعامل عبد الناصر مع الكيلاني . وأبدى الموظف استعداد الرئاسة لتقديم كل ما يحتاجه الكيلاني من نفقات غير أنه اعتذر عن قبول ذلك . وكان يعتاش من ايجار بيته الذي بناه له الملك عبد العزيز في السعودية وأوكل أمره لوزير المالية السعودي الشيخ سرور الصبان الذين وقف إلى جانب الكيلاني حتى آخر لحظة .

ولم يأت هذا التحول من فراغ ففي ذلك الوقت كانت قد انعكست العلاقات الجيدة بين القاهرة وبغداد وحل محلها الخلاف وذلك لثلاثة أسباب :

يتعلق السبب الأول برفض الحكومة المصرية تسليم السيد رشيد عالي الكيلاني للعراق واستمرار اقامته في القاهرة . وان لم ينعكس هذا العامل على علاقات البلدين السياسية بشكل سريع فذلك لان نوري السعيد وعبد الآله كانا يخططان من أجل العمل على ضم مصر إلى حلف بغداد الذي شكل عام ١٩٥٥ . غير أنه في الوقت الذي كانت توجد فيه مثل هذه المخططات في ذهن نوري السعيد فانه ، وكذلك عبد الآله ، لم يعودا يقضيان اجازاتهما الخاصة في مصر كما كانا يفعلان من قبل . وقد جاء رفض عبد الناصر الانضمام لحلف بغداد

ليلغي السبب الذي من أجله رأت بغداد في البداية ان تسكت عن وجود السيد رشيد عالي في القاهرة .

أما السبب الثالث والأهم فهو يتعلق بمؤامرة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر توليت ابلاغها قبل البدء في تنفيذها . وقد تأكد عبد الناصر من صحة المعلومات التي نقلت اليه في هذا الخصوص .

فقد أبلغني الرائد طه الدوري وهو أحد الضباط الذين كانوا يعملون معنا من اجل القيام بثورة في العراق ان ضابطا بريطانيا يعمل مفتشا في وحدته العسكرية أخبره اثناء سهرة دارت فيها الكؤوس بالرؤوس ان عبد الناصر سوف ينتهي قريبا وأنه سوف يغتال . وشرح الضابط الانجليزي الخطة وقال انها تقضي بهرب مجموعة من الضباط العراقيين إلى مصر طلبا لحق اللجوء السياسي على اعتبار أنهم كانوا يخططون للقيام بانقلاب عسكري وقد كشف أمرهم . وبعد أن يصبحوا محل ثقة في القاهرة ويطمأن لهم يقومون بانتهاز فرصة مناسبة ويقدمون على اغتيال جمال عبد الناصر . وقد نقل لي طه الدوري أسماء عدد من الضباط الذين اخبره الضابط الانجليزي أنهم سينفذون هذه المهمة .

ولم يكن هناك ما يدعو في العلاقات العراقية المصرية للاقدام على ارتكاب حادث اغتيال بهذه الخطورة لرئيس جمهورية دولة عربية شقيقة . غير ان الانكليز هم الذين شعروا ان عبد الناصر بدأ يمثل خطرا داهما على مصالحهم في كل المنطقة . وكان نوري السعيد وعبد الأله حاضرين بشكل دائم لتنفيذ التعليمات .

وتفجر الموقف وانعكس ذلك على الاعلام اذ بدأت الاذاعات ووسائل الاعلام المصرية حملة على العراق تم التركيز فيها على شخص نوري السعيد وعبد الأله وافتتحت اذاعة سرية في القاهرة موجهة لمخاطبة الشعب العراقي كان يعمل فيها الشاعر المرحوم عدنان الراوي ونعيم العزاوي وعبد الهادي الفكيكي وآخرون من شباب العراق القومي الذي كان لاجئا في مصر وأوكل امر الاشراف على هذه الاذاعة في مرحلة لاحقة الى السيد رشيد عالي الكيلاني .

وقد اخذ الخلاف يتفاقم فقد أنشأت اذاعة سرية مقابلة في العراق كانت موجهة لمصر وقد اقيمت في منطقة الحبانية كي تكون مسموعة بوضوح في القاهرة . أوكل أمر هذه الاذاعة إلى

مذيع مصري يدعي سعيد لطفي . . جرى تسليمه للقاهرة اثر ثـورة ١٤ تموز سنـة ١٩٥٨ .[1]

وبما زاد في تفاقم الموقف انه القي القبض في ذات الفترة في بغداد على مجموعة عناصر مدعومة من مصر وكانت مكلفة باغتيال نوري السعيد وعبد الآله . وكان من ضمن الذين اعتقلوا في هذه القضية شخص يدعى عدنان أمين .

وبالمناسبة فلم تكن هذه المرة الوحيدة التي كشف فيها عن محاولة عراقية لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر اذ كشفت بعد ذلك محاولتين أخريين الاولى فكانت في العهد الملكي ايضا أما الثانية في عهد عبد الكريم قاسم .

ففي شتاء ١٩٥٧ وبينما كنت احضر حفل زفاف محمود علي ألمان جلس إلى جواري ضابط صديق مخلص في الاستخبارات العسكرية واخبرني ان الاستخبارات العسكرية شكلت مجموعة من الضباط كلفتها بمهمة مزدوجة هي :

أولا : تدبير محاولة انقلابية ضد الرئيس شكري القوتلي في سوريا .
ثانيا : اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة ضباط يرسلون من دمشق للقاهرة .

ولهذه الغاية جرى ارسال ثلاث شاحنات اسلحة الى سوريا عبر الحدود فضلا عن السلاح الذي كانت الاستخبارات العسكرية ترسله إلى سوريا عبر لبنان حيث كانت الطائرات العراقية تهبط في مطار بيروت وهي في طريقها لارسال أسلحة إلى ثوار الجزائر ، وفي نهاية مدرج المطار كانت تلقي صناديق اسلحة كان هناك من يقوم بنقلها إلى سوريا من اجل استخدامها في العملية الانقلابية وكانت هذه العملية ـ تهريب الاسلحة عبر بيروت ـ تتم باشراف العقيد الركن غازي الداغستاني الذي اصبح قائد الفرقة التي ضمت لواء التاسع عشر الذي نفذ السيطرة على بغداد صباح الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ .

واخبرني الصديق الضابط الاستخبارات ان الاستخبارات العسكرية العراقية انفقت ٧٥٠ الف دينار من اجل تمويل الانقلاب في سوريا . غير ان احد الضباط العراقيين المكلفين

---

(١) الدكتور عصام الطاهر . . رسالة خاصة . . تعقيب الكويت ١٩٨٧/١١/٧ بعث بها الينا مشكوراً يذكر لنا اسمه . .

بتنظيم الانقلاب في سوريا كشف حقيقة الخطة لعبد الحميد السراج مدير المخابرات السورية الذي كلف بدوره برهان أدهم ، وهو من خيرة الضباط الذي خلف السراج في ادارة المخابرات السورية فيما بعد ، بمتابعة هذه القضية وتقمص أدهم شخصية سائق شاحنة ، وبهذه الصفة شارك في نقل اسلحة أخرى من حدود العراق إلى سوريا .

وكلفت المخابرات السورية بدورها الضابط العراقي الذي كشف لها المخطط بتنظيم انقلاب في العراق سيما وان الضابط المعني زعم للمخابرات السورية انه مرتبط بتنظيم داخل الجيش يعمل لهذه الغاية . واعادت المخابرات السورية الاسلحة الى العراق مرة اخرى بمعرفة هذا الضابط حيث تمت تخبئتها في الصحراء غير ان الضابط العراقي المعني لم يكن يبحث في الحالتين الا عن المال . ولهذا فقد بدأ يبيع قطع السلاح لحسابه الشخصي لمن يريد ان يشتري . وهو على اية حال لم يكن مرتبطا بأي تنظيم داخل الجيش .

وبدوري انا والاخوة العاملين معي وجدنا انه لابد من ابلاغ دمشق والقاهرة بالتفاصيل التي حصلنا عليها . وهكذا كلف الاخ يحيى ثنيان بالتوجه إلى دمشق وكشف حقيقة الضابط العراقي لعبد الحميد السراج . ولكن السراج لم يصدق انه تعرض للخدعة . وحين تكشفت له الحقيقة بعد قيام الثورة في العراق في ١٤ تموز ١٩٥٨ اعتبرانا « علمنا » عليه . وكان هذا « التعليم » سببا في الفتور والجفاء حين لجأت إلى الاقليم الشمالي (سوريا) من الجمهورية العربية المتحدة في عهد عبد الكريم قاسم فيما بعد ، مما اضطرني إلى الانتقال إلى الاقليم الجنوبي (مصر) وسأشرح ذلك فيما بعد .

اما انا فقد كلفت بابلاغ السفير قطامش . . سفير مصر في بغداد . واثناء توجهي إلى مقر السفارة المصرية مررت على كراج تصليح سيارات يملكه سالم الكيلاني ابن شقيق رشيد عالي الكيلاني فوجدت لديه سيارة من طراز بويك هى سيارة نوري فتاح باشا . كان تاجرا كبيرا وصاحب مصانع اصواف فتاح باشا الشهيرة . وكانت سيارته معروفة في بغداد خاصة من قبل رجال الامن والمخابرات . ولهذا تعمدت ان استأذن سالم الكيلاني فى استبدال سيارتي بسيارة الباشا لقضاء حاجة ريثما يجري اصلاح عطل بسيط في سيارتي .

وبسيارة الباشا دخلت إلى السفارة المصرية واجتمعت بالسفير قطامش وابلغته بالمعلومات المتوافرة لدى عن المؤامرة .

المحاولة الثالثة التي كشفناها لاغتيال الرئيس عبد الناصر جرت في عهد عبد الكريم قاسم . ففي شتاء سنة ١٩٦٠ كنت موجودا في دمشق حين ارسل إلي العقيد طيار خلف الجنابي[1] يدعوني للالتقاء به في بيروت وحين ، التقيته اخبرني انه يرغب في اللقاء مع عبد الحميد السراج مدير المخابرات في الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة وقال لي ان الامر غاية في الاهمية حيث انه علم ان مؤامرة يجري تدبيرها لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر اثناء احدى زياراته الى دمشق . . وطلب مني ان انقل إلى السراج رغبته بالالتقاء به في اي مكان .

وعدت من فوري إلى دمشق حيث ابلغت السراج برغبة العقيد الجنابي بالالتقاء به لامر مهم جدا يتعلق بامن الجمهورية العربية المتحدة . فقال السراج ان الجنابي الذي كان يعرفه من قبل صديق وموضع ثقة ورحب باللقاء به ووعد بالاتصال به لمعرفة ما لديه . ولم اعرف في حينه ما الذي حدث ، غير اني عرفت فيما بعد من العقيد الجنابي وذلك بعد اسقاط حكم عبد الكريم قاسم انه لم يتصل به احد من طرف السراج ولم يقابله . وكان مستغربا هذا التصرف الذي اعتبره خارجا عن اصول العمل القومي .

التنافس على زعامة العالم العربي

نعود الآن إلى الخلاف الذي تفجر بين عبد الآله ونوري السعيد من جهة وعبد الناصر من الجهة الاخرى . ان خلافا بهذا الحجم لم يكن مرده تورط نوري السعيد وعبد الآله في تنفيذ تعليمات الانجليز باغتيال جمال عبد الناصر فقط ، بل كان هناك سبب اخر . . هو ذلك السبب التاريخي الذي مازال يفجر الخلافات بين الحكام العرب حتى الان . وهو التنافس على زعامة العالم العربي .

ففي الفترة التي سبقت ظهور زعامة جمال عبد الناصر في المنطقة اثناء معركة حلف بغداد كان العراق هو القوة النافذة صاحبة الكلمة المطاعة في مختلف الدول العربية المجاورة . فقد كانت كلمة العراق نافذة في الاردن وسوريا ولبنان ـ والكويت ولم يكن يعين رئيس وزراء او وزير في اي من هذه البلدان اذا لم تكن بغداد راضية عنه . بل ان رئيس الجمهورية الذي لم

---

(١) احد ضباط الجيش العراقي القوميين .

تكن بغداد ترضى عن وجوده في سوريا لم يكن بامكانه البقاء في منصبه . ويؤكد تاريخ الانقلابات العسكرية المتتالية في سوريا ان نفوذ العراق كان وراء معظم هذه الانقلابات . وكانت الملحقية العسكرية العراقية في هذه العواصم تقوم بدفع مخصصات شهرية دائمة لبعض السياسيين وكانت مخصصات رئيس الوزراء في ذلك الوقت الف ليرة سورية او لبنانية . . فاذا ترك السياسي المعني رئاسة الوزراء خفضت مخصصاته إلى ٥٠٠ ليرة فقط .

فهل كان متصورا ان يتخل نوري السعيد عن هذه المكانة بسهولة . . ؟ !

والذي لا شك فيه هو ان الخلاف بين القاهرة وبغداد واستعداد القاهرة لتقديم كل دعم ممكن لثورة تقوم في العراق قد شجع الضباط الوطنيين في الجيش العراقي على التحرك وسرعة العمل . وقد زاد من استعداد القاهرة للدعم ، والضباط الوطنيين للعمل ، ان الطائرات البريطانية سمح لها اثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ ان تنطلق من قاعدة الحبانية في العراق لقصف مصر الشعب والجيش . وكان تواطؤ الحكومة العراقية مكشوفا لدرجة ان اذاعة بغداد حاولت ان تتكتم على اخبار العدوان وتخفيها عن الشعب العراقي الذى كان قد تحدى قوات الامن والمخابرات وتظاهر تأييدا لمصر قبل ان يبدأ العدوان الثلاثي .

عبد الناصر يوافق على دعم الثورة

ولئن كانت الاتصالات بين الكيلاني وأركان حكومة الثورة المصرية قد تقلصت فترة العدوان الثلاثي وبعده بسبب الانشغال في صد العدوان ثم في اعادة تنظيم البيت المصري فان هذه الاتصالات قد تجددت بشكل كثيف في نهاية سنة ١٩٥٧ .

وقبل بدء العدوان الثلاثي كانت الاتصالات تتم بشكل مباشر بين الرئيس جمال عبد الناصر والسيد رشيد عالي عند الضرورة ، ولكنها كانت تتم بشكل متواصل مع كمال رفعت عضو مجلس قيادة الثورة الذي كان يتولى ادارة المخابرات ومع احمد الكفافي الذي ظل مكلفا اثناء فترة العدوان الثلاثي وما بعدها بتلبية كل احتياجات الكيلاني .

وفي بداية سنة ١٩٥٦ حضر كمال رفعت في زيارة سرية إلى بغداد وكان يريد الاتصال بي وقد وصل بغداد مستخدما جواز سفر لبنانيا ونزل في فندق سميراميس غير انه عاد على اول طائرة إلى بيروت بعد ان شعر انه ربما يكون قد انكشف بسبب لهجته المصرية التي لا تنسجم مع جواز سفره اللبناني . وكان الكيلاني قد اخبرني ان مسئولا مصريا سوف يزورني في بغداد ويتصل بي على مقر شركتي باعتباره تاجرا يريد التعامل معي . ولما لم يحضر فقد ذهبت انا إلى القاهرة بنفسي . وكان مفترضا ان يعمل كمال رفعت اثناء زيارته على التنسيق بين مصر وضباط الجيش الذين . كانوا يعملون من اجل الثورة وكنت حلقة الاتصال بين هؤلاء الضباط والسيد رشيد عالي الكيلاني في القاهرة الذي تقرر ان يكون وحده فقط المفوض بالتحدث مع الرئيس جمال عبد الناصر والقيادة المصرية .

وفي نهاية سنة ١٩٥٧ كان قد تحقق جلاء القوات المعتدية عن مصر كما كانت الاستعدادات للثورة في العراق قد بدأت تكتمل . ولذلك فقد تكثفت الاتصالات بين السد رشيد عالي وجمال عبد الناصر الذي كلف مدير المخابرات الجديد صلاح نصر بتلبية كل ما يطلبه الكيلاني منه من اجل قيام وانجاح الثورة في العراق . وتعبيرا عن احساس الحكومة المصرية بأن الثورة على وشك القيام في العراق وان السيد رشيد عالي الكيلاني على وشك ان يصبح رئيسا للجمهورية فقد جرى تخصيص فيلا جديدة لاقامته في منطقة الزمالك كانت قريبة من مقر السفارة السورية في القاهرة .

ومع اكتمال الاستعدادات لقيام الثورة تطلبت الظروف ان تكون هناك وسيلة اتصال سريعة ومستمرة بين الضباط في بغداد والسيد رشيد عالي في القاهرة . وقد تمت هذه الاتصالات عن طريقين . في البداية كنت اتولى الذهاب الى القاهرة بنفسي عن طريق بيروت او أن اذهب إلى المانيا عبر القاهرة بحجة وجود اعمال تجارية لي هناك . وفي احدى المرات قرر الضباط ان يوفدوا إلى القاهرة احدهم وهو العقيد المتقاعد يحيى عبد الباقي من اجل الاتصال مع السد رشيد عالي الكيلاني والتأكيد على اهمية التعهدات التي التزم بها جمال عبد الناصر حيال الثورة في العراق في حالة قيامها . وكانت هذه التعهدات كما نقلتها انا من

بغداد وكما وافق عليها عبد الناصر في لقاء ضمه مع الكيلاني تنص على :

اولا : وضع الجيش الاول في سوريا على اهبة الاستعداد قبل عدة ايام من ساعة الصفر لبدء الثورة من اجل صد أي تدخل خارجي اجنبى او عربي يستهدف اجهاض الثورة في العراق على غرار ما حدث في ثورة ١٩٤١ وكانت سوريا قد اتحدت مع مصر بقيادة جمال عبد الناصر في ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ .

ثانيا : ارسال مائة طائرة من طراز ميج للعراق فور قيام الثورة اتعاظا من تجربة ١٩٤١ ايضا التي لعب فيها الطيران البريطاني دورا حاسما في افشال الثورة وغزو العراق . وبالفعل فقد وصلت إلى بغداد ٥٠ طائرة في الايام الاول لقيام الثورة .

ثالثا : تجاوب عبد الناصر مع طلب دعم الاقتصاد العراقي وتعهده بذلك اذا اقدمت بريطانيا بعد قيام الثورة على تجميد الودائع العراقية حيث كان الدينار العراقي في ذلك الوقت ضمن منطقة الاسترليني الامر الذي كان سيكون من شأنه ان ينهار سعر صرف الدينار العراقي وتتوقف تجارة العراق الخارجية ملحقا بذلك افدح الاضرار بالاقتصاد العراقي .

رابعا : ان يتم اعتراف مصر فورا بالوضع الجديد في العراق وان تقوم الحكومة المصرية بالطلب من الدول الصديقة ودول عدم الانحياز الاعتراف بالنظام الجمهورية الجديد .

وبعد ان تعهد جمال عبد الناصر بذلك اتفق على ان لا اذهب إلى القاهرة مرة اخرى وذلك تحسبا من أن يكشف امري . واتفق على ان يكلف شعراوي جمعه الذي كان معاونا لمدير المخابرات قبل ان يعين وزيرا للداخلية فيما بعد . . ان يكلف طيارا مصريا يعمل في الطيران المصري لأن يكون حلقة الاتصال بيني في بغداد وبين السيد رشيد عالي في القاهرة . وكنت قد اخترت انا هذا الطيار وهو الصديق محمد يوسف رحمه الله حيث كنت قد تعرفت عليه في أواخر الاربعينات في الفترة التي كنت متفرغا فيها للاتصالات مع القوى المصرية الشريفة . وكانت مهمة هذا الطيار ان ينقل الرسائل مني إلى السيد رشيد عالي شخصيا حيث كنت انتظره في مطار بغداد في موعد وصول الطائرة المصرية .

وفي شهري يونيو ويوليو ١٩٥٨ قام هذا الطيار بنقل رسائل غاية في الاهمية حيث كان يأتي إلى بغداد كل اسبوع وتعلقت هذه الرسائل بخلاف بين ضباط الخط الاول الذي سموا انفسهم بالضباط الاحرار فيما بعد وهم الضباط من حملة الرتب العالية . وبين ضباط الخط الثاني الذين كان عددهم ٦٤ ضابطا . ونتيجة لهذا الخلاف تراجع ضباط الخط الاول عن تنفيذ الثورة وصاروا في حل من التزاماتهم بالمشاركة فيها . وبهذا فقد بدأ ضباط الخط الثاني العمل بمفردهم .

وكان عبد الكريم قاسم من ضباط الخط الاول غير انه عمد إلى تنفيذ الثورة بمشاركة عدد من الضباط الاعضاء كان قد استقطبهم العمل معه ومن ضمنهم عبد السلام عارف ، ولم يكن هؤلاء على صلة بأي من المجموعتين . . ضباط الخط الاول او الثاني الذين كان جانبهم مأمونا يوم قيام الثورة ، او لنقل سرقة الثورة من الذين عملوا لها طوال سنين . . كذلك فقد امن عبد الكريم قاسم جانب العقداء عبد الوهاب الشواف وناجي طالب وعبد الوهاب الامين الذين اختلف معهم قبل تنفيذ الثورة وكان هؤلاء على علاقة تنسيق مع العقيد رفعت الحاج سري .

وكانت تعقد الاجتماعات في بيتي مرتين في الاسبوع حيث كنت على اتصال مع كل المجموعات بما في ذلك مجموعة العقيد رفعت الحاج سري التي اضطرت إلى تجميد نشاطها قبل مدة من قيام الثورة بسبب انكشاف امرها مما ادى إلى نقل العقيد سري إلى العمارة حيث عين ضابطا للتجنيد فيها ، كما نقل العقيد صالح عبد المجيد السامرائي إلى عمان حيث عين معاونا للمحلق العسكري كما وزع ضباط اخرون في مناطق متعددة من العراق .

ولم يكن عبد الكريم قاسم يختلف عن بقية الضباط في اجماعهم على اسناد رئاسة الدولة الى السيد رشيد عالي بنجاح الثورة ، وقد تعهد لي بذلك هو وعبد السلام عارف حيث التقيت بهما في فبراير ١٩٥٨ في معسكر جلولاء ، وقد ظلا على اتصال بي حتى لحظة قيام الثورة حيث ابلغتهما بموافقة جمال عبد الناصر على التعهد بتنفيذ كل المطالب التي نقلتها اليه بوساطة الكيلاني والمثبتة سابقا ، وكان عبد الرحيم الراوي مطلع على ذلك . .

البحث عن رئيس

في ذات الوقت لم تكن مساعي ضباط الخط الثاني قد توقفت ولا كانت اتصالاتهم قد

انقطعت بي ، وكانت هذه الاتصالات تتم بشكل خاص مع المقدم طه الدوري . وبعد ان وقع الخلاف بين ضباط الخط الاول وضباط الخط الثاني بدأ الاخيريون يعيدون تنظيم انفسهم وبرزت امامهم الحاجة إلى وجود ضابط كبير يتصدر عملهم وقد وقع اختيارهم على العميد مزهر الشاوي معاون رئيس اركان الجيش الذي كان موضع ثقتهم ، وهنا برزت مشكلة اخرى من يجرؤ من الضباط على مفاتحة العميد الشاوي . . ؟ ولقد كان مستحيلا ان يقوم اي ضابط في الجيش العراقي بمفاتحة اي ضابط من اصحاب الرتب العالية بموضوع في مثل هذه الاهمية من الخطورة ، لذلك فقد تقرر ان اقوم انا بهذه المهمة .

وبالفعل فقد اتصلت مع العميد الشاوي وطلبت ان ازوره في بيته واصطحبت معي في الزيارة الملازم اول المتقاعد مدلول عباس الذي ابعد من الجيش بعد فشل ثورة ١٩٤١ ، وكان قبيل الثورة مسئولا عن الحراسة على السفير الامريكي الذي هرّب عبد الاله ، وكان يستشيط غضبا كلما تذكر انه كان بامكانه ان يغير وجه التاريخ العراقي في ذلك اليوم ولم يفعل .

بدأ الحديث مع العميد مزهر عن الوضع العام في العراق وما يعاني منه البلد ثم طرحت عليه فكرة الثورة والدور القيادي المطلوب منه ان يقوم به فيها ، لم يكن هناك ما يمنع من ان افاتحه بالامر بشكل مباشر كما حدث فالرجل كان معروفا لنا بوطنيته وكانت ثقتنا في محلها . في المرة الاولى اكتفي بالاستماع وطلب ان نجلس مرة اخرى على انفراد وان لا احضر معي الاخ مدلول او احدا سواه وشرح لنا السبب الذي لخصه في انه هو نفسه كان ضابطا في الاستخبارات وقد تعلم من تجربته ان نجاح اية مهمة عسكرية يتطلب السرية الكاملة .

وفي الجلسة الاخرى شرحت له ان الضباط الذين يعملون من اجل الثورة كلهم من الضباط الصغار فاستوقفني وطلب مني ان لا اذكر امامه اية اسماء ، وان اشرح له الموقف فقط ، وان اضعه في صورة التحرك الحادث ، ففعلت وقلت له انه متفق في حالة نجاح الثورة ان تسند رئاسة الدولة للسيد رشيد عالي الكيلاني وان تسند له ـ الشاوي ـ رئاسة الوزراء . فوافق على اسناد رئاسة الدولة للكيلاني على الفور اما الشق المتعلق باسناد رئاسة الحكومة له فطلب ان يجري بحثه فيما بعد وان يبقى الاتصال به عن طريقي فقط وان لا يتصل به اي ضابط على الاطلاق ، ولان تكرار زيارتي له في منزله من شأنه ان يلفت الانظار سيما واني

مغامرة غير محسوبة لاشراك « الملك » في الثورة

كنت مكشوفا للدولة و « صوفتي حمرة » فقد اتفقنا على ان يكون اتصالي به في مكتبه في وزارة الدفاع .

كنت انا في ذلك الوقت رياضيا بارزا في العراق كان طبيعيا ان اتردد على مديرية العاب الجيش التي كانت تنسق مع وزارة التربية في بعض المهرجانات الرياضية وكنت كثيرا ما انتدب من وزارة التربية قبل فصلي من العمل فيها لهذه الغاية ، وكانت مديرية العاب الجيش تابعة في ذلك الوقت للعميد الركن مزهر الشاوي ، ولذلك فقد كنت حين اريد مقابلته ابلغ استعلامات الوزارة اني ذاهب الى مديرية العاب الجيش ، وكانت الزيارة الاولى تحتاج إلى تبرير امام العاملين في المديرية .

لذلك فقد زرت في البداية صديقي اسماعيل رزوقي الذي كان يعمل في المديرية وسألته اثناء الزيارة من هو مسئولكم هنا اجابني . . مزهر باشا الشاوي . . سألته ثانية ما رأيك به ؟ اجاب بحماس باشا ونص ، فطلبت منه ان يرتب لي موعدا معه عسى ان يساعدني في طبع كتاب كنت قد اعددته عن الرياضة العسكرية ، فرحب بالفكرة واتصل بالعميد الشاوي الذي سمح لي بالدخول فورا ، وكان يوجد في مكتبه عدد من الضباط فقدمت نفسي له باعتبار ان هذا هو اللقاء الاول وشرحت له فكرة الكتاب فابدى اعجابه به وطلب مني امام الحضور ان اتابع المشروع .

ولم تكن الامور سهلة دائما هكذا . . ففي احدى المرات حضرت إلى مديرية الالعاب فلم اجد اسماعيل رزوقي كي يرتب لي اللقاء امام الناس دون ان يدري بحقيقة العلاقة حتى الان . . وكان موعدي مع الباشا الساعة الثامنة صباحا . عند الساعة الثامنة والربع اتجهت الى باب مكتبه طرقته وفتحته لاهم بالدخول ففوجئت باجتماع عسكري برئاسته قلت له العفو باشا انا فلان ويبدو انكم مشغلون فطلب مني امام الحضور ان القاه بعد ساعة لحين انتهاء الاجتماع ، وعندما اغلقت الباب ثانية سأل الضباط الذين كانوا في مكتبه من هذا ؟ . . ففوجيء بان جميعهم قد عرفوني فتظاهر امامهم انه يتذكر وقال نعم . . نعم لقد اتصل بي

بالفعل وطلب موعدا لانه يريد ان ينقل احد الضباط من اقاربه من مكان لاخر .

وفي ذلك اليوم ناقشنا بعد انتهاء الاجتماع العسكري كيف يمكن له ان يسيطر على وزارة الدفاع ويصدر التعليمات للجيش باسم الوزارة في حالة قيام الثورة ، وقال لي ان العقبة الوحيدة امامه هو رئيس الاركان العميد غازي الدغستاني ، فاقترحت عليه ان نشركه معنا في الثورة ، فلم يوافق لانه لم يكن يثق به ، اما انا فقد شرحت له ان الداغستاني يكره عبد الاله وانه عين في منصبه فقط لانه على علاقة نسب مع حكمت سليمان رئيس الوزراء السابق ، ومع ذلك فلم يرغب في ان نغامر ، واقترح هو في المقابل ان نقوم باغتيال نوري السعيد ، فلم اوافق انا بدوري لان الاغتيال قد يؤدي الى كشف كل شيء ، واقترحت في المقابل انه اذا كان لابد من اغتيال نوري السعيد لضمان نجاح الثورة فليكن الاغتيال هو ساعة الصفر للثورة ككل . واتفقنا على بحث هذه الاقتراحات مرة اخرى بعد ان ندرسها .

وحين ابلغت الضباط بذلك قرروا ان يتصلوا به مباشرة للتفاهم رغم اعتراضي . وبالفعل ذهب احدهم اليهم وفاتحه فكانت النتيجة انه ـ العميد الشاوي ـ طرده من مكتبه بعد ان نفى له صحة كل ما قاله . . غير ان الضباط الاخرين نتيجة لهذا الموقف تزعزعت ثقتهم في الرجل وفضلوا ان يؤجلوا تنفيذ الثورة لبعض الوقت خشية ان يكونوا قد انكشفوا .

مفاتحة الملك بامر الثورة

وبدئنا من جديد عملية البحث عن شخصية وطنية مدنية معروفة تتولى رئاسة الوزراء فور تنفيذ الثورة دون اتفاق مسبق مع اي ضابط كبير ، وفي اجتماع ضمني مع المقدم طه الدوري ويحيى ثنيان وقع الاختيار على المرحوم رؤوف البحراني الذي كان وزيرا للمالية في حكومة الدفاع الوطني سنة ١٩٤١ وبحكم علاقتي السابقة معه كلفت بالاتصال به لابلاغه ، وحين التقينا قال لي نحن حين قررنا القيام بعمل ثوري لم نعتمد على اي شخص اخر اطلاقا ، توكلوا على الله ونفذوا الثورة هذا يومكم ونحن سنكون في خدمتكم ، لقد اديت انا الواجب كما تعرف وصار الذي صار ، والان انا حاضر لتأييدكم وخدمتكم بأي شيء من استشارات وغيره ، ولكن عليكم ان تباشروا العمل بانفسكم ، وقال باللهجة العراقية الدارجة « سوقوا » .

غير ان الضباط لم يقتنعوا بهذه الاجابة وقالوا انها تعني الرفض وقرروا ان يفاتحوا ناجي

شوكت وزير الدفاع في حكومة الدفاع الوطني سنة ١٩٤١ ، فاعتذرت انا عن مفاتحته وتطوع يحيى ثنيان للقيام بهذه المهمة ، وكان ناجي شوكت رجلا ارستقراطيا واصوليا جدا وحين فاتحه يحيى ثنيان بأمر الثورة وتولى رئاسة حكومتها وافق ولكنه اشترط لذلك شرطا واحدا فقط هو ان يكلفه الملك بهذه المهمة !

كان شرطا غريبا ، ومع ذلك فقد ناقشنا بالفعل فكرة مفاتحة الملك بامر الثورة !! لقد كان الضباط لا يتصورون امكانية نجاح الثورة اذا لم يشارك فيها ضابط كبيراو رجل سياسي وطني معروف تصدر البيانات والتعليمات والاوامر باسمه من اجل ان تحترم وتطاع في مجتمع كان يتسم بالاوتوقراطية والانضباط العسكري الشديد في الجيش ، وكان الشخص الوحيد الذي امكن الاتصال به والحصول على موافقته لتولى قيادة الثورة داخل العراق ، وهوناجي شوكت بشرطه الغريب ـ لذلك وتحت ضغط الظروف والحاجة ، جرى التفكير فعلا في مفاتحة الملك الذي كان يفترض انه يكن كرها لخاله عبد الاله لا يقل عن كره اي مواطن عراقي بسبب تسلطه عليه وسلبه لارادته وتعمد اهانته امام الناس كما اسلفنا ولكن كيف يتم الاتصال مع الملك ؟ ومن يضمن موافقته ؟ .

كان من الضباط الاحتياط الذين يتصلون مع المحامي عبد الرحيم الراوي ضابط احتياط هو غالب الداودي (الدكتور) وكان مقره في الحبانية وقد ابلغنا الداودي ان الملك يذهب بمفرده مرتين أو ثلاث مرات في الاسبوع إلى فيلا صغيرة له تطل على شاطىء البحيرة في الحبانية . ولم يكن يرافق الملك في هذه المهمات الخاصة سوى حرس شخصي فقط . وكان الملك يذهب يوميا إلى الحبانية أثناء سفر خاله عبد الآله للخارج . وقد أبدى الداودي استعداده لاحضار الملك إلى اي مكان نشاء وفي أي وقت نشاء وقد وقع الاختيار على قصر الزهور الذي اطلق عليه اسم قصر بغداد الآن واتفق على ان يتم احضار الملك الذى كان يقيم مع خاله في قصر الرحاب ونكون نحن قد جمعنا له الحكومة وأحضرنا ناجي شوكت والوزراء الذين سيشتركون في حكومته . فيوقع الملك المراسيم الملكية الخاصة بقبول استقالة الحكومة السابقة وتشكيل حكومة الثورة برئاسة ناجي شوكت .

وبالطبع مثل هذه الثورات أو الانقلابات العسكرية لم تحدث من قبل ولا حتى في الافلام السينمائية . ومع ذلك فان حماس الضباط لفكرة الثورة جعلهم يقرون مثل هذه الخطة

يشجعهم على ذلك ، ومع مراعاة الفارق ، ان العقداء الاربعة صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب حين كانوا يسيطرون على الجيش قبل ثورة ١٩٤١ ، كانوا يفرضون في الكثير من الاحيان على عبد الآله ان يكلف من يشاؤونه لرئاسة الحكومة . ولذلك فقد كان السياسيون يتنافسون على خطب ودهم والتحالف معهم .

وفيما كانت تجري الاستعدادات لارتكاب مغامرة اشراك الملك في الثورة ، تواردت علينا معلومات جعلتنا نتريث في القيام بهذه المغامرة غير مأمونة العواقب . فقد بلغنا ان احد ضباط الصف الأول وهو الزعيم الركن عبد الكريم قاسم قرر ان يقوم بالثورة مجددا هو وعدد من الضباط بعد ان كانوا قد تخلوا عن تعهداتهم في هذا الخصوص .

ولم اكن ارسل بكل هذه المعلومات التفصيلية للسيد رشيد عالي في القاهرة ، بل كنت ارسل له بمعلومات مختصرة فقط مثل . . هنالك خلاف طرأ بين الضباط أو سأزودك بساعة الصفر قريبا . . وهكذا . .



● كمال الدين رفعت



● نوري السعيد يتحدث إلي امراء اليمن .

تنظيمات الضباط الأحرار

▣ تجميد العمل السري للتنظيمات العسكرية بعد انكشاف أمر بعضها أمام النظام

قبل أسبوع من قيام الثورة ، جاءني يحيى ثنيان وعبد الرحيم الراوي وأبلغاني أن موعد التنفيذ قد تحدد في الفترة بين ١١ ـ ١٤ تموز « يوليو » ويومها بعثت برسالة إلى السيد رشيد عالي الكيلاني طلبت منه تذكير القيادة المصرية بتعهداتها المتفق عليها . وبالفعل فقد استعد الجيش الأول في سوريا للتدخل لحماية الثورة إذا استدعت الضرورة ذلك .

وهنا من الضروري اعطاء فكرة عن كيفية تشكيل تنظيم الضباط الأحرار في الجيش العراقي والتطورات التي حدثت في هذا التنظيم وقيادته منذ تأسيسه وحتى قيام الثورة .

لقد كتب الكثير عن ثورة ١٤ تموز واتضح أن أكثر من جهة كانت « تحاول » أو « تسعى » أو « تفكر » بالعمل على احداث تغيير في نظام الحكم القائم ، ليس على أساس القضاء على النظام الملكي وحسب ، وإنما القضاء على الرموز الاستعمارية التي كانت تنفذ سياسات المستعمرين بدون قيد ولا شرط . لذلك ، فإن ما أدونه هنا في هذه المذكرات إنما يعكس « وقائع » بدأت بالتفكير ، وهو أمر طبيعي لكل من أصابه ما أصابه بعد احتلال الانكليز العراق وعودة المجموعة التقليدية للاستعمار البريطاني عبد الاله ونوري السعيد ، ثم تحول الى « محاولات » وانتهى الأمر بالعمل على احداث التغيير الجذري وقد تبلورت عناصر التأثير حتى نفذت ما تم لها فجر الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ بغض النظر عن التطورات والتحولات التي واكبت حركة الاعداد للثورة ، وبأكثر من تنظيم !

وبهذه المناسبة ، أنا لا أدعي أني كنت أعرف كل شيء .. ولا أدعي أني قمت بكل شيء .. وكل ما هنالك فإن ما قمت به .. أو ساهمت به وما اطلعت عليه ينبع من وقائع وأحداث كتب لي أن أعيشها .

إضافة الى ذلك ، هناك اخطاء وهفوات اعترضت بعض ما نشرته الصحف العربية حول مواقف معينة ينقصها الدليل احيانا او الصراحة احيانا اخرى قدتركت في نفوس من يعنيهم الامر مرارة (ومغثة) .. في حين تركت في نفوس البعض الاخر « حلاوة » بينما راح البعض الاخر يفسر ما يحلو له ما ورد بين السطور .

ومهما يكن من امر . فان الحقائق المستمدة من الواقع لن تحجبها عواطف بنفسجية ولا عوائق استعمارية دخيلة ، او مصالح فردية ، وايا كان مصدرها او منهلها .. لان « الحقيقة » شمعة تضيء طريق الحرية والتحرر امام اصحاب الضمائر الحية الى يوم يبعثون .. وهو حسبنا ونعم الوكيل .

من هذا المنطلق أقول إن ما اصطلح عليه « بالضباط الأحرار » إنما اعتمد بعد نجاح الثورة على مجموعة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف .. باعتبارهما الرأسين المنفذين للثورة دون علم وموافقة التنظيم العسكري الذي كان يخطط للثورة ، والذي عرف فيما بعد « بتنظيم الضباط الأحرار » يوم كان عبد الكريم وعبد السلام ، ضمن التنظيم المذكور ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، بحكم التطور الذي واكب « حركات الضباط الأحرار » سواء مجموعة رفعت الحاج سري ، عبد الكريم قاسم وعبد السلام ، أو نجيب الربيعي ، إن صح التعبير ، والتي ضمت جماعتنا ، وعلى رأسها المقدم الركن شاكر محمود شكري .. وكذلك ، مجموعة من أسميتهم بالخط الثاني ـ طه الدوري .. وغيرهم ..

... وللحقيقة والتاريخ ، وقد انتهت الأمور إلى ما آلت إليه « الثورة » وهي في طور التفكير والاعداد ثم التنفيذ من جهة .. ومن حب السلطة والبقاء ثم الزوال من جهة ثانية .. فإن ما قمت به إنما يعكس واقعا فرضته الظروف التي أشرت إليها برغم محاولاتي الفردية بتحاشي أي ثورة مسلحة ضد كل من ساهم وشارك من المخلصين في بناء أبناء العراق .. قبل وبعد نجاح الثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨ .

... ولعلي في هذا المنحى من السرد التاريخي الذي مضى عليه أكثر من أربعين سنة

تقريبا ، أستميح الأخوة المخلصين الذين شاركتهم العمل عذرا في أن أذكر أسماء البعض ، أولا أذكرهم ، ويعود ذلك لأسباب اعتبارية ، قد لا تنسجم وأسلوب الحياة التي نشأنا عليها في عدم إفشاء الأسرار ، أو المديح بمواقفهم أو العكس .

إضافة إلى ما تقدم ، وبرغم تدوين أهم الأحداث في يومياتي فإن جوانب كثيرة لم أتطرق لها بعد . . عسى أن يكتب لنا ذلك بعد زوال الأسباب الموجبة . تستراً على اسرار البعض من المتحفظين ليس إلاّ .

بعد عودتي للعراق من السجن البريطاني في المانيا (النمسا) في أغسطس ١٩٤٦ غادرت ثانية إلى الولايات المتحدة الامريكية في شهر أيلول سبتمبر ١٩٤٧ لإكمال دراستي ، ثم عدت إلى بغداد في آذار مارس ١٩٤٩ . وعلى الفور بدأ نشاطي السياسي الذي كان يهدف في المقام الأول في ذلك الوقت، إلى استحصال العفو عن السيد رشيد عالي الكيلاني وإلغاء حكم الإعدام الصادر بحقه . وقد بدأ نشاطي مع الأخ الملازم أول المتقاعد نجدت الشواف (المرافق العسكري لرشيد عالي الكيلاني في ايران وتركيا) والذي فصل من الجيش العراقي بعد محاكمته عسكريا ببغداد عام ١٩٤٦ ، وقد غادر هو أيضا إلى القاهرة حيث التقينا فيها . . وقمنا بمحاولات واسعة النطاق على المستويين العربي والإسلامي لاصدار عفو عن الكيلاني . ومع الأخ والصديق يحيى عبد اللطيف ثنيان . ويحيى كان ضابطا في الجيش العراقي برتبة ملازم أول في عام ١٩٤١ وكان من ضمن الضباط الذين شاركوا في حركات مايس مايو . ولذلك فقد فصل من الخدمة بعد عودة عبد الاله ونوري السعيد وسجن لمدة سنة . وبعد اطلاق سراحه كان يستدعى للتحقيق ما بين كل فترة وأخرى حتى اضطر إلى الهرب إلى تركيا غير أنه ألقي القبض عليه هناك وأعيد للعراق في نهاية عام ١٩٤٢ وسجن ثانية لمدة شهرين أطلق سراحه بعدهما . ولم يتوقف نشاطه ولذلك فقد ظل يلقي القبض عليه ويطلق سراحه وهكذا حتى انتهت الحرب العالمية الثانية .

وقد سمحت الصداقة الوثيقة التي ربطتني به منذ الثلاثينات أن أناقش معه الوضع السياسي في البلاد بشكل صريح . واتفقنا إنه لابد من العمل على تشكيل ضواغط سياسية من أجل إلغاء حكم الإعدام عن الكيلاني . ولما لم تجد كل الجهود التي بذلناها بمشاركة التنظيمات والأحزاب السياسية في كافة الدول العربية والإسلامية ، قررنا العمل من أجل

إسقاط نظام الحكم والقيام بثورة عسكرية . ومن أجل هذا الغرض كان لابد من الإتصال بضباط الجيش الذين نعرفهم ونطرح عليه الفكرة . وفي عام ١٩٥٠ كان قد انضم إلينا الصديق الرئيس أول طيار المتقاعد محمد سبع . في الفكرة واستعراض الاحداث والاشخاص .

. . . كان محمد سبع ـ أبو ليث ـ قد انضم إلى نادي الأمير الرياضي الذي شاركت في تكوينه عام ١٩٤٩ وأصبح عضو الهيئة الإدارية فيه . . وتربطني بأبي ليث علاقة متينة جدا بحكمَ الجيرة ونحن أبناء منطقة واحدة « طوب محله سي » !! وبحكم الاتجاه الوطني والقومي والسياسي ولم تنقطع صلاتنا الأخوية حتى يومنا هذا والحمد لله . .

وفي أيلول ـ سبتمبر ١٩٥٢ التقيت في يوم بطولة الجيش العراقي للسباحة الذي نظم في معسكر الرشيد برعاية الملك فيصل الثاني وحضرها عبد الاله والوزراء وسفراء الدول ، المقدم الركن شاكر محمود شكري . . وفاتحته بشأن الوضع القائم بالعراق والمستقبل المظلم الذي نتوقعه . وتحمس للفكرة والمبدأ فتبنى المشروع وبدأت الإتصالات بعدد من المخلصين من الضباط حيث نسقنا لقاءاتنا بصورة منتظمة وبمنتهى الكتمان . .

. . . وعلى طريق بغداد ـ بعقوبة التقى عبد الكريم قاسم شاكرا ليبلغه رسالة اللواء الركن نجيب الربيعي قائد الفرقة الثانية والتي مقرها بعقوبة ، بشأن انضمامه إلى التنظيم (جماعة شاكر محمود شكري) فتم له لذلك . . وهو أول تنظيم عسكري يتولاه قائد فرقة معروف باتجاهاته القومية والذي وافق على العمل فتم التنسيق معنا على أن يكون المقدم الركن شاكر محمود شكري مسئول التنظيم . . كان ذلك في العام ١٩٥٤ .

. . . وهكذا استمر العمل لضم أكثر العناصر إيمانا بعملية التغيير الثوري .

تنظيمات عسكرية متعددة

. . . في الوقت الذي كان فيه التنظيم يأخذ طريقه . . نشأت تنظيمات وتشكيلات عسكرية أخرى . وما أن جاء العام ١٩٥٦ حتى ضم تنظيم آخر عددا من الضباط والذي اعتمد نهجا تميز بمراتب عسكرية على مستوى العقداء ، وهي المجموعة التي ضمت الزعيم الركن (العميد) ناجي طالب والعقيد الركن عبد الوهاب الأمين والعقيد عبد الوهاب

الشواف والعقيد محيي الدين عبد الحميد رفش والعقيد طاهر يحيى التكريتي والزعيم الركن عبد المحسن حسين الحبيب والعقيد رجب عبد المجيد والعقيد عبد اللطيف الدارجي والمقدم عبد الكريم فرحان . . وهي المجموعة التي انضم إليها فيما بعد عبد الكريم قاسم ، اثر تجميد نشاط تنظيم (شاكر محمود شكري) والذي سنأتي فيما بعد على أسباب هذا التجميد ، وانكشاف مجموعة العقيد رفعت الحاج سري الذي مازال الخلاف قائما حول اسم الضابط الواشي ، والذي سنتناول شرحه أيضا . .

. . . ولأسباب كثيرة تمكن الزعيم الركن عبد الكريم قاسم الإنضمام إلى هذه المجموعة والتي عرفت « بالضباط الأحرار » فيما بعد ، كما أشرنا في غير هذا المكان . . ثم جاء بالعقيد الركن عبد السلام محمد عارف . . تلاه العقيد وصفي طاهر ، مرافق نوري باشا الأسبق ، والعقيد عبد الرحمن محمد عارف .

إضافة إلى ما تقدم ، كان عبد السلام عارف ينضوي هو الآخر تحت مظلة مجموعة من الضباط بزعامة عبد الكريم قاسم الذي استطاع بين عامي ١٩٥٤ - ١٩٥٦ أن ينظم عددا غير قليل ممن كان يعتمد عليهم وقد أفلح في اختيارهم بدقة متناهية ، ضمن نشاطه المتواصل بعد ارتباطه بمجموعة (شاكر محمود شكري) منهم عبد السلام عارف وأخوه عبد الرحمن وعبد اللطيف الدراجي ووصفي طاهر والعقيد أحمد حسن البكر بحكم ارتباطه بعبد السلام عارف وكان يترأس حلقة أخرى تضم على ما أذكر المقدم محمد فرج ومحمود فرج ، كما نظم عبد الكريم قاسم العقيد فاضل المهداوي والعقيد عبد المجيد جليل والعقيد فاضل محمد علي وغيرهم .

. . . وقد تم اختيار العقيد رجب عبد المجيد سكرتيرا للتنظيم المذكور وأنيط به مهمة إجراء الاتصالات مع الجهات السياسية حيث تقرر عدم السماح لأي ضابط بالتنظيم الاتصال بالسياسيين حفاظا على سرية العمل ودفعا للشبهات بعد أن إفتضح أمر مجموعتي رفعت الحاج سري وشاكر محمود شكري . . ولما لم يكن لهذا التنظيم رئيسا فقد اعتمدوا المراتب العسكرية سلما للقيادة ، فأصبح الزعيم الركن ناجي طالب هو الذي يترأس الجلسات حتى إنضمام عبد الكريم قاسم إلى التنظيم !؟ . . هذا السرد المركز يعكس وجهة نظري الخاصة من حيث التنظيمات التي كنت ورفاقي المدنيين وبعض العسكريين ممن ارتبطنا بعهد العمل الثوري ، وضعنا موضع الرقيب للأحوال والتحولات وكان البعض ممن ارتبطوا بالتنظيمات التي ذكرناها

لم ينقطعوا عن مواصلة التعاطف مع الفئات المعنية . . ولعلني لا أبالغ إن قلت ، ان جميع الضباط وبغض النظر عن ارتباطاتهم ، كانوا على معرفة تامة بكل شيء . . وخير دليل على ذلك هو ما حدث ليلة ١١/١٢ مايس/مايو ١٩٥٨ حين تقرر تنفيذ الثورة واتجه الجميع إلى مواقعهم . . فراح رفعت الحاج سري وجماعته إلى معسكر أبي غريب وأخرجوا سلاحا وعتادا من مخازنه واستعدوا للاشارة . . وما إن نكث عبد الكريم قاسم العهد . . حتى اضطروا إلى إعادة العتاد والسلاح إلى أماكنه دون أن تشعر السلطات بما حدث !؟ وفي الوقت ذاته كانت التشكيلات الأخرى على استعداد للعمل .

. . كان رفعت الحاج سري قد بدأ في تنظيم ضباط من أجل القيام بثورة اعتبارا من العام ١٩٥٢ أيضا . . وكان من أبرز الضباط الأعضاء في التنظيم المقدم نعمان ماهر الكنعاني والرئيس أول صالح مهدي عماش وصبحي عبد الحميد وماجد أمين وهادي خماس ورجب عبد المجيد وابراهيم محمد وخليل ابراهيم الزوبعي وعدد غير قليل من المخلصين الأوفياء . . وكما قلت ، فإن التنظيمات كانت على معرفة ببعضها . وعلى قدر تعلق الأمر بي ، فإن رفعت سري صديق قديم وجار قديم وكذا بقيت أفراد اسرته كافة ، فلم تنقطع صلاتنا على مدى ثلاثين عاما ويزيد . .

تجميد التنظيمات

في أكتوبر/تشرين أول ١٩٥٦ تم تجميد التنظيمين بسبب انكشاف أمرهما للسلطات العسكرية ، إثر اجتماع عقد في بيتي ضم الزعيم الركن عبد المطلب الأمين معاون رئيس أركان الجيش والمسئول عن الاستخبارات العسكرية ، إذ دعوناه للمشاركة بالتنظيم ، والعقيد الركن شاكر محمود شكري ، ويحيى ثنيان ، وصاحب هذه المذكرات . . لكنه - عبد المطلب - اعتذر بلباقة عن المشاركة . . وقال : إنه رشح سفيرا في اندونيسيا مؤخرا . . وإنه لا يصلح أساسا لمثل هذا العمل « لاني غير ثوري » على حد قوله . . هذا ، ورشح لنا اللواء الركن نجيب الربيعي قائد الفرقة الثانية . . قلنا له : لا يصلح لهذا العمل ، وذلك حتى لا ينكشف دوره في التنظيم . . وهكذا بعد استعراض الموقف . . نصح بأن نجمد أنفسنا . . لانه على حد قوله تلقى بالفعل تقريرين عن رفعت الحاج سري واجتماعات بعض الضباط حيث يتحدثون عن الأوضاع السيئة بالعراق . . وضرورة تصحيح الأوضاع إلى غير

ذلك . . وكان أحد هذين التقريرين يتناول الاجتماع الذي تم في منطقة الكاظمية بحضور رفعت سري وبعض الضباط ! وأبدى بهذا الخصوص رأيه بصراحة حين رجانا ابلاغه بتجميد نفسه ونشاطه . . مؤكدا علينا بنفس الوقت . . إنه أهمل الأخبار والتقارير المشار اليها . . وبالمناسبة ، فإن ثمة علاقة قربى بين الأمين وبين الحاج سري !. وانتهى اللقاء على أساس من التفاهم والثقة التامتين . . علما أن ثمة قلقا ساد النفوس بعد انفضاض الاجتماع ؟!

. . ويبدو . . أن العميد عبد المطلب «الأمين » قد أبلغ رئيس أركان الجيش العميد رفيق عارف القيماق جي بما دار وحدث . . وعما تم له ، بطريقة « سليمة » أو مسالمة !؟ ومعروف . . فإن مثل هذا السلوك يدفع الإنسان ليفكر أكثر من مرة قبل أن يتخد أي اجراء . . مهما كان بسيطا ومنطقيا . .

وهكذا . . وعلى أثر ذلك . . استدعى رفيق عارف بعض أركان هذين التنظيمين اللذين كانا يضمان شاكر محمود شكري وعبد الكريم قاسم وصالح عبد المجيد السامرائي وعبد الوهاب الأمين واسماعيل عارف وقابل كل واحد منهم على انفراد وكاشفهم بشأن تجمعهم واجتماعاتهم وما يدور فيها من أمور ضد النظام القائم . . ولم يحصل على أية نتيجة ما كان يريد كما علمنا فيما بعد من الأخوة الضباط . . إلا أن ثمة اجراءات اتخذت حولها . . فقد عين اسماعيل عارف ملحقا عسكريا في واشنطن . . مما اعتبره البعض ترقية له ! وظل عبد الوهاب الأمين في عمله بمقر وزارة الدفاع وكذلك عبد الكريم قاسم . . فيما أبعد صالح السامرائي عن بغداد ليشغل مركز معاون الملحق العسكري في عمان ـ الأردن ـ وشاكر محمود شكري رئيسا لأركان الجيش الليبي يوم كان العراق يقوم بالإشراف على إعداد الجيش في ليبيا . . من جهة أخرى سبق وأن نقل رفعت الحاج سري إلى مديرية تجنيد محافظة العمارة بجنوب العراق . . وصالح مهدي عماش إلى وظيفة معاون الملحق العسكري في واشنطن . . وأحيل البعض الآخر على التقاعد (المعاش) .

في ضوء الإجراءات التي تمت . والنتائج التي تمخضت عنها ، إضافة إلى ما كان معلوما ومجهولا . . وإلى الملابسات التي ترتبت عليها بعد نجاح الثورة وسيطرة عبد الكريم قاسم على كرسي الحكم . . راح البعض يتهم اسماعيل عارف بالوشاية فيما حمّل البعض الآخر عبد

الوهاب الأمين ذلك . . وتمر الأيام وتتغير الأحوال وتبقى الوجوه شاخصة . . والاتهامات قائمة ليكتب التاريخ وقائع الأحداث . . وتبقى الحقيقة قائمة والسؤال يفرض نفسه : من هو الواشي ؟

. . قبل فترة اتصل بي اسماعيل عارف هاتفيا ببغداد بعد زوال عبد الكريم قاسم لبحث وتوضيح الموضوع ليقف على شهادتي بهذا الخصوص . . والتقيت بعد وقت طويل أيضا بالأخ عبد الوهاب الأمين فحدثني باسهاب عن تلك المواقف الحرجة التي كادت تكوّن نقطة تحول في مسار الثورة . . ولم أستمع إلى اسماعيل عارف إلا أني قرأت ما كتبه ونشره ليبرر ساحته إلى آخر القصة . . أما أنا فأعتقد أن الذي حدث في حينه هو أن عبد المطلب الأمين هو الذي طلب من رئيس أركان الجيش استدعاء الضباط الذين وردت أسماؤهم أو المشتبه بهم في التنظيمات والتحدث إليهم وجها لوجه بعيدا عن الرسميات وتشكيل لجان التحقيقي العسكرية والفضائح . . ويكتفي بذلك طالما أصبح الأمر مكشوفا . . والإكتفاء بإجراء المناقلات والإستغناء عن البعض . . والدليل على ذلك أنه حين استدعى شاكر محمود شكري وواجهه بموقفه ونشاطه الذي لا ينسجم وسياسة الحكومة . . نفى شاكر ذلك . . إلا أنه ـ رئييس الأركان ـ قال له ـ كما أخبرني به شاكر فيما بعد ـ أن الاجتماع تم في منزل نجم السهروردي وحضره فلان وفلان . فأكد له ذلك مشيرا وموضحا إلى كون ذلك اللقاء « مجرد علاقات عائلية فنحن أصدقاء ونتبادل الزيارات دوما » ، وبإمكانك أن تسأل الباشا . . ويعني العميد عبد المطلب الأمين معاون رئيس الأركان . وأكد له أنه لا يوجد أي نية « سيئة » على الاطلاق أو أي نية للتحرك ضد النظام . ولكن رئيس الأركان لم يقتنع بذلك و « هدد » كل الضباط الذين استدعاهم . غير أنه كان واضحا إنه كان يحدثهم بطريقة مختصرة يريد من خلالها أن يلفلف الموضوع . ولم يجرى أي تحقيق فعلي في القضية .

وقد ناقشنا الأمور من كل الجوانب في حينه وخرجنا بقناعة أنه لا يمكن أن يكون الواشي واحدا منا سواء كان عبد الوهاب الأمين أو اسماعيل عارف أو أي واحد آخر .

ونظرا لحساسية الموضوع . . وللأمانة التأريخية التي التزمت بها أُدون هنا ما سمعته وما اطلعت عليه حول هذه القضية بالذات .

ـ الزعيم المتقاعد شاكري محمود شاكري قال بعد أن أطلق سراحه . . حيث اعتقل في

عهد عبد الكريم قاسم انه اكتشف وهو في المعتقل من رفيقه الشهيد الزعيم ناظم الطبقجلي والشهيد العقيد رفعت الحاج سري بأن العقيد اسماعيل عارف هو الذي وشى بحركة الضباط في عام ١٩٥٦ لرئيس أركن الجيش رفيق عارف وليس العقيد صالح السامرائي أو العميد عبد المطلب الأمين كما خيل لنا في حينه كما أخبرني العقيد نعمان ماهر الكنعاني ، حيث كنا أنا وإياه لاجئين في دمشق في عهد قاسم ، أن رفعت الحاج سري أخبره حين كان رئيسا للاستخبارات العسكرية في مطلع عهد الثورة إن رفيق عارف اعترف له أثناء التحقيق معه بعد قيام الثورة أن اسماعيل عارف هو الذي وشى بحركة الضباط الأحرار .

أما العقيد صالح مجيد السامرائي الذي كان موضع اتهام هو الآخر فقد أبلغني في دمشق يوم ١٠ اكتوبر ١٩٥٩ أن رفيق عارف أبلغه حين استدعاه للتوبيخ لدى انكشاف أمر التنظيم أن عبد المطلب الأمين مساعد رئيس الأركان هو الذي كشف له أمر التنظيم بعد الاجتماع الذي عقدناه معه بداري بالأعظمية واعتذر خلاله عن الانضمام إلينا .

غير انه إذا كان معاون رئيس أركان الجيش هو الذي كشف الاجتماع الذي عقد في بيتي فإن السؤال يظل مطروحا عن الشخص الذي كشف الاجتماع الآخر الذي عقد في ملحق « مشتمل » ضمن منزل شقيق اسماعيل عارف الذي تم في منطقة الكاظمية . وكان اجتماعا لقيادة التنظيم !

استمرار الاتصالات بين المدنيين

على كل . . في ضوء هذه الملابسات توقفت اتصالاتنا ونشاطاتنا لفترة غير أن الاتصالات المدنية استمرت حيث كنت أنا ويحيى ثنيان نتصل مع كل شخص مدني نتوسم فيه المساعدة في المستقبل ، وخاصة الذين يشغلون مناصب حساسة في الدولة مثل مدير الهاتف . . مدير المطار . . مدير الإذاعة والعاملين في الإذاعة . . العاملين في وزارة الداخلية . . العاملين في وزارة المواصلات . . الخ . . وفي نهاية العام ١٩٥٧ انضم إلينا الصديق عبد الرحيم الراوي الذي تعرفت عليه في ذلك الوقت عن طريق يحيى ثنيان وتوطدت العلاقة معه خلال فترة قصيرة وتبلورت صيغة عملنا وشكلنا لجنة للإشراف على العمل المدني تكونت مني ومن عبد الرحيم الراوي ويحيى ثنيان . وقد اتفقنا على أسلوب الاتصال الفردي مع الأشخاص الذين ننظمهم بحيث تبقى علاقة كل عضو جديد مع الشخص الذي نضمه فقط وأن لا

يعرف أي شيء عن اللجنة الاساسية .

بعد فترة من العمل بموجب هذه الصيغة جاءني في أحد الأيام في نهاية عام ١٩٥٧ أو أوائل ١٩٥٨ يحيى ثنيان وعبد الرحيم الراوي ليبلغاني باقتراح كان قد تقدم به يحيى ثنيان ووافق عليه عبد الرحيم . وملخص هذا الاقتراح أن يقوم تنظيمنا المدني وبدون اشراك العسكريين باغتيال عبد الآله ونوري السعيد وكل الفئة الحاكمة مرة واحدة . وكانت تقضي الخطة التي كانت قد تجاوزت مرحلة التفكير إلى مرحلة التنفيذ الأولى حين أبلغت بها بأن يتم احضار ٢٠٠ مسلح تعهد بإحضارهم أحد شيوخ عشائر وسط العراق وكان نائبا في مجلس الأمة وسبق له هو وعشيرته أن شارك في ثورة ١٩٤١ . ومهمة هؤلاء المسلحين هي اطلاق النار من رشاشاتهم على عبد الآله ونوري السعيد وكل من يتواجد في مناسبة عامة تختار لتنفيذ عملية الاغتيال الجماعي وليحدث بعد ذلك ما يحدث . أما المناسبة التي اقترحت للتنفيذ فهي حفل عيد ميلاد الملك أو حفل عيد التتويج . وكانت تقام مثل هذه الاحتفالات عادة في بهو أمانة العاصمة ويشارك فيها كل المسؤولين في الدولة .

وابلغت ان هناك من اعضاء التنظيم من يؤيد هذه الخطة ايضا مثل مدلول عباس وغيره من الضباط المطرودين من الخدمة بسبب اشتراكهم في ثورة ١٩٤١ . وكان واضحا لي ان الرغبة في الانتقام والثأر هي التي تقف بشكل رئيسي وراء مثل هذه الحماقة . لذلك سارعت الى رفض الفكرة على الفور لانها ستؤدي الى كشف كل الترتيبات المعدة من اجل القيام بثورة تطيح بالنظام من اساسه وتقيم نظاما قوميا ثوريا على نقيضه . فحتى لو نجحت هذه الخطة باغتيال كل افراد الاسرة المالكة وكذلك نوري السعيد فسيبرز في مثل هذه الحالة اكثر من نورى سعيد واحد وسيتم الاجهاز على كل شيء مقابل لا شيء .

ومن اجل اقناع الآخرين بالعدول عن تنفيذ هذه الخطة ، عقد اجتماع في منزل السيد عبد الحميد الياسري في منطقة المنصور ببغداد حضرته انا وصاحب المنزل وعبد الرحيم الراوي ويحيى ثنيان وعباس مدلول وفارس ناصر الحسن وآخرون . وبعد ان طرحت وجهة نظري سألت الحاضرين من مازال يؤيد فكرة الاغتيال ؟ فلم يرفع يده سوى يحيى ثنيان صاحب الفكرة ، ومدلول عباس وهنا ذكرت يحيى ثنيان بانه سبق لنا ان اتفقنا على استبعاد فكرة الاغتيال التي ناقشناها من قبل حين أحضر يحيي ثنيان نفسه ثلاثة رشاشات ووضع خطة لاغتيال نوري السعيد وعبد الاله ، وطرحت انا يومها ذات وجهة النظر بأن المطلوب هو

اسقاط النظام وليس اغتيال اشخاص فقط . وتساءلت . . اذا كان ثلاثة اشخاص يكفون لتنفيذ الاغتيال فلماذا نحضر في هذه المرة ٢٠٠ مسلح نورطهم في هذه العملية التي ستسفر عن سقوط الكثير من الابرياء الذين يتوقع حضورهم مثل هذه الاحتفالات . . ؟! وهنا اقترح يحيى ثنيان ان تعدل الخطة بحيث يجرى الاغتيال في مطار المثنى العسكري . ورفضت أنا لذات السبب . واتفقنا في النهاية على ان لا نعود الى مناقشة فكرة الاغتيال مرة أخرى . وكان ما يزيد من صعوبة مهمتي في طرح هذه الفكرة جانبا ان الشيخ الياسري كان يقول انه جاهز للتنفيذ فور ان نتخذ القرار بذلك .

وخلال النقاش تكشفت معلومات عن انه سبق ان نفذت فعلا محاولة لاغتيال عبد الاله ونوري السعيد في سنة ١٩٥٦ ولكنها فشلت ، وقد اقدم على تنفيذ تلك المحاولة في حينه عبد السلام عارف اثناء اجراء مناورات عسكرية حضر جانبا منها عبد الاله ونوري السعيد حيث قصفت في اتجاههما بعض القذائف انفجرت بقربهما دون ان تصيبهما . وفي التحقيق الذى اجرى بعد هذا الحادث قيل ان عملية القصف حدثت عن طريق الخطأ .

وبعد ان غضضنا النظر عن فكرة الاغتيال ، بدأت الاتصالات مجددا مع ضباط الجيش من خلال عبد الرحيم الراوي الذي كان وكيل عبد السلام عارف واحمد حسن البكر ، والمرحوم البكر الذي كان مقره في وزارة الدفاع ، كان حلقة الاتصال بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف في معسكر جلولاء وبقية الضباط . وقد استأنفت الاتصالات في شباط فبراير ١٩٥٨ . وقد أبلغ عارف والبكر عبد الرحيم الراوي انه لم يعثر حتى تاريخه على ضابط كبير معروف أو سياسي له شعبية يقبل ان يتولى قيادة الحركة أو ان تصدر بياناتها باسمه . فاتفقت مع عبد الرحيم الراوي وعبد السلام عارف على ان اذهب الى القاهرة واطرح الموضوع على السيد رشيد عالي الكيلاني . وبالفعل فقد توجهت اليه وشرحت له تفاصيل الموقف فأبدى استعداده للحضور الى بغداد كي يتولى قيادة الحركة في الوقت الذي يحدده الضباط . عدت الى بغداد وابلغت عبد الرحيم الراوي ويحيى ثنيان بموقف الكيلاني . وقام عبد الرحيم بدوره بابلاغ ذلك الى احمد حسن البكر وعبد السلام عارف اللذين ابلغا عبد الكريم قاسم واتفق ان التقي انا مع عبد الكريم قاسم من اجل بحث التفاصيل . غير انه مرت ثلاثة اسابيع دون ان يحضر عبد الكريم قاسم الى بغداد فتوجهنا اليه في مقر وحدته في معسكر جلولاء وذهب معي في هذه المهمة عبد الرحيم الراوي .

وكنت انا اعرف عبد الكريم قاسم منذ ايام الشباب حيث اننا ابناء منطقة واحدة في بغداد وكان يسكن هو وعائلته قرب منزل جدي في منطقة المهدية ومازال قائماً . اما الاتصال معه بشأن الثورة فقد بدأ لأول مرة في سنة ١٩٥٤ . ففي حينه ابلغني العقيد شاكر محمود شكري ان العقيد عبد الكريم قاسم قد انضم إلى تنظيم الضباط الاحرار . وكان عبد الكريم قاسم معروفا بالشجاعة الى درجة التهور لذلك فقد كان يطلق عليه معارفه في الجيش اسم « كريم جنية » .

اللقاء مع قاسم وعارف

في جلولاء تم اللقاء مع عبد الكريم قاسم في منزل عبد السلام عـارف ، بيوت الضباط ، وابلغتهما بموقف السيد رشيد عالي الكيلاني واستعداده للحضور الى العراق في الوقت الذي يجري تحديده من اجل القيام بالثورة . ولكن عبد السلام عارف رفض فكرة حضور السيد رشيد عالي والمخاطرة بحياته . وقال ان السيد رشيد عالي هو زعيمنا ووالدنا ولا يمكن أن نخاطر بحياته . وان من واجبنا ان ننفذ الثورة ثم نضعه بعد ذلك على رأسنا . وان هذا موقع اتفاق .

وسألني عبد الكريم قاسم انتم - يعني التنظيم المدني - ماذا سيكون دوركم . . ؟

اجبته باننا في ساعة الصفر لدينا امكانات للسيطرة على الاذاعة والمطار وادارة هاتف بغداد من خلال موظفين يعملون في هذه الدوائر الحساسة وعلى علاقة بتنظيمنا .

وسأل ثانية . . ما هو موقفكم من الشيوعيين . . ؟ قلت له ليس لدينا اية اتصالات أو تعاون مع أي شيوعي . فابدى ارتياحه لذلك وقال انه أطمأن لهذه الاجابة . فسألته انا لماذا . . ؟ اجاب لانه يريد ان يحافظ على السرية .

والواقع أنه قبل ان يستدعي عبد السلام عارف عبد الكريم قاسم للاجتماع بنا جعلنا نقسم على القرآن بان لا نذكر لاي احد باننا اجتمعنا مع عبد الكريم قاسم او حتى رأيناه ، وذلك باعتباره زعيم الحركة وسألني عبد السلام عارف هل تعرف مع من يسكن الزعيم قاسم . . ؟ قلت له لا أعرف . قال انه يسكن مع عمته ام الطيار محمد على جواد . وهنا راودتني بعض الشكوك في شخص عبد الكريم قاسم ذلك ان محمد على جواد كان آمر القوة الجوية في عهد انقلاب بكر صدقي الذي كان الانكليز يقفون وراءه . ولذلك طلبت من

عبد الرحيم ان نتحفظ في الكلام بعد ذلك اللقاء . .

خرجنا من هذا الاجتماع بالاتفاق على ما يلي :

أولا : لا داعي للمخاطرة بحياة السيد رشيد عالي وحضوره للعراق قبل تنفيذ الثورة ونجاحها .

ثانيا : ان السيد رشيد عالي سيكون رئيس الدولة في حالة نجاح الثورة .

ثالثا : ان يستمر الاتصال بيننا بهدف تنسيق المهمات عند تنفيذ الثورة بحيث نسيطر نحن على المرافق الحيوية التي اشرت اليها .

رابعا : ان يكون ضابط الاتصال من جانبنا هو عبد الرحيم الراوي ومن الجانب العسكري احمد حسن البكر .

قد بعثت برسالة للسيد رشيد عالي بمضمون هذا الاجتماع والنقاط التي اتفقنا عليها . وفي الشهر التالي ـ مارس ـ ذهبت للقاهرة وشرحت له الموقف بالتفصيل .

في مطلع شهر حزيران (يونيو / ١٩٥٨) كانت قد استكملت الاستعدادات لقيام الثورة . لذلك كلفت من قبل الضباط ان اذهب الى القاهرة مرة اخرى وابلغ الكيلاني بذلك . وفي هذه المرة حملت معي الطلبات الاربعة التي ارادوا من الرئيس عبد الناصر ان يلبيها من اجل ضمان نجاح الثورة والتي اشرت اليها سابقا . . . وابلغت الكيلاني بهذه الطلبات وابلغها بدوره الى الرئيس جمال عبد الناصر . وقبل ان انهي مهمتي جاءتني مكالمة هاتفية من بغداد تطلب مني العودة فورا دون ابداء الاسباب . . وقد وصلت مطار بغداد عصر يوم ١٥ يونيو١٩٥٨ بعد ان امضيت في القاهرة خمسة ايام فقط .

في المطار فوجئت بوجود عبد الرحيم الراوي ويحيى ثنيان حيث كانا في انتظاري . استقللنا سيارة عبد الرحيم وفي السيارة ابلغاني ان خلافا قد وقع بين الضباط ادى الى انسحاب ثلاثة منهم هم ناجي طالب وعبد الوهاب الامين وعبد الوهاب الشواف وانه يوجد اثنان من ضباط الخط الثاني هما طه الدوري وخليل الشماع ينتظراني الان ويريدان التحدث معي في موضوع لم يطلعا عليه عبد الرحيم ويحيى .

واخذاني الى محل لبيع الاصباغ في منطقة الصالحية قرب الاذاعة وكان هذا المحل يؤدي الى

غرفة وجدت فيها الضابطين اللذين ابلغاني بوقوع الخلاف بين ضباط الخط الاول . وقالا لي ان الوحيد الذي يستطيع ان يفاتحهم ويحاول مصالحتهم هو انا . ذلك انهم كضباط صغار لا يستطيعون مفاتحتهم في الامر . وقالا لي انني يجب ان اتصل مع ناجي طالب وان ابلغه بانه اذا لم يتفقوا فان ضباط الخط الثاني سوف يقومون بالثورة لوحدهم . ولحراجة الظرف طلبا مني ان اتوجه الى منزل ناجي طالب مباشرة واشار اليه باليد فاذا هو مقابل المكان الذي كنا نجلس فيه ، وقالا لقد اخترنا هذا الكان لنلقاك فيه بسبب قربه من منزل ناجي طالب . وعليك ان تذهب اليه الان وتعود لنا بالجواب .

وكنت في الواقع احمل رسالة لناجي طالب من اللواء علي ابو نوار رئيس اركان الجيش الاردني السابق ، الذي كان قد هرب الى القاهرة بعد ان قام بحركة انقلابية في الاردن سنة ١٩٥٦ ، والتقيته في الليلة السابقة . وقد قرأ ابو نوار الرسالة امامي قبل ان يعطيني اياها مفتوحة وهي تتضمن نصيحة لناجي طالب ورفاقه الضباط ان يعهدوا برئاسة الدولة بعد القيام بالثورة للسيد رشيد عالي الكيلاني . وكنت اخبرت ابونوار بوجود استعدادات للثورة وبدور ناجي طالب القيادي فيها . وكان الرجلان على معرفة سابقة وتربطهما صداقة .

حين وصلت الى مدخل منزل ناجي طالب وكان يقع مقابل مخفر الشرطة الملاصق للاذاعة وجدته عند المدخل يهم بالخروج . حييته وقلت له اني احمل له رسالة . فعاد يسير الى داخل الحديقة وانا معه : شعرت انه لم يعرفني فقدمت نفسي اليه. وعندها ارتسمت على وجهه علامات القلق . وطلب مني ان القاه في وقت لاحق لان منزله مراقب . وقال لي انه سيبلغني بموعد ومكان اللقاء . وهكذا عدت الى طه الدوري وخليل الشماع دون ان ابلغ رسالتهما .

وبعد يومين جاءني الصديق الرئيس اول « رائد » طيار متقاعد محمد سبع الى بيتي وابلغني ان ناجي طالب يريد ان يراني في مكتب تخليص البضائع الذي يملكه محمد ويقع مقابل مديرية الامن العام في شارع النهر مقابل اوروزدي باك القديم ، وحدد لي موعدا لهذا اللقاء .

وفي الموعد المضروب وجدت ناجي طالب في انتظاري وقدمني محمد سبع له باعتبار انني وهو شخص واحد ، واعتذر منه لانه كان قد اخفى عنه صلته بي والتي كانت تتم بشكل شخصي ذلك ان الضباط الاحرار كانوا قد كلفوا العقيد رجب عبد المجيد سكرتير تشكيلهم بمهمة الاتصال مع الجهات الاخرى فقط وطلب منه ان يثق بي كما يثق به . وبدأ الحديث سلمته في البداية رسالة علي

ابو نوار فقرأها وعلق عليها قائلا ان كل الضباط متفقين على مسألة اسناد رئاسة الدولة للسيد رشيد عالي .

وهنا نقلت له تحيات السيد رشيد عالي واستعداده لعمل اي شيء من اجل الثورة . ثم نقلت له رسالة ضباط الخط الثاني وقرارهم بأن ينفذوا الثورة بمفردهم ان لم تتم تسوية الخلافات بين ضباط الخط الاول . واقتراحهم ان يتولى هو زعامة الحركة في هذه الحالة ، اجابني انه من غير الممكن ان ينفذ ضباط الخط الثاني الثورة بمفردهم فأكدت له وجود قرار في هذا الخصوص . . واضفت قد لا تنجح حركتهم وفي هذه الحالة فان الحكومة ستحاسب الجميع ، اما اذا نجحوا فانهم في هذه الحالة سيحاسبونكم لانسحابكم في هذا الوقت الحرج .

وهنا سألني باستنكار . . هل تهددني . . ؟؟ اجبته بالنفي وقلت له انا فقط انقل اليك قرار ضباط الخط الثاني ورجوته ان يعمل جهده من اجل حل كل الخلافات لصالح القيام بالثورة . وعندها انفعل الرجل وقال بلهجة صارمة وغاضبة في ذات الوقت . . . لقد انجزنا كل شيء من زاخو في اقصى الشمال حتى الفاو في اقصى الجنوب . . كل شيء جاهز لتنفيذ الثورة ولكن المشكلة هي ان كل واحد من الاخوان يريد ان يكون زعيما . . !

وفي نهاية اللقاء وعدني بالاتصال مع بقية الضباط وان يبلغني بالجواب فيما بعد . وللاسف جاءني الرد مع محمد سبع بعد خمسة ايام بان الموقف مازال على حاله ، وان الخلافات مازالت كما هي .

وضباط الخط الثاني هم الذين كانوا يشكلون القاعدة الاساسية لحركة الضباط الاحرار وهم من صغار الضباط وكان معظمهم في الاساس من تنظيم رفعت الحاج سري . وكانت تربطني علاقة بهم من خلال الصديق المقدم طه الدوري ابتداء من العام ١٩٥٧ . غير ان عبد الرحيم الراوي كان هو حلقة الاتصال مع ضباط الخط الثاني الذي كان يزيد عددهم على ٦٤ ضابطا وقد بدأ هؤلاء يعيدون تنظيم انفسهم بعد اختلاف ضباط الخط الاول .

اسباب الخلاف

كان موضوع الخلاف مفتعلا من قبل عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم اللذين كانا يخططان من اجل الانفراد بالثورة بهدف الانفراد بالسلطة فيما بعد . وقد سعى عبد الكريم قاسم

الى « غربلة » بقية ضباط الخط الاول لهذه الغاية . وكانت بداية الخلاف حين اجتمع الضباط من اجل انتخاب رئيس للتنظيم . . وقد وقع اختيارهم على العقيد ناجي طالب . وهنا ارتفع صوت عبد السلام عارف بالاحتجاج والاعتراض مصرا على ان تكون رئاسة التنظيم لعبد الكريم قاسم الذي كان يلتزم الصمت دائما ويطلق عبد السلام عارف الكلام نيابة عنه . وكان عبد السلام عارف سليط اللسان عندما يتكلم وكان يتعمد رفع صوته رغم سرية الجلسات وخطورة انكشاف امر المشاركين فيها وقد كان يلجأ الى استخدام كافة الوسائل والاساليب التي تجعلهم يقررون التخلي عن المشاركة بالثورة واخلاء الساحة له ولعبد الكريم قاسم .

وكان رجب عبد المجيد قد طرح في اكتوبر ١٩٥٦ وفي اعقاب العدوان الثلاثي على مصر فكرة تشكيل لجنة عليا لقيادة تنظيم الضباط الاحرار شكلت فعلا في ديسمبر من ذات العام في اجتماع عقد في منزل محمد سبع وتكونت من الحضور وهم رجب عبد المجيد ، ناجي طالب ، محسن حسين الحبيب ، محيي الدين عبد الحميد ، صبيح علي غالب ، وصفي طاهر ، عبد الكريم فرحان ومحمد سبع . واتفق ان يضم اليها ايضا عبد الوهاب الامين الذي تغيب عن الاجتماع كما تقرر كذلك ضم رفعت الحاج سري . وفي وقت لاحق انضم الى اللجنة طاهر يحيى وعبد الرحمن عارف . وفي ابريل ١٩٥٧ اتفق على ضم عبد الكريم قاسم ، وبعد اسبوعين جاء عبد الكريم بعبد السلام عارف الى الاجتماع التالي ورشحه للعضوية وفرضه على اللجنة العليا فوافقت على عضويته فيها . وكان آخر من انضم للجنة عبد الوهاب الشواف في اواسط مايو ١٩٥٨ .

ولم يكتف عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف باللجوء الى الاساليب المشار اليها فقط بل انهم لجأوا الى تفشيل الثورة في الموعد الاساسي الذي اتفق عليه وهو ليلة ١١/١٢ مايو ١٩٥٨ . فقد كان العقيد عبد الوهاب الشواف قد اقترح هذا التاريخ لتنفيذ الثورة وايده في ذلك العقيد ناجي طالب وكذلك عبد الكريم قاسم واتفق على كل التفاصيل وابلغت والاخوة المدنيين بالموعد من اجل تنفيذ مهمات السيطرة على الاذاعة والمطار ومديرية الهاتف . وبعد ان تواجد كل شخص في المكان الذي سينطلق منه للتنفيذ ارسل عبد الكريم قاسم المقدم وصفي طاهر الذي كان المرافق العسكري لنوري السعيد وا صبح بعد ذلك المرافق العسكري لعبد الكريم . . . كان ملخص الرسالة التي نقلها وصفي طاهر هو ان عبد الكريم لا يستطيع ان يحرك قواته في هذه الليلة . وقد ادى ذلك بالطبع الى وقف التحرك .

كله بسبب الارباك الذي احدثته هذه المفاجأة . . وقد ادى هذا الموقف من جانب عبد الكريم قاسم الى فقدان الثقة فيه .

وبعد ذلك بدأ عبد السلام عارف يكمل مهمة عبد الكريم في عرقلة عمل الضباط . وكان الاسلوب الذي لجأ اليه في هذه المرة هو شتمهم واتهامهم في وطنيتهم وشجاعتهم اثناء الاجتماعات السرية . فقد كان يقف فجأة اثناء الاجتماع ويقترح ان يتم تنفيذ الثورة غدا . وهذا غير معقول لان قضية الثورة ليست دعوة الى تناول العشاء في احد مطاعم شارع ابو نواس ! فكان يعترض الضباط على التوقيت ويقترحون توقيتا آخر بعد عدة ايام كي يكون لديهم متسع من الوقت للاستعداد للتحرك واجراء الاتصالات مع خلاياهم لابلاغهم بساعة الصفر . وفورا يبدأ عبد السلام عارف بتوزيع الاتهامات والشتائم معا بشكل مفتعل وواضح الهدف .

وهكذا ففي شهر حزيران يونيو كان عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف قد صعدا الخلاف الى درجة لم يعد ممكنا بعدها التوصل الى اتفاق مع بقية الضباط الذين قرروا الانسحاب كما اشرنا سابقا . وعندها قرر عبد الكريم وعبد السلام انه قد حان الوقت المناسب لهما للتحرك المنفرد وحددا ساعة الصفر بين ١١ و ١٤ تموز وابلغت بالموعد وبعثت برسالة الى السيد رشيد عالي ابلغته فيها بذلك كي يبلغ بدوره الرئيس جمال عبد الناصر وتتخذ « الجمهورية العربية المتحدة » الاجراءات التي اتفق عليها لانجاح الثورة وخاصة وضع الجيش الاول السوري في حالة استعداد للتدخل عند الضرورة .



عبد الكريم قاسم



عبد السلام عارف



احمد حسن البكر

ليـــلة الثـــورة

■ البكر يعتقل الضباط الذين تراجعوا في تنفيذ الاوامر

ليلة الثورة كان مقررا ان نقوم نحن المدنيين بالسيطرة على الاذاعة والمطار ومديرية الهاتف . وكانت ساعة الصفر بالنسبة لنا هي السابعة ليلا ، غير ان عبد الرحيم الراوي اصطحب في سيارته احمد حسن البكر والمقدم محمد فرج الى منطقة المسيب حيث كان معسكر اللواء الاول الآلي بقيادة العقيد وفيق عارف شقيق رئيس اركان الجيش العميد رفيق عارف وكان هذا اللواء هو الوحيد من بين ألوية الجيش الكامل العدة والعدد والموالي بالكامل للبلاط وعلى استعداد لان يحتل بغداد في أية لحظة يطلب منه ذلك .

كانت مهمة احمد حسن البكر هي تعطيل حركة هذا اللواء بالاتفاق مع بعض الضباط الذين كان عليهم ان ينتزعوا بعض القطع من ماكينات آليات اللواء فتتعطل عن الحركة لاعاقة تحركها نحو بغداد . غير ان هؤلاء الضباط تراجعوا عن التنفيذ في اللحظة الاخيرة فما كان من المرحوم احمد حسن البكر الا ان القى القبض عليهم واحتجزهم في احدى غرف المعسكر واغلق الباب عليهم بالمسامير . والتقى هناك مع المقدم فاضل المهداوي وهو من ضباط اللواء وابن خالة عبد الكريم قاسم وقد تولى تنفيذ المهمة في الوقت المناسب برغم ارتباكه الذي حاول اخفاؤه على حد قول الراوي .

فكان لهذا التراجع هو الذي ادى الى تأخر عودة عبد الرحيم الراوي وبدأت تراودنا الوساوس . . . هل القي القبض عليه وعلى احمد حسن البكر . . . ؟ هل عدلا من المشاركة

في الثورة . . ؟ واتفقت مع يحيى ثنيان ان يذهب الى داره وينتظر فيها . وفي الساعة التاسعة والنصف اتصل بي المقدم طه الدوري من ضباط الصف الثاني . . . سألني عن عبد الرحيم الراوي . قلت له لم يحضر . قال اخبره ان يتصل بي غدا . سألته اي وقت قال مساء فاستغربت وفهمت ان الثورة قد تأجلت لما بعد عودة الملك . . . وعبد الاله ونوري السعيد الذين كان مقررا ان يغادروا يوم ١٤ تموز الى انقرة للمشاركة في مؤتمر دول حلف بغداد . . . لانه من اجل نجاح الثورة يجب ان يكون الملك وولي العهد ونوري السعيد داخل العراق في ساعة التنفيذ حتى لا تتكرر تجربة ثورة ١٩٤١ . وبهذا التأجيل نكون قد خسرنا فرصة تحرك اللواء العشرين المقررة من قبل وزارة الدفاع .

ومن اجل الاطمئنان قلت لطه الدورى يجب ان اراك الان للذهاب الى الوليمة . فاجاب لقد فات وقت الولائم ويبدو انها قد تأجلت وقد اخبرت الاخوان بذلك .

وتحسبا من ان يكون قد القي القبض على عبد الرحيم الراوي واحمد حسن البكر فقد رتبت اموري في البيت للهرب اذا دوهم بهدف اعتقالي . وكنت وحيدا في البيت حيث ارسلت العائلة للقاهرة حتى لا تتعرض للمتاعب معي اذا فشلت الثورة . وكان بيتي في منطقة الصليخ بالاعظمية تحيط به حديقة ويطل على ثلاثة شوارع وله ثلاثة مداخل . واطفأت الانوار كلية وجلست اترقب وانتظر .

دعوة الى السينما

بعد قليل فوجئت بسيارة تقف امام المنزل فاذا باحد الاصدقاء يسأل لماذا البيت مظلم . . . ؟ اجبته ان خللا قد اصاب فيوزات الكهرباء فعرض عليَّ ان ارافقه الى السينما ولم يكن التوقيت مناسبا لتلبية هذه الدعوة . غير أني قررت ان اذهب معه تحت ضغط الحاجة . . وذهبنا الى السينما الوطني .

حين عرضت صورة الملك وعزف السلام الملكي قبل بداية العرض ، كما كان متبعا في ذلك الوقت ، وجدت نفسي ابكي من وراء الظلام واسائلها : حقا ستبدأ مرحلة جديدة في تاريخ العراق بعد سويعات أم ستشهد بغداد مزيدا من الشهداء وشعرت اثناء العرض اني يجب ان اجري بعض الاتصالات . استأذنت من صديقي بداعي اصابتي بمغص معوي وغادرت مكاني لبعض دقائق اتصلت خلالها من هاتف داخل ادارة السينما مع عبد الرحيم

الراوي فلم اجده في بيته حيث لم يكن قد عاد . واتصلت مع يحيى ثنيان فوجدته مازال ينتظر على حاله . فقررت متابعة مشاهدة الفيلم .

الساعة الثانية عشرة ليلا اعادني صديقي الى منزلي فوجدت ابوابه الخارجية مفتوحة . دخلته بحذر خشية ان تكون هناك مفاجأة تنتظرني في الداخل ، تفقدت المنزل فلم اجد شيئا . ولم انم . ظللت قلقا حتى الساعة الثالثة فجرا حين جاء عبد الحريم ويحيى وقالا لي ان كل شيء على ما يرام . فقد تم تعطيل حركة لواء الحرس الملكي في المسيب وان قطعات عبد السلام عارف في جلولاء قد تحركت الى بغداد وانه ينتظر وصولها الى بغداد بين لحظة واخرى .

. بعد نصف ساعة خرجنا من منزلي وبدأنانتجول بسيارة عبد الرحيم [من طراز اسكودا] في شوارع بغداد . كانت الشوارع هادئة وكل شيء فيها طبيعي وليس هناك ما يدل على ان ثورة قد بدأت . وشملت جولتنا مركز المدينة « باب الشرجي » وطريق معسكرجلولاء ثم ذهبنا الى الكرخ . . النصف الآخر من بغداد فوجدنا ذات الهدوء وعدنا للبيت من جديد .

في الساعة الخامسة صباحا خرجنافي جولة اخرى . في هذه المرة وجدنا ان القطعات العسكرية قد دخلت بغداد فتوجهنا الى الاذاعة فورا كي نقوم بالسيطرة عليها وفق الخطة الموضوعة فوجدنا ان الاذاعة قد احتلت فعلا من قبل الجيش ابلغنا الحرس بكلمة السر وكانت « جميلة بوحريد » . . . اسم المناضلة الجزائرية التي قاومت الاستعمار الفرنسى فسمح لنا بالدخول بعد ان اخذت منا مسدساتنا . في الداخل وجدنا عبد السلام عارف وكان هو قائد القوات التي تحركت من جلولاء الى الاردن . عانقناه وتبادلنا القبلات والتهاني . وكانت قبلات التنصل من الاتفاق . فقد ابلغنا عبد السلام ان الجيش قد قام بالسيطرة على مديرية الهاتف والمطار ايضا . وانهم قد امنوا كل شيء . وكان الذي امنوه في الواقع هو التنصل من كل الالتزامات التي كانت قد اعطيت لنا . هذا ما كان يجب علينا ان ندركه خلال الايام القليلة التي سبقت قيام الثورة . ففي تلك الايام وبعد ان ضمن عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ابتعاد معظم الضباط وانسحابهم بسبب خطة « التفريق » التي رسمها قاسم ونفذها عارف . بدأ الاثنان المراوغة معنا ومع ضباط الخط الثاني ، فقد كانا لا يريدان ان يبلغا بساعة الصفر على وجه التحديد كي ينفردا في تنفيذ الثورة . وبالتالي الانفراد بالسلطة . ومن جهتي فقد اكتفيا بابلاغي بموعد تقريبي هو بين ١١ و ١٤ تموز من اجل ابلاغ

القاهرة به للوفاء بتعهداتها . اما الموعد النهائي للتنفيذ فقد ظل قاسم يراوغ ولا يبلغنا به . وازاء هذه المراوغة دفع الزعيم ناجي طالب ورفاقه الى تأجيل التنفيذ حتى شهر ايلول - سبتمبر . وقد تقرر ذلك ليلة ٦ تموز - يوليو بسبب عدم الاتفاق على موعد قبل ١٤ تموز حيث كان مقررا في ذلك اليوم كما ذكرت ان يغادر الملك فيصل وعبد الاله ونوري السعيد لحضور مؤتمر لزعماء حلف بغداد كان سيعقد في انقرة .

كان عبد الكريم قاسم هو الوحيد الذي بامكانه ان يحدد ساعة الصفر من بين الضباط الاحرار لانه الوحيد الذي كانت بامرته قوات مشاة يستطيع ان يحركها للقيام بالثورة حيث كان قائدا للواء ١٩ في حين كان بقية الضباط اما من اجهزة وزارة الدفاع او انهم من ضباط المخابرات وفي كل الاحوال ليس بامرتهم قوات . اما ضباط الخط الثاني فلم يبلغوا هم ايضا بالموعد رغم وجود قوات تحت امرتهم وقدرتهم على التحرك ، فقد كان تحركهم ومشاركتهم في الثورة غير مطلوبين وهذا ما يظهر جليا من المكالمة التي جرت بيني وبين المقدم طه الدوري والتي اشرت اليها قبل قليل .

وقد كان من شأن هذا الالتواء في التعامل ان يؤدي الى اجهاض الثورة لولا الحكمة التي تصرف بها ضباط الخط الاول والخط الثاني الذي استبعدهم قاسم وعارف من التنفيذ فقد التزم هؤلاء الصمت رغم القلق . وحين ادركوا ان الثورة قد بدأت قاموا بالادوار التي كانت مناطة بهم من قبل . فالمقدم طه الدوري كمثال سيطر على معسكر ابو غريب ونحى آمر المعسكر الزعيم نائل محمود واخرج الدبابات والدروع ووزع السلاح على بقية القطعات في قصر الرحاب والمناطق الحساسة في بغداد .

الخطــــــة

اما الخطة الاساسية للثورة كما وضعها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف فقد نفذت على النحو التالي :

في الساعة السادسة من مساء يوم ١٣ تموز - يوليو وصل الى جلولاء قائد الفرقة الثالثة غازي الدغستاني لتوديع الفوج الذي سيتحرك الى الاردن بقيادة العقيد الركن ياسين رؤوف . وفي الساعة الثامنة والنصف من مساء ذات اليوم غادر الى مقر الفرقة في بعقوبة . وفي فجر يوم ١٤ تموز - يوليو الساعة الثالثة وزع العقيد عبد السلام عارف بعض السلاح على

رجال الثورة في الفوج ثم القي القبض على آمر الفوج الثاني ياسين رؤوف بسبب رفضه الاشتراك في الثورة . وقد ربط من يديه وقدميه ووضع داخل سيارة الاسعاف حتى لا يراه احد من الجنود ووضع معه في السيارة ضابط برتبة ملازم لحراسته حتى وصل الفوج الى ناحية خان بني سعد التي تبعد ٢٠ كم عن بغداد .

وهناك تأخر اللواء قليلا حيث جرى توزيع افواجه ليكون تصفها بامرة العقيد عبد السلام عارف وأوكلت لها مهمة احتلال جانب الكرخ من بغداد حيث توجد الاذاعة وقصر الرحاب ودار نوري السعيد والمطار ، ونصفها الاخر بامرة العقيد عبد اللطيف الدراجي واوكلت لها مهمة احتلال جانب الرصافة من بغداد حيث توجد وزارة الدفاع والبريد . وكلفت هذه القطعات ايضا بالقاء القبض على رئيس اركان الجيش رفيق عارف والسيطرة على الميادين العامة والجسور ومفارق الطرق وصدرت الاوامر بمنع السيارات العسكرية من دخول قلب بغداد لمنع الضباط غير الموالين للثورة من الوصول الى ديوان وزارة الدفاع ومنعهم من دخول المعسكرات . واتخذ قرار بان يكون مقر جمعية الشبان المسلمين مقرا للقيادة في حالة تعذر السيطرة على وزارة الدفاع وذلك لقرب المقر من مبنى الاذاعة . وبعد ان سيطرت قوات عارف والدراجي على بغداد دخلها عبد الكريم قاسم الساعة ١١ قبل الظهر على رأس اللواء ١٩ حيث توجه الى وزارة الدفاع مباشرة وتولى القيادة وقبل ان يأتي الى بغداد كان قد القى القبض على قائد الفرقة غازي الداغستاني في بعقوبة . .

وبسبب القلق الذي اعترانا في الايام الاخيرة من جراء تكتم عبد الكريم قاسم كنا قد عقدنا اجتماعا في بغداد ليلة ٨ تموز - يوليو شارك فيه ضباط الخط الثاني وذلك للتداول في الامور وكانت القضية التي حيرت الجميع . . . لماذا لا يجيب قاسم وعارف عن موعد تحرك اللواء العشرين مع اننا كنا نعرف انه سيتحرك بامر من وزارة الدفاع عبر بغداد في اتجاه الاردن ، وان هدف تحريكه هو تهديد الاقليم الشمالي (سوريا) من الجمهورية العربية المتحدة . وقد ادى صمتهما الى تشكك الضباط في موقفهما ، وفي الليلة التالية عقد اجتماع اخر لضباط الخط الثاني تقرر فيه ان يقوموا هم بتنفيذ الثورة ليلة ١٢ تموز - يوليو بعد ان تدارسوا الموقف فوجدوا ان بامكانهم ان يسيطروا سيطرة تامة على معسكر ابو غريب ومعسكر الوشاش وكذلك معسكر الرشيد .

ولا شك ان قرار التحرك كان تحديا لعبد الكريم قاسم . ولكن التحرك لم يتم لان قاسم

اتصل بالضباط المتواجدين في بغداد في اليوم التالي مباشرة اي يوم ١٠ تموز ـ يوليو وان كان جوابه غير واضح . وفي يوم ١١ تموز ـ يوليو ابلغنا بشكل اكيد ان قاسم سيتحرك . ولذلك وقع ضباط الخط الثاني في حيرة . . هل ينفذون خطتهم بشكل منفرد ام ينتظرون تحرك قاسم كي يعملوا معه . . ؟

ومن اجل معرفة ماذا يجب ان يفعلوا اتصلوا مع قاسم ثانية فجاء الجواب . . . انتظروا سنبلغكم . . وهكذا اجلوا موعد التنفيذ .

في يوم ١٢ تموز كنا في حيرة بالغة من امرنا بسبب غموض التعليمات . ومما زاد الامر غموضا ان احدى القطعات العسكرية تحركت من جلولاء في ذلك اليوم الى الاردن عبر بغداد وقد مرت من امام قصر الرحاب دون ان تتوقف وتنقض عليه مما اصابنا بالذهول . . . ولكن جاء الايضاح بان امر الفوج الذي تحرك لم يكن من الضباط الاحرار .

وفي يوم ١٣ تموز ـ يوليو جاءت التعليمات كونوا على استعداد وقد بلغنا بهذا الامر العقيد احمد حسن البكر الذي كان ضابط الارتباط . وقررنا ان نجتمع في داري الساعة ٧ مساء واعددنا بعض ما لدينا من سلاح وانذرنا اخواننا المدنيين ليكونوا على استعداد لتنفيذ الاوامر .

كانت مهمتنا هي السيطرة على دائرة التليفونات المركزية بمساعدة مديرها موفق السلام ثم السيطرة على الاذاعة وتولي ادارتها وتشغيلها . وكذلك السيطرة على المطار المدني ومحطة الكهرباء . وكان المفروض ان يشترك معنا بعض الضباط في تنفيذ هذه المهام . ولكن حدث ما حدث . وسأتناول تفصيل الملابسات في كتابنا المفصل اللاحق ـ يوميات مواطن !؟

وعلى العموم ففي الساعة السادسة من صباح ١٤ تموز ـ يوليو ١٩٥٨ بدأت اذاعة بغداد برامجها في وقتها المعتاد ولكن باسلوب غير معتاد في هذه المرة . فبعد الانتهاء من تلاوة القرآن الكريم اذاع عبد السلام عارف البيان رقم واحد معلنا قيام الثورة . . وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الشعب العراقي الكريم .

بعد الاتكال على الله وبمؤازرة المخلصين من ابناء الشعب والقوات المسلحة ، اقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة التي نصبها الاستعمار لحكم الشعب والتلاعب بمقدراته لمصلحتهم وفي سبيل المنافع الشخصية .

ايها الاخوان . . .

ان الجيش هو منكم واليكم وقد قام بما تريدون وازال الطبقة الباغية التي استهترت بحقوق الشعب فماعليكم إلا ان تؤازروه ، واعلموا ان الظفر لا يتم الا بترصينه والمحافظة عليه من مؤامرات الاستعمار واذنابه ، وعليه فاننا نوجه اليكم نداء للقيام باخبار السلطات عن كل مفسد ومسيء وخائن لاستئصاله ، ويطلب منكم ان تكونوا يدا واحدة للقضاء على هؤلاء والتخلص من شرهم .

ايها المواطنون . . .

اننا في الوقت الذي نكبر فيكم الروح الوطنية الوثابة والاعمال المجيدة ندعوكم الى الخلود والسكينة[1] والى التمسك بالنظام والاتحاد والتعاون على العمل المثمر في سبيل مصلحة الوطن .

ايها الشعب . . .

لقد اقسمنا ان نبذل دماءنا وكل عزيز في سبيلكم فكونوا على ثقة واطمئنان باننا سنواصل العمل من اجلكم ، وان الحكم يجب ان يعهد الى حكومة تنبثق من الشعب ويوحي منه وهذا لا يتم الا بتأليف جمهورية شعبية تتمسك بالوحدة العراقية الكاملة وترتبط برباط الاخوة مع الدول العربية والاسلامية وتعمل بمبادىء الامم المتحدة وتلتزم بالعهود والمواثيق وفق مصلحة الوطن ومقررات مؤتمر باندونج . وعليه فان هذه الحكومة الوطنية تسمى من الان الجمهورية العراقية . وتلبية لرغبة الشعب قد عهدنا برئاستها بصورة وقتية الى مجلس يتمتع بسلطة رئيس الجمهورية ريثما يتم استفتاء الشعب لانتخاب الرئيس ، ونسأل الله ان يوفقنا في اعمالنا لخدمة وطننا العزيز انه سميع مجيب .

---

(١) يقصد القول : الاخلاد إلى السكينة .

بغداد في اليوم السادس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق لليوم الرابع عشر من شهر تموز سنة ١٩٥٨ .

القائد العام للقوات الوطنية المسلحة بالنيابة .

البيانات تستثني الكيلاني

ثم تتالت البيانات التي لم تشر من قريب أو بعيد الى السيد رشيد عالي الكيلاني . وقد تضمن احد هذه البيانات اعلان تشكيل مجلس سيادة برئاسة اللواء نجيب الربيعي الذي كان من اوائل واكبر الضباط الذين انضموا لتنظيم الضباط الاحرار . وفي احدى المراحل اعتبر هو قائد التنظيم ، وضم المجلس في عضويته اثنين اخرين هما الزعيم الركن خالد النقشبندي وهو كردي ، محمد مهدي كبه رئيس حزب الاستقلال وهو شيعي . وبذلك فقد شكل المجلس على اساس : اثنان من العرب هما الرئيس ومهدي كبه . . وواحد من الاكراد . . . وبذلك فقد بدأت الثورة عهدها بالعمل .

واعلن بيان آخر تشكيل حكومة الثورة الاولى برئاسة عبد الكريم قاسم واسند فيها منصب نائب رئيس الوزراء لعبد السلام عارف . وقد شكلت الحكومة على النحو التالي :

١ ـ عبد الكريم قاسم رئيسا ووزيرا للدفاع بالوكالة .
٢ ـ عبد السلام عارف نائبا للرئيس ووزيرا للداخلية .
٣ ـ ناجي طالب وزيرا للشئون الاجتماعية (قومي مستقل) .
٤ ـ عبد الجبار الجومرد وزيرا للخارجية (قومي مستقل)
٥ ـ محمد صديق شنشل وزيرا للارشاد (من قادة حزب الاستقلال) .
٦ ـ محمد حديد وزيرا للمالية (من قادة الحزب الوطني الديموقراطي)
٧ ـ هديب الحاج محمود وزيرا للزراعة (من الحزب الوطني الديموقراطي)
٨ ـ فؤاد الركابي وزيرا للاعمار (امين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي)
٩ ـ جابر عمر وزيرا للمعارف (قومي مستقل) .
١٠ ـ ابراهيم كبة وزيرا للاقتصاد (ماركسي)
١١ ـ محمد صالح محمود وزيرا للصحة (طبيب كردي مستقل)
١٢ ـ بابا علي الشيخ محمود وزيرا للمواصلات (كردي مستقل) .
١٣ ـ مصطفى على وزيرا للعدل (مستقل) .

وقد اعتبر ابراهيم كبة ممثلا للحزب الشيوعي رغم انه لم يكن عضوا فيه بل كان ماركسيا مستقلا .

وفوجئنا بان الاسماء التي شكلت منها الوزارة لا تمت بصلة للتشكيل الذي كان قد اتفق عليه . فقد كنا اتفقنا على ان تضم الحكومة وزراء يمثلون حزب الاستقلال والحزب الديمقراطي الوطني وحزب البعث بصفة خاصة من بين الاحزاب الوطنية التي كانت قائمة في ذلك الوقت بالاضافة الى وزراء من الجيش والعناصر المستقلة التي كانت قائمة في ذلك الوقت بالاضافة الى وزراء من الجيش والعناصر المستقلة التي شاركت في ثورة ١٩٤١ . وكان مفترضا ان يجري تشكيلها بمعرفة السيد رشيد عالي الكيلاني الذي تم تجاهل اسمه كلية . وكما علمت وما يعرفه الضباط فان عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف هما اللذان اجريا هذه التشكيلات دون علم احد . فقد وضعت قوائم الاسماء في جيب عبد السلام عارف . وارسل الى الاذاعة كي يعلن كل شيء بنفسه ومن اجل الانفراد بكل شيء فقد جرى الغاء دورنا تماما منذ البداية .

كان من ضمن الذين الغي دورهم يوم الثورة ايضا اللواء نجيب الربيعي رغم تعيينه رئيسا لمجلس السيادة . فهو لم يبلغ بساعة الصفر بل لم يبلغ ان هناك ثورة ستقوم فعلا وفوجىء الرجل باسمه يعلن من الاذاعة رئيسا لمجلس السيادة وكذلك فوجىء اعضاء المجلس بذات الطريقة ايضا . . وعموما فقد كان مجلس السيادة لا يمارس اية مهمة من مهمات السيادة لقد كان مجلسا شكليا اذ كانت كل الصلاحيات بيد عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف .

القبض على نوري السعيد

واذا لم يكن متوقعا بان تبدأ الثورة بالعمل وفق اسس فانه لم يكن متصورا ولا متوقعا ولا مقررا ايضا ان تبدأ الثورة عهدها بتوجيه النداءات بواسطة الاذاعة والتليفزيون للجمهور ان يقتلوا اركان النظام السابق وان يسحقوهم ويسحلوهم . . الخ . . ولكن هذا هو الذي حدث . وفيما الناس في حالة من الهرج والمرج والفوضى التي لا مثيل لها اذيع بيان من قيادة الثورة تضمن قرارا بحظر التجول مرفقا بنداء للجمهور ان يعمل لالقاء القبض على نوري السعيد .

لحظة اذيع هذا النداء الذي اتبع بالاعلان عن رصد مكافأة مقدارها عشرة الاف دينار لمن

يلقي القبض عليه حيا او ميتا اصيبت معنويات الناس بنكسة . وبدأ البعض يستعيد في ذهنه تجربة ثورة ١٩٤١ وتراوده مشاعر القلق على مصير الثورة الجديدة فقد يتمكن نوري السعيد من الهرب الى خارج العراق ليعود من جديد على ظهر الدبابات البريطانية . وكانت بريطانيا مستعدة في الواقع لدراسة احتمال تكرار التجربة مجددا . فقد سارعت الى ارسال قوات عسكرية نزلت في الاردن كما ارسلت الولايات المتحدة قواتها إلى لبنان ايضا .

ولكن كيف هرب نوري السعيد . . ؟ والى اين اتجه . . ؟ ومن الذي ساعده . . ؟ واين اختبأ . ؟ ومن الذي بلغ عن مكان وجوده . . ؟

كل هذا لم يعلن حتى الان بشكل رسمي رغم انتشار العديد من الاشاعات التي حاولت ان تفسر الموقف في حينه . كما ان كل ما نشر حول الساعات الاخيرة من حياة نوري السعيد هو من قبيل الاجتهاد وقد يكون فيه بعض جوانب الحقيقة ، ولكنها ليست الحقيقة كاملة . والحقيقة الوحيدة من بين كل ما نشر وقيل في حينه تنحصر في انه قتل يوم ١٦ تموز في منطقة البتاوين بينما كان يحاول الهرب من منزل محمود الاسترابادي في الكاظمية وهو برفقة امرأته وقد قتلت معه في ذات اللحظة .

وكان نوري السعيد ساعتها يرتدي عباءة نسائية ولكنه لم يكن يعرف كيف يسير بها كما تسير النساء . فلفت نظر احد المارة في الشارع فشك في امره وحاول ان يستوقفه لمعرفة حقيقة الرجل الذي يختبىء داخل العباءة النسائية . وفور ان اكتشف انه نوري السعيد اطلق عليه النار وارداه قتيلا هو والمرأة التي كانت تسير معه . وقد ظل اسم قاتل نوري السعيد سرا من الاسرار إلى ان اعلن عنه مؤخرا بعد وفاته وهو المواطن خضير صالح مهدي السامرائي . . وكان قاتل نوري السعيد قد توجه فورا لى وزارة الدفاع وسلم السلاح الذي استخدمه في قتله من اجل ضمان حقه في المكافأة . وصادف ان احد ضباط الشرطة الذي كان مواليا لنوري السعيد بلغ هاتفيا عن وجوده في الكاظمية فهرع الى هناك العقيد وصفي طاهر الذي كان المرافق العسكري لنوري السعيد في وقت من الاوقات وشارك في الثورة . وفور وصول وصفي طاهر كان نوري السعيد قد قتل وبدأت الجماهير الغاضبة في سحله . وقد سمحت هذه المصادفة لوصفي طاهر ان يزعم في حينه انه هو الذي قتل نوري السعيد . كما ان اشاعة انطلقت في حينه قالت ان نوري السعيد هو الذي انتحر فور الكشف عن هويته .

وكان من ضمن مهمات وصفي طاهر في الواقع في ساعات الثورة الاولى القاء القبض على نوري السعيد . وبالفعل فقد توجه إلى بيته برفقة قوة كان يقودها الرائد بهجت سعيد . ولكن الذي حدث هو ان وصفي طاهر بدلا من ان يدخل إلى البيت بهدوء ويلقي القبض على نوري السعيد في داخله بادر إلى اطلاق النار في الهواء قبل الوصول إلى المنزل مما مكن نوري السعيد من مغادرة البيت قبل وصول القوة . ونسج خيال الناس في ضوء هذه الحقيقة رواية تقول انه قطع النهر بواسطة قارب صغير إلى الجانب الآخر من بغداد حيث كان نوري السعيد في منزل يقع على شاطىء دجلة مباشرة من جهة الكرخ ولكن الحقيقة غير هذا .

فلقد اخبرني فيما بعد طبيب صديق لي ان زميله الدكتور صالح مهدي البصام اتصل به هاتفيا يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ وطلب منه الحضور اليه في منزله لمساعدته في معالجة مريض في وضّع صحي خطر فذهب اليه على فوره فلم يجد لديه اي مريض . ولكنه وجده منهارا وطلب منه ان يساعده للخروج من بيته إلى بيت اهله لعدم قدرته على قيادة سيارته . فاستجاب لطلبه واركبه في سيارته هو وزوجته . وفي الطريق اخبره ان سبب انهياره يعود إلى انه هرب نوري السعيد قبل قليل بسيارته إلى جهة لم يحددها . وكان نوري السعيد جارا للدكتور البصام في السكن . وقال لقد جاءني إلى منزلي لحظة مداهمة منزله واختبأ لدي . وعندما انتهى التفتيش وغادرت القوة المنطقة طلب مني ان اخرجه من الحي كله . وانا اخشى ان يلقي القبض عليه ويعتّرف انني انا الذي هربته فيلقي القبض على انا الآخر .

وقد قام البصام بايصال نوري السعيد إلى منزل محمود الاسترابادي الذي لم يكن منزله من ضمن الاماكن التي اعتقد وصفي طاهر ان نوري السعيد قد يذهب اليها . فقد زرته ـ وصفي طاهر ـ في وزارة الدفاع في اليوم الاول للثورة قبل ان يلقي القبض على نوري السعيد وتداولنا في الاماكن التي قد يلجأ اليها فلم يذكر لي اسم عائلة الاسترابادي .

ولم يكن نوري السعيد يعتزم البقاء في منزل الحاج محمود الاسترابادي . وقد عجل في مغادرة المنزل لشعوره انه ربما يكون قد وشي به . ولهذا سارع في اليوم التالي إلى مغادرة المنزل مرتديا عباءة نسائية ، ورافقته بيبة قطب زوجة الاسترابادي . وكان يريد الذهاب إلى منزل عضو مجلس الاعيان محمد العريبي الذي يقع في منطقة البتاوين كي يهرب من هناك إلى السفارة الامريكية . ولكنه لم يكن قد تدرب جيدا من قبل على مشية النساء . . !!

والواقع ان اسرة الاسترابادي هي من الاسر المعروفة في بغداد ولم تخبيء نوري السعيد لتعاطفها مع سياسته ولكنه دخل منزلهم واستجار بهم فلم يكن هنالك بد من اجارته فهكذا نحن العرب . وقد قدرت جهات التحقيق هذا الدافع ولم تعاقب هذه الاسرة التي خسرت احدى نسائها وهى تحاول تهريب نوري السعيد وذلك بسبب اجواء الانفعال التي كان يعيشها كل العراقيين في ذلك الوقت اما من الذي ابلغ الجهات الرسمية عن مكان نوري السعيد ، فسوف يبقى « سراً » ستكشف عنه الايام!؟ .

وبغد نوري السعيد قتل ابنه صباح امام منزله . وكان يسكن في احد بيوت موظفي ادارة السكك الحديدية التي كان مديرها العام . وكانت تقع هذه المساكن قرب مبنى الاذاعة الذي مازال مكانه حتى الان فى الصالحية . فقد خرج من منزله وحاول الاختباء في منازل بعض العائلات الانجليزية المجاورة ولكنهم رفضوا استقباله وعندها عاد الى منزله واخذ يشرب المزيد من المسكرات قبل ان يخرج إلى الشارع مرة اخرى وهو يصرخ باعلى صوته انا صباح نوري السعيد اقتلوني . . وظل يصرخ هكذا لفترة غير قصيرة حتى استجاب لطلبه احد المارة . . !؟

في ضوء تجربة ١٩٤١ كان المفروض القاء القبض على نوري السعيد او مقتله يمثل واحدة من المهمات الرئيسية والضرورية لنجاح الثورة . وكان مهما ان يحدث ذلك في الساعات الاولى للثورة الاّ ان حكومة الدفاع الوطني لم تلق القبض على احد ولم تعر اى اهتمام لاعوان الانجليز بما فيهم نورى السعيد ، ايماناً من رجالها من ان البلاد كانت مهددة بغزو خارجى لا يمكن ان يقف احد من ابناء العراق ضد شعبه ووطنه . . . وبالاضافة إلى ذلك فقد كان العراقيون جميعا متلهفون للانتقام من الرجل الذي نزع القناع عن وجهه تماما بعد ثورة ١٩٤١ وكشف عن انيابه التي فتك بها بارواح الشرفاء من العراقيين دون حساب . ولهذا فقد كان كل عراقي يتلفت حوله بحثا عن نوري السغيد فلعل الحظ يشرفه في ان يكون قاتله . ولكن هذا الشرف لم يحظ به غير مواطن واحد فقط .

ومن المفارقات التي حدثت في الساعات الاول للثورة ان محاميا معروفا في بغداد وهو سلمان الشيخ داود اشتبه به ان يكون هو نوري السعيد . وقد القى القبض عليه وارسل مخفورا داخل مدرّعة إلى مبنى الاذاعة حيث سلم إلى عبد السلام عارف . وكذلك فقد القي القبض على شقيقة نوري السعيد وهى ارملة جعفر باشا العسكري وارسلت للاذاعة باعتبارها زوجة

نوري وكنت في ذلك الوقت مازلت في الاذاعة فشرحت حقيقة المحامي المعروف لعبد السلام عارف فاطلق سراحه . اما شقيقة نوري السعيد فقد كانت توزع الشتائم على الباشا . وكانت تقول ان الباشا هو المسئول عن كل المصائب والبلاوي التي حلت بالعراق . وقد اطلق سراحها هي الاخرى لعدم مسئوليتها عن بلاوي شقيقها واكراما لزوجها جعفر باشا العسكري .

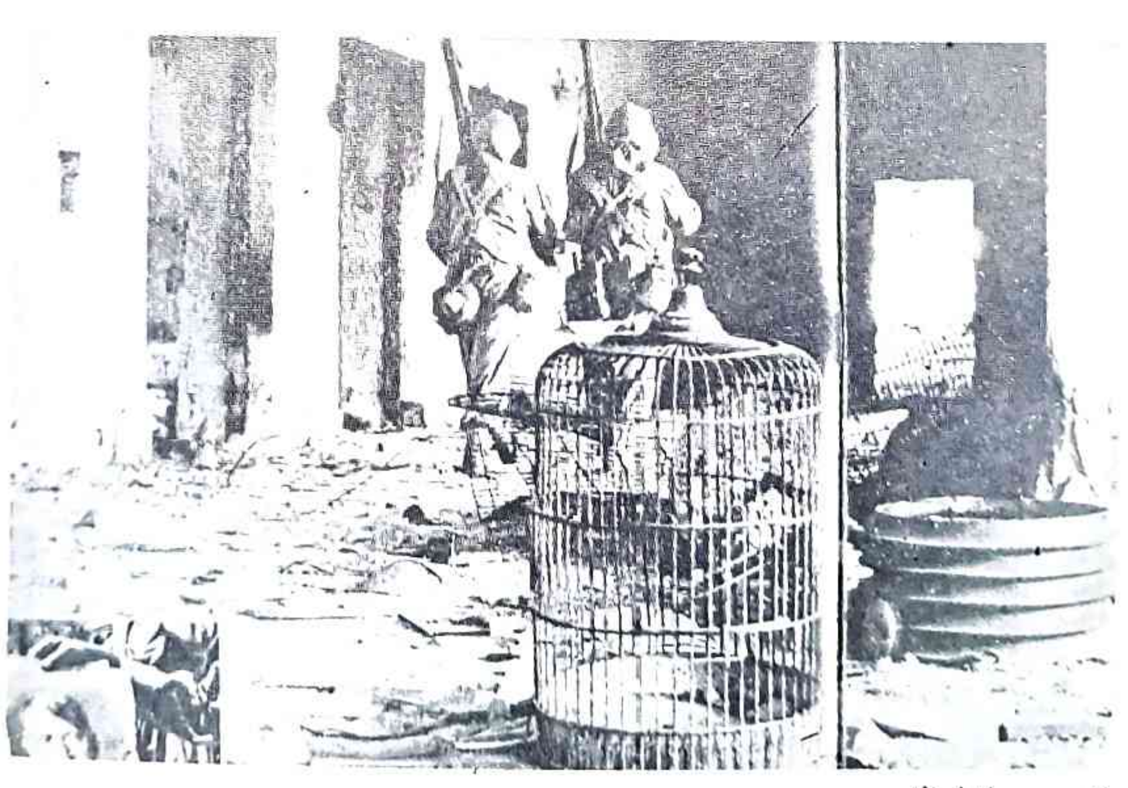
بعد مقتل نوري السعيد اطمأن كل عراقي إلى ان الثورة لم تعد تواجه الاخطار ذاتها التي كان يمكن ان تواجهها لو انه ظل على قيد الحياة وتمكن من الهرب .. وهكذا صار بالامكان ان تبدأ في معالجة القضايا الاخرى ..



● مجلس القيادة : الربيعي ومحمد مهدي كبة وخالد النقشبندي
● أول مؤتمر صحفي لعبد الكريم قاسم

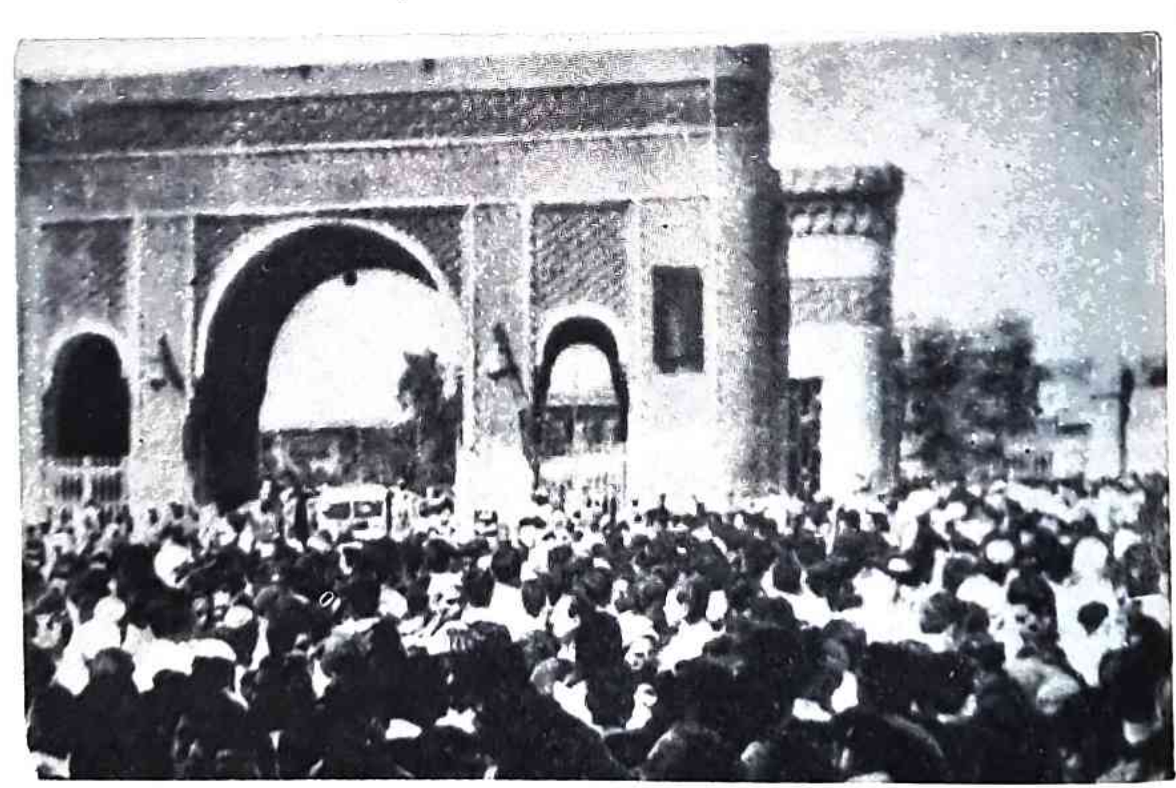


● غرفه نوم في قصر الرحاب يوم الثورة .



● .. وداخل القصر

● جنود ثورة تموز ١٩٥٨ في مدخل قصر الرحاب



● مدخل وزارة الدفاع صباح ١٤ تموز ١٩٥٨



● عبد الستار سبع العبوسي

● عبد الكريم قاسم
وعبد السلام عارف



الكيــــــلاني فـــي بغـــداد

■ ٥٠ طائرة « ميغ » وسفينة أسلحة من عبد الناصر الى حكومة الثورة

بعد اذاعة البيانِ الاول للثورة اخبرت الاخوين عبد الرحيم الراوي ويحيى ثنيان وكنا لا نزال في الاذاعة ان دورنا في الثورة قد جرت مصادرته وان الثورة قد اخذت اتجاها آخر . والذي جعلني اصل الى هذه القناعة ابلاغ عبد السلام عارف لنا ان مهماتنا في الثورة قد اوكلت لمجموعات عسكرية .. وبدلا من ان تتولى مسئولية الاذاعة طلب منا ان نتوجه الى قصر الرحاب من اجل تحريض الناس على قتل افراد الاسرة المالكة !

ومع ذلك فقد توجهنا ثلاثتنا في صباح اليوم الاول الى وزارة الدفاع وقد دخلت بمفردي الى داخل مبنى الوزارة حيث قابلت عبد الكريم قاسم وهنأته بنجاح الثورة وفي اليوم التالي زرت العقيد طاهر يحيى الذي عين مديرا عاما للشرطة وحاولت ان استكشف حقيقة الموقف منه حيال السيد رشيد عالي الكيلاني الذي تم تجاهله بالمطلق منذ اللحظة الاولى للثورة . وكان كل الذي حصلت عليه وهو دعوة الى التريث وانتظار انجلاء الموقف . غير اني لم اتريث ففي ذات اليوم ذهبت مرة اخرى الى وزارة الدفاع لالتقي عبد السلام عارف الذي وجدته في اجتماع لمجلس الوزراء . فطلبت من المقدم وصفي طاهر ان يبلغه برغبتي في مقابلته . فما كان منه الا ان خرج من اجتماع مجلس الوزراء ليبلغني ان كل شيء على ما يرام ، وانه جرى ترتيب كل شيء وقد تم تكليف شخص بالتوجه الى القاهرة لاتمام اللازم . ولم افهم منه ما هو اللازم الذي سيجري اتمامه . كما انه لم يخبرني من هو الشخص الذي كلف باتمام هذا اللازم . وعند الظهر اذيع في نشرة الاخبار ان الحكومة قررت ايفاد فائق السامرائي وهو من

قادة حزب الاستقلال الى القاهرة في مهمة . وكانت المهمة تنحصر في التنسيق مع الحكومة المصرية بشأن تنفيذ التعهدات التي قدمتها للثورة قبل قيامها بوساطة السيد رشيد عالي الكيلاني .

وحين وصل السامرائي الى القاهرة وجد ان مصر قد اوفت بكل التزاماتها فعلا ، فقد كان الرئيس المصري جمال عبد الناصر وقت قيام الثورة في طريقه الى بلاده بحرا عائدا من زيارة رسمية قام بها الى يوغسلافيا . فعاد الى يوغسلافيا ثانية وطار منها الى موسكو حيث طلب من الزعيم السوفييتي خروتشوف مساندة نظام الحكم الجديد في العراق . وعلى الفور امر خروتشوف باجراء مناورات عسكرية على الحدود التركية ـ البلغارية واعلن تأييده السياسي للحكم الجديد في العراق وحذر دول حلف بغداد من التدخل ومحاولة احباط الثورة .

وامر عبد الناصر بتوجيه ٥٠ طائرة ميغ للعراق فوراوكانت قوات الجيش الاول ـ السوري ـ في حالة استعداد لتقديم اية مساعدة تطلب منها اعتبارا من ١١ تموز ـ يوليو . وجدد عبد الناصر اثناء اجتماعه من السامرائي تعهده بدعم الاقتصاد العراقي اذا تعرض الدينار المدعم بالجنية الاسترليني لضغوط واجراءات بريطانية . اما البند الرابع من الاتفاق والمتعلق بتكليف السيد رشيد عالي بدعوة سفراء دول عدم الانحياز والدول الصديقة الى مقر السفارة العراقية في القاهرة والطلب منهم الاعتراف بالوضع الجديد في العراق فلم يتم الالتزام به من جانب حكومة الثورة . بل ان فائق السامرائي لم يتصل مع السيد رشيد عالي في القاهرة رغم انه ذكر في التقرير الذي رفعه عن مهمته انه وجد لدى وصوله العاصمة المصرية ان كل شيء كان منفذا وفق التعهدات .

وفي كتاب استقالته من منصبه كسفير للعراق في القاهرة بعد انفجار الموقف بين قاسم وكافة الفئات القومية قال فائق السامرائي . . . عندما وصلت القاهرة اجتمعت في ساعة وصولي نفسها مساء بالمشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة والقائد العام للقوات المسلحة ثم انضم الينا بعدئذ السيد على صبري وزير الدولة لرئاسة شئون الجمهورية فوجدت وانا في الاجتماع ان جزءا من مهمتي العسكرية قد تم فعلا وكذا . . . وان باخرة حملت بالاسلحة وصلت الى اللاذقية في طريقها الى العراق واخرى ستبحر في صبيحة اليوم التالي .

انزال القوات الامريكية

لقد تطورت الاحداث سريعا في بعض مناطق العالم الحساسة أثر قيام الثورة في العراق . . فكان ان نزلت القوات الامريكية في لبنان والبريطانية في الاردن ويضيف السامرائي ليقول : فطلبت الحكومة الي ان اسافر بصفة شخصية الى القاهرة في مهمة سياسية ومهمة عسكرية . وقد هيأت الحكومة لي كاتب شيفرة لمراسلاتي من وزارة الخارجية فسافرت الى دمشق اولا ووجدت ان مهمتي السياسية قد انتهت قبل ان اصل الى القاهرة حيث بادر الرئيس جمال عبد الناصر الى اعلان موقف الجمهورية العربية المتحدة واعتبار اي اعتداء يقع على العراق هو عدوان على الجمهورية العربية المتحدة ووضعت معاهدة الدفاع العربي المشترك موضع التنفيذ .

هذا الاجراء الحاسم وهذه الخطوة الجبارة التي اذهلت الاستعمار وخذلت جيوشه تعتبر دعامة اساسية لنجاح ثورة العراق .

وبالطبع فان فائق السامرائي كان يقول ذلك من قبيل اظهار ايجابيات موقف القاهرة التي لجأ اليها بعد تقديم استقالته . ولهذا فانه لم يكلف نفسه عناء الاشارة الى الدور الذي لعبه الكيلاني من اجل ان تتخذ القاهرة هذا الموقف وهذه الاجراءات بهذه السرعة لكونه يجهل ذلك وان عبد السلام لم يخبره بحقيقة الامر بل تجاهلوا كل الاستعدادات لانجاح الثورة ! .

في اليوم الثالث او الرابع للثورة وبعد مقتل نوري السعيد ، التقيت عبد السلام عارف مرة أخرى . في هذه المرة كانت الظروف تسمح بالحديث بصراحة اكبر عن قضية السيد رشيد عالي فقال لي بصوته الجهوري واندفاعه المفتعل . . . « قل لرشيد عالي ان يأتي » فتساءلت . . . انا الذي ابلغه . . ؟ ! وفوجئت بالجواب الذي سمعته من عبد السلام . . . قال . . . يتهمونني باني اعارض عودته . . وسألت . . من الذين يتهمك . . ؟ اجاب . . جماعة انت تعرفهم . . صديق شنشل ـ مدير الدعاية في حكومة الدفاع الوطني سنة ١٩٤١ ـ وجابر عمر ـ وزير التربية في حكومة تموز الاولى ـ والحقيقة هما اللذان لا يريدان عودة الكيلاني .

عدت للسؤال . . . وما هو المطلوب مني . . ؟ وباية صفة اطلب من السيد رشيد عالي ان يعود للعراق ولم يلغ حتى الان حكم الاعدام الصادر بحقه في العهد الملكي . . . ومن هم

اعداء رشيد عالي حتى لا يرجع . . ؟ ارجو ان تتصل انت به وان تبلغه بنفسك فانت نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .

وعاد عبد السلام عارف للاجابة المفارقة التي لا علاقة لها بموضوع الحديث وغير مترابطة مع بعضها . . . انا يتهموني بانني من الاخوان المسلمين لانني اصلي . . الم اقل لكم اننا نريد ان نقوم بثورة . . ؟

اجبته بلهجة لا تخلو من بعض الغضب في هذه المرة . . مبروكة عليكم الثورة ولكن ما هو المطلوب مني . . » .

قال ان تخبر الناس انني لست ضد عودة رشيد عالي . نحن نريده . هو زعيمنا ووالدنا . . هو ابو الثورة .

قلت له . . جهاز الهاتف امامك وبامكانك ان تبلغ السيد رشيد عالي مباشرة بهذا الموقف وانصرفت .

وعند الظهر اتصل بي السيد رشيد عالي من دمشق . قال ان عبد السلام عارف اتصل بي ودعاني للعودة للعراق ما هو رأيك . . ؟ فطلبت منه التريث في الحضور لوجود تيار يعارض عودته . ويبدو انه اخذ بوجهة نظري الى حد ما فقد اجابني انه سيعود من دمشق الى القاهرة ليودع الرئيس عبد الناصر ثم يتصل معي من هناك ثانية ، غير ان الكيلاني تأخر في دمشق ٢٠ يوما قبل ان يعود للقاهرة .

عبد السلام عارف يدعو الكيلاني للعودة

ويبدو ان إلحاحي في موضوع السيد رشيد عالي قد ضايق عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف . ورغم ان الاخير قد اتصل فعلا مع الكيلاني وطلب منه العودة للعراق الا انه فعل ذلك تحت وطأة ضغط الشارع والرأي العام ذلك ان الصديق المقدم طه الدوري الذي كان قد اصبح معاونا لمدير الامن العام ومديرا لامن بغداد ، وكذلك الصديق العقيد رفعت الحاج سري الذي اصبح معاونا لمدير الاستخبارات العسكرية اخبراني يوم ١٧ تموز - يوليو اي في اليوم الرابع للثورة ان لا اتصل مع قادة الثورة . . اي قاسم وعارف لانهما لا يريدان ان اتدخل فيما لا يعنيني والا فسيكون مصيري الاعتقال . وقالا لي ان قاسم لا يريد ان اتدخل في شئونهم وان عارف لا يريد ان يرى وجهي !.؟. .

وبالطبع فان التدخل الذي يريدان عدم تكراره هو فتح موضوع عودة السيد رشيد عالي لان هذا يجر للحديث عن الاتفاق المسبق الذي كان يقضي بان يكون الكيلاني هو رئيس الدولة بعد قيام الثورة .

على كل بعد ان عاد الكيلاني الى القاهرة من دمشق اجتمع مع الرئيس جمال عبد الناصر في منزله بمنشية البكري . وقد استمر الاجتماع من المغرب حتى فجر اليوم التالي وتناول الحديث خلاله مختلف قضايا الساعة . وقد كان واضحا كما اخبرني الكيلاني ان عبد الناصر لم يكن يعرف دقائق الوضع في سوريا التي كانت قد توحدت مع مصر قبل ستة اشهر فقط . وقد بدا ذلك من الاسئلة التي وجهها عبدا لناصر للكيلاني عن سوريا . . . ماهي حقيقة الوضع الاقتصادي السوري . . ؟ من يقف في سوريا مع الوحدة ومن يقف ضدها . . . ؟ ما هو موقف رجال الدين من الوحدة ؟ وعلى وجه الاجمال ماذا يجب على رئيس الجمهورية العربية المتحدة ان يفعل في سوريا . . ؟ وقد اجابه الكيلاني على كل هذه الاسئلة وعلى قدر المعلومات التي حصل عليها خلال الايام التي قضاها في دمشق والتقى خلالها بالساسة السوريين من مختلف الاتجاهات حيث وفدوا للسلام عليه وتسابقوا في توجيه الدعوات له .

اما فيما يتعلق بثورة تموز في العراق فقد بايع الكيلاني عبدا لناصر بقيادة دولة الوحدة التي يفترض ان ينضم العراق لها ايضا . وقال له . . . انا لا اطمع لاي منصب اطلاقا وانا ساعود للعراق الان وسنكون حاضرين للتعاون في مختلف المجالات وبكل الطرق والوسائل .

وكانت العودة لبغداد في ٢ سبتمبر ـ ايلول ١٩٥٨ بعد خمسين يوما من قيام الثورة . وقد ارسلنا له للقاهرة الاخ يحيى ثنيان ليرافقه في طائرة العودة ومن اجل ان يبلغه بتفاصيل الموقف وكيف اخل النظام الجديد بتعهداته . وطلبت من يحيى ان يبلغه نصيحتي له بعدم العودة حتى تتضح الامور ذلك ان حكم الاعدام لم يك قد الغي بعد . . ولكنه ـ الكيلاني ـ اصر على العودة فعاد . .

في يوم عودته خرجت كل بغداد . . كل جماهير الثورة في العراق لاستقباله في المطار . . . اثنان فقط كان يفترض ان يكونا على رأس اروع استقبال حظى به قائد وطني في تارخي العراق والامة العربية المعاصر لم يكونا حيث يجب . . عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف . . . ولم نفاجأ بذلك ففي الصباح كان قد اتصل بي العقيد وصفي طاهر وابلغني « ان الزعيم عبد

الكريم كلفني ان انوب عنه في استقبال عمنا الكبير » قلت له ضاحكا « مالقي غيرك » اجاب معاتبا « تستصغرني » . . . ؟ رددت عليه بالسؤال ولماذا لا يستقبله قاسم بنفسه . . ؟ اجاب وضعه لا يسمح له بذلك .

اما عبد السلام عارف فقد مثله في الاستقبال الرائد صبحي عبد الحميد .

عودة لم تكن موضع ترحيب

لم تكن اجابة وصفي طاهر صحيحة . فالواقع ان عودة السيد رشيد عالي لم تكن موضع ترحيب حقيقي من قبل عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وذلك لعدة اسباب :
اولا : الشعبية الكبيرة التي مازال يحظى بها قائد ثورة ١٩٤١ والتي تجلت في الاستقبال الجماهيري الكبير الذي لقيه . وقبل عودته كان شيوخ العشائر يقابلون قاسم وعارف والمحافظين في مناطقهم ويطلبون منهم عودة الكيلاني .

ثانيا : ان معظم الضباط الذين قاموا بالثورة وخاصة ضباط الصف الثاني كانوا يريدون الكيلاني رئيسا للدولة وكذلك مجموعة الضباط التي كان يتزعمها العقيد الشهيد رفعت الحاج سري الذي اعدمه عبد الكريم قاسم فيما بعد مع الزعيم الركن ناظم الطبقجلي لاشتراكهما في ثورة العقيد عبد الوهاب الشواف التي قامت في الموصل مساء يوم ٨ مارس ١٩٥٩ .

ثالثا : ويبدو ان عبد الكريم قاسم قد ورث شيئا من حقد قريبه ابن عمته محمد علي جواد آمر القوة الجوية في عهد انقلاب بكر صدقي . . . اما عبد السلام عارف لم يكن له في اية قضية موقفا غير موقف التابع لقاسم . فهو مجرد بوق يعمل بواسطة ازرار يدوس عليها قاسم فقط ، وقد ظل كذلك حتى قص قاسم اجنحته فثار عليه ولكن بعد فوات الاوان .
رابعا : علمت فيما بعد ان الولايات المتحدة وبريطانيا اشترطتا على حكومة ثورة ١٤ تموز من اجل الاعتراف بها عدم السماح بعودة السيد رشيد عالي الكيلاني للعراق وقيامه باي دور في النظام الجديد . غير ان هذا الشرط جاء منسجما مع موقفي عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ولا حقا لهما من حيث التسلسل الزمني .

اما العامل الاخر المهم الذي لعب دورا رئيسيا في تحديد موقف عبد الكريم قاسم ولم نكن ندرك كل ابعاده في حينه فهو الجانب الوجداني لجذور قاسم الشيوعية !؟

فقد علمنا فيما بعد ان قاسم كان شيوعيا منظما قبل ان يلتحق بالجيش بل كان من اوائل الاعضاء في الحزب اذ كان يحمل الرقم ١٢ وكان اسمه الحركي « حيران » وكان الشيوعيون يصفون الفكر القومي - وما زالوا - بانه فكر رجعي . . . ولهذا فقد وقفوا بوضوح ضد انضمام العراق للوحدة المصرية - السورية واعلنوا هذا الموقف دون خجل ورفعوا شعارهم الشهير في وجه شعار الوحدة الذي رفعه القوميون العراقيون وعلى رأسهم السيد رشيد عالي الكيلاني « اتحاد فدرالي وصداقة سوفيتية » .

وقد انعكس موقف الشيوعيين من القومية العربية والوحدة على موقفهم من السيد رشيد عالي الكيلاني الذي وصفوه في مناشيرهم بانه يمثل « خطأ » قوميا رجعيا وشككوا في قدرته على تولي مسئولية الحكم . وتعللوا بكبر سنه وبعده عن العراق لفترة طويلة . وكان موقف الشيوعيين من الكيلاني بداية الصراع الدموي مع الخط القومي برمته الذي تمثلت ذروته في ثورة الشواف ومجازر الموصل التي حدثت في اعقابها حيث علق الشيوعيون مناضلا قوميا على كل عمود كهرباء في المدينة المنكوبة التي حشدوا لهجومهم عليها كل عناصر حزبهم الذي جمعوهم من مختلف انحاء العراق بعد ان سلحهم عبدالكريم قاسم تحت اسم المقاومة الشعبية .

ونكاية بالشيوعيين وموقفهم المشين فقد شارك العقيد احمد حسن البكر ، الذي كان قد تولى قيادة اللواء ١٩ المسيطر منذ اليوم الأول للثورة على شطر بغداد الكرخ ويقع ضمن اطاره مطار بغداد ، في مراسيم الاستقبال التي اعددناها مع ضباط الخط الثاني . فقد وزع احمد حسن البكر - رحمه الله - جنوده على طول الطريق من المطار وحتى جسر الاحرار وهم متنكبين الحراب اشارة استقبال الفاتحين . وكان موقف البكر بداية التحدي لقاسم والشيوعيين الذي قاده للسجن والابعاد من الجيش ثم الى رئاسة الوزراء فجر يوم ١٤ رمضان (٨ شباط ١٩٦٣ حيث اطيح بنظام عبد الكريم قاسم في ثورة فريدة من نوعها والتي خطط لها ونفذها حزب البعث وشارك فيها الشعب والجيش ، وليس بالاطاحة بالنظام فقط بل وبانزال العقاب في الشيوعيين الذين كانوا يتفننون في الحاق الاذى بالمواطنين .

وبمجرد نزول السيد رشيد عالي من على سلم الطائرة اقتحمت الجماهير مدرج المطار وحملته على الاكتاف محطمة في طريقها الزجاج والاثاث وكل ما كان من شأنه ان يعيق تحركها في اتجاه الزعيم العائد .

واخذت الجماهير تطوف بالكيلاني في ساحات المطار فرحة لعودته . وضاعت الطاسة وذهبت مراسيم الاستقبال المعدة ادراج الرياح ، واضطر الجيش للتدخل حرصا على حياة الكيلاني ، ومن اجل تتابع مراسيم الاستقبال . بفض تجمعات الجماهير واستعاد منها الكيلاني كي يسلم عليه وصفي طاهر وصبحي عبد الحميد ممثلا عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف بالاضافة الى صديق شنشل الذي رافق الكيلاني في سيارة مكشوفة استقلينها انا ايضا وشقيقي ناصر ، ورافقتنا سيارات الجيش للحماية ولزوم الموكب وسيارات الاهالي الفرحين المبتهجين للتحية .

كان مفترضا وفق المراسيم المعدة ان يتوجه الموكب من المطار الى مسجد ومقام الشيخ عبد القادر الكيلاني عبر طريق محاذ لنهر دجلة الخالد يمر في احياء شعبية في جانب الكرخ قبل ان يقطع جسر الاحرار الى الرصافة حيث يوجد المقام . وقد وصل الكيلاني الى المقام حيث ادى الصلاة تحية وشكرا لله في مسجد جده قبل ان يتوجه من هناك الى منزلي في الصليخ بالاعظمية . ولكن مراسم الموكب لم تمر دون حدوث مفارقتين . الاولى اقدام قوات عسكرية تابعة لعبد الكريم قاسم على اغلاق المنافذ المؤدية الى الطريق النهري الذي يمر في منطقة الكرخُ الاحياء الشعبية بواسطة سيارات نقل عسكرية جعلت الموكب يغير مساره ويسير في طرق اخرى بعيدا عن تحشدات الجماهير التي كانت تنتظره على طول الطريق ، اذ ان مراسيم الاستقبال كانت قد نشرت في صحف الصباح .

اما المفارقة الثانية وهي الاهم ، وان كانت مرتبطة بالاولى ، فكانت تلك المظاهرة الاستفزازية الشيوعية التي رافقت الموكب هرولة او مشيا على الاقدام حسب سرعة سير الموكب وسط الجماهير وكانت تهتف باعلى صوتها متحدية رمز التيار القومي الوحدوي في العراق . وكان في مقدمة الشعارات الشعار الشهير اياه .. « اتحاد فدرالي وصداقة سوفيتية » وهو الشعار الذي يضع قضية الوحدة في الموقع المضاد للصداقة مع الاتحاد السوفييتي . والواقع ان رفع شعار الاتحاد الفدرالي لم يكن صادقا هو الاخر ذلك ان الهدف مَن رفعه كان رفض الانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة بزعامة جمال عبد الناصر وتضليل الجماهير بشعار « الاتحاد الفدرالي » الذي يضمن سيطرة الشيوعيين على الحكم في العراق . كما ان تصعيد الخلاف مع القوميين والجمهورية العربية المتحدة خلق ظروفا غير مواتية حتى لقيام الاتحاد الفدرالي .

قاسم وعارف يلتقيان الكيلاني

ومع ذلك فلم يكن بامكان اركان النظام الجديد ان يتجاهلوا ضرورة زيارة الكيلاني والسلام عليه ، وهكذا اتصل بي عبد السلام عارف في اليوم التالي من منزله في ابو غريب وبعد ان بارك وهنأ بعودة الزعيم الكيلاني ابدى رغبته في زيارته . وقد تمت الزيارة في ذات اليوم في منزل شقيق الكيلاني السيد كامل الكيلاني ، واستمرت لمدة ساعة . ولم اكن من بين الذين حضروها . ولم يخرج الحديث خلال هذه الزيارة عن نطاق المجاملات حيث بدأ عبد السلام عارف بتهنئة الزعيم على عودته لارض الوطن . وفي المقابل هنأه الكيلاني بنجاح الثورة وتحدث عارف كيف قامت الثورة وعن الملابسات التي رافقت هرب ثم مقتل نوري السعيد وعن بعض المواقف الاخرى .

اما الكيلاني فقد كان حريصا على ان يطمئن اركان هذا النظام انه لا يريد ان يحتل اي موقع وانه لا يطمح في اي منصب فقال لعبد السلام عارف . . . انتم اصحاب فضل كبير في قيام الثورة ونجاحها وارجو ان يكون في علمكم اني لا اطمع في تولي اي منصب . وانا في وضعي الحالي ليس هناك من هو اكثر سعادة مني في العراق او في الوطن العربي كله وذلك لسببين :
الاول : ان الثورة اعادتني الى وطني العراق .
الثاني : ان رشيد عالي محكوم بالاعدام من قبل النظام السابق والثورة انقذت حياتي .

واضاف . . . واني لارجو ان تعتبروني جنديا من جند الثورة وسأكون حاضرا لتأدية اي عمل يطلب مني .

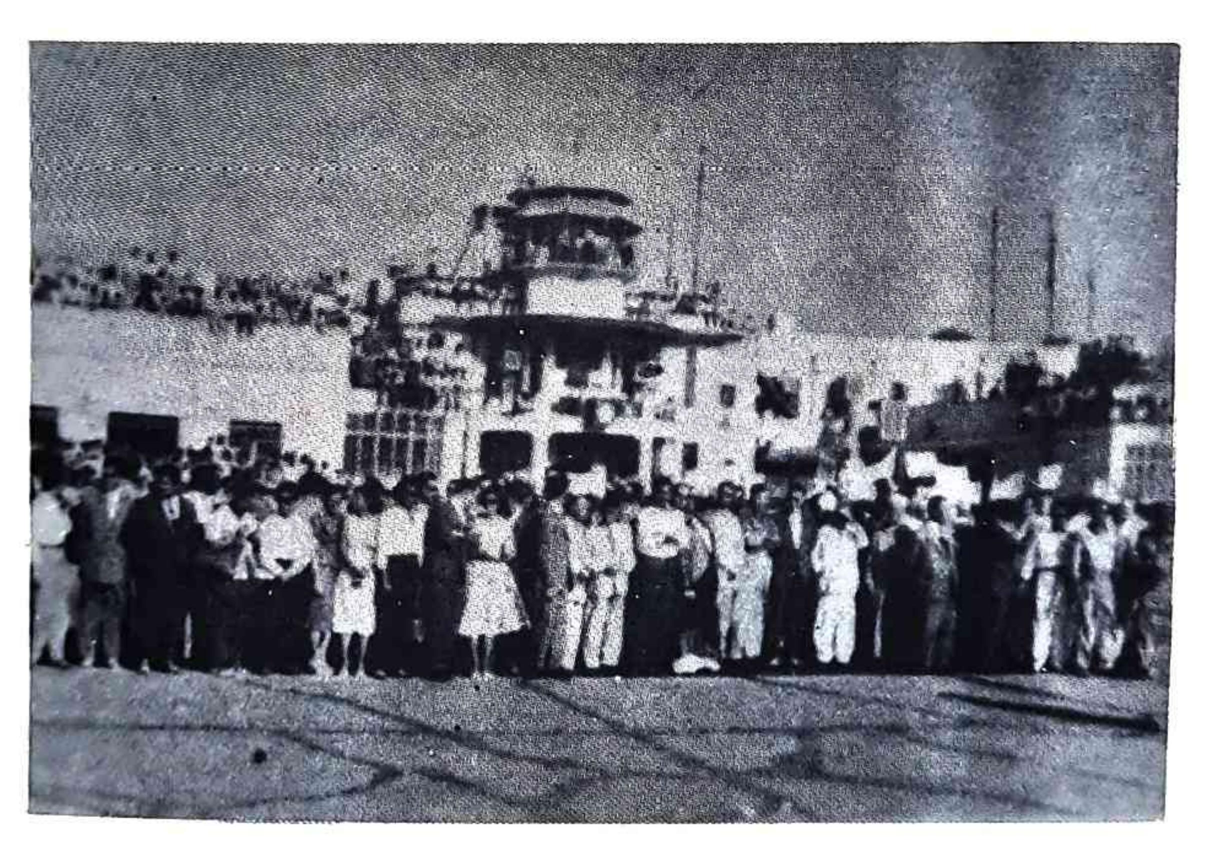
وردا على هذه الكلمة قال عبد السلام عارف للزعيم الكيلاني . . انت زعيمنا الذي علمنا الثورة ونحن تلاميذك . لقد استمدينا شعورنا القومي منك . واننا بحمد الله نجحنا في تحقيق بعض امانيك لهذا الوطن ونحن في خدمتك دائما .

في اليوم التالي ـ الثالث لعودة الكيلاني زاره رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم وكان المرة الاولى التي ارى فيها قاسم بلا مدفعه الرشاش منذ قيام الثورة فقد اكتفى بحمل مسدسه فقط . الزيارة تمت في منزل كامل الكيلاني ايضا واستغرقت نصف ساعة سادها لقاء هادىء جدا كرر خلاله الكيلاني على اسماع قاسم ما سبق ان قاله لعبد السلام عارف في اليوم السابق ورد عليه قاسم باقتضاب مكررا هو الاخر انه تعلم الثورة من رشيد عالي « الرجل الذي

علمنا التحدي ونحن نعتز ونفخر بهذا » .

وفي اليوم الرابع زاره رئيس مجلس السيادة اللواء نجيب الربيعي وبرفقته عضوي المجلس الاخرين خالد النقشبندي ومهدي كبة وكانت زيارة مجاملة هي الاخرى .

وكان الكيلاني حريصا على ان يرد زيارات المسئولين والمواطنين سواء بسواء . وهكذا فقد رد الزيارة لمجلس السيادة ورئيس الوزراء ونائب رئيس الوزراء . وبذلك انتهت العلاقة بين الكيلاني واركان النظام ولم تتكرر اللقاءات الا مع عبد الكريم قاسم الذي التقى مع الكيلاني اكثر من مرة ولكن هذه اللقاءات كانت تتم بين رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم وا لسجين « المتآمر » على الثورة رشيد عالي الكيلاني الذي حكم عليه بالاعدام من جديد بفضل مؤامرة شيوعية .. !! انكليزية !! عربية ؟؟



● الجماهير في انتظار وصول طائرة الكيلاني الى بغداد

● نجم الدين السهروردي يرحب بنجيب الربيعي عند قدومه للسلام على الكيلاني

ومحمد مهدي كبة ، وخالد النقشبندي



● الكيلاني متجها نحو الطائرة التي اقلته الى بغداد



● الحاج امين الحسيني في وداع الكيلاني في مطار القاهرة ومعهما وزير الدولة المصري

الشيوعيــون والكيلانـــي

■ الشيوعيون : ثورة الكيلاني تتمة لانتصار عام ١٩٢٠
■ الرفيق « فهد » : تأييدنا لثورة ١٩٤١ « أفظع خطأ تكتيكي »

يعتبر موقف الحزب الشيوعي العراقي من شخص السيد رشيد عالي الكيلاني لدى قيام ثورة تموز امتدادا للموقف الذي اتخذه الحزب من ثورة ١٩٤١ بعد فشلها في المواجهة العسكرية مع قوات الغزو البريطاني . وهو غير الموقف الذي اتخذ أثناء الثورة . وهذا دليل على انتهازية الحزب . فلدى حدوث المجابهة بين الوصي على العرش عبد الاله وحكومة طه الهاشمي من جهة والسيد رشيد عالى الكيلاني وقادة الجيش القوميين وعلى رأسهم العقداء الأربعة من جهة ثانية ، وهي المجابهة التي انتهت بإرغام طه الهاشمي على الاستقالة وهرب الوصي وتشكيل حكومة الدفاع الوطني برئاسة الكيلاني أصدر الحزب الشيوعي العراقي في السادس من نيسان ابريل ١٩٤١ بيانا أعيد نشره في ملحق العدد الرابع من جريدته « الشرارة » تبنى فيه حركة الكيلاني وطالب كل الشعب بتأييدها وتقدم لها ببعض المطالب .
وجاء في مقدمة هذا البيان . . « كان حزبنا الشيوعي المنظمة الوحيدة التي اعلنت رايها بصراحة تامة حول الحرب الاستعمارية القائمة[1] ونادى بوجوب تأليف الجبهة الوطنية الموحدة استعدادا للمحافظة على الحقوق التي سبق لهذه الأمة أن حصلت عليها بكفاح أبنائها ودرءا للأخطار المحتملة الوقوع وسعيا وراء استكمال استقلالها بصورة ناجزة . هذا ما نادينا به واطلعنا الرأي العام عليه في مختلف المناسبات ، ولا جرم في كوننا عبرنا بدعوتنا تلك أصدق تعبير عن أماني الأمة ورغباتها الجائشة في الصدور » .

وبعد أن أوضح البيان موقف الحزب الأممي من الحرب العالمية الثانية التي اعتبرها حربا بين القوى الاستعمارية ، عالج الوضع المحلي في العراق قائلا . . « ولما كان النضال الوطني يتطلب العمل في الناحيتين الايجابية والسلبية . . ناحية الدعوة إلى تأليف الجبهة الوطنية . . وناحية التحذير من مكر الاستعمار ودسائسه ، فقد أخذت جريدتنا « الشرارة » في اعدادها المتتالية معالجة هاتين الناحيتين وايضاح السبل واجبة الاتباع في هذا الشأن . ولعل هذه الجريدة أيضا كانت الوحيدة في تكهنها حول الأزمة الوزارية الواقعة قبل شهرين[٢] ووصفها اياها بكونها انتصارا[٣] وقتيا ظاهريا للاستعمار البريطاني . وكانت شديدة الإيمان في أن ذلك الانتصار سيكون سريع الانهيار ذلك لأنه لم يعد في امكان أية حكومة تتولى مسؤولية هذه البلاد أن توفق بين المصالح الوطنية والمصالح الاستعمارية . ولابد إذن من الالتحام بين قوة الأمة من جهة وقوة الاستعمار من جهة أخرى لتقرير المصير .

تبين بجلاء بعد هذا التحليل ان قوى الأمة كانت المنتصرة ممثلة في جيشها الباسل تحت رعاية قادته الميامين وزعماء الأمة المخلصين[٤] وأن هذا الانتصار يعتبر في الحقيقة تتمة لانتصار الأمة في ثورتها العراقية المقدسة عام ١٩٢٠ وبهذا الانتصار برهنت الأحداث على أننا أهل لأن ننتسب الى أولئك الآباء البررة الذين وقعوا ضحايا في ميادين المجد والشرف والجهاد ومن أجل تحرير الوطن العزيز من نير الأجنبي الغاصب . . وأن الحزب الشيوعي أكثر أبناء هذه الأمة اعتزازا بماضيها المجيد أشدهم تمسكا بالدفاع عن حقوقها المهضومة وأسرعهم ذودا عن كرامتها المهانة ، لا يسعه الا ان يرسل آيات التهاني والتمجيد إلى أبناء الأمة جمعاء والى رجال القوى المسلحة ، حصن البلاد وحارسها الأمين . وهذا هو شعورنا إزاء الحركة[٥] وباعتقادنا أنه تعبير صادق عن شعور الأمة بكاملها » .

وختم الحزب بيانه بالتقدم « بالنقاط الحكيمة التالية للعمل بموجبها » تثبيتاً لهذا الانتصار :

١ ـ يجب على حكومة الدفاع الوطني أن تنشط حالا للقضاء على صنايع الاستعمار أولئك الذين ظهروا للعيان للقضاء على صنايع الاستعمار أولئك الذين الذين ظهروا للعيان في مجلس الأعيان والنواب وخارجهما كخدام للاستعمار ومطايا مسخرة لأغراضه الدنيئة .

٢ ـ الاسراع بإعطاء الشعب حقوقه الديمقراطية لينظم نفسه في أحزاب ونقابات تحمي مؤخرة الجيش الباسل .

٣ ـ يجب على كل زعيم مخلص أن يتكاتف مع حكومة الدفاع الوطني معلنا تأييده لها علانية تعزيزا لمركزها معنويا وتعضيدا لها في مجابهة الطوارىء وعلى المسؤولين من جهتهم أن يبذلوا قصارى جهدهم للتفاهم مع الزعماء المخلصين حقا على أساس حماية البلاد وضمان استقلالها وحريتها .

٤ ـ السعي لمكافحة الغلاء بكل الطرق الممكنة دفعا لما يعانيه الشعب من ضائقة اقتصادية .

٥ ـ المبادرة حالا إلى إنشاء علاقات اقتصادية ودبلوماسية مع دولة الاتحاد السوفيتي ليتعزز مركز العراق الدولي ولينال منها ما نحتاجه في نضالنا الوطني . وإننا على ثقة[٦] من أن الاتحاد السوفيتي لا يتردد لحظة عن تلبية ندائنا عملا بسياسته المعروفة إزاء الأمم المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها .

٦ ـ ندعو المواطنين عامة إلى الالتفاف حول حكومة الدفاع الوطني على أساس الجبهة الوطنية الموحدة[٧] تحت علمنا العراقي الحر الخفاق .

خطأ تكتيكي

ويصعق المرء بعد قراءة هذا البيان حين يعلم أن « الرفيق فهد »[٨] مؤسس الحزب الشيوعي وسكرتيره العام يعتبر تأييد الحزب لثورة الكيلاني « أفظع خطأ تكتيكي وقع فيه الحزب » . فقد غير الحزب الشيوعي موقفه من الحرب العالمية ككل بعد أن غزت القوات الألمانية الأراضي السوفيتية[٩] فبعد ان كانت هذه الحرب حربا استعمارية ، تحولت بقدرة قادر بعد ٢٢ يونيو ١٩٤١ الى حرب الانسانية جمعاء ، وبالطبع فان موقف الحزب الشيوعي العراقي في الحالتين كان ملتزما[١٠] بموقف الأممية الثالثة أكثر من التزامه بمصلحة العراق . وكانت الأممية الثالثة على أثر ظهور النازية السريع والمفاجيء في ألمانيا ، وازدياد مخاطرها العالمية ، قد دعت إلى عقد مؤتمرها السابع في موسكو في أواسط عام ١٩٣٥ لوضع الخطط من أجل مواجهة الخطر الجديد .

وقرر المؤتمر التراجع عن بعض المواقف المتصلبة وطلب من جميع الأحزاب الشيوعية المرتبطة بالكومنترن اتباع سياسة « مرنة » لتأليف « الجبهات الشعبية » و« الجبهات الوطنية الموحدة » وتأييد مواقف الاتحاد السوفيتي في نطاق علاقاته الدولية حتى وان كانت على حساب الاعتبارات المبدئية الأساسية .

أخذت الأحزاب الشيوعية الأوروبية على عاتقها تنفيذ تعليمات ، الأممية الشيوعية

والسعي لتشكيل الجبهات الوطنية لكنها فشلت في مساعيها لتحقيق التحالف مع الأحزاب الاشتراكية ـ الديمقراطية بسبب مواقفها السابقة الخاطئة من تلك الأحزاب[١١] وخضوعها للقرارات والتعليمات الصادرة عن الأممية التي كانت تتعارض مع المصالح الوطنية للشعوب الأوروبية . فأثبت ذلك سوء تقديرات الأممية الشيوعية من ناحية ، ضعف الأحزاب الشيوعية الأوروبية وعدم قدرتها على التأثير في سير الأحداث في دولها من ناحية أخرى . ولهذا جاءت مقررات المؤتمر السابع للأممية الشيوعية وكأنها في غير محلها ، وغير واقعية أو عملية . فانهارت آمال الشيوعية في إيجاد سند جماهيري قوي لها في أوروبا .

بعد فشل خطة إقامة الجبهات الوطنية توجه الاتحاد السوفيتي إلى التفاهم مع ألمانيا لضمان سلامة أراضيه وابعاد خطر الحرب المحتملة عنه . فعقد اتفاقية عدم اعتداء بين المانيا الهتلرية والاتحاد السوفيتي في عام ١٩٣٩ طبلت لها الأحزاب الشيوعية العالمية وزمرت وحاولت إيجاد المبررات الكافية للالتقاء مع النازية . . ولهذا عندما أعلنت الحرب العالمية الثانية في الأول من أيلول عام ١٩٣٩ كانت الاتفاقية المذكورة هي المعول عليها باعتبار انها تبعد الاتحاد السوفيتي عن مخاطر الحرب الدائرة بين البلدان الرأسمالية . وكان موقف الحزب الشيوعي العراقي موقف اللامبالي من أحداث الحرب في فترة لم تكن له فيها جريدة ناطقة بلسانه .

موقف الحزب من الحرب

ولكن موقف الحزب الشيوعي العراقي تغير إتجاه الحرب بعد مهاجمة الجيوش الهتلرية للاتحاد السوفيتى فى حزيران يونيو ١٩٤١ فأصدرت اللجنة المركزية للحزب بيانا جاء فيه : « فالحرب الحالية . . هى حرب الانسانية بأسرها لأن على نتائجها يترتب مصير كل أمة وشعب من أمم وشعوب العالم الكبيرة والصغيرة على السواء . واذا كانت هذه هي مميزات الحرب الحالية فينبغي على كل شعب من شعوب العالم قاطبة ان يتحمل نصيبه من حرب الانسانية ضد وحوش الفاشية »[١٢] .

يتضح مما تقدم الموقف الانتهازي والمصلحي المرتبط بمصالح الأممية الشيوعية وليس بالمصالح القومية والوطنية . فالحرب التي وصفت بانها حرب استعمارية عندما كان الاتحاد السوفيتي في تحالف مع المانيا الهتلرية أصبحت بعد فترة قصيرة حرب الانسانية بأسرها . ولم يكتف الشيوعيون بذلك وانما دعوا الى زج العراق في اتون هذه الحرب حتى قبل الحصول على أية ضمانات من الدول المتحاربة في المحافظة على الاستقلال والسيادة الوطنية والاستجابة

لمطالب الشعب العربي في الوحدة والتحرر .

ويعتبر الموقف الخاطىء الذي اتخذه الشيوعيون في العراق من ثورة مايس ١٩٤١ نتيجة منطقية للموقف المتناقض من الحرب العالمية الثانية والمستمد من موقف الاتحاد السوفيتي من الحرب .

فثورة العراق التحررية في ٢ مايس ١٩٤١ حظيت بتأييد شعبي واسع النطاق داخل العراق وفي الوطن العربي باعتبارها حركة وطنية جرت شعب العراق بأجمعه الى النضال ضد الاستعمار البريطاني . فكانت اول اصطدام مسلح واسع ومكشوف ضد بريطانيا منذ ثورة العشرين . ولهذا لم يكن بمقدور الحزب الشيوعي وهو في بداية تكوينه ان يقف موقف المعارض للثورة لأن أغلبية أعضائه كما يدعي فهد ، هم من « أعداء الاستعمار واعداء الوضع بصورة عامة ومن الموظفين والطلاب وغير المسموح لهم بالأشتغال بالسياسة » وكانوا يريدون تحقيق طموحاتهم الوطنية والقومية ولم يعرفوا بعد بأن مواقف الحزب لا تقرر نتيجة لضرورات قومية أو وطنية وانما تأتي وفق ما تريده الأممية الشيوعية . لهذا صعب على الحزب ضبط هؤلاء الشباب في تأييدهم للثورة الوطنية والقومية خاصة في غياب نظام داخلي يحدد واجبات العضو الحزبية ومسؤولياته .

أما « فهد » نفسه فلم يكن قادرا على اتخاذ موقف محدد من حركة ذات تأثير وطني وقومي ودولي نشبت في ظروف الحرب العالمية الثانية ، اذ ليس لديه معلومات كافية عن هوية القائمين بها (هذا اذا لم تكن تساوره شكوك حول موقفهم من الشيوعية) فكان ينتظر تعليمات الأممية الشيوعية ليعلن في ضوئها موقف الحزب من الثورة . ولكن الأممية لم تكن تملك الصورة الكاملة عن طبيعة الثورة عدا تشخيص موقفها من الاستعمار البريطاني . وهذا في نظر الأممية الشيوعية لا يكفي أن يطبع بالطابع الوطني ان لم يوافقه السماح للشيوعيين بحرية العمل السياسي . ولذا تقدم الحزب بمطاليبه الخاصة بهذا الشأن إلى حكومة الدفاع الوطني التي قادت الثورة المسلحة لكن الحكومة لم تجب عنها .

ان انهيار الثورة في العراق في أواخر مايس ١٩٤١ وما أعقبه من اشتعال الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي في ٢٢ حزيران يونيو ١٩٤١ وتغير موقف الشيوعيين من الحرب تبعا لذلك وتكوين « جبهة الأمم المتحدة ـ الديمقراطية » بتحالف الاتحاد السوفيتي مع انكلترا والولايات المتحدة الأمريكية وفرّ للشيوعين امكانية ـ تقويم ثورة مايس ـ مايو ـ إلاّ أن هذا

التقويم اتسم بالتذبذب والميوعة والتناقض منطلقا من دعوة الحزب الشيوعي إلى إعتبار « النضال » ضد الفاشية هو المهمة الأساسية والملحة » ومتفقا مع القوى الاستعمارية في وصم الحركة الوطنية « بالنازية » وقادتها بـ « جواسيس المحور » وقد ادعى الحزب انه « وقع في خطأ فظيع وهو في بدء تكوينه حينما أيد حركة رشيد عالي الكيلاني الفاشية » . . !

التعاون مع بريطانيا وعبد الاله

ولم يكتف الشيوعيون بهذه المواقف ، وإنما اندفعوا للتعاون والعمل مع بريطانيا وعبد الاله[١٣] ونوري السعيد . وبدأ الحزب يتودد الى عبد الاله بعد خطابه المشهور في ١٤ تموز يوليو ١٩٤١ الذي أظهر فيه رجال الطبقة الحاكمة الرجعية بمظهر المظلومين والمعتدى عليهم من قبل جماعة رشيد عالي الكيلاني » حيث كتبت جريدة « الشرارة » مقالا مسهبا أعلنت فيه تأييد الحزب الشيوعي المطلق لعبد الاله وحمايته لـ « مقامه السامي » جاء فيه .

« والاختبارات تحدثنا بأنه ما من أمة تدخل جيشها في شؤونها السياسية الا وطغى سلطان الديكتاتورية وأضاعت الأمة حقوقها الديمقراطية وتجرد المواطن من أعز حقوقه الدستورية وتبلبل الرأي العام وطويت رأيته ، وأخيرا ووري في التراب . واضح أن تولي المسؤولية في هذا البلد اصبح وقفا على جماعة معينة لا تتجاوز أصابع اليد عدا . فلم يكن في مقدور هذه الجماعة أن تعالج مشكلة تدخل الجيش . . ألم يكن في وسع تلك الجماعة أن تجتمع يوماً ما تحت سقف واحد لتبحث عن الحل العملي لايقاف الجيش عند حد واجبه العسكري . . ؟

يا صاحب السمو . . لم يكن رشيد عالي ولا غيره ليجرؤ على مخالفة الدستور ، ولم يكن في مقدور رجال الجيش أن يتحدوا مقامكم السامي لو كان الشعب منظماً بأحزاب ونقابات كفيلة بأن تحوط مقامكم السامي بسياج من الهيبة وتوقف كل معتد على الدستور عند حده . فاذا لم يتحقق هذا الطلب فان تدخل الجيش لا ينتهي . ولئن فر الأربعة[١٤] إلى إيران فان بقاء الوضع على ما كان كفيل بأن يخلق من أمثال أولئك أربعة وعشرة[١٥] . . . . » .

ويلاحظ في هذا المقال وجود تطابق في الآراء بين بريطانيا والحزب الشيوعي العراقي . فقد حاولت بريطانيا في أعقاب إحتلالها الثاني للعراق في حزيران يوليو ١٩٤١ تفتيت الجيش العراقي باحالة عدد كبير من الضباط القوميين إلى التقاعد وتقليص فرق الجيش الأربع إلى فرقتين فقط ووضع بعثة عسكرية بريطانيا تعمل في صفوف الجيش برئاسة الجنرال « رنتن » استمرت في عملها حتى عام ١٩٤٨ . أما الشيوعيون في العراق فقد حرضوا عبد الاله

وبطانته على إتخاذ موقف حازم لايقاف الجيش عند حده[١٦] وجعله أداة طيعة بيد عبد الاله وحاشيته ورجال الحكم في العراق آنذاك . ولعل هذا الموقف من الجيش الذي عرف بصدق وطنيته وقوميته يكشف عن إفلاس الشيوعيين في العمل بين صفوف أبنائه وفيه ترضية للحليفة الجديدة بريطانيا التي ثار الجيش العراقي ضدها .

واندفع الشيوعيون إلى التكاتف والتعاضد والتعاون مع نورى السعيد وحكومته فأيدوا سياسة المعتقلات التي اتبعتها حكومة نوري السعيد في قمع العناصر القومية المعارضة للسلطة الرجعية الحاكمة وللاستعمار البريطاني بحجة حماية[١٧] العراق من أفكار النازية والقضاء على ما سموه « الرتل الخمس » . وكتبت « الشرارة » مقالاً أوضحت فيه موقف الشيوعية من زيارة نوري السعيد جاء فيه :

« إننا نؤيد ونعمل على تقوية أية حكومة تستهدف كأساس لأعمالها مناصرة الجبهة الديمقراطية وتنظيف القطر من دعاة المحور وجواسيسه ، ومعالجة العوامل التي تساعد هؤلاء على القيام بنشاطهم الأثيم . لقد كانت أهم العوامل التي ساعدت دعاة الفاشستية وهيأت لهم الظروف لنشر سمومهم هي فقدان الشعب حقه في التمتع بحياته الدستورية وفقدان الطبقة العاملة حقها في التنظيم النقابي ومطاردة حزبها الوحيد ـ الحزب الشيوعي ـ واضطهاد أعضائه . هذه هي العوامل التي مكنت دعاة السوء من التصرف بكل حرية للعمل على تحويل العراق والبلاد العربية إلى مستعمرات المانية .

وعندما تسلمت هذه الوزارة[١٨] مقاليد الحكم ، صرح رئيسها في عدة مناسبات ، وكذلك سمو الوصي ، معترفا بهذه الحقيقة .

وقد عمدت الوزارة الحالية منذ استلامها الحكم إلى جمع وابعاد دعاة السوء . . دعاة المحور . وكان عملها بالطبع مشكورا ، اذ انها نظفت البلاد من رهط المشاغبين الخونة »[١٩] .

واستمر الحزب الشيوعي في تخبطه وانحرافه لخدمة الأهداف الاستعمارية البريطانية في العراق والسلطة الرجعية الحاكمة فاطلق شتى النعوت على ثورة مايس الوطنية فوصفها بـ « الرجعية و (الفاشية) ووصف قادتها بانهم « عصابة » وكتبت جريدة « الشرارة » تقول « اما ما جرته أعمال هذه الرجعية الفاشسيتيه التجسسية على البلاد من المآسي والولايات ، فحدث عنه ولا حرج ، فمن تمزيق قوى الأمة الى الخروج على الدستور ، الى حوادث

عصيان عسكرية ورط الجيش في أغلبها حتى كان ما كـان من أمر يـونس السبعاوي وعصابته »[٢٠] . . ! ويبدو مما ذكره أن الشيوعيين في العراق قد فقدوا صوابهم ، واثبتوا عدم قدرتهم على المبادرة الذاتية ، وتخلوا عن اهدافهم التي طالما تشدقوا بها ، بعد الانتصارات الأولية التي أحرزتها الجيوش الهتلرية داخل الأراضي السوفيتية ، فاظهروا خنوعا تاما لمشيئة الاستعمار البريطاني « معلنين براءته مما حل في العراق من جرائم على يديه خلال أحداث مايس ١٩٤١ ، وحملوا القوى الوطنية والقومية التى ضحت بأعز ما تملك في سبيل تخليص العراق من السيطرة الاستعمارية مسؤولية الأحداث ، ذلك بهدف تقوية معنويات بريطانيا ، وتعزيز مجهودها الحربي ، لتساهم في إنقاذ الوطن السوفيتي من الغزو الهتلري »[٢١] .

وفى إجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي المنعقد بتاريخ ١٧ مايس ١٩٤٢ . قدم فهد السكرتير العام للحزب التقرير التالي تناول فيه الموقف من الحرب العالمية الثانية وحكومة عبد الاله ، نوري السعيد في العراق . ونورد هنا نص التقرير المنشور في عدد مايس ١٩٤٢ من « الشرارة » لسان حال الحزب الشيوعي العراقي :

« لقد بينا في عدة مناسبات موقفنا من الحرب الحاضرة ، ولكن هذا لا يمنعنا من تكرار موقفنا مع تقدير موقف الحكومة الحقيقي في الوقت نفسه ، ويجب أن يكون تقديرنا هذا لموقف الحكومة على أساس الواقع وتحت ضوء الحقيقية . فاذا قدرنا الموقف أكثر مما هو وما يستحقه كنا قد انحدرنا الى اليمين ، واذا قدرناه أقل من حقيقته واستخففنا به فتكون قد انحدرنا إلى اليسار .

تعلمون جميعكم أن الحكومة الحاضرة تكافح النازية ، ولكن يجب أن لا ننسى في الوقت نفسه ، أن أعضاء الحكومة أنفسهم هم الذين كانوا يحاربون الديمقراطية في الداخل ، ان هذه الحكومة نفسها قد نظفت الجيش من كثير من العناصر المثيرة للفتن ، كما أن سلوكها فيما يخص النشر لاظهار حقيقة كفاح الاتحاد السوفيتى وغير ذلك لا يتم إلا عن طريق التنظيف الحقيقي . . الحالية السائدة في العراق من العناصر النازية والرجعية في الشرطة والمعارف وسائر الدوائر .

وإذا كنا قد عالجنا تأييدنا للحكومة على هذا الأساس فان ذلك لا يمنعنا عن محاسبة الوزراء على كل تقصير يبدو منهم ، كما أننا في الوقت ذاته لا نتردد في إمتداح الحكومة والثناء عليها فيما اذا قامت بأي عمل صالح .

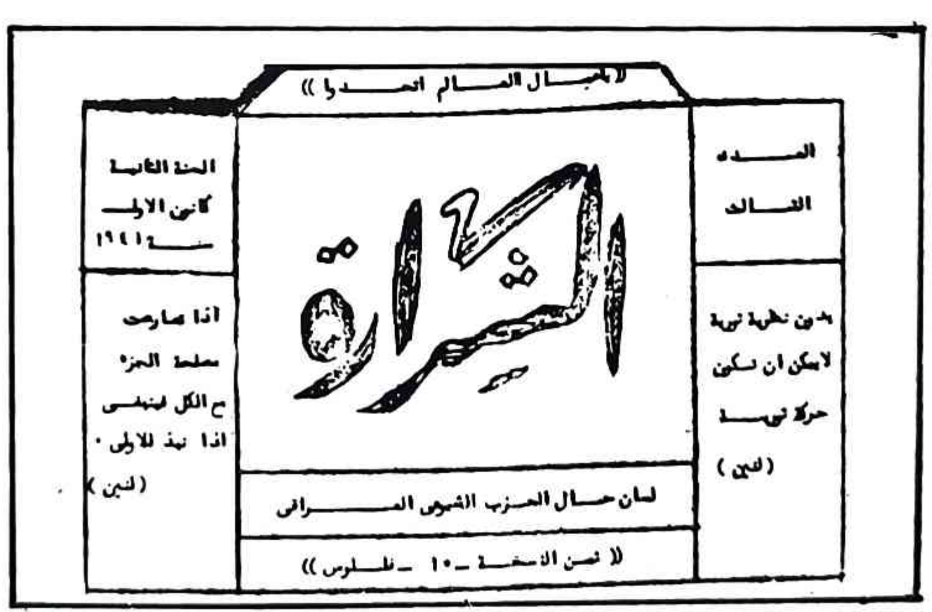
اما فيما يخص محاسبة الوزراء فهذا يجب أن لا يحملنا على مهاجمة الحكومة كلها ، فالتقصير الذى يصدر من وزير ما قد لا يصدر من رئيس الوزراء نفسه وقد لا يتفق وسياسة الحكومة كلها ، كما ان الذى يصدر من جانب رئيس الوزراء فيما يخص افساح المجال للحريات الديمقراطية قد لا يصدر من غيره . ان البيروقراطية في دوائر الحكومة أمر يجب عدم السكوت عنه . وهذه البيروقراطية تضر مصلحة الحكومة بوجه عام بقدر ما تضر الشعب ، وهذه البيروقراطية لا تتردد فى التآمر مع أعداء الشعب والحكومة معا . مثال ذلك أن دعاة النازية والعاملين ضد مصلحة الجبهة الديمقراطية في هذه البلاد قد طالبت الحكومة القبض عليهم فلم تتوصل إلى ذلك بالنظر إلى كون عدد من كبار موظفى الدولة ويضمنهم مدير شرطة بغداد يقومون باخفائهم وحمايتهم أمثال طه الفياض الموجود حاليا في بغداد .

إننا إذا أردنا استعراض موقفنا من الجبهة الديمقراطية فيجب أن نبحث في موقفنا من الانكليز قبل كل شيء ، فنقول انه لما كانت هذه الحرب وحدة لا تتجزأ ، ولما كان الضرر الذي يصيب أي جزء من أجزاء الجبهة الديمقراطية العالمية الموحدة يضر حتما بالاتحاد السوفيتي فنحن نعد الجيش البريطاني الذي يحارب النازية جيشا تحريريا . وبعبارة أخرى ان تأييدنا للجبهة الديمقراطية العالمية الموحدة معناه اننا مع الانكليز وبكفاحنا مع الانكليز ننقذ خطتنا ونخدم القضية التي نناضل في سبيلها . يجب ان نعمل كل ما من شأنه أن يساعد الجيش البريطاني في العراق ونسهل شؤون نقل العتاد في السكك الحديدية ، ونقف بالمرصاد للمتآمرين الذين يحاولون القيام بأعمال التخريب كما حدث في الحلة مثلا ، حيث نسف احد القطارات . وإذا كنا مع الانكليز وفق خطتنا هذه فليس معنى ذلك أننا نريد الاتصال باناس غير مسؤولين من الانكليز ، وليس معناه أن أعمالنا تسير بوحي من الانكليز أو بتدخل عملائهم ، لحزبنا يعمل بسياسة مستقلة سبق ان أوضحها في مختلف المناسبات . وهي السياسة التي توحي بها مصلحة جبهة الشعوب الموحدة ضد العدوان الفاشستي ومصلحة وطننا وطبقتنا العاملة وشعبنا العراقي . ولما كان الأمر كذلك فنحن لا نسمح لأي كان بان يهزا بالمستر تشرشل أو بغيره من قادة الجبهة الديمقراطية العالمية ، فهذا ليس من المصلحة بشيء . ولما كانت البلاد مهددة بخطر النازية ولما كان موقفنا من النازية واضحا وصريحا فعلينا ان نكتل ضد النازية الشعب كله وأكبر عدد ممكن من الزعماء المعروفين بميلهم الصريح نحو الديمقراطية .

لقد دلنا استفتاء المجلة على إمكان تحقيق ذلك . فمحاربة النازية ليست من شأن الحزب

الشيوعي وحده لأنها ليست قضية البروليتاريا وحدها ، بل هي واجب على جميع طبقات الشعب ، لأن النازية تجلب الخراب والدمار على البلاد بأسرها وعلى العالم قاطبة . فمن واجب الحزب الشيوعي اذن خلق حركة عامة ضد الفاشستية والعمل على تنظيمها وتوجيهها وقد ظهر لنا من الاستفتاء المذكور ان هناك اناس يحبذون التعاون على محاربة الفاشستية ، فمن واجبنا أن ندعو إلى إيجاد منظمة لهذا الغرض بأى اسم كان حتى ولو كانت هذه المنظمة غير حزبية . الأستاذ رضا الشبيبي مثلا كان تقدميا في تصريحه مما يدل على امكان التعاون معه ومع سائر الزعماء المحبين للديمقراطية في سبيل مكافحة الفاشستية . كما أن جميع الأجوبة تقريبا على الاستفتاء قد جاءت متفقة مع سياسة رئيس الحكومة التي اعلنها في عدة مناسبات والتي تنطوي على وجوب مكافحة النازية . ولما كنا ندعو الى الوحدة الوطنية ضد الفاشستية فان دعوتنا يجب أن لا تقتصر على جماعة معينة من الزعماء أو الأفراد بل يجب ان تشمل جميع القادة والزعماء من كان منهم في الحكم او خارجه ، كما يجب ان تشمل القاعدة أيضا ، وأعني بها الجماهير الكادحة والطلاب والمثقفين لأنه كلما قوي عمل الحزب بين الجماهير ازداد تقرب زعماء الطبقات المختلفة للجبهة الموحدة » .

وفي ضوء ما سبق يمكننا أن نفهم أسباب موقف الحزب الشيوعي العراقي من عودة السيد رشيد عالي الكيلاني للعراق بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وأسباب المظاهرة الاستفزازية التي نظموها لمرافقة موكبه .


« يا عمال العالم اتحدوا »

العدد الثالث

السنة الثانية
كانون الاول
سنة ١٩٤١

الشرارة

بدون نظرية ثورية لا يمكن ان تكون حركة ثورية
(لينين)

لسان حال الحزب الشيوعي العراقي

« ثمن النسخة ١٠ فلوس »

● العدد الثالث من النشره السرية « الشرارة » لسان حال الحزب الشيوعي العراقي .

هوامش

(١) يعني الحرب العالمية الثانية .

(٢)استقالة حكومة الكيلاني بعد رفض الوصي التوقيع على مرسوم حل مجلس النواب الموالي لنوري السعيد .

(٣) تشكيل حكومة طه الهاشمي .

(٤) وكان في مقدمتهم رشيد عالي الكيلاني .

(٥) حركة الكيلاني .

(٦) كان رشيد عالي الكيلاني قد أجرى إتصالا سابقا مع الاتحاد السوفيتي قبل تشكيل حكومة الدفاع الوطني كما أجرى اتصالا آخر بعد تشكيلها . وسبق أن أشرنا للاتصالين في فصل سابق .

(٧) تشكل هذه الجبهة المدخل للحزب الشيوعي للمشاركة في السلطة .

(٨) يوسف سلمان .

(٩) مذكرات حسقيل قوجمان الخطية .

(١٠) تاريخ هجوم القوات الألمانية على الاتحاد السوفيتي .

(١١) لم يستطع الشيوعيون تكوين جبهة شعبية إلا في فرنسا فقط .

(١٢) جريدة « الشرارة » ـ السنة الثانية ـ العدد ٢٥ ـ فبراير ١٩٤٢ .

(١٣) الفقرات السابقة مأخوذة بالنص من كتاب « للتاريخ لسان » ذكريات وقضايا خاصة بالحزب الشيوعي العراقي منذ تأسيسه حتى اليوم ، تأليف مالك سيف ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد .

(١٤) العقداء الأربعة الأبطال .

(١٥) جريدة الشرارة ـ السنة الأولى ـ العدد ٨ ـ يوليو ١٩٤١ .

(١٦) الوزارات العراقية ـ الجزء ٦ ـ ص ٢٠١ وما بعدها .

(١٧) جريدة « الشرارة » ـ السنة الثانية ـ العدد ٢ ديسمبر ١٩٤١ .

(١٨) حكومة الانتقام التي شكلها نوري السعيد بعد استقالة حكومة جميل المدفعي الخامسة في ١٩٤١/٩/٢١ . وقد اتخذت هذه الحكومة أقسى أشد إجراءات الانتقام من الحركة القومية في العراق وبحق كل من شارك في ثورة الكيلاني أو تعاطف معها .

(١٩) جريدة « الشرارة » ـ السنة الأولى ـ العدد ١١ ـ اكتوبر ١٩٤١ .

(٢٠) جريدة « الشرارة » ـ السنة الأولى ـ العدد ١١ ـ اكتوبر ١٩٤١ .

(٢١) الفقرات السابقة مأخوذة بالنص من كتاب « للتاريخ لسان » المشار اليه سابقا .

الصراع بين التيارين
القومي والشيوعي

■ اتصالات سرية بين « قاسم » والاحزاب العراقية دون علم « الضباط الاحرار »

منذ اليوم الاول للثورة برز الخلاف في السلوك بين التوجه القومي العام في العراق ومحاولات الشيوعيين الدؤوبة والمبكرة من اجل السيطرة على الثورة من خلال العمل على احتواء عبد الكريم قاسم الشيوعي السابق كما اوضحنا ولم يكن في ذلك الوقت احد يعرف حقيقة الانتماءات التنظيمية السابقة لعبد الكريم قاسم الذي كان ضابطا المعيا مثقفا يعرف كيف يناور وكيف يخفي حقيقة انتمائه السياسي والايديولوجي للشيوعيين رغم انقطاع علاقاته التنظيمية بهم فقد كان قليل الكلام هادىء الطباع ، يعمل من اجل استقطاب العسكريين القوميين في الجيش دون ان يكشف عن حقيقة اتجاهاته المناوئة للقومية ولم يكن بامكانه ان يتعاون مع ضباط شيوعيين او غير قوميين . . فالشيوعيون لم يكن مسموحا بتواجدهم داخل الجيش في العهد الملكي والتيار القومي هو الذي كان سائدا في كل مكان بما في ذلك داخل الجيش . ولم يكن العسكريون العراقيون في ذلك الوقت المبكر يعيرون كبير اهتمام لمسألة الانتماء السياسي للضباط بقدر ما كانت تبهرهم شجاعة وعسكرية الضباط البارزين . ومن هؤلاء كان عبد الكريم قاسم .

ولئن كانت علاقة قاسم التنظيمية مع الحزب الشيوعي قد انقطعت بعد دخوله الجيش فان اتصاله بالشيوعيين لم ينقطع فهم اصدقاء ورفاق الامس والحزب الذي يتمتع بقواعد تنظيمية

متنية تجعله قادرا على الحركة والتحرك اذا قرر ذلك ولهذا فقد كثف عبد الكريم من اتصالاته مع الحزب الشيوعي في الاشهر القليلة التي سبقت قيام الثورة . وكما عرفت في وقت لاحق فان هذه الاتصالات كانت تتم من خلال رشيد مطلك والمقدم وصفي طاهر الذي لم يكن شيوعيا بل قوميا فوضوياً ، فقد كان قاسم يحرص على ان لا يجري اية اتصالات شخصيةمع اية جهة على الاطلاق الا في اضيق نطاق ممكن . وكانت اتصالات قاسم مع الحزب الشيوعي تتم دون علم تنظيم الضباط الاحرار فقد كان يفترض ان تتم اية اتصالات من خلال العقيد رجب عبد المجيد سكرتير تشكيل الضباط الاحرار . ولكن قاسم لم يكن يريد ان يعرف احد بهذه الاتصالات . عدا ما كلف بالاتصال بجماعة الاهالي .

ومن جهتي فقد اكتشفت وجود هذه الاتصالات بعد ثلاثة ايام من زيارتي لعبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف في معسكر جلولاء ، وهي الزيارة التي تمت في شهر فبراير شباط ١٩٥٨ . فبعد ثلاثة ايام من هذه الزيارة التي قمت بها انا والاخ عبد الرحيم الراوي وناقشنا فيها مع قاسم وعارف دور رشيد عالي الكيلاني في الثورة واقسمنا على القرآن ان لا نبوح بخبر اجتماعنا مع قاسم لاي انسان ، اتصل بنا احد الشيوعيين وهو جمال الحيدري وطلب الالتقاء معي او مع الاخ يحيي ثنيان . واتفقنا على ان يتم اللقاء مع يحيي . واثناء اللقاء طلب الحيدري من يحيي ان نتكتم على اسم عبد الكريم قاسم ، وان لا نبوح بخبر اجتماعنا به فنفي يحيى ان يكون الاجتماع قد تم في الاساس ذلك اننا لم نكن قد اخبرناه به فاخبره الحيدري بتفاصيل الاجتماع ليؤكد له ان لا داعي لان تبلغ السرية هذا الحد في التكتم ، وليطمئنه إلى انه يعرف الكثير وانه اهل للثقة . وقد جعل هذا الموقف يحيى يغضب مني ومن عبد الرحيم لعدم اطلاعه على الامر ولكن الاهم من ذلك انه كشف لنا علاقة عبد الكريم قاسم بالشيوعيين وهو الذي حذرنا من ان نخبرهم بالذات عن لقائه بنا .

الشيوعيون كانوا يعرفون ان هناك ثورة يجري العمل من اجل القيام بها ولكنهم لم يشاركوا فيها كما ان عبد الكريم قاسم لم يطلعهم على ساعة الصفر وكذلك كان الامر بالنسبة للحزب الديمقراطي ، وقد اشرك عبد الكريم قاسم الحزبين في حكومة الثورة الاولى الى جانب حزب البعث وحزب الاستقلال وبعض ضباط الثورة . وبدوره وزع الحزب الشيوعي بيانا في تاريخ ١٦ تموز « يوليو » يحمل تاريخ ١٤ تموز « يوليو » حاول ان يوهم الناس من خلال عباراته انه هو الذى قام بالثورة .

لم يضيع الشيوعيون الوقت فعمدوا منذ اليوم الاول إلى العمل على احتواء الثورة وقد كان احد محاور تحركهم الاول من اجل تحقيق هذا الهدف العمل على ضرب الرموز القومية ودق الاسافين بينها وبين عبد الكريم قاسم . وفي مقدمة هذه الرموز السيد رشيد عالي الكيلاني فقد ساهموا في جعل قاسم يصر على عدم اسناد رئاسة الدولة اليه دون ان يكشف حقيقة موقفه الا بعد قيام الثورة واعلان مفاجآته بتشكيل مجلس للسيادة كما ذكرنا ذلك انه كان في حاجة إلى دور الكيلاني الذي كان حلقة الاتصال مع جمال عبد الناصر لتأمين عوامل الدعم السياسي العسكري والاقتصادي للثورة فور قيامها . . وقد كان الشيوعيون يخشون من وصول الكيلاني للسلطة لان ذلك يعني تضاؤل فرصتهم في الانتصار على الخط القومي الذي كانوا يستعدون للانقضاض عليه .

وبدوره كان عبد الكريم قاسم منذ البداية لا يريد الاتصال بي او بالكيلاني ، وحين قرر الضباط الاحرار الاتصال قبل تنفيذ الثورة مع الكيلاني من خلالي اقترح قاسم ان يتولى هو امر هذا الاتصال لكنه لم يفعل .(*) وحين علمت انا من ضباط آخرين بان قاسم سيتصل بي ، ذهبت اليه وقابلته في جلولاء دون ان اسيء الظن في نواياه ، معتقدا ان ظروفه هي التي حالت دون تركه المعسكر والحضور إلى بغداد للاتصال بي ، ولكني ادركت فيما بعد انه لم يكن يريد الاتصال بي لولا ان حضوري وضعه امام الامر الواقع .

كذلك فقد شن الشيوعيون مبكرا اوسع حملة ممكنة على التيار والفكر القومي وكافة رموزه الاخرى . وقد سخروا صحفهم التي صدرت بشكل علني لشن هذه الحملة وخاصة صحيفة « طريق الشعب » ولم يتوان الشيوعيون عن مهاجمة عبد السلام عارف بالاسم منذ الايام الاول للثورة حيث كانوا يصفونه بالقومي المتطرف والرجعي ولم يكن بامكان الصحف الاخرى ان ترد على الحملات الشيوعية لان الرقابة كانت تمنع ذلك .

---

* الاخ عبد الوهاب الامين زارني في احد الايام بعد القضاء على عبد الكريم قاسم ـ وهو احد الضباط الاحرار الذين لعبوا دورا كبيرا ومؤثرا في انجاح تنفيذها يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ وكان يدون بعض الحقائق التاريخية للثورة ـ سألني ما اذا قد اتصل بي قاسم لبحث موقف الكيلاني من الثورة بموجب قرار التنظيم . مؤكدا انه كلف بهذه المهمة التى تبرع للقيام بها مرتين . . فقلت لم يتصل !؟

والواقع ان تصرفات عبد السلام عارف هي التي جعلت الشيوعيين يبكرون في شن حملاتهم عليه . فمنذ اليوم الاول للثورة تصرف عبد السلام عارف وكأنه هو رجل الثورة الاول والقوي ، وبالطبع لم يرق هذا التصرف لعبد الكريم قاسم . وكان الشيوعيون في ذات الوقت يخططون من اجل ايقاع الخلاف بين قاسم وكل الذين شاركوه القيام بالثورة كي تسهل عملية احتوائه ، وقد قدم لهم عبد السلام عارف افضل مبرر لذلك حين كان يلقي الخطابات في مختلف المحافظات ويطلق التعهدات الشخصية في كل اتجاه ويطلب من الجماهير ان تحاسبه شخصيا اذا اخل بتعهداته ، بل انه في اليوم الاول للثورة القى خطابا في الجماهير التي توجهت للاذاعة لتعبر عن فرحتها بقيام الثورة ويتعهد في هذا الخطاب بتحقيق ما يريده الشعب وطلب من الناس ان يحاسبوه شخصيا ان لم يفعل .

وردد الشيوعيون على خطب عبد السلام برفع شعار ثورة الشعب والجيش ، وهو الشعار الذي ينسب للشيوعيين دورا لم يقوموا به في الثورة ، وكان هذا الشعار يطير عقل عبد السلام عارف وذات مرة لم يتمالك عبد السلام عارف نفسه من ان يقاطع عريف حفل تحدث عن ثورة الشعب والجيش وقال له اقص لسانك اذا قلت ثورة الشعب مرة اخرى ، هذه ثورة الجيش » ! . . ولم يكن عبد السلام موفقا في استخدام هذا التعبير لانه انتقص من دور ومكانة الشعب ، ورغم انه كان يقصد الشيوعيين فقط .

لم يكن هذا هو الخطأ الوحيد لعبد السلام عارف ، فقد كانت خطبه كلها اخطاء قاتلة وتنم عن جهل شنيع ، وتقدمه للجمهور باعتباره اسوأ ممثل يمكن ان يكون للتيار القومي في العراق . . وقد كان يثير الاشمئزاز بطريقة كلامه التي تتسم بالتحدي للناس ، وكان يرفع في خطبه شعارات ابعد ما تكون عن المعنى الذي يريده . وكمثال فانه قال للجماهير في احدى خطبه ان اهدافنا . . لا ثلاجات ولا راديوهات ولا سيارات . . ! وكان يريد ان يقول ان الثورة ثورة كادحين . .

وذات مرة ذهب برفقة الامير البدر ولي عهد اليمن ، ولم تكن قد قامت الثورة اليمنية بعد ، لاداء صلاة الجمعة في مسجد الامام الاعظم أبو حنيفة ، وانتهز الفرصة كعاداته والقى خطابا قرأ فيه الآية القرآنية الكريمة « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة » ولم يكن هذا بالتصرف اللائق بحضور الملك المقبل من اليمن الذي كانت بلاده

■ تجريد عبد السلام عارف من مناصبه ومنعه من التجول في المحافظات

قد انضمت إلى الجمهورية العربية المتحدة واقامت معها اتحادا ، وحين فوتح بالموضوع اجاب باستخفاف ولا مبالاة « احنا ذاك اليوم قتلنا ملك ، باقي علينا هذا » . . !

الصراع بين قاسم وعارف

وكانت الهوة تتسع يوما بعد يوم وبشكل متسارع بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف إلى ان بلغ الامر بعبد السلام ان بدا يوجه الانتقادات الخفية في خطبة لعبد الكريم قاسم دون ان يسميه ، فقد بدأ يتحدث عن ثورة الجيش وعن وجود اشخاص طارئين في الثورة . . وكان هذا آخر خطب عبد السلام وقد القاه في (بعقوبة) بمحافظة ديالي واثار فيها البلبلة ، غير ان هذا الخطاب ، الذي قصم ظهر البعير في علاقات عبد السلام مع عبد الكريم ، لم يذع في الاذاعة ولم تعممه وسائل الاعلام لخطورة ما ورد فيه خاصة وانه طالب في هذا الخطاب بتشكيل مجلس لقيادة الثورة ، وهذه مسألة سنتناولها في مكان آخر .

ووفق ما رواه لي العقيد طاهر يحي فان عبد السلام كان يقول حين يلام على خطبه « هذا انا ولا استطيع ان اكون غير ذلك . . انا مخبل واذا ما تريدوني استقيل . . نحن سوينا الثورة وتخلينا عن القيادات القومية فهل نسلمها للشيوعيين . . ؟ ! » كان عبد الكريم قاسم اسعد الناس لتتالى اخطاء عبد السلام عارف ولابعاده للعناصر القومية لان هذا كان يسهل عملية ابعاده هو حين تحين ساعة الصفر ، وقد جاءت ساعة الصفر فعلا بعد الخطاب الذي القاه في بعقوبة ، فقد عقد اجتماع بعده في وزارة الدفاع حضره كبار الضباط الذين قاموا بالثورة وقرروا سحب بعض صلاحيات عبد السلام عارف ومنعه من التجول في المحافظات والقاء الخطب . . وفي النهاية عزل من منصبه كنائب لرئيس الوزراء ووزير للداخلية واعلن قرار العزل من الاذاعة ، وتمكن الشيوعيون من تسيير مظاهرة اشترك فيها ربع مليون مواطن هتفوا ضد عبد السلام عارف الذي لا يريد للناس ان تستخدم الثلاجات والراديوهات والسيارات . . !

وقد سهل على قاسم عزل عبد السلام عارف ان عارف عزل نفسه عن التيار القومي الذي كان يفترض ان يلتحم به من اجل ان يخوض كل القوميين المجابهة معا ضد الشيوعيين الذين ارادوا خوض هذه المجابهة وسعوا اليها ، فمنذ البداية تآمر على السيد رشيد عالي الكيلاني لصالح عبد الكريم قاسم وكان يعتقد انه يتآمر لصالح نفسه .

ولم يكتف عبد السلام عارف بالتآمر على شخص الكيلاني ومصادرة ادوارنا في ثورة تموز ، بل انه طلب من وزير الاعلام صديق شنشل ان لا يمنحني ترخيصا لاصدار صحيفة يومية باسم الجمهورية ، وبادر هو إلى اصدار صحيفة بذات الاسم في اليوم الخامس للثورة ، ومن قبل التسوية اقترح وزير الاعلام على ان امنح ترخيص مجلة اسبوعية لان عبد السلام عارف يرفض منحي امتيازا يوميا . وقد حصلت على ترخيص مجلة باسم « الهدف » في شهر نوفمبر ، وكان مقررا صدور العدد الاول في ١٢ ديسمبر ، غير انه القي القبض علي في ٨ ديسمبر١٩٥٨ . والغي الامتياز نظراً لعدم صدور العدد الاول استناداً إلى القوانين المعمول بها بحكم المدة المحددة لصدورها في وقت كنت معتقلاً في ابو غريب! .

وقبل قيام الثورة كنت في الواقع قداتفقت مع الصديق الصحافي غانم علي الزرري الذي كان يعمل في صحيفة « الزمان » على ان نلتقي ليلة تنفيذ الثورة دون افاتحه باية تفاصيل ، وكان في ذهني ان تصدر « الزمان » صبيحة يوم الثورة باسم الجمهورية ، ولكن تأخر تنفيذ الثورة عدة ساعات عن موعدها جعلني اعتقد ان ساعة الصفر قد تأخرت ، وبذلك طلبت من غانم ان نلتقي في يوم آخر .

كان تعامل عبد السلام عارف مع الناس بعامة ومع العناصر القومية التي شاركت في تنفيذ الثورة بخاصة ليس مريحاً الامر الذي ساعد على الابتعاد عنه تحاشياً من لسانه وتعليقاته المزعجة .

كذلك فانه في الوقت الذي كان الشيوعيون يحيطون بعبد الكريم قاسم ويحاولون اقناعه بانهم الجهة الوحيدة القادرة عن تأمين قاعدة شعبية عريضة ومنظمة لدعمه انفض القوميون من حول قاسم وتركوه لقمة سائغة امام الشيوعيين .

لقاء ساخن مع قاسم

ذات يوم اتصل بي العقيد شاكر محمود شكري الذي كان قد عاد من ليبيا ، والمقدم

صبحي عبد الحميد وشرحا لي خطورة الموقف الناجم عن توافد الوفود الشيوعية كل يوم لزيارة عبد الكريم قاسم وعدم حضور اي وفد قومي ، وكيف ان هذا من شأنه ان يساعد الشيوعيين على احتواء قاسم وبالتالي احتواء الثورة . وطلبوا مني ان انظم زيارات تقوم بها وفود قومية لعبد الكريم قاسم الذي كان يقول للضباط القوميين في وزارة الدفاع « وين جماعتكم » . . ؟ ! وكانوا يدركون ان العناصر القومية قد ابتعدت بسبب ممارسات عبد السلام عارف .

وبدأت اتحرك واتصل مع النقابات وبدأت بالاتصال مع النقابات التي تمثل الشرائح الاكثر وعيا وثقافة في المجتمع . . الاطباء . . الصيادلة . . المعلمون . . المحامون . كان ذلك في نهاية شهر اكتوبر وقبل ان يعزل عبد السلام عارف من منصبه بفترة قصيرة . وقد رأيت ان يكون اول وفد يقوم بالزيارة هو وفد المحامين الذي قمت بتشكيلة بالتنسيق مع الصديق المحامي فوزي عبد الواحد . . وقد حدد يوم ٢٨ اكتوبر ١٩٥٨ لزيارة الوفد لقاسم في مقر وزارة الدفاع . وفي ذات اليوم بلغت بقرار فصلي من عملي كمدير عام للتربية الرياضية في وزارة التربية ، وهو المنصب الذي عينت فيه قبل هذا التاريخ بـ ٢٥ يوما فقط . وقد طلب ان يذهب معي ايضا الدكتور أحمد عبد الستار الجواري مدير عام الوزارة ـ الذي فصل معي من وظيفته في ذات الفترة .

ذهبنا معا إلى وزارة الدفاع قبل الموعد بنصف ساعة كي ننتظر وصول المحامين القوميين ، فوجدت قاسم خارج الوزارة ولكنه قد ترك ملاحظة لي ان انتظره لحين عودته . وانتظرت قاسم وانتظرت الوفد فحضر رئيس الوزراء ولم يحضر الذين كان يفترض حضورهم للقاء به !؟

رحب بي قاسم وبالدكتور الجواري حين رآنا ودخلنا مكتبه وهو يعاتبني لاني لا اتردد عليه وطلب مني ان امر عليه يوميا فقلت له مازحا سأحضر اليطغ ـ الفراش العسكري ـ الى وزارة الدفاع واقيم فيها . . ولم يسأل عن الوفد ولكنه سألني :

● كيف الحالة . . ؟

- ليست جيدة . .

● لماذا . . ؟

- في الشارع . . الشارع تايه والامان مفقود .

● من يفعل هذا . . ؟
- الشيوعيون .
● لا . لا هذا الاستعمار .
- سيادة الزعيم . . اي استعمار . هل بقي في العراق استعمار . . ؟
● الاستعماريون ما يجوزون . انت تعرفهم هذول ملاعين والدين .
- لا يا سيادة الزعيم هؤلاء الشيوعيون وانا مستعد لاريك بنفسك .
● هل تعني انني شيوعي . . ؟
- لا استغفر الله .
● اذن ماذا اكون انا . . ؟
- انت من هذه التربة .

واخرج قرآنا من جيبه وقال « انا اخوك »
قلت له بحرج . . انت سألتني وانا اجبتك . هل تريد ان اكذب عليك او ان انافق لك . . ؟ انا لا اخاف ولا استحي من قول الحق . .

واستأنف عبد الكريم قاسم كلامه قائلا . . هل تعرف ماذا يفعل الاستعمار الان ؟ انت تعرف جيدا . فقلت له لنقض على الاستعماريين اذن ونؤدبهم فمد يده إلى ثلاثة ملفات كانت على طاولة مكتبه وسحب واحدا منها قائلا . . هذا ملف عملاء حلف بغداد وفتحه واخذ يقلب اوراقه فاقتربت منه لارى ماذا يوجد في هذه الاوراق ، ولكنه طلب مني ان ابتعد غير اني لاحظت قبل ان ابتعد ان صفحات الملف مليئة بالاسماء والخطوط الحمراء من تحتها . وقال عبد الكريم هذه اسماء لاشخاص غير عراقيين جميعهم اجانب يمرون بالعراق باعتبارهم ركاب ترانزيت لشتى الاسباب بهدف التآمر على الثورة .

وشعرت بانه بات علي ان استأذن للانصراف فاعتذرت له لعدم حضور الوفد واستأذن معي الدكتور الجواري . . وقبل ان اغادر غرفة المكتب قلت لعبد الكريم قاسم ان السيد رشيد عالي يهديك السلام ويرغب في رؤيتك على انفراد حيث لديه ما يريد قوله لك ، ولم يتمكن في الزيارة السابقة من التحدث اليك بوجود اخرين والموضوع الذي يريد التحدث فيه مهم فانفعل فجأة واجابني « زين . . زين . . زين » فطلبت منه تحديد موعد ، لكنه تهرب قائلا انا اتصل بك ، والا أنه لم يفعل لانه لم يكن يريد ان تكون له علاقة مع الكيلاني او سواه

من القوميين الذين كان يخطط للتخلص منهم تباعا بعد ان ضربهم ببعضهم البعض وجعل ثلاثة وزراء قوميين في حكومته يبدون عدم موافقتهم على عودة الكيلاني للعراق في بداية الثورة وهم صديق شنشل وزير الاعلام ، الدكتور جابر عمر وزير التربية وفؤاد الركابي وزير الاعمار وفي مقدمتهم عبد السلام عارف .

في ذلك الوقت كان يوجد في العراق حزبان قوميان هما حزب البعث وحزب الاستقلال وكان حزب البعث لا يزال حزبا جديدا يمتاز بالتنظيم والاندفاع وقد اشرك في حكومة الثورة الاولى اما حزب الاستقلال الذي هجره اغلب اعضائه وانضموا لحزب البعث فقد كان يقوم على ثلاث شخصيات . . محمد مهدي كبة الامين العام للحزب الذي عين عضوا في مجلس السيادة ، وصديق شنشل الذي عين وزيرا للارشاد وفائق السامرائي الذي عين سفيرا في القاهرة ومعنى هذا ان نشاط الحزب قد اصيب بالشلل ولم يبق سوى الاسم فقط . وكانت هناك ايضا مجموعات من العناصر القومية المبعثرة والمتضاربة .

وبالطبع فلم يكن كل القوميين ممثلين داخل الحكومة في بداية الثورة فقد شكلت منذ البداية الرابطة القومية بزعامة عدنان الراوي وهشام الشاوي والاول منشق عن حزب الاستقلال ورفعت هذه الكتلة شعار الوحدة الفورية مع مصر وسوريا انطلاقا من ان العراق جزء لا يتجزأ من الامة العربية . وقد تجاهلت الرابطة بهذا خصائص العراق الذي تتعدد قوميات شعبية وقد خلق تشكيلها الى جانب الصراع داخل سلطة الثورة بين القوميين والشعوبيين جوا عاما قوميا مناوئا لعبد الكريم قاسم ولهذا لم يحضر وفد المحامين لزيارة رئيس الوزراء في الموعد الذي حدد له .

وبالطبع فحين تفجر الصراع القى بقادة الرابطة القومية بالسجن شأنهم شأن كل الرموز القومية في العراق ولكن الصراع لم يتفجر مع الجميع مرة واحدة بل بالتدريج وفي مرحلة من المراحل تم تشكيل التجمع القومي من كل الاحزاب والتجمعات والعناصر القومية على اختلاف مشاربها ورغم انه وضع ميثاق للتجمع القومي التزم الجميع به الا ان الافتقاد الى الزعامة والعشوائية في العمل جعل حزب البعث ينسحب من التجمع الذي سرعان ما انفرط عقده وانتهت تجربته إلى الفشل .

وبفضل تشرذم الفئات والقوى القومية وتنافسها على المناصب الوزارية ضربت جميعها في

نهاية المطاف ففي البداية تم عزل الكيلاني بموافقة عناصر قومية من بينها صديق شنشل الذي زعم لي بحضور المرحوم يعرب فهمي سعيد اثناء زيارته إلى القاهرة انه كان يعارض عودة الكيلاني لانه كان يعتقد ان قاسم كان يبيت له شرا وبالتالي فقد اراد له ان يظل بعيدا عن شر قاسم . وهذا تبرير يصعب تصديقه لانه كان المفترض ان يكشف شنشل ما لديه من معلومات او اسباب جعلته يستنتج ذلك كي يحتاط الكيلاني ويحمي نفسه .

وبعد ان تم عزل الكيلاني والتنصل من التعهدات التي اعطيت له ، بدا قاسم في محاربة العناصر القومية داخل نظام الحكم نفسه ، وبدأ بعبد السلام عارف اقوى هذه العناصر بحكم منصبه كنائب لرئيس الوزراء ، واضعفهم في ذات الوقت بسبب جهله وكثرة اخطائه وصعوبة الدفاع عنها . وفي المرحلة الاخيرة تم التخلص من كافة العناصر القومية في الحكومة والجيش معا .

اما المحور الاخر الذي تحرك عليه الشيوعيون الى جانب العمل على عزل وابعاد الرموز والفئات القومية فهو العمل على اظهار انفسهم امام عبد الكريم قاسم بانهم يسيطرون على الشارع العراقي بالكامل ، ولذلك عمدوا إلى تسيير المظاهرات الضخمة تأييدا لشخص قاسم . وكانوا يحشدون لهذه المظاهرات عناصر وانصار حزبهم من كافة انحاء العراق كما عمدوا الى تنظيم الوفود التي تزور قاسم يوميا في مقره في وزارة الدفاع لتقدم له التهاني والتبريكات والولاء ايضا وكانت تجري فبركة تشكيل هذه الوفود باسماء عشرات النقابات في مختلف المدن العراقية وكان هذا يسر عبد الكريم قاسم ويشعره بالسعادة . . وهكذا تمكن الشيوعيين من تنفيذ خططهم التسلطية عليه وعلى اجهزة الدولة ! وتحت غطاء الولاء للزعيم ـ قاسم ـ اخذ الشيوعيون بالتسلل إلى المراكز في مختلف وزارات ومؤسسات الدولة الحساسة وقد بدأ ذلك مبكرا ايضا ففي الاسابيع الاولى للثورة كان بعض الضباط الاحرار من الخط الثاني منهم العقيد رفعت الحاج سري والمقدم طه الدوري والرئيس الاول خليل ابراهيم العلي واخرون يجتمعون في داري للتداول في الشئون العامة والخاصة كما كنا نجتمع في نادي المنصور وكانت احاديثنا تتركز على امرين اساسيين :

الاول : تصرفات عبد السلام عارف التي كانت موضع تذمر الجميع وتخليه عن العناصر القومية .

الثاني : « الغزو » الشعوبي لوزارات ومؤسسات الدولة والذي ترافق مع حركة تنقلات غريبة .

ابعدت العناصر القومية عن المناصب المهمة واستبدلتهم بعناصر شيوعية وقد حدث هذا في وزارات الدفاع والاقتصاد والاعمار رغم ان وزيرها كان بعثيا كما كان مديرها العام العقيد رجب عبد المجيد سكرتير مجلس قيادة الضباط الاحرار ووزارة المعارف ووزارة الارشاد .

وفي الوزارة الاخيرة هيمن الشيوعيون على جهازي الاذاعة والتليفزيون وصبغت كل برامج وتعليقات الاعلام الرسمي بوجهة نظر الحزب الشيوعي وفكره ومواقفه السياسية .

ولئن تم التسلل إلى مختلف وزارات الدولة بشكل خفي فأن السيطرة على وزارة المعارف ـ التربية ـ تمت على شكل حملة صريحة استهدفت كل العناصر القومية التي كانت تتولى مسئولية دوائر واقسام هذه الوزارة . كافة فقد نقل جميع مدراء ورؤساء الاقسام في الوزارة إلى وظائف عادية وحلت محلهم عناصر الحزب الشيوعي وبعد اسبوع من عملية الاستبدال هذه صدر امر وزاري بتوقيع وزير المعارف بالوكالة هديب الحاج محمود ، وكان من الحزب الديمقراطي الوطني بنقل مدير عام الوزارة الدكتور احمد عبد الستار الجواري . وبعد ذلك بعشرة ايام صدر امر وزاري جديد بالغاء امر تعييني مديرا عاما للتربية الرياضية والاجتماعية بالوزارة وذلك بعد ٢٥ يوما فقط من صدور امر التعيين . وقد شملت عملية الابعاد سبعة مدراء عامين . وقد علمت فيما بعد ان الغاء امر تعييني تم بناء على اقتراح تقدم به بعض الضباط الشيوعيين لعبد الكريم قاسم .

مؤامرة امريكية

وشملت حركة المناقلات الواسعة العناصر القومية من الضباط الاحرار حيث نقلوا من الجيش إلى اجهزة الشرطة او اسندت اليهم وظائف ادارية بحيث لا يكون بأمرتهم جنود يستطيعون تحريكهم اذا تفجر الموقف مع الشيوعيين . وكان الشيوعيون في الواقع متعجلين لتفجير الصراع وحسمه لصالحهم ومن اجل ضمان النتيجة اخذوا في التسلح والتدريب على السلاح وسجلت دوائر الامن الرسمية في ذلك الوقت وقائع ثابتة عن قيام سيارات سفارات الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية والدول الاشتراكية الاخرى بنقل صناديق اسلحة ليلا وخاصة خلال ساعات منع التجول الى الاوكار الشيوعية في المنصور والكرادة ومن هناك كان

يجري توزيع الاسلحة على عناصر الحزب في الاوكار الفرعية . كذلك فقد كان الضباط الشيوعيون يسرقون الاسلحة والذخائر من معسكرات الجيش ويزودون بها عناصر الحزب .

وفي مرحلة لاحقة نظم الحزب الشيوعي حملة لجمع الاموال من المواطنين ولاجل هذه الغاية طبع الحزب بطاقات خاصة باسم « الشهيد » فهد[٢] وفرضوا على الناس مبالغ ثابتة يدفعها كل شخص حسب مركزه الاجتماعي والمالي . ومن لا يدفع كان يعرض نفسه للانتقام .

وعندما اخبر عبد الكريم قاسم بأمر هذه الاتاوات وشاهد بطاقاتها بنفسه قال انه لا يصدق ان الشيوعيين يفعلون هذا! . . فهذه مؤامرة امريكية ودس استعماري لشق الصفوف . وقدرت اموال الاتاوات التي جمعت باكثر من مليون دينار اشتريت بها الاسلحة من العشائر والفلاحين الذين باعوا اسلحتهم تحت وطأة اغراء الاسعار المرتفعة التي دفعها الشيوعيون . وبهذه الطريقة لم يحصل الشيوعيون على السلاح فقط بل انهم حرموا القوى القومية من مصادر يمكن الحصول منها على السلاح ايضا .

وعموما فانه في مرحلة لاحقة جرى تدريب وتسليح الشيوعيين بشكل علني ورسمي وقانوني ايضا تحت غطاء المقاومة الشعبية . غير ان هذه الاسلحة استخدمت في الواقع لمقاومة الشعب وخاصة في بغداد والموصل وكركوك والبصرة والديوانية وغيرها من المدن العراقية .

ورغم التحالف وكل الدعم الذي قدمه عبد الكريم قاسم للشيوعيين الا انهم كانوا يخططون من اجل الانقلاب عليه والانفراد بالسلطة . وقد احبط قاسم محاولتين شيوعيتين للانقلاب عليه ، على الاقل :

المحاولة الاولى كشفت في شهر يونيو سنة ١٩٥٩ حين جاء نائب ضابط من المشتركين في المحاولة إلى وزارة الدفاع وابلغ قاسم بتفاصيلها فقام الاخير على الفور باحالة عدد من الضباط المشاركين فيها إلى التقاعد ومنهم فاضل مهدي البياتي[٣] ، سلمان الحصان[٤] ، خليل العلي ، خزعل السعدي ، عدنان الخيال ولم يكن الاخير شيوعيا .

المحاولة الثانية كشفها لقاسم احد قادة الحزب الشيوعي في اوائل عام ١٩٦١ فاتخذ قاسم الاحتياطات اللازمة وجمع بعض كبار الضباط الشيوعيين مثل جلال الاوقاتي وطه الشيخ احمد

وماجد محمد امين واصطحبهم في جولة داخل مدينة بغداد كعادته حتى اذا وصلوا الى مقبرة الشيخ معروف وهناك قال لهم ان الدنيا فانية . . ! وكانت الاشارة اكثر من كافية .

المهم ان قاسم في المرتين كان يحاول ان يقيم تحالفا بديلا مع القوى القومية كما سنبين لاحقا .

---

(١) لم يكن قد حدث الانشقاق بعد بين موسكو وبكين وكان قد تم تبادل العلاقات الدبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفييتي في العهد الملكي اثناء تحالف الاتحاد السوفييتي مع بريطانيا في الحرب العالمية الثانية .

(٢) فهد هو الاسم الحركي ليوسف سلمان مؤسس الحزب الشيوعي العراقي وقد اعدم في العهد الملكي بعد انتهاء التحالف السوفييتي ـ البريطاني .

(٣) كان يقود تنظيما عسكريا صغيرا داخل الجيش قبل ثورة ١٤ تموز وكان على اتصال مع قاسم منذ ذلك الوقت .

(٤) زعيم المحاولة .



● عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف في الايام الاولى للثورة

التحرك ضد عبد الكريم قاسم

■ خطة احمد حسن البكر كشفت قبل ان يكتب لها النور

في ظل اجواء الصراع التى خلقتها الهجمة الشيوعية برعاية عبد الكريم قاسم على جميع القوى والرموز القومية في العراق ، جرت العديد من المحاولات القومية للحفاظ على النقاء القومى للثورة وتخليصها من شعوبية قاسم وكانت اول هذه المحاولات واسرعها هى التى خطط لها (العقيد) احمد حسن البكر فى نهاية شهر ايلول سبتمبر١٩٥٨ . . اى بعد اقل من شهرين ونصف فقط على قيام الثورة وفى شهر اكتوبر من ذات العام حاول عبد السلام عارف ان يقاوم الزعيم بمفرده بعد ان ساهم فى ضرب العناصر القومية الاخرى من قبل ، فاتهم بالتآمر واودع السجن واحيل الى محكمة المهداوي التى نطقت بحكم اعدامه .

اما المحاولة الثالثة فقد كانت مزدوجة ، ففى الوقت الذى كان السيد رشيد عالى الكيلانى قد وافق من خلالى على تزعم حركة تصحيحية يقوم بها العقيد رفعت الحاج سرى والزعيم ناظم الطبقجلى والكثير من الضباط الاحرار القوميين ، تآمر عليه الشيوعيون ولفقوا له تهمة اخرى حكم بموجبها بالاعدام دون ان يتم اكتشاف الحركة التى كان ضالعا فيها بالفعل والتى اطلق عبد الوهاب الشواف رصاصتها الاولى فى الموصل مساء ٨ مارس ١٩٥٩ وحملت اسم ثورة الشواف .

وهذه تفاصيل كل محاولة من هذه المحاولات التى عشت بعض جوانبها أدونها هنا للتاريخ تاركا ما ترتب على نتائجها حين بدأت وكيف انتهت ! ؟ .

محاولة احمد حسن البكر

بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ـ يوليو عين العقيد احمد حسن البكر امرا للواء ١٩ الذى قام بدور

اساسى فى الثورة وبعد فترة قصيرة ابعده قاسم عن قيادة اللواء وعينه فى محكمة الشعب التى كان يرأسها ابن خالته فاضل عباس المهداوى ، وكانت تتولى هذه المحكمة حتى ذلك الوقت محاكمة اركان النظام الملكى .

وقبل ان ينقل البكر الى محكمة المهداوى كنت ازوره فى مقر اللواء ١٩ فى ابى غريب برفقة عبد الرحيم الراوى بمعدل مرة كل يومين او ثلاثة ايام ، وقد كان يبدى لنا عدم ارتياحه لشعوبية عبد الكريم قاسم . كما لم يكن مرتاحا فى ذات الوقت لتصرفات عبد السلام عارف وانقطاعه عن الاتصال به ، وبغيره من الضباط القوميين ، وحين نقل الى محكمة المهداوى قرر فى نهاية سبتمبر ١٩٥٨ ان يعمل من اجل التخلص من عبد الكريم قاسم ، غير انه القى القبض عليه وعلى الذين اشتركوا معه فى التخطيط قبل ان تأخذ الخطة طريقها الى التنفيذ ، فقد القى القبض عليه وعلى المقدم صالح مهدى عماش قبل ساعة الصفر ، وكان عماش بعثيا فى حينها ويبدو انه نظم احمد حسن البكر فى حزب البعث اثناء وجودهما فى السجن معا بعد ان لمس توجهاته القومية كما قيل لى وقد اصبح صالح مهدى عماش نائبا لرئيس الجمهورية بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ التى اوصلت احمد حسن البكر الى رئاسة الجمهورية .

واعتقل معهما ايضا فارس ناصر الحسن وعبد الرحيم الراوى وضباط آخرون . وقد القى القبض عليهم بعد ان القى القبض على ضابط احتياط برتبة ملازم ثان كان يعمل فى الاذاعة وكانوا على اتصال به ولقد اعترف بوجود خطة لاغتيال عبد الكريم قاسم فالقى القبض على بقية المشاركين فى المحاولة ، وعصر اليوم الذى القى القبض عليهم فى ليلته كنت قد توجهت لزيارة عبد الرحيم الراوى المحامى فى مكتبه فوجدته واقفا امام المكتب فى الشارع العام ومعه احمد حسن البكر فوقفت معهما . واثناء وقوفنا سار من وسطنا رجل ودفعنا بيديه ليفتح الطريق لنفسه بطريقة اراد من خلالها ان يعرفنا انه رجل امن ! ؟ .

كان مقررا ان يتم تنفيذ العملية فى تلك الليلة ، وقد القى القبض عليهم فى مقر الكلية العسكرية حيث كانت تقضى الخطة بان يقوم الطلبة الضباط فى الكلية العسكرية بمهمة اغتيال قاسم ، وكان امر الكلية العسكرية فى ذلك الوقت العقيد عبد اللطيف الدراجى الذى ابعد هو الأخر عن القوات التى احتل بها الرصافة بما فيها وزارة الدفاع فى يوم الثورة الاول . وكان الدراجى يعرف بوجود خطة للتخلص من قاسم غير انه لم يكن مطلعا على تفاصيلها ولذلك لم يلق القبض عليه .

والواقع انه لم يكن من مصلحة قاسم ان يعلن بعد عدة اسابيع فقط من توليه السلطة عن اكتشاف محاولة انقلابية قام بها عدد من الضباط الاحرار ، اللذين جاءوا به الى موقع الزعامة . ولذلك فقد رأى ان مصلحته تقتضى حصر المسألة وعدم الاعلان عنها ، وهكذا

فلم يامر قاسم بالقاء القبض على العقيد الدراجي واطلق سراح عبد الرحيم الراوى وفارس ناصر الحسن بعد عدة ايام واوصل عبد الرحيم بسيارته التى قادها بنفسه الى منزل الراوى بعد ان استقبله فى وزارة الدفاع وعاتبه وافهمه ان يريد ان يطلق سراحه بسبب المعرفة السابقة يوم زاره واياى فى معسكر جلولاء قبل تنفيذ الثورة فى شهر شباط ١٩٥٨ ، واخذ منه تعهدا بان لا يتصل مع اى ضابط فى الجيش بعد ذلك التاريخ ، والا لن يرحمه ان تكرر ذلك ! ؟ .

وقد اتصل بى عبد الرحيم هاتفيا فور اطلاق سراحه وروى لى التفاصيل فحذرته من انه اذا تورط مرة اخرى سيحكم عليه بالاعدام وهذا ما حدث فعلا .

اما العقيد البكر والمقدم عماش وبقية العسكريين فقد اودعوا فى السجن المركزى ولم يطلق سراحهم الا فى الذكرى الاولى لقيام الثورة بموجب عفو خاص .

ولم يحاول عبد السلام عارف التدخل لصالح اى من المعتقلين بما فى ذلك صديقه المخلص احمد حسن البكر رغم ان الخطة كانت تقضى باغتيال عبد الكريم قاسم كى يصبح هو الرجل الاول فى النظام بصفة تلقائية لانه كان الرجل الثانى بعد قاسم .

محاولة عبد السلام عارف

وعلى العموم فلم يطل وجود عبد السلام عارف في السلطة بعد اعتقال احمد حسن البكر وجماعته ، فقد عزل من كافة مناصبه بعد شهر واحد فقط على اثر الخطاب الذى القاه فى بعقوبة ووصف فيه عبد الكريم قاسم دون ان يسميه بانه من الطارئين على الثورة ، والواقع ان عبد السلام عارف بعد ان ساهم فى عزل الرموز القومية وفى المقدمة السيد رشيد عالى الكيلانى اكتشف انه قد خدع ، فهو نفسه بدأت تقلص صلاحياته بالتدريج على نحو متزامن مع الحملات الاعلامية التى اخذ يتعرض لها فى الصحافة الشيوعية التى كانت تجد الحماية من قبل قاسم ، لذلك فانه بدأ يفقد صوابه ، وفى الخطاب الذى القاه فى بعقوبة طالب بتشكيل مجلس لقيادة الثورة كى تصبح القيادة جماعية وليست فردية بيد قاسم ، وطالب ايضا بوضع اسس ثابتة للحكم وبرنامج عملى للثورة ، وقال صراحة ان الامور خرجت من يده ، واتهم قاسم بالانفراد بالسلطة دون ان يسميه .

فى اعقاب هذا الخطاب قرر قاسم ، كما اسلفنا عزل عارف من جميع مناصبه بتأييد كبار الضباط فى وزارة الدفاع وجلهم من القوميين الذين لم يستطيعوا تحمل مسئولية الدفاع عن اخطاء عبد السلام عارف .

وبعد ان اذيع قرار العزل من الاذاعة التقى عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وقد انتهى هذا اللقاء بسحب عبد السلام عارف مسدسه حيث حاول قتل قاسم لولا ان امسكه

وصفى طاهر الذى كان موجودا يحضر اللقاء كذلك فقد حضر ذلك الاجتماع العقيد طاهر يحيى والعميد فؤاد عارف وهما اللذان اقنعا عارف بقبول العرض الذى تقدم به قاسم .

وقبل ان يسحب عبد السلام مسدسه ، كان قد اتهم قاسم بانه يعمل على استقطاب الشيوعيين ، وان هذا لم يكن محل اتفاق بينهما . واتهم قاسم انه يحاربه ويقلص صلاحياته فى الوقت الذى يعين فيه الشيوعيين فى المناصب الحساسة فى الدولة ، ومع ذلك ظل قاسم هادئا وقال لعبد السلام . . على كل حال نحن اخوان ولن نغدر ببعضنا . . لذلك ما رأيك ان تخرج من العراق وتعين سفيرا لفترة من الوقت ثم تعود . . ؟

وبالفعل صدر مرسوم بتعيين عبد السلام عارف سفيرا للعراق فى بون وقد ارسل الى العاصمة الالمانية دون استشارة حكومة المانيا كما يقضى العرف فى علاقات الدول ، ورغم وجود سفير عراقى هناك استقبله فى المطار وقام بواجب الضيافة نحوه .

وبعد ان تجول فى المانيا ودول اوروبية اخرى كسائح اتصل عبد السلام عارف مع احد اصدقائه فى بغداد وقال له على الهاتف انا عائد لبغداد فى ٥ تشرين الثانى نوفمبر وطلب منه الاستعداد . . (حضروا انفسكم) وبالفعل فقد عاد فى التاريخ الذى حدده دون ان يدخل مبنى السفارة العراقية فى بون ليلقى القبض عليه فى المطار ويرسل الى السجن ثم الى محكمة المهداوى التى حكمت عليه بالاعدام بتهمة التآمر ومحاولة قتل عبد الكريم قاسم ، وقد شهد عليه وصفى الذى امسكه ومنعه من اطلاق النار على قاسم قبل سفره الى بون، وقد حوسب اثناء محاكمته على الخطب التى كان يلقيها وادين بها باعتبارها كانت تحريضا غير مباشر ضد الزعيم الاوحد ، عبد الكريم قاسم ، كذلك فقد حوسب على طريقة تعامله مع زملائه فى الحكومة من الوزراء الذين كان يعاملهم بعدم احترام ، فقد كان يناديهم من صالة الانتظار لحضور اجتماع مجلس الوزراء باستهتار مناديا عليهم . . (يلا وزراء . . يلا وزراء) . .

والحقيقة ان عبد السلام عارف لم ينظم اية مؤامرة للاطاحة بعبد الكريم قاسم لسبب بسيط وهو انه لم يكن يوجد هناك من لديه الاستعداد للتآمر مع عبد السلام عارف ، والظروف التى رافقت اقصاه عبد السلام عارف ادت الى خروج الوزراء القوميين كافة من الحكم حيث قدموا استقالة جماعية بعد ان انسحب الحزب الشيوعى من جبهة الاتحاد الوطنى التى شكلت قبل قيام الثورة وبدأ فى ضرب الاحزاب الاخرى ودعم دكتاتورية قاسم . ففى البداية اعفى الدكتور جابر عمر من منصبه كوزير للتربية فسارع بدوره الى تقديم استقالته ثم استقال فؤاد الركابى وزير الاعمار وناجى طالب وزير الشئون وصديق شنشل وزير الاعلام وعبد الجبار الجومرد وزير الخارجية ومحمد صالح محمود وزير الصحة وبابا على الشيخ محمود وزير الدولة ، واستقال معهم ايضا عضو مجلس السيادة محمد مهدى كبة ، وقد قدمت هذه الاستقالات فى اوائل شهر شباط فبراير ١٩٥٩ .

مصادفة

وصادف يوم عاد عبد السلام عارف الى بغداد انعقاد اجتماع لقادة الفرق العسكرية فطرح قاسم على كبار ضباط الجيش قضية عبد السلام من وجهة نظره . وكيف انه عفا عنه بعد ان حاول قتله وبعثه سفيرا فى المانيا وها هو يعود الان دون اذن متحديا الجميع ، فوافقه الحضور على محاكمة عبد السلام عارف بمن فيهم ناظم الطبقجلى وعبد الوهاب الشواف ورفعت الحاج سرى ، وهم من كبار الضباط القوميين وذلك لان عبد السلام عارف هو الذى كان يواجههم ويرفض بشدة تشكيل مجلس لقيادة الثورة كما اتفق قبل قيام الثورة ، وكان الذى يحرضه على ذلك هو عبد الكريم قاسم حيث اقنعه انه بدلا من ان يشترك الجميع فى قيادة الثورة فلماذا لا نقودها نحن الاثنين فقط .

وكان الضباط الاحرار يعتقدون ان تنحية عبد السلام ستؤدى بشكل تلقائى الى تشكيل مجلس قيادة الثورة سيما وان قاسم كان يبدي لهم موافقته على ذلك .

والواقع ان الخلاف بين عارف وقاسم كان قد ظهر منذ الخطاب الاول الذى القاه عارف في جمع من المواطنين قرب مبنى الاذاعة فى اليوم الاول للثورة حين حاول ابراز نفسه بصفته رجل الثورة الاول كما سبق ان اشرنا وبعد ان استتب زمام الامور بيديه دخل قاسم الى بغداد . وكان قاسم من اسعد الناس بالخطب التى كان يلقيها عارف لانها كانت تؤدى الى استعداء الناس بشكل عام والضباط الاحرار بشكل خاص مما كان من شأنه ان يسهل التخلص منه فى الوقت المناسب .

وبالفعل فقد ادت تصرفات عارف وخطبه غير الحكيمة الى موافقة قادة الفرق وكبار الضباط ، وكلهم من الضباط الاحرار ، على عزله ثم سجنه ومحاكمته بعد عودته من بون ، كما ساعدت الحزب الشيوعى على تنظيم مظاهرة فى اليوم التالى لعودته اشركوا فيها الموظفون والمستخدمون والجنود والشرطة والنقابات والجمعيات والطلاب وكل الفئات . والجميع كان يطالب برأس (الخائن) عبد السلام عارف وبسقوط الرجعية واذناب الاستعمار .

حقيقة الخلاف

غير ان حقيقة الخلاف بين قاسم وعارف لم تكن تنحصر فى خطب الثانى واستعراضيته فقط فالخلاف فى حقيقته والشهادة لله ، كان يتعلق الجانب الرئيسى منه فى كون عبد السلام عارف رغم خروجه على العناصر والرموز القومية ، رجلا قوميا تتعارض اتجاهاته القومية مع شعوبية قاسم والشيوعيين ، وقد ظهر هذا التعارض منذ اليوم الاول للثورة فى موقف الشيوعيين من عارف الذى كانت تصفه الصحف الشيوعية القومى الرجعى قد ادت الزيارة

التى قام بها عارف الى دمشق فى الايام الاولى للثورة على رأس وفد ضم بعض الوزراء القوميين فى حكومة الثورة الاولى الى تحويل التعارضات مع قاسم والشيوعيين الى تناقضات بعد ان ادى اصدار اتفاق الاحرار مع الجمهورية العربية المتحدة الى تشكك قاسم فى نوايا عارف ، فقد اعتقد قاسم ان عارف عقد صفقة مع العربية المتحدة وجمال عبد الناصر من وراء ظهره لضم العراق الى دولة الوحدة وتنحيته عن السلطة .

وهذا هو نص (اتفاق الاحرار) . .

اتفق وفدا الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية على ما يلى :

اولا : تأكيد ما يربط البلدين من عهود ومواثيق وفى مقدمتها ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الدفاع العربى المشترك بين الدول العربية .

ثانيا : تأكيد ما اعلنته حكومتا البلدين من ارتباط وثيق بينهما ازاء الموقف الدولى وانهما مطمئنان على الوقوف كتلة واحدة ضد اى عدوان عليهما او على اى منهما والبت حالا فى اتخاذ ما يقتضيه ذلك من خطوات عملية .

ثالثا : التعاون الكامل فى المحيط الدولى للمحافظة على حقوق البلدين والمساهمة الفعالة فى تأييد ميثاق الامم المتحدة وفى دعم السلام فى الشرق الاوسط وفى العالم .

رابعا : اتخاذ الخطوات العملية العاجلة لتنمية التعاون الاقتصادى والثقافى بين البلدين .

خامسا : الاتصال والتشاور المستمر بين البلدين فى كل الشئون التى تعنيهما . .

وفى ضوء هذا الاتفاق تمكن العراق من اعلان انسحابه من الاتحاد مع الاردن ومن حلف بغداد ، وفى ضوء هذا الاتفاق ايضا قرر قاسم التخلص من عبد السلام عارف وهو القرار الذى حولته محكمة المهداوى الى حكم بالاعدام بتهمة التآمر على شخص الزعيم الاوحد .

غير ان حكم الاعدام لم ينفذ بعبد السلام عارف لعدة اسباب :

الاول : ان عبد الكريم قاسم كان مقتنعا تمام الاقتناع ان عبد السلام لم يتآمر عليه .

الثانى : ان عبد السلام اضعف من ان يتمكن من التآمر عليه حتى لو اطلق سراحه ، فليس هناك من هو مستعد للتآمر مع عبد السلام عارف .

الثالث : الصداقة الشخصية بين الرجلين التى كانت قد بدأت فى فلسطين وتوطدت اثناء وجودهما فى القطاعات العسكرية العراقية التى ظلت مرابطة قرب الحدود الاردنية بعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، ثم عمل عبد السلام بامرة عبد الكريم فى معسكر جلولاء ، وكان عبد السلام عارف يكن اعجابا خاصا بشخص عبد الكريم قاسم بسبب عسكريته ورجولته التى ظهرت فى حرب فلسطين ، فقد كان دور قاسم اساسيا للحفاظ على عروبة مدينة جنين التى

عاد الاسرائيليون واحتلوها سنة ١٩٦٧ حين سقطت فى يدهم الضفة الغربية باكملها .

الرابع : ان عبد السلام عارف اكتسب شعبية لا يستهان بها فى كافة انحاء الوطن العربى رحتى لدى التيارات القومية المتفككة داخل العراق ، فلم يكن هؤلاء قد اكتشفوا تفاهة الرجل بعد ، وتعود شخصية عبد السلام الى انه هو الذى اذاع البيان الاول للثورة ، وبسبب موقفه القومى بغض النظر عن ممارساته التخريبية داخل الخط القومى التى لم تكن مكشوفة هى الاخرى للرأى العام .

■ قاسم عين عارف (سفيرا ثانيا) للعراق في بون

ولا شك ان القسم الاغلب من شعبية عبد السلام يعود الى ردة فعل الجماهير التى رفضت شعوبية عبد الكريم قاسم والشيوعيين الذين خاضوا الصراع مع الجمهورية العربية المتحدة كذلك فانه كسب تعاطف الجماهير حين اتهم بالتآمر وحوكم بشكل سرى ثم حكم بالاعدام ، وكانت اذاعة صوت العرب تبث فى حينه وقائع المحاكمة السرية فى العراق حيث كان يتم تسريبا للاذاعة من قبل العناصر القومية التى كانت تعمل ضمن اطار النظام نفسه بعد ان بدأت هذه العناصر تدرك ان قاسم يستهدف كل العناصر القومية وليس شخص عبد السلام عارف فقط . . ذلك انه بعد عزل عبد السلام حدثت عملية فرز واضحة بين التيار القومى والتيار الشعوبى فى العراق وجرى عزل كافة المسئولين المنتمين للتيار الاول كما سبق ان اشرنا .

ولم يكن متوقعا ان يضرب عبد الكريم قاسم والشيوعيون كل الرموز القومية فى العراق ويتركون السيد رشيد عالى الكيلانى الذى كان يعتبر الرمز الاول للقوميين بالعراق جالسا فى بيته بسلام .

توقع المؤامرة

كان بدهيا ان اتوقع مؤامرة تستهدف حياة السيد رشيد عالى الكيلانى وحياتى ايضا باعتبارى كنت ساعده الايمن واقرب الناس اليه . . وقد عزز من قناعتى هذه عاملان :

العامل الاول : وكان عبارة عن مزاح عابر ولكننى توقفت عنده كثيرا واعتبرته عملية خلط لموقف جاد بالمزاح .

ففى شهر اكتوبر ١٩٥٨ التقيت احد عناصر الحزب الشيوعى العراقى الذى كان معتقلا فى العهد الملكى وسبق ان نجحت مداخلات قمت بها لاطلاق سراحه ورفيق له كان معتقلا هو الآخر ، سألته يومها . وكان واضحا ان الحزب الشيوعى ، قد غدا شريكا نافذا فى الحكم مع عبد الكريم قاسم ، وكانت صحفه تشن الحملات العنيفة على الفكر القومى ، وعلى الرموز القومية فى العراق قلت له . . ماذا سيكون موقفكم منا اذا اتيح لكم ان تتولوا الحكم فى العراق . . ؟

اجابنى مداعبا . . نحن لا ننسى فضلكم وانتم اخواننا لذلك فاننا سنكتفى فى مثل هذه الحالة باعدام رشيد عالى الكيلانى وعبد السلام عارف وطاهر يحيى اما انت وعبد الرحيم الراوى ويحيى ثنيان فسنكتفى بسجن كل واحد منكم عشرين عاما فقط لانكم ساعدتمونا سابقا . . .

العامل الثانى : قرار شيوعى اتخذ ويقضى باغتيال السيد رشيد عالى الكيلانى وكل الرموز القومية فى العراق اذا لم يبادر عبد الكريم قاسم باتخاذ مواقف حاسمة منهم ، وقد ابلغنا الصديق الوفى (خ ، أ . ز .) وهو عضو قيادى فى الحزب الشيوعى سابقا كانت تربطنى به صداقة متينة بان هذا القرار قد اتخذ فى اجتماع عقدته اللجنة المركزية للحزب ، وكان القرار جادا ، وقد كان ذلك بعد ثلاثة ايام فقط من ذلك التهديد المازح الذى اشرت اليه فى اعلاه .

وبدورى سارعت الى ابلاغ السيد رشيد عالى الكيلانى واقترحت عليه ان يسافر الى خارج العراق كى يبتعد عن ساحة الاغتيال حيث لم يكن لديه حتى حارس لحمايته ، وحاولت ان اغريه بالسفر بتذكيره انه مريض ويحتاج الى بعض الراحة ولكنه رفض وقال محتجا . . يعنى اهرب . . ! كيف افعل هذا وانا رمز للقوميين فى العراق . . ؟ ! .

لم اكن ادرك حجم المؤامرة التى تحاك ضد الكيلانى وضدنا الا بعد ان القى القبض عليه وعلى عدد من العناصر القومية كنت من ضمنهم فى الاسبوع الاول من شهر ديسمبر ١٩٥٨ ، ففى ليلة ٨/٧ كانون اول ديسمبر القى القبض على رشيد عالى الكيلانى والمحامى عبد الرحيم الراوى ومبدر كامل الكيلانى ابن شقيق السيد رشيد عالى وشقيقه سالم والمقدم طه الدورى معاون مدير الامن العام ومدير امن بغداد وعدنان الراوى وناصيف صوايا مدير عام البنك الفرنسى فى بغداد وصاحب هذه المذاكرات وشقيقيه (ناصر ومنصور) واصهارى ومعاون مدير شرطة بغداد هاشم الراوى وعدد من شيوخ عشائر آل فتله وفارس ناصر الحسن الذى اصبح وزيرا فى حكومة عبد السلام عارف فيما بعد ، وكل من له علاقة برشيد عالى

الكيلانى ، كما طرد شقيقى سليم من الجيش ورافق ذلك صدور بيان عن وزارة الاعلام اعلن انه تم الكشف عن مؤمرة استهدفت القضاء على النظام الجمهورى ، وانه جرى القاء القبض على المتآمرين وعلى رأسهم رشيد عالى الكيلانى . !

والواقع انه كانت هناك خطة تحرك بالفعل ولكن هذه الخطة حاكها الشيوعيون ورسم خطوطها المقدم طه الشيخ احمد مدير الاستخبارات العسكرية وهو شيوعى بمعرفة عبد الكريم قاسم وكانت تهدف الى توريط السيد رشيد عالى الكيلانى والتخلص منه ، وكانت بداية هذه المؤامرة حين اتصل احد الشيوعيين من اقرباء زوجة فارس ناصر الحسن ومن خلاله تمكن من الاتصال مع عبد الرحيم الراوى والرجل الذى بدا القيام بهذه الاتصالات يدعى جاكوب بلاكن .

وقد زعم هو وعدد من الضباط الشيوعيين الصغار الذين لم يكشفوا هويتهم الحزبية لعبد الرحيم الراوى انهم ضباط قوميون احرار يريدون العمل من اجل قتل عبد الكريم قاسم ، وافهموا عبد الرحيم ان العقيد شاكر محمود شكرى الذى كان معاونا لرئيس اركان الجيش فى ذلك الوقت والمقدم طه الدورى على علم بتحركهم ، وابلغوه انه يوجد معهم ايضا عدد من ضباط الجيش جاهزين للتنفيذ فى ساعة الصفر ، وطلبوا منه مفاتحة السيد رشيد عالى الكيلانى كى يتولى زعامة الحركة التى يعتزمون القيام بها وأبلغوه انهم يعملون من خلال تنظيم قومى اسمه (جمعية الاخاء العربى) وبالطبع فانها جمعية وهمية وقد اعترف هؤلاء الضباط على شاشة التليفزيون بعد سقوط نظام عبد الكريم قاسم اثر ثورة ١٤ رمضان ٨ فبراير شباط ١٩٦٣ انهم كانوا مكلفين من قبل الحزب الشيوعى وبمعرفة عبد الكريم قاسم باداء هذا الدور التآمرى على السيد رشيد عالى الكيلانى، وان قاسم كان على اطلاع مستمر على كل خطوة من خطواتهم . ولكن هذا الاعتراف جاء متأخرا جدا ، وهؤلاء الضباط هم النقيب حسون الزهيرى والملازم اول احمد محمد العلى والملازم الاحتياط محمد محسن سميسم وكذلك المحامى عبد الرسول الصراف .

وانطلت الخدعة على عبد الرحيم الراوى الذى جاءنى يطلب منى مفاتحة الكيلانى فنصحته ان لا يتابع اتصالاته مع هؤلاء الضباط وذكرته باننا ـ انا وهو ـ قد اتفقنا قبل شهرين بعد ان القى القبض عليه لاشتراكه مع احمد حسن البكر فى وضع خطة لاغتيال قاسم بان يجمد كل نشاط له ، وقلت له نحن (صوفتنا حمرة) ولنترك العمل لغيرنا . وبالنسبة للسيد رشيد عالى الكيلانى فقد شرحت له انه غير مستعد لان يخوض اى تجربة ، والواقع انه كان يجرى العمل فى ذلك الوقت للقيام بحركة انقلابية كاملة كان يعد لها رفعت الحاج سرى والزعيم ناظم الطبقجلى بمعرفة السيد رشيد عالى الكيلانى الذى كان مقررا ان يتولى رئاسة الجمهورية فى

حالة نجاح الحركة كما اسلفنا .

اتصالات مع الشيوعيين

ولكن عبد الرحيم لم يعمل بنصيحتي ، فحاول الاتصال مع العقيد شاكر محمود شكري عن طريق شقيقه الدكتور عزيز الذى رفض بدوره هو الآخر ان يصله بشقيقه العقيد ، ومع ذلك فقد واصل عبد الرحيم اتصالاته مع الضباط الشيوعيين مدفوعا برغبته الجامحة فى التخلص من عبد الكريم قاسم من اجل انقاذ صديقيه احمد حسن البكر وعبد السلام عارف اللذين كانا مايزالان فى السجن ، وقد اعد الضباط الشيوعيون كمينا لعبد الرحيم الراوى الذى راح يوهمهم هو الآخر بشكل مخالف للحقيقة انه على اتصال مع عدد من كبار الضباط ومن ضمنهم العقيد شاكر محمود شكرى معاون رئيس اركان الجيش وبعض قادة الفرق ، وذلك بهدف اقناعهم انه رجل يعتمد عليه ، وكانوا هم بدورهم يسجلون على جهاز تسجيل كل مزاعم عبد الرحيم ومن ضمنها ايضا انه يملك اسلحة ، وقد بلغت عملية توريطه انهم عقدا معه جلسة سجلوها هى الاخرى دون علمه بالطبع ، شكلوا خلالها الحكومة الجديدة التى ستخلف حكومة عبد الكريم قاسم ، وقد اتفق فى هذه الجلسة على اسناد مناصب وزارية لعبد الرحيم ومبدر الكيلانى ، واسندوا رئاسة الجمهورية للسيد رشيد عالى الكيلانى الذى كان عبد الرحيم قد افهمهم انه قد فاتحه فى الامر وانه موافق على ان يتزعم الحركة، اما انا فقد عينونى مديرا عاما لوزارة التربية فقط لانى لم اوافق على الاشتراك فى الثورة . . ! .

وانساق عبد الرحيم بعيدا وراء اوهامه . وورط معه مبدر الكيلانى ابن شقيق رشيد عالى الذى لم يفاتح عمه ، وكان يعتقد انه يعد مفاجأة سارة له حين ينجح فى اسناد رئاسة الجمهورية اليه ، ويأتيه بها على طبق من ذهب ، واتصل عبد الرحيم ومبدر بالسفارة المصرية فى بغداد وكان حلقة الاتصال معهما شخص يدعى محمد المصرى الذى كان يعمل من قبل فى المكتب العربى فى القاهرة والذى كان يتولى رئاسته عبد المجيد فريد الذى كان قد نقل بدوره لسفارة العربية المتحدة فى بغداد بصفته ملحقا عسكريا غير انه كان الرجل الاول فى السفارة من الناحية العملية ، وبالاتفاق مع محمد المصرى جرى تحويل مبلغ عشرة آلاف دينار عراقى لحساب الحركة الانقلابية وقد تم التحويل على مرحلتين ، فى المرحلة الاولى تم التحويل من القاهرة الى البنك الفرنسى فى بيروت الذى اعتاد تحويل المبلغ الى فرعه فى بغداد الذى كان مبدر الكيلانى يعمل فيه بوظيفة رئيس قسم . وكان الوسيط الذى اودع المبلغ فى البنك الفرنسى فى بيروت صرافا يهوديا . . ! .

وسلم عبد الرحيم ومبدر المبلغ كاملا للشيخ عبد الرضا الحاج سكر من عشائر آل فتله

وافهمه ان هذا المبلغ من السيد رشيد عالى الكيلانى ينفق منه على رجاله ، وبالفعل فقد بدأ الشيخ ينظم بعض العربان كى يشاركوا فى الحركة وحين القى القبض عليه وجد المبلغ بحوزته كما هو تقريبا حيث لم يكن قد انفق منه سوى ٦٠٠ دينار فقط .

وحين القى القبض على (المتآمرين) اختفى محمد المصرى من الوجود ولم يتمكن احد من التعرف عليه او التعريف به ، وقد علمت فيما بعد ان سبق له ان نظم محاولة انقلابية فاشلة فى ليبيا واخرى فى لبنان وتكرر الفشل فى بغداد .

اما الشيوعيون الذين دبروا المؤامرة على الرمز الاول للقومية العربية فى العراق فى ذلك الوقت فقد سارعت صحفهم الى تشديد هجومها على الكيلانى بعد القاء القبض عليه ووصفته بالرجعى الذى عاد الى العراق بالاتفاق والتنسيق مع جمال عبد الناصر من اجل التآمر على الثورة العراقية فعلوا ذلك وهم يعرفون حقيقة الدور التوريطى الذى قاموا به ، وكما عملوا على توريط عبد الرحيم ومبدر فقد عملوا على توريط المقدم طه الدورى الذى ارسلوا له ضابطا منهم ليفاتحه فى امر الاشتراك فى المحاولة الانقلابية المزعومة فرفض ونفى علمه باى شىء من الامور التى فاتحه بها ، وبادر المقدم الدورى الى تحذير عبد الرحيم ومبدر من هذا الرجل ولكن دون طائل ايضا .

وبعد ثلاثة اسابيع من التحقيق والمحاكمات السرية صدرت الاحكام عن محكمة المهداوى الشهيرة والتى قضت باعدام عبد الرحيم الراوى ومبدر كامل الكيلانى وبرأت رشيد عالى الكيلانى والآخرين دون ان يطلق سراح الكيلانى ولم تستطع هيئة التحقيق العليا ادانتى فسلمت من حبل المشنقة والحمد لله ، مع ذلك لم يطلق سراحي فبقيت معتقلاً !؟

ليست نهاية المؤامرة

غير ان هذه الاحكام لم تكن نهاية المؤامرة على الكيلانى بل كانت بداية المرحلة الاهم من هذه المؤامرة فبعد ان صدرت الاحكام اعتذر المهداوى للسيد رشيد عالى الكيلانى لاعتقاله اثناء فترة التحقيقات وهناه ببرائته ثم ساله عن رأيه بالاحكام التى صدرت فاجابه الكيلانى بحضور عبد الرحيم ومبدر انها احكام عادلة مما اوغر صدريهما .

وكانت الخطة التآمرية على الكيلانى تقضى بعدم اعلان الاحكام وعدم اطلاق سراح الكيلانى والذى قضت المحكمة ببرائته وارسل عبد الكريم قاسم ضابطا من اعوانه الى السجن حيث التقى مع عبد الرحيم ومبدر اللذين حكما بالاعدام وابلغهما رسالة من قاسم مفادها انه اذا عدلا من اقوالهما وزعما ان رشيد عالى كان مطلعا على تفاصيل الخطة الانقلابية وان كل شى كان يتم بعلمه وبأمر منه فان قاسم سيعفى عنهما من حكم الاعدام ، فوافقا على

هذه المساومة . . رأس الكيلانى . . مقابل رأسيهما . . ! .

واعيدت المحاكمة وشهدا ضده بالفعل ، وهكذا حكم على رشيد عالى الكيلانى بالاعدام هو الاخر دون ان ينقض الحكم السابق باعدام عبد الرحيم ومبدر ، وعندها فقط حققت المؤامرة اهدافها واعلنت الاحكام على الرأى العام .

ورغم ان المحكمة كررت تبرئة بقية المتهمين بما فيهم صاحب هذه المذكرات غير انه لم يطلق سراحهم الا بعد سبعة اشهر !! .

والواقع ان شهادة عبد الرحيم ومبدر ضد الكيلانى لا يعتد بها قانونا لانهم سبق ان حكما بالاعدام فى القضية نفسها .

وبعد ان صدر الحكم بالاعدام على الكيلانى طلبه عبد الكريم قاسم الى مقره فى وزارة الدفاع كما طلب معه عبد الرحيم الراوى ومبدر كامل الكيلانى ودار بين رشيد عالى وعبد الكريم قاسم حوار قصير رواه لى الكيلانى على النحو التالى :

بدأ قاسم الحوار . . لماذا تآمرت على . . ؟

الكيلانى : كيف تآمرت عليك . . ؟ ما هى عناصر التآمر . . ؟

قاسم : المحكمة ادانتك . . ؟

الكيلانى : انا اتآمر بهؤلاء . بنفرين . . ؟ واشار بيده الى عبد الرحيم ومبدر . . ! .

قاسم : انت بعتنا وانا اعرف هدفك . .

الكيلانى : انا لا اعرف هدفك منى ، انا لا اريد اى شىء وليس لدى شىء ضدك ، الذى حدث ليس تآمرا ، هذا ظلم وقد فوضت امرى بك الى الله .

وانتهى اللقاء القصير واعيد الكيلانى الى السجن . .

اما التهم التى وجهت للكيلانى فلم تقتصر على المؤامرة المزعومة فقط ، بل انها شملت عدة امور اخرى من بينها لقاؤه مع الرئيس جمال عبد الناصر عشية عودته لبغداد فى ٢ سبتمبر ١٩٥٨ فقد اتهم ان جمال عبد الناصر فوضه اثناء هذا اللقاء بالعمل على قلب نظام الحكم فى العراق ، والواقع ان الكيلانى بايع خلال هذا اللقاء جمال عبد الناصر قائدا للامة العربية وقد حولت هذه المبايعة الى مؤامرة تهدف الى ضم العراق الى (مصر الفرعونية) على حد وصف هاشم عبد الجبار رئيس هيئة التحقيق العليا الذى قال له الكيلانى مستغربا . . (وهل انتم لا تؤمنون بالوحدة العربية . . ؟ ! وهل يوجد احد من الحاضرين لا يؤمن بالوحدة العربية ؟ ! . . الم تحاربوا معى سنة ١٩٤١ وألم يكن احد أسباب تلك الحرب هى الوحدة ، نعم انا مازال هدفى هو الوحدة العربية سواء بقيادة جمال عبد الناصر او أنت أو انا . . فالوحدة ليست قضية اشخاص) .

والحقيقة ان ايمان الكيلانى بالوحدة العربية واستعداده للتضحية من اجلها لم يكن يضاهى ، ولذلك فقد قال تقرير اصدره مركز الوثائق فى بيرن بعد وفاته انه لو قدر للكيلانى ان يتولى الحكم بعد عودته للعراق لتحققت الوحدة العربية ؟ .

المسألة الاخرى التى اثيرت اثناء التحقيقات هى انتقاد الكيلانى لقانون الاصلاح الزراعى ، وحقيقة الامر هى ان صديق شنشل وزير الاعلام فى حكومة عبد الكريم قاسم احضر للكيلانى مسودة قانون الاصلاح الزراعى قبل اصداره وطلب مشورته ، وبعد ان قرأ شنشل اول فقرتين قال له الكيلانى هذا قانونى مصرى ، فاجاب شنشل نعم ، ولكننا حورناه ، فاعرب الكيلانى عن اعتقاده ان القانون المصرى ممتاز فى مصر وان العراق يحتاج الى قانون عراقى ، ذلك ان القانون المصرى يهدف الى تنظيم استفادة شعب كبير العدد من ارض صغيرة المساحة نسبيا . والوضع فى العراق على النقيض من ذلك حيث الارض شاسعة والناس قليلون ، ولذلك فان القانون المصرى لا يصلح للتطبيق فى العراق .

وسأل الكيلانى شنشل كم عدد الاشخاص فى العراق من اصحاب الملكيات الكبيرة فتبين انهم محدودو العدد فقال الكيلانى هل تريدون ان تشرعوا قانونا من اجل بضعة اشخاص فقط . . ؟ واقترح بدلا من ذلك فرض ضريبة على الاراضى غير المستثمرة فيضطر اصحاب الاراضى الواسعة الى تسليم اراضيهم للحكومة . . واعرب عن اعتقاده فى ان القانون بالصيغة المعد بها سوف يؤثر على الانتاج الزراعى وعلى اقتصاد البلد . .

لماذا لم ينفذ الحكم ؟

رغم سعى قاسم وتورطه الشخصى فى التآمر من اجل حكم رشيد عالى بالاعدام الا انه لم ينفذ الحكم وذلك لعدة اسباب هى :

أولا : الخوف من ردة فعل الشارع العراقى الذى شهد مظاهرات صاخبة احتجاجا على الحكم الذى صدر بحق الكيلانى .

ثانيا : ان قاسم الذى دبر المؤامرة ضد السيد رشيد عالى كان يعرف ان الرجل برىء وانه لم يتآمر ضد نظامه .

ثالثا : كان يريد ان يقول للرأى العام انه اذا كان قادرا على ان يضع الكيلانى فى السجن فهذا يعنى انه ـ قاسم ـ اقوى منه .

رابعا : ان بقاء الكيلانى فى السجن جعل منه رهينة اخذ يهدد بمصيرها كل القوميين العرب ومن ضمنهم جمال عبد الناصر هدد قاسم باعدامه اربع مرات بعد ان كان ابلغ بانه سيجرى تنفيذ الحكم ، ولكنه كان يعاد فى كل مرة الى السجن .

وذات مرة تلقى عبد الكريم قاسم مكالمة هاتفية ابلغ فيها ان هناك مظاهرة فى منطقة الكرخ تهتف ضده وتطالب بسقوطه ، وكان متواجدا فى مكتبه محمد حديد وزير المالية فقال قاسم رأسا . . رشيد عالى يقف وراء المظاهرة ، واتصل مع السجن بواسطة الهاتف وامر باعدام الكيلانى ، فهب محمد حديد من مكانه وقبل يده ورجاه ان لا يفعل ذلك مبررا موقفه بان اعدام الكيلانى ليس فى صالح قاسم لان هذا من شأنه ان يثير الشعب وخاصة العشائر وكان محمد حديد يميل للكيلانى رغم انه من اعضاء الحزب الديمقراطى الذى كان متحالفا مع الحزب الشيوعى وقد نقل هذه الرواية المرحوم قاسم حسن المحامى سفير العراق في الهند

والواقع ان تحالف قاسم مع الشيوعيين والديمقراطيين لم يكن ستراتيجيا بل كان مجرد تحالف تكتيكى . . وهذا ما اكده لى العقيد عبد المجيد جليل مدير الامن العام وهو من اقرباء قاسم وسبق ان كان مديرا للاستخبارات العسكرية ، وكانت تربطنى به ـ عبد المجيد ـ علاقة صداقة قديمة يوم كان معلم رياضة سابق ، وقد زرته حين عين مديرا للامن العام من اجل تهنئته بالمنصب الجديد ، وقال لى اثناء هذه الزيارة ان الزعيم الاوحد ـ قاسم ـ يريد ان يقضى على كل الاحزاب السياسية فى العراق بما فى ذلك الحزب الشيوعى وانه يريد ان يشكل تنظيما عسكريا فى البداية ثم يشكل حزبا جماهيريا . وقد كان قاسم لا يريد ان تكون داخل العراق اية قوة منظمة تعمل على فرض نفسها عليه فى يوم من الايام .

واعادنى هذا الكلام الى موافقة قاسم فى الايام الاولى للثورة على اقتراح طرحته فى حينه على طاهر يحيى ويقضى بتشكيل حزب جمهورى يكون اطارا صالحا لاحتواء الشعب العراقى . . العرب والاكراد والكلدان والاشوريين . . الخ . . غير ان عبد السلام عارف هو الذى رفض هذه الفكرة وقال (نحن ضد الاحزاب) .

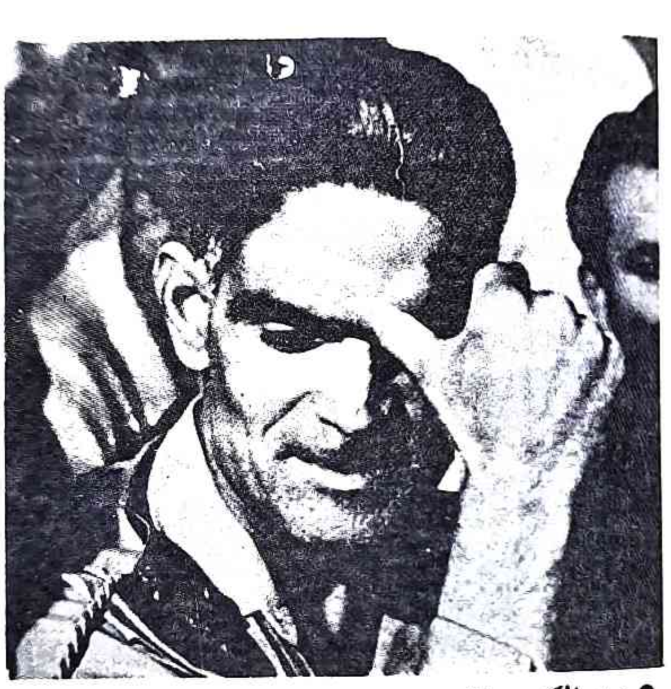
خلاف قاسم مع الشيوعيين

لقد اختلف قاسم بالفعل مع الشيوعيين حين حاولوا ان يفرضوا انفسهم عليه ففى صيف سنة ١٩٥٩ اصدر الحزب الشيوعى بيانا طلب فيه من الجماهير عدم الاقتراب من سيارة الزعيم اثناء سيرها فى الشوارع العامة (حفاظا على حياته الغالية من المتآمرين) ولم يرق هذا البيان لقاسم فخرج من وزارة الدفاع يقود سيارته بنفسه دون سائق او حراسة وتجول وحيدا فى انحاء بغداد ، وكان القوميون قد بدأوا يشعرون بوجود خلاف بين قاسم والشيوعيين لذلك سارعوا الى تحيته فى الشوارع وحملوا سيارته نكاية بالشيوعيين .

وفى هذه الاثناء زار قاسم احدى الكنائس المسيحية فى بغداد بمناسبة عيد الفصح والقى كلمة ضمنها ردا واضحا على بيان الحزب الشيوعى ، قال قاسم (بعض الفئات تعتقد ان

الشعب العراقى متخلف ولا يقدر قادته ، لا ان الشعب العراقى يعرف اوادمه ويقدر الزعامات) وركز قاسم فى خطابه بشكل ملفت للنظر على الدين والعروبة والقومية .

وبدأت الصحف القومية تبارك خطوة قاسم بتمييز نفسه عن الشيوعيين وقام بدوره باطلاق سراح ٦٠ الف معتقل من العناصر القومية نكاية بالشيوعيين ومن اجل ان يوازن موقفه بعد ان ظهرت نوايا الشيوعيين فى القفز الى السلطة[١] .



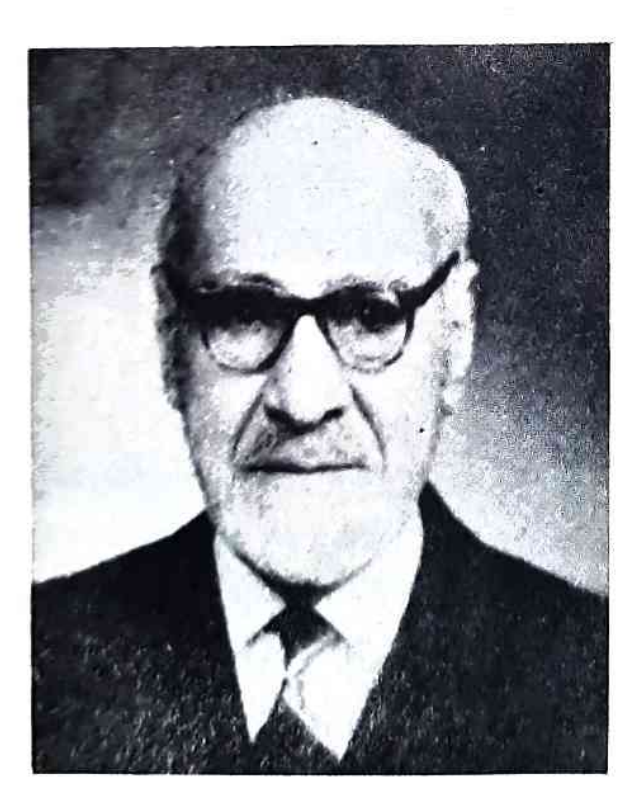
● عبد الكريم قاسم

● احمد حسن البكر





● عبد السلام عارف



● الكيلاني

ثورة الشواف ومناورات الزعيم

قبل أن يختلف مع الشيوعيين كان قاسم قد خسر أغلب الضباط الأحرار الذين شاركوه الاعداد للثورة ، كما خسر تأييد التيارات القومية المنظمة . وقد كانت أخطر الحركات القومية التي واجهت عبد الكريم قاسم هي حركة رمضان سنة ١٩٥٩ التي سميت بثورة الشواف نسبة إلى العقيد عبد الوهاب الشواف الذي أعلن الثورة في الموصل حيث كان يتولى قيادة اللواء الخامس المتمركز في عاصمة شمال العراق . وهي الثورة التي كان الكيلاني وأنا مطلعين على مراحل اعدادها الأولى ، وخشينا يوم ألقي القبض علينا اثر المؤامرة التي حاكها الشيوعيون أن تكون خطتنا قد كشفت . وشاءت الظروف أن تنفذ هذه الحركة وتفشل ونحن في السجن متهمين بحركة كانت بمثابة مؤامرة حيكت ضد رشيد عالي الكيلاني .

وقد بدأت الاتصالات الأولى للقيام بحركة عسكرية داخل وزارة الدفاع منظمة ضد عبد الكريم قاسم في مطلع شهر اكتوبر ١٩٥٨ ، أي بعد أيام قليلة فقط من إلقاء القبض على المرحوم أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش والمجموعة التي خططت معهما لاغتيال عبد الكريم قاسم ، وقبل أيام أيضا من عزل عبد السلام عارف من جميع مناصبه . وقبل ذلك الوقت زرت العقيد رفعت الحاج سري في مكتبه في وزارة الدفاع ، وكان رحمه الله مديرا للاستخبارات العسكرية وتفاتحنا في الموقف من الوضع الذي نجم عن انفراد عبد الكريم قاسم بالسلطة وتحالفه مع الشيوعيين الذين يشنون بتأييد منه حملة لا هوادة فيها ضد كل العناصر القومية في العراق ، وضد فكرة القومية العربية والوحدة العربية . واتفقنا على ضرورة التخلص من عبد الكريم قاسم . وناقشنا اقتراحا يقضي بالقاء القبض عليه داخل مكتبه في وزارة الدفاع وعزله من منصبه دون اراقة دماء . وكان رأي العقيد رفعت أن الوقت

ليس في صالحنا . وفيما نحن نواصل الحديث دخل علينا فجأة العقيد طاهر يحيى مدير الشرطة في ذلك الوقت وأحد المقربين لعبد السلام عارف والذي أصبح رئيسا للوزراء في عهده ، وحميد قادر السامرائي مدير شرطة بغداد ، والزعيم هاشم عبد الجبار رئيس هيئة التحقيق العسكري .

وكان لابد من جلسة أخرى . وفي هذه المرة كان اللقاء في منزل السيد رشيد عالي الكيلاني في الصليخ حيث مررت على العقيد رفعت الحاج سري بسيارتي ليلا قرب حديقة بمنطقة الحريرى واصطحبته إلى منزل الكيلاني .

في هذا اللقاء أبلغ العقيد رفعت الكيلاني انه يقوم بالتنسيق مع ضباط آخرين للقيام بحركة عسكرية منظمة تهدف إلى اسقاط قاسم والتخلص من الشيوعيين . وقال العقيد رفعت إن تنفيذ الحركة يحتاج إلى بعض الوقت من أجل استكمال كافة الاستعدادات لتلافي الوقوع في أي خطأ مهما كان صغيرا .

ومن أجل التكتم الشديد على دور الكيلاني الذي اتفق أن تسند له رئاسة الجمهورية في حال نجاح الحركة ، طلب العقيد رفعت منه التوقف عن الإدلاء بأية تصريحات وعدم استقبال أحد في منزله على الاطلاق ، وأن يبتعد قدر الامكان عن ا لناس وأبلغه انه يتلقى بحكم منصبه كمدير للاستخبارات العسكرية تقارير يومية عن تحركاته وحتى مكالماته الهاتفية ، وكل ما يدور حتى في بيته ! ؟ .

وتم الاتفاق أن أكون حلقة الاتصال بين رفعت والكيلاني ، وأن لا اتصل مع رفعت إلا إذا بادر هو للاتصال بي عن طريق المقدم طه الدوري نائب مدير الأمن العام . ولم تتوقف اتصالاتنا حتى بعد القاء القبض علينا اثر المؤامرة الشيوعية على الكيلاني ، فقد استمرت الاتصالات من خلال الرائد خليل ابراهيم العلي آمر معسكر أبو غريب والذي كان مسؤولا أيضا عن سجن أبو غريب حيث وضعنا . وكان خليل والرائد خزعل آمر كتيبة المثنى وهي كتيبة دبابات خفيفة من المشاركين في الخطة الانقلابية مع العقيد رفعت الحاج سري . وكلاهما من ضباط الخط الثاني رغم علاقتهما القوية مع عبد الكريم قاسم الذي كان يجتمع بهما بعد الساعة ١٢,٠٠ من كل ليلة . وكان خليل يبلغنا ونحن في السجن بتفاصيل لقائه مع قاسم أولا بأول . . فقد كان يلتقي بنا في الساعة الثانية من فجر كل يوم بعد عودته من مقر

قاسم مباشرة وبمرور الايام والاسابيع انقلب خزعل فتغير موقفه منا . . ولعل جذوره الاولى عصفت بالقيم الوطنية العربية فخسرناه وخسر هو ذاته ! ؟

على أول رف

كان من أبرز ما أبلغنا به خليل إن قاسم يضع على أول رف في مكتبه ملفات المقدم طه الدوري ويحيى ثنيان وصاحب هذه المذكرات . واتفقنا مع خليل انه إذا حولت الملفات من مكتب قاسم إلى المحكمة أن نهرب من السجن بمعاونته . بل أننا اتفقنا معه أيضا على أن نخرج جميعنا من السجن في ساعة الصفر التي تحدد للبدء في تنفيذ الحركة الانقلابية ضد قاسم كي يقوم كل واحد منا بدوره فيها . وكانت تقضي الخطة بمهاجمة وزارة الدفاع والقاء القبض على عبد الكريم قاسم على أن تقوم بهذه المهمة كتيبة المثنى المعسكرة في أبو غريب ، وكان آمرها خزعل ابراهيم بحجة القضاء على مظاهرات قومية تتجه نحو وزارة الدفاع . وكانت تقضي الخطة أيضا بتحرك القوات في الموصل وكركوك والديوانية فور مهاجمة كتيبة المثنى لوزارة الدفاع في بغداد لتعلن العصيان وعدم الاعتراف بحكومة قاسم في بغداد . وكان من شأن مثل هذا الوضع أن يطيح بحكومة قاسم في ذلك الوقت . وهناك سابقة مماثلة فحين اغتيل بكر صدقي في الموصل سنة ١٩٣٧ أعلن « العقيد أمين العمري » آمر حامية الموصل انه لا يعترف بحكومة حكمت سليمان في بغداد فاضطر الأخير إلى تقديم استقالته . وكنا على قناعة بأن الخطة لو نفذت كما اتفق عليها لنجحت ، ولكن الذي حدث أن العقيد عبد الوهاب الشواف تعجل في التنفيذ دون تنسيق كاف مع بقية المشاركين . فقد استبطأ التحرك وكان يعتقد أن أي تأخير ليس في صالح الثورة .

وفي يوم ٧ آذار مارس بعث الشواف برسول إلى الزعيم ناظم الطبقجلي في كركوك أبلغه أنه سيتحرك في اليوم التالي وحدد له ساعة الصفر كي يكون التحرك واحدا وفي ذات الوقت في الموصل وكركوك معا . ولم تكن الاستعدادات قد اكتملت بالفعل للقيام بحركة مضمونة النجاح ولذلك فقد اقتصر التحرك على الموصل فقط واكتفى ناظم الطبقجلي بإعلان تأييده للشواف دون أن يتحرك . أما الوضع في بغداد فقد كان مختلفا . . ذلك أن خليل وخزعل تخليا عن المشاركة في الثورة بعد أن بدأ الشواف تحركه فتحولا إلى جانب عبد الكريم قاسم . بل انهما أصبحا المسؤولين عن اعتقال المشاركين في الثورة والتحقيق معهم . وكانا يقسوان في

استخدام وسائل الإكراه في التحقيق حرصا منهما على عدم انكشاف أمرهما أمام قاسم . وفي صباح يوم الحركة حضر رفعت الحاج سري إلى أبو غريب واجتمع مع خليل وخزعل في محاولة لاقناعهما بالتحرك ولكنهما رفضا ذلك خوفا من الفشل والاعدام . وقد شهدت بنفسي هذا الاجتماع إذ مررت بمكتب آمر المعسكر لاقدم شكوى رسمية لسوء المعاملة ، وأنا في طريقي إلى زيارة الطبيب .

ليلة الحركة

في ليلة الحركة كان قد ألقي القبض في بغداد على عدد كبير من القوميين كان من بينهم عبد الرحمن البزاز ومحمد سبع والدكتور سليم النعيمي ورجب عبد المجيد . وكان يفترض أن يكون هؤلاء وزراء في حكومة الحركة . وقد وضعهم خليل في غرفة كبيرة وطلب مني أن لا أتصل بهم . قلت له أين أنت ؟؟! بدلا من أن تتحرك تقوم باعتقالنا . . وهددته بأن أشهد على دوره في الحركة . ولكن طه الدوري طلب مني أن أتركه . ولم يكن خليل قد أعلن تخليه عن الحركة بعد .

أما الحركة نفسها فقد بدأت على النحو التالي . . في صباح يوم ٨ آذار مارس اتصل العقيد الشواف من مقر قياداته في الموصل مع كريم قاسم في بغداد بواسطة التليفون وطالبه بإعلان تشكيل مجلس لقيادة الثورة كان قد اتفق على تشكيله في آخر اجتماع عقده قاسم مع قادة الفرق العسكرية ، وطرد الشيوعيين من السلطة . وكان موضوع تشكيل مجلس لقيادة الثورة محل خلاف دائم بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف من جهة وبقية الضباط الأحرار من الجهة الأخرى . وحاول قاسم أن يسترضي الشواف بالكلمات المعسولة دون طائل إذ أبلغه الشواف في نهاية المكالمة انه يعلن العصيان في الموصل .

وبعد قليل أرسل الشواف طائرات من القاعدة الجوية في الموصل قصفت مرسلات إذاعة بغداد في أبو غريب التي كانت تقع داخل نطاق المعسكر . وقد سقطت احدى القذائف في ساحة المعتقل الذي كنا فيه ، عن طريق الخطأ وأصبح موقف قاسم حرجا . ولم يكن أمامه غير اللجوء إلى الخدعة لمواجهة التطورات . فاتصل مع الشواف بواسطة خط هاتفي مباشر كان يربط مكتبه مع قادة فرق الجيش وأخذ يداهنه ويبدي استعداده للاستجابة لمطالبه . وظل يطيل معه الكلام حتى وصلت طائرات كان قد أرسلها لقصف مقر قيادته في الموصل .

وقد قصف المقر وأصيب الشواف فيما كان قاسم لا يزال على الخط الآخر . وتوفي الشواف في وقت لاحق في المستشفى متأثرا بجراحه . وروى الضباط اللذين لجأوا إلى دمشق أن الشواف قتل على يد جنود الميدان بعد أن أصيب بشظايا قنابل الطائرات التي قصفت مقره . .

وأغارت الطائرات أيضا على الشيخ احمد عجيل الياور شيخ مشايخ شمر وكان شابا وطنيا غيورا . . وتقيم قبائل شمر في المنطقة الممتدة من شمال سوريا وحتى السعودية .

روى لي المرحوم الشيخ أحمد الياور أن الطائرات قصفت سيارتهم ورجاله الذين ساندوا الشواف التي ضربوها داخل الحدود السورية .

.. وفشلت الحركة

وبمقتل الشواف فشلت الحركة في ذات اليوم الذي بدأت فيه . وألقي القبض على الزعيم ناظم الطبقجلي بعد ثلاثة أيام . أما العقيد رفعت الحاج سري فلم يكشف دوره الرئيسي إلا في وقت متأخر وأثناء اجراء التحقيقات مع المعتقلين بتهمة الاشتراك في هذه الحركة والذين بلغ عددهم قرابة ٢٠ ألف مواطن . . في حين لم يكشف دور خليل وخزعل ابدا حيث لم يكن يعرف سر مشاركتهما التي تخليا عنها سوى رفعت الحاج سري والشواف وطه الدوري وأنا ولم يعترف رفعت عليهما ، وبالتالي لم يكشف أيضا دوري ودور رشيد عالي الكيلاني . وقد ضحى الشهيد رفعت الحاج سري بحياته دون أن يكشف دور الكيلانى أو غيره ابداً !! رحمهما الله .

وبعد فشل الحركة دخلت القوات الموالية لعبد الكريم قاسم والشيوعيين مدينة الموصل واستباحوها ، بحيث كان أهلها قد أعلنوا تأييدهم للشواف ، وارتكبوا أبشع المجازر بحق أهل المدينة حيث علقت جثة رجل قومي على كل عامود كهرباء تقريبا . وجرى انتهاك أعراض الناس في الشوارع وأمام أهاليهم . وتم اعتقال الضباط الموالين للشواف في الموصل والضباط الموالين للطبقجلي في كركوك وكذلك في محافظة ديالي . وبدأت محكمة المهداوي تصدر أحكام الاعدام بالجملة ونفذت هذه الأحكام على ثلاث وجبات رئيسية ففي ٥ ابريل نيسان ١٩٥٩ نفذ الحكم في الوجبة الأولى وتكونت من الطيارين العقيد طيار عبد الله ناجي ، الرئيس طيار قاسم العزاوي ، الملازم طيار أحمد مهدي عاشور والملازم طيار فاضل ناصر . وكان هؤلاء الشهداء قد قصفوا بطائراتهم مرسلات اذاعة بغداد ، وحين عادت

طائراتهم إلى قاعدتهم في الموصل كانت الثورة قد انهارت وألقي القبض عليهم على الفور .

وفي ٢٥ أغسطس ١٩٥٩ أعدم كل من الشهداء الرئيس نافع داود والرئيس محمد أمين عبد القادر ، والملازم الأول سالم حسين ، والملازم محسن اسماعيل عموري ، والملازم مظفر صالح ، والمدرس فاضل حمادي الشكرة . والأخير نفذ به الحكم بعد أن كسر عموده الفقري من جراء التعذيب دون أن يعترف بإذاعة بيان الثورة ، ذلك أن الذي أذاع البيان فعلا يومها كان محمود الدرة وقد أذيع من محطة إذاعة الثورة بالموصل حيث جيء بجهاز الإذاعةَ من سوريا ولم تصدق المحكمة ذلك بسبب التشابه بين صوتي الدورة والشهيد الشكرة الذي اعترف بعد تعذيبه(*) .

أما الوجبة الثالثة فقد جرى تنفيذ الحكم في أفرادها في ٢٠ ايلول سبتمبر ١٩٥٩ وضمت الشهداء الزعيم الركن ناظم الطبقجلي ، العقيد رفعت الحاج سري ، والعقيد خليل سلمان ، المقدم عزيز أحمد شهاب ، المقدم علي توفيق ، المقدم اسماعيل هرمز ، الرئيس الأول توفيق يحيى آغا ، الرئيس الأول محمد الجليبي ، الرئيس داود سيد خليل ، الرئيس يحيى حسين الحمادي ، الرئيس هاشم الدبوني ، الرئيس زكريا طه والملازم حازم خطاب رحم الله جميع الشهداء .

خلاف الشهداء

ويعود الخلاف بين الشهداء الشواف وسري والطبقجلي إلى مراحل الاعداد الأولى للثورة حين بدأ عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف يعملان ويخططان من أجل الانفراد بالثورة . . ففي ذلك الوقت حدث خلافان رئيسيان . .

برز الخلاف الأول عشية الموعد الأول الذي حدد لتنفيذ الثورة ليلة ١١/١٢ مايس مايو ١٩٥٨ ففي تلك الليلة تراجع عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف عن القيام بدورهما في

(*) في تعقيب للأخ محمود الدرة على ما نشر بجريدة القبس حول بعض الأخطاء التي وردت أثناء الرد المركز ، وتزاحم الأسماء وعدم اطلاعنا على بعض الخفايا التي كشف عنها في كتابه والذي لم أطلع إليه بعد مع الاسف انه هو الذي أذاع البيان الأول من الإذاعة الخاصة في الموصل . .

الثورة . وبعد ساعة الصفر المحددة للانطلاق والتي كانت قد حددت في اجتماع عقد في نادي الضباط في بغداد وحضره العقيد الشواف الذي كان يفترض أن يكون قائد الثورة ، والعقيد وصفي طاهر والرئيس الأول الطيار المتقاعد محمد سبع الذي أبلغني بتفاصيل هذا الاجتماع . وقد التزم وصفي طاهر في هذا الاجتماع بالمشاركة في الثورة .

وفي ساعة الصفر قام ضباط الخط الثاني بالاشتراك مع العقيد رفعت الحاج سري باخراج الأسلحة والقنابل من مستودعات معسكر أبو غريب ووضعوها في سيارتي نقل استعدادا لتوزيعها على المشاركين في الثورة . وقد خرجت السيارتان من المعسكر بالفعل . وفي اللحظة ما بعد الأخيرة ، بعث قاسم يعتذر عن المشاركة لظروف طارئة . وبالتالي فقد اضطروا لاعادة الأسلحة والعتاد إلى المستودعات مرة أخرى سرا بذات الطريقة التي أخرجوها بها ، مخاطرين بذلك مرتين بدلا من مرة واحدة باحتمال انكشاف أمرهم .

وكان العقيد الشواف عضوا في اللجنة القيادية لتنظيم الضباط الأحرار التي كانت تتكون من ١٢ ضابطا وهو ينتمي لأسرة معروفة . وكان ضابطا قديرا مخلصا ويتصف بالشهامة والمروءة الثورية كما أنه كان سريع الإنفعال حين يشعر بوقوع ظلم عام أو خاص . ولذلك فهولم يكن راضيا عن الوضع العام في المعهد الملكي كما آثارته وآثارت كل المخلصين في العراق نتائج حرب ١٩٤١ . وبالطبع كان لابد أن يثيره انسحاب قاسم بعد بدء تحركات الثورة فعلا .

وشاء عبد الكريم قاسم أن يضيف عاملا جديدا إلى الخلاف الذي بدأ هو بافتعاله حين قام بتنفيذ الثورة دون أن يبلغ الشواف وطالب وسري . وقد أشرك معه في التنفيذ عددا من الضباط الديمقراطيين القريبين من الشيوعيين . ولم يكن بامكان قاسم أن يتجاهل الضباط الأحرار كلية بعد قيام الثورة فقد كان في حاجة لهم كي يسند لهم مناصب قيادية في الجيش خلفا للضباط الذين كانوا موالين للنظام السابق . وهكذا فقد عين الشواف آمرا لموقع الموصل بعد أن كان مقررا أن يكون هو نفسه ـ الشواف ـ قائد الثورة وعين ناجى طالب الذى كان مقررا أن يكون هو الآخر قائد للثورة فى تموز يونيو وزيرا للشئون الاجتماعية والعمل . . وعين الطبقجلي قائد الفرقة الثانية في كركوك ، ورفعت الحاج سري معاونا لمدير الاستخبارات العسكرية قبل أن يصبح مديرا لها . ولم تكن هذه التعيينات مرضية لهم . لذلك فقد امتنع ناجي طالب عن الالتحاق بمنصبه الوزاري حتي اليوم الثالث . ورفض

رفعت الحاج سري الذهاب لمقابلة قاسم في باديء الأمر ثم اتفق الجميع على مطالبة قاسم بتشكيل مجلس قيادة ثورة يكونوا أعضاء فيه كما كان متفقا عليه قبل انفراد قاسم وعارف بالثورة .

وبالفعل فقد طرحوا الموضوع على قاسم منذ الأيام الأول للثورة خلال الاجتماعات التي كان يعقدها كل أسبوع مع قادة الفرق العسكرية . وكان قاسم يلتقي بهم باعتبارهم من الضباط الأحرار قبل بدء الاجتماع الرسمي . وقد ذكروه في هذه اللقاءات بإنه كان متفقا قبل قيام الثورة على تشكيل مجلس لقيادة الثورة حتى لا تحدث خلافات . وطالبوه بالعودة إلى هذا الاتفاق . فرد قاسم بالموافقة وقال لهم نحن بصدد الاقدام على تشكيل المجلس فعلا . ولكنه لم يكن جادا بل كان يلجأ كعادته إلى المراوغة والتسويف دون أن يلتزم بشيء . وتكرر طرح الموضوع في كل لقاء تقريبا . وفي احدى المرات فاجأهم عبد السلام عارف قائلا ما الذي تريدونه . هل تريدون كل واحد ماله لزوم يتآمر براسنا . نحن قمنا بالثورة ونحن نتولى قيادتها وهذا هو الموجود .

مطالب والحاحات

وشيئا فشيئا ومع تزايد تحالف قاسم مع الشيوعيين ، تزايد الحاح الضباط الأحرار على قاسم لتشكيل مجلس قيادة الثورة . وأضيف إلى هذا المطلب مطلب آخر هو ابعاد الشيوعيين عن السلطة . وهي ذات المطالب التي عاد عبد السلام عارف نفسه للمطالبة بها في الخطاب العلني الأخير الذي ألقاه في ديالي وأدى إلى الاسراع في عزله من مناصبه . وقبل شهرين من « ثورة الشواف » نشبت مشادة كلامية بين الشواف والطبقجلي من جهة وقاسم من الجهة الأخرى غير أن الحوار تركز بين قاسم والطبقجلي كما أخبرني بذلك الزعيم الركن شاكر محمود شكري الذي حضر هذه المشادة التي بدأت بنقد قاس وجهه الطبقجلي لقاسم . وقال له مهددا أنت تريد تخرب البلد . وإذا كنت تتصور ان البلد مزرعة بصل مبارك عليك ، لكن نحن لا نرضى ، ولن نسكت . وقال له اذا كنت لا تريد أن تشكل مجلس قيادة ثورة قل لنا ذلك حتى نسكت بدلا من أن نظل نناقش الأمر في كل اجتماع . وكذلك مشاكل الشيوعيين وحركاتهم التي جعلت الفوضى تدب في كل مكان وأصبحت استفزازاتهم للناس لا تطاق .

كان الشيوعيون في ذلك الوقت نشطين في طبع وتوزيع المناشير التي تستفز المشاعر القومية

للمواطنين الذين كانوا يتعرضون أيضا لضغوط لا تطاق حيث كان الشيوعيون يعدون عرائض تطالب بإعدام رشيد عالي الكيلاني وعبد السلام عارف ويرغمون طلاب المدارس تحت تهديد السلام على الخروج في مظاهرات ترفع شعارات دموية مماثلة .

ورغم كل ذلك فقد فشل القوميون في ذلك الوقت في ايجاد اطار ثوري موحد يخوضون نضالهم من خلاله ويفرضون كلمتهم على قاسم رغم إنهم كانوا يمثلون الأغلبية المسيطرة . فقد كانت الأحزاب القومية مبعثرة وصغيرة وكان حزب البعث مازال في بداياته الأولى . وفي ظل هذا التمزّق ، كان من الطبيعي أن يبرز الحزب الشيوعي باعتباره أكثر الأحزاب تنظيما وقوة وأن تفشل كل المحاولات القومية لتولي السلطة وأخرها حركة الشواف .

رسالة ذات مغزى

وهنا ، لابد أن أشير إلى حادثة ذات مغزى كبير أريد أن أثبتها كما هي وأن أعفي نفسي من التعليق عليها . في أعقاب ثورة الشواف ألقي القبض على ناجي طالب الذي كان قد استقال من منصبه الوزاري مع الوزراء القوميين قبل أقل من شهر واحد فقط وقد افترض أن يكون مشاركا في ثورة الشواف بالنظر إلى سابق تحالفه معه وانسحابه وأياه مع عبد الوهاب الأمين من اللجنة العليا لتنظيم الضباط الأحرار . غير أن عبد الكريم قاسم اطلق سراحه ووضعه في الاقامة الجبرية في منزله فقط بعد أن لم تثبت عليه التهمة وبعد شهر واحد من حركة الشواف بعث ناجي طالب بالرسالة التالي نصها إلى قاسم وهي تحمل تاريخ ٧ نيسان أبريل ١٩٥٩ . وقد حصلت على صورة عنها بخط يده :

أخي العزيز سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم المحترم ، تحية واحتراما ،،

أنتهز فرصة حلول عيد الفطر المبارك لابعث إلى سيادتكم بأخلص التهاني الأخوية سائلا المولى تعالى أن يوفقكم ويمدكم العزم والقوة لتسيروا بجمهوريتنا العزيزة إلى المجد .

وأنتهز هذه الفرصة أيضا لاقدم تهاني الحارة على خطوتكم الحازمة بالخروج بنا من حلف بغداد ومحوكم بذلك آخرآثار الاستعمار .

وأخيرا أتقدم إلى سيادتكم أخي بالشكر الجزيل لامركم بإبقائي في بيتي وعدم أخذي إلى مكان آخر . وهذه حقا هي الأخوة والوفاء . فأنا بريء وقد حشر اسمي في هذا الموضوع

القذر ومع الخونة ظلما . واقسم لك أن لا علاقة لي ولا علم بمؤامرات الشواف الدنيئة ولا بغيرها . أنا أجل من أن انزل إلى درك الخيانة الوطنية أو الخيانة الأخوية . وأخلاقي لا تسمح لي بأن أتنكر لك فأطعنك ناسيا رعايتك لي واهتمامك بكل أموري وثقتك بي حتى بعد ابتعادي عن المسئولية . حاشاي . . إنني لست من هذا النوع من الناس .

لقد كنت صادق القول دائما وسأظل كذلك لأقول إنني أبيض الوجه ناصع البياض . وأنا أحمد الله على ذلك وأشكره . وكلي ثقة بأن التحقيق ومحكمة الشعب والزمن ستثبت جميعها صحة ما أسلفت وتثبت إن شاء الله أن دفاعك عني كان في محله وإنك لم تذهب فيه إلا مذهب الحق والعدل .

وأخيرا أكرر شكري وامتناني لأخي وابتهل إلى المولى جل وعلا أن يوفقكم ويصونكم من كل سوء ، وأن يأخذ بيدكم إلى ما فيه الخير والعز لوطننا الغالي إنه سميع مجيب .

أخوكم المخلص ناجي طالب

محاور قاسم

عندما شعر عبد الكريم قاسم ان الحزب الشيوعي يعمل على تطويقه واحتوائه ، وأنه قطع شوطا بعيدا في هذا الاتجاه ، مما اضطره ـ قاسم ـ إلى إظهار استقلاليته عن الشيوعين والتجول في الشارع وحيدا ، وفوجىء بأن الصحف القومية بدأت تظهر تعاطفها معه وكذلك المواطنين الذين حملوا سيارته وساروا به وهم يهتفون بحياته . حدث ذلك في الوقت الذي كانت فيه الصحف الشيوعية تقول بشكل صريح انهم هم أصحاب الحل والعقد . وإن كلمتهم هي الأولى في العراق ، وإنهم يسيطرون على الشارع . عندها أدرك قاسم إن بإمكانه أن يتخل عن الشيوعيين بما يمثلونه من حزب منظم قوي والاستعاضة عنهم بجماهير الشعب العفوية غير المنظمة التي فكر في أن يحصل على تأييدها دون أن تطلب منه مشاركته في السلطة .

من أجل تحقيق ذلك انتهج سياسة سارت على عدة محاور . فمن الناحية الأولى بادر إلى

اطلاق سراح كل المعتقلين السياسيين وجلهم من القوميين . وكان قد بلغ عددهم زهاء ٦٠ الف معتقل . ولم تكن السجون العراقية قادرة على استيعاب هذا العدد الكبير من السجناء والمعتقلين مما فرض أيضا اطلاق سراح اعداداً كبيرة منهم سيما وان هذا العدد شمل كل من شتم قاسم .

وقد حرص قاسم على لالتقاء مع المجموعات المهمة من المعتقلين قبل اطلاق سراحهم حيث عمل على محاولة كسب ودهم واستقطابهم . وضمن هذا التوجه العام طلب قاسم إلى مقره في وزارة الدفاع المجموعة التي اعتقلت في المؤامرة الشيوعية على الكيلاني والتي ظل أفرادها في سجن أبو غريب لمدة سبعة أشهر رغم أحكام البراءة التي صدرت بحق بعضهم عن محكمة المهداوي التي كانت تسمى بمحكمة الشعب . وقد ضمتني هذه المجموعة بالاضافة إلى الدكتور جابر عمر ، وزير سابق ، والدكتور هشام الشاوي سفير العراق في كندا الآن ، وعدنان الراوي ويحيى ثنيان ومدير البنك الفرنسي وبعض شيوخ العشائر وآخرين . وقد استمر اللقاء مع قاسم سبع ساعات .

في هذا اللقاء الذي تم مساء ١٥ يونيو ١٩٥٩ واستمر حتى فجر اليوم التالي ، استعرض قاسم لنا كل منجزات الثورة ، وكأننا لم نشارك فيها ، وروى لنا قصص العديد من المؤامرات التي قال إن الاستعمار حاكها ضد الثورة دون أن يطرح تفاصيل . وشرح لنا خططه المستقبلية لاعمار العراق . وحاول امتصاص نقمتنا بتأكيده انه لا موقف شخصيا له منا وإن المخلص يظل مخلصا . . وانه لا يريد أن يحارب المخلصين ، ولكنه اضطر لاعتقالنا لحمايتنا ، وبسبب اختلاف وجهات النظر . وقال إنه لا يريد أن يتهم الناس اعتباطا . وما حدث يؤكد من وجهة نظره أن وقوع خطأ ما لا ينفي إمكانية تصحيحه . وأبدى استعداده لتصحيح الخطأ وإعادة العلاقة معنا . وأكد لنا في إشارة واضحة إلى الشيوعيين انه لا يميل إلى جهة معينة كما إنه ليس شيوعيا أو ديمقراطيا كما كان يشاع في ذلك الوقت . وكان يركز نظراته عليّ طوال حديثه وكأنه يوجه الحديث لي بصفة خاصة .

« المؤامرة المزعومة »

ومن أجل إثبات حسن نيته طلب جهاز التسجيل وأمر أن يوضع أمامي وأداره مرافقه لنسمع وإياه التحقيق الذي أجراه بنفسه مع عبد الرحيم الراوي عن « المؤامرة المزعومة » .

وتبين لنا أكثر من ذي قبل أنه لم تكن هناك أية مؤامرة .

ولم يكن في اعترافات عبد الرحيم ما يفيد أن الكيلاني طلب منه التآمر أو أن يفعل أي شيء ضد قاسم . كل ما هنالك إنهما تناولا طعام الغذاء معا وانتقد الكيلاني الوضع العام والشيوعيين والاقتصاد . . وقال إن القوانين التي تشرع ليست في صالح البلاد .

والأمر الغريب أن قاسم في تحقيقه مع عبد الرحيم الراوي ركز أسئلته عليّ بشكل ملفت للنظر . وكان يريد ين ادانتي بأي شكل من الأشكال كما يبدو من الحوار التالي :

● كيف تعرفت على الكيلاني . . ؟

ـ عن طريق نجم الدين السهروردي .

● مع من تآمرت . . ؟

ـ مع مبدر الكيلاني .

● ونجم . . ؟

ـ ليست له علاقة .

● هذا غير ممكن . كيف تتآمرون دون مشاركة نجم . . ؟

ـ سيادة الزعيم أنا أعترف إني قد تآمرت أما نجم فلم يتآمر .

● هذا غير معقول . . ؟

ـ والله العظيم إن نجم لم يكن معنا .

ـ ألم يحضر اجتماعاتكم . . ؟

ـ لا .

● أين التقيت مع رشيد عالي . . ؟

ـ في منزله .

● ألا تعرف علاقة نجم مع رشيد عالي . . ؟

ـ أعرف ولكن نجم لم يكن يريد العمل معنا .

● ولماذا لم يحضر اجتماعاتكم ولو من قبيل المصادفة ؟

ـ لأنه لم يكن يتردد كثيرا على منزل الكيلاني ذلك أن كل آل الكيلاني لا يحبونه .

● وزوجته . . ؟

ـ زوجته فقط هي التي تحبه .

وحين كنت أستمع للحوار على المسجل قلت لعبد الكريم قاسم . . « انت لاحقني بعربانه » . . وهو قول شعبي عراقي يفيد معنى المتابعة والمراقبة . فقال قاسم : هذه شهادة لصالحك وهي التي برأتك .

وفيما هو يتحدث مع الجميع طلبني أنا والدكتور جابر عمر إلى احدى زوايا القاعة التي كان استقبلنا فيها . وانفرد بنا ، ودون مقدمات ، كشف لنا عن نواياه بالمطالبة بضم الكويت للعراق . وكانت هذه أول مرة يتحدث فيها قاسم عن نيته بالمطالبة بضم الكويت للعراق وهي المطالبة التي ظهرت للعلن بعد أيام من إعلان استقلال الكويت في ١٩ يونيو[1] ١٩٦١ إذ عقد قاسم مؤتمرا صحفيا في ٢٥ يونيو طالب فيه بضم الكويت للعراق وقد استغربت أن يكشف لنا قاسم عن نواياه هذه .

وطال اللقاء مع قاسم أكثر من المتصور فطلب لنا شايا وكيكا وبعض المأكولات الخفيفة . وكنا قد استدعينا من السجن إلى وزارة الدفاع في الساعة الثامنة مساء وبدأ اللقاء مع قاسم في الساعة الحادية عشرة مساء واستمر حتى الساعة الخامسة صباحا . وكانت عادة قاسم أن لا ينام الليل ! ؟ .

مداعبات الزعيم

خلال هذا اللقاء الطويل وجد وقتا كافيا ليداعب ويمازح كل واحد منا على حدة . وقد استغرقت مداعبات الزعيم قرابة الساعة ونصف الساعة كان خلالها يستعرض أسماء المتواجدين من كشف يتضمن قائمة بأسماء الذين اعتقلوا بالمؤامرة . واكتشف وهو يقرأ الأسماء أن هنالك اثنين قد توفيا في السجن وأن البعض قد اطلق سراحه قبل شهرين أوثلاثة أشهر . واعتذر لمدير البنك الفرنسي وسأله إن كان أحد قد آذاه . . ؟ وفجأة ظهر اسم « موشي » وهو يهودي كان معتقلا وأحضر معنا اللقاء . فضحك قاسم باستغراق لانه تحدث عن كل مشروعاته وخططه الثورية أمام « موشي » اليهودي . وكان رجلا كبيرا في السن .

وفي نهاية اللقاء طلب طبع أوامر اطلاق سراحنا . وقد اطلق سراح بعضنا دون كفالة مثل الدكتور جابر عمر وهشام الشاوي وعدنان الراوي أما أنا فطلب مني كفالة بمبلغ خمسة آلاف دينار . فقلت له . . سيادة الزعيم أنا أفضل العودة إلى أبو غريب . .

● لماذا . . ؟

- من الذي سيكفلني بهذا المبلغ . ثم ما الذي فعلته كي تكون هذه قيمة كفالتي . . ؟
● نخفضها إلى ٥٠٠ دينار فقط .
- أيضا أعود إلى أبو غريب .

ولكني لم أعد بل خرجت إلى المحكمة حيث سجلت المعاملة وذهبت لاحضار الكفيل الذي لم أحضره أبدا . . بل أني غادرت إلى خارج العراق بعد أيام من تنفيذ حكم الاعدام في العقيد رفعت الحاج سري والزعيم ناظم الطبقجلي يوم ٢٠ ايلول سبتمبر . فقد بلغني أن الملفات الثلاثة التي كانت موجودة على مكتب قاسم ومن ضمنها ملفي قد تحركت إلى المحكمة . فهربت قبل أن أعود للسجن مرة أخرى . . ولم يكن سفري إلى خارج العراق بالأمر السهل . فقد كان يحتاج إلى موافقة الجهات الرسمية الأمنية التي كان هناك شك كبير في إمكانية الحصول على موافقتها . ولهذا فقد اضطررت أن أتقدم بطلب الى اللجنة الطبية الخاصة للعلاج في المانيا على حسابي الخاص . وكانت مهمة هذه اللجنة هي التأكد من صحة الطلبات التي تقدم لها . وفوجئت بان اللجنة وافقت على طلبي في اجتماعها الذي عقدته بتاريخ ٢١ /٩ ١٩٥٩ وهو اليوم التالي مباشرة لتنفيذ حكم الاعدام بالشهيدين ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري ورفاقهما .

وكان تقرير اللجنة المشكلة من الدكاترة عبد الستار شاهين ونوري فتوحي واسماعيل محمد جاسم ملفتا للنظر . فقد جاء فيه أن اللجنة اطلعت على التقرير الطبي المعطى لي وإنها تؤيد الاخصائيين بالأمراض العصبية الدكتور يوسف القاضي والدكتور محمد تاج الدين والاخصائي بالجراحة الدكتور خالد القصاب من أن المومأ إليه « مصاب بقلق نفسي مع أعراض انقلابية وضرورة سفره خارج العراق للمعالجة » . ولم أفهم المعنى بالاعراض الانقلابية حتى الآن . . غير أن هذا التأييد لطلب السفر رفض من قبل السلطات ومن قبل قاسم شخصيا ، كما رفض عضو اللجنة الدكتور اسماعيل محمد جاسم التوقيع عليه وكان متعاطفاً مع النظام والعلم عند الله .

الواقع ان قاسم قد اعدم الشهيدين رفعت وناظم بعد ان فشل فى مصالحتهما وكسب ولائهما . كما فشل فى ذات الفترة ايضا في كسب تأييد رشيد عالى الكيلانى .

الشهيد رفعت وناظم كانا فى المعتقل العسكرى رقم واحد فى معسكر الرشيد فى الفترة التى

■ الكيلانى : كيف اعترف ؟
اني مستعد للاعدام في أي وقت !

كان قاسم قد بدأ خلالها يغازل القوميين ، وفجأة بدأ فى معاملتهما معاملة جديدة وجيدة بالنسبة لظروف السجن حيث سمح لهما باستقبال الزوار والاطعمة ، وفجأة منع عنهما كل هذا من جديد ونقلا الى السجن المركزى وقرر قاسم ان ينفذ بهما حكم الاعدام الذى سبق ان اصدره بحقهما ابن خالته المهداوى .

ويعود سبب المفاجأة الثانية الى ان رفعت وناظم لم يتجاوبا مع محاولات قاسم لكسبهما الى جانبه ولم يقدما اية تنازلات ولم يتراجعا عن مواقفهما ولم يؤيداه فى أى من سياسته ، لذلك قرر التخلص منهما وتنفيذ حكم الاعدام بهما رغم ان اللواء نجيب الربيعى رئيس مجلس السيادة كان قد وعد مدحت شقيق رفعت بعدم اعدامهما بل انه قال لمدحت الذى زاره فى بيته انهما لن يعدما طالما هو موجود ، غيران قاسم نفذ قراره دون الرجوع لاحد ، وقد نفذ القرار بالفعل رغم المظاهرات العارمة التى خرجت فى شوارع بغداد فور اذاعة خبر المصادقة على حكم الاعدام واتخاذ قرار التنفيذ .

فشل مع الكيلانى

ومما ضاعف من انفعال قاسم انه فشل فى ذات الوقت فى جعل الكيلانى يعلن تأييده له ، وكان يتوقع منذ البدء ان لا ينهار الكيلانى امامه بسهولة لذلك فقد استخدم معه ابشع الوسائل والاساليب من اجل دفعه الى طلب الرحمة والعفو ولهذا استدعاه من السجن الى مقره فى وزارة الدفاع ثلاث مرات بعد ان كان يبلغ انه ذاهب الى ساحة الاعدام ويلبس لباس الاعدام وكان قاسم يستقبله وهو فى هذه الحالة ويسأله لماذا لا تعترف . . ؟ فيرد عليه الكيلانى كيف اعترف بالذى لم افعله وانا رجل لا اخشى الا مخافة الله ، ولو كنت قد تآمرت عليك لقلت لك ، انا رجل مؤمن بقضاء الله وقدره واتوقع تنفيذ الحكم فى اى وقت وتستطيع ان تآمر بتنفيذ الحكم الان ان شئت .

كان قاسم يريد من خلال هذا الحوار ان يدفع الكيلانى الى طلب الاسترحام فيعفو عنه

ويطلق سراحه ويكتسب بذلك شعبية فى الاوساط القومية ، وفى ذات الوقت يصبح الكيلانى مدين له بحياته فيعيش بقية حياته ذليلا له ، وكان قاسم يركز فى حواره مع الكيلانى خلال اللقاءات الثلاثة على انه قام بالثورة وحطم الاستعمار وانه - رشيد عالى - يتآمر عليه لانه يريد ان يصبح رئيس للجمهورية وكان الكيلانى بدوره يكتفى بنفى هذه الاتهامات ويقول لقاسم انت اول من يعرف انى لا اريد ان اصبح رئيسا للجمهورية .

وحين فشل قاسم فى تطويع الكيلانى بأساليب الضغط والارهاب التى استخدمت معه فى الفترة التى هاج فيها الشارع العراقى فى اعقاب ثورة الشواف فاراد بذلك ان يحقق مصالحة مع الكيلانى تعيد التوازن الى نظامه فى علاقاته مع الجماهير كف عنها ولجأ الى المرونة التى استخدمها لبعض الوقت ايضا مع الشهيدين رفعت الحاج سرى وناظم الطبقجلى اثناء فترة خلافه القصيرة مع الشيوعيين .

وبعد ايام من اطلاق سراحى استدعانى قاسم الى مقره فى وزارة الدفاع وذلك فى اوائل اغسطس ١٩٥٩ وفاتحنى بموضوع السيد وشيد عالى الكيلانى ، قال قاسم انه ليست لديه مشكلة شخصية مع الكيلانى . وانه قام بالثورة من اجل تخليص العراق من الاستعمار واذنابه ، واكدت له بدورى ان الكيلانى لم يتآمر عليه وانه لم تكن هناك مؤامرة فوافق على ذلك ضمنا حين قال انه اعتقلنا من اجل حمايتنا من الشارع وكان يعنى بذلك الشيوعيين فقلت له حين اطلق سراحى خرجت صباح اليوم التالى من منزلى وسرت فى شوارع بغداد لمدة ٦ ساعات تجولت خلالها على قدمى فى مختلف المناطق الشعبية ولم يهاجمنى احد لان الناس تعرف وانت تعرف اننا لم نفعل أى شىء .

وقلت لقاسم فى ذلك اللقاء نحن لسنا ضدك وليس لدينا شىء ضدك ، ولو كنت ضدك لقلت لك ذلك الان ، واذا حدث ان وجدت نفسى معارضا لك فى يوم من الايام فلن احمل السلاح بوجهك هذا مستحيل ، فنحن عملنا معا من اجل الثورة ولا يجوز ان يغدر احدنا بالآخر .

يريد المصالحة

وشعرت من خلال الحوار معه انه يريد المصالحة فبدأت اتعامل معه بتجاوب وقلت له لقد علمت ان العراق لن يشارك فى مؤتمر اجهزة فلسطين وقد سمعت تصريحك بهذا الخصوص فى الامس وانا ارى غير هذا ، فانت (ابو فلسطين) مشيرا بذلك الى مشاركته فى حرب فلسطين لسنة ١٩٤٨ التى لمع نجمه فيها ، وتابعت . . ثم متى كان العراق يعتبر ان فلسطين

هى قضية مصر او لبنان او غيرها من الدول العربية. فلسطين هى قضيتنا الاولى والاخيرة ، وفى اليوم التالى صرح قاسم مؤكدا ان العراق سيشارك فى المؤتمر الذى كان سيقاطعه بسبب خلافه مع مصر ، بل انه اقترح ان يعقد المؤتمر فى بغداد ، وهذا التحول يعنى انه اقتنع بوجهة نظرى .

وحين هممت بمغادرة مكتبة مودعا استدعى قاسم اللواء احمد العبدى الحاكم العسكرى العام وامره بتنفيذ اى طلب اتقدم به مهما كان ، وطلب منى ان امر عليه بعد يومين او ثلاثة ايام من اجل ان يسند لى منصبا مهما كما قال على مسمع من اللواء العبدي والمهداوى وماجد امين ووصفى طاهر، فشكرته وخرجت ، وكان قاسم يومها منهمكا فى تصميم الشعار الجمهورى الذى حل محل الشعار الملكى للعراق وقد اشرف على تنفيذه بنفسه .

فى اليوم التالى اتصلت مع العبدي وزرته وقدمت له الطلبات التالية :

أولا : السماح للكيلانى باستقبال الزوار حيث لم يكن اهله قد زاروه منذ ان القى القبض عليه قبل قرابة التسعة اشهر .

ثانيا : الافراج عن كتب وعفش وسيارة الكيلانى التى كانت محجوزة لدى ادارة الجمارك بموجب قرار صدر بحجز امواله المنقولة وغير المنقولة .

ثالثا : تسريح فيصل ابن الكيلانى الذى كان ضابط احتياط بامرة وزارة الدفاع وكان لا يطلب منه القيام باى عمل .

رابعا : السماح لى بالسفر الى خارج العراق .

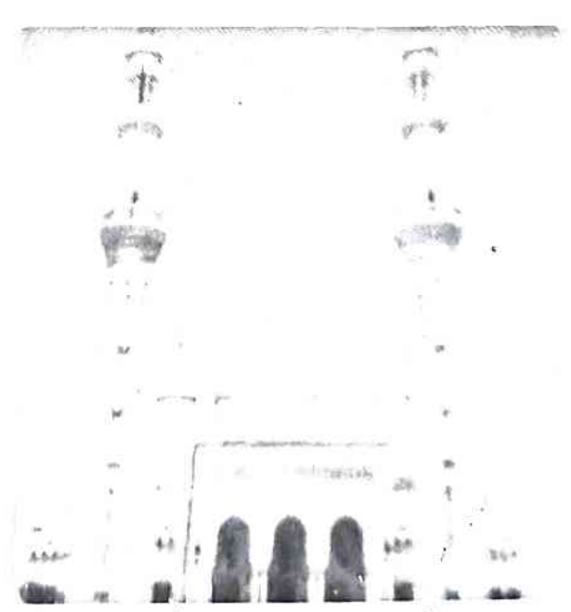
وقد عرض العبدي هذه الطلبات على الزعيم الاوحد فوافق عليها جميعا باستثناء الطلب الاخير المتعلق بالسماح لى بالسفر .

كذلك فقد طلبت من اللواء العبدي ان ينقل تحياتى الى (الزعيم الاوحد) وان يشكره نيابة عنى على الوظيفة المهمة التى يريد اسنادها لى ، واعتذرت عن قبولها لانى لا احب العمل فى الوظائف الحكومية الرسمية كما قلت له ، ولكن اعتذارى كان يعود فى الحقيقة الى توقعاتى بانه كان يريد ان يسند لى منصبا وزاريا . وقد توقعت ذلك من خلال معرفتى بقاسم وكيفية تفكيره ، ولم يكن ممكنا ان اقبل المنصب الوزارى ورشيد عالى الكيلانى مازال فى السجن محكوما عليه بالاعدام ، ولذلك فضلت ان اعتذر قبل ان يصدر امر التكليف حتى لا اسجن لو اعتذرت بعد صدوره وكان من شأن توزيرى فى ذلك الوقت ان يعزل الكيلانى امام الرأى

العام من فبل الجميع حتى من قبل زوج ابنته ورفيق دربه وسكرتيره وساعده الايمن . وهذا يحمل فى ثناياه ادانة للكيلانى امام الشعب بعد ان رفض هو تقديم طلب عفو واسترحام للزعيم الاوحد .

وكان قاسم فى ذلك الوقت كما سبق ان ذكرنا يحاول تشكيل قاعدة شعبية بديلة للشيوعيين ، وحين ادرك انه قد فشل فى ذلك بسبب عدم تجاوب التيارات القومية المنظمة ورموز العمل القومى البارزة وعامة الناس عاد من جديد للتحالف مع الشيوعيين والديمقراطيين ، وكان قاسم يميل للحزب الديمقراطى بزعامة كامل الجادرجى اكثر من ميله للشيوعيين وكان اغلب وزراء حكومته من كوادر هذا الحزب .

وفى المقابل جدد قاسم حملته على القوميين فنفذ حكم الاعدام برفعت الحاج سرى وناظم الطبقجلى ،، وعاد الى التشدد مع الكيلانى فى سجنه وامر باعادة القوميين الذين اطلق سراحهم الى السجن ، وقبل ان اعاد الى السجن من جديد قررت ان اغادر العراق فاختبات لمدة عشرة ايام فى منزل اخت لى يقع فى الكرادة . ولم يكن هذا المنزل معروفا لان اختى كانت تقيم لسنين طويلة خارج العراق وخلال هذه الايام رتبت امورى للسفر الى دمشق حيث تسللت اليها عن طريق الموصل - حلب في اليوم الاول من شهر تشرين اول اكتوبر ١٩٥٩ وبدأت مرحلة جديدة من الكفاح والمصاعب ولكنها فى هذه المرة كانت مصاعب من نوع آخر . .



● مسجد أم الطبول حيث توجد في جواره مقابر الشهداء



فيصل رشيد على الكيلانى

قضـــية الكـــويت ..

الجذور التاريخية لمطالبة العراق بالكويت .. والتفاعلات القومية بين رجال الحركة الوطنية في البلدين

قبل أن أغادر العراق إلى دمشق ، كنت قد اشعت بين بعض المعارف والاصدقاء انى اعتزم الذهاب الى الكويت من اجل العمل ، وان فرصة عمل قد توافرت لى بالفعل . كان ذلك قبل ان يحال ملفى من مكتب عبد الكريم قاسم الى محكمة المهداوى لاعادة محاكمتى من جديد . فالكويت في ذلك الوقت (١٩٥٩) رغم انها كانت لاتزال تحت الحماية البريطانية لم تكن قد حصلت على استقلالها بعد ، كانت تعتبر واحة امان وحرية في المنطقة . ولهذا فقد فوجىء اصدقائى الذين توافدوا الى سوريا من بعدى حين رأوني قد سبقتهم الى دمشق ولم اذهب الى الكويت كما كانوا يتوقعون .

وعموما فان القدر قد كتب لي ان آتي الى الكويت ذات يوم لأقيم فيها . . لقد كتب لي القدر أن آتي إلى الكويت لأعمل فيها سبع سنوات من عمري دون أن تلازمنى صفة اللاجىء السياسي كما كان الحال في الجمهورية العربية المتحدة باقليميها الشمالي والجنوبي .

وبالتأكيد فأني حين فكرت بالقدوم الى الكويت في عام ١٩٥٩ ، كنت اتذكر كلام قاسم عشية اطلاق سراحنا عن خططه الرامية الى ضم الكويت إلى العراق ، وفي كثير من الحالات كنت أقول لنفسي . . أن الرجل يريد أن يحرمني حتى من المكان الآمن الذي يمكن أن ألجأ

إليه . وان لم اكن قد جئت إلى الكويت في ذلك الوقت ، فان آخرين غيري من الاصدقاء الذين غادروا العراق في عهد قاسم قد جاءوا اليها في حينه للعمل والهرب من ملاحقة أجهزة نظام قاسم الدكتاتورى في ذات الوقت .

لماذا طالب قاسم بالكويت ؟

ولكن لماذا طالب قاسم بالكويت ؟
هناك عاملان رئيسيان كانا يقفان وراء تلك المطالبة :

الأول : اشغال الرأى العام العراقي عن ازمته مع نظام قاسم داخل العراق بافتعال أزمة خارجية .

الثاني : محاولة نفي وتفنيذ القناعة التي تشكلت لدى العراقيين والعرب بان قاسم عدو للوحدة العربية والقومية العربية . وهي القناعة التي تشكلت من جراء خلافه مع الرموز القومية داخل العراق التي كانت تطالب بالانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة بعد قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ .

وقد انعكس هذا الخلاف مع العناصر القومية في العراق على علاقات العراق في عهد قاسم مع الجمهورية العربية المتحدة كما هو معروف .

وفي هذا العامل بالذات ربما يكمن السبب الذي جعل قاسم ليلة اطلاق سراحنا يكشف لى وللدكتور جابر عمر نواياه تجاه الكويت . فقد جاء هذا الكشف للنوايا في ذات الوقت الذي كان قاسم يبذل محاولاته لمصالحة التيار القومي في العراق بعد ان اختلف مع الشيوعيين . وكان اطلاق سراحنا ليلة ١٦ يونيو ١٩٥٩ احد حركات الغزل مع التيار القومي .

ويجدر ان نلاحظ هنا انه حين طالب قاسم فعلا بالكويت في مؤتمره الصحفي الذي عقده يوم ٢٥ يونيو ١٩٦١ . . بعد ستة أيام فقط من اعلان استقلال الكويت ، كانت علاقاته مع الحزب الشيوعي العراقي قد بلغت حد القطيعة . وكان قادة الحزب قد فروا من العراق إلى دول أوروبا الشرقية واقام معظمهم في براغ . وبالطبع فقد كان مفترضا في قاسم ان يكون قد بدأ في ذات الوقت يفكر ويعمل من اجل التحالف مع التيار القومي الذي كانت قاعدته

تتنامى حجما بشكل لا يتناسب مع القدرات القيادية والتنظيمية للاحزاب القومية التي كانت موجودة في ذلك الوقت . وبالتالي فربما يكون قاسم قد فكر في الاعتماد على الجماهير القومية غير المنظمة ليشكل منها قاعدة جماهيرية بديلة لنظامه .

ويثير هذا التحليل التساؤل عن العلاقة بين محاولة استرضاء التيار القومي واثارة المطالبة بالكويت .

الجذور التاريخية

تكمن الاجابة على هذا التساؤل في محاولة قاسم استقراء التاريخ بشكل ميكانيكي على امل ازدواج حوادث التاريخ وتكرارها على نحو يخدم مخططاته ومراعاته الشخصية من اجل البقاء في السلطة . وبالطبع فان علم التاريخ هو غير علم الميكانيكا . وقد اثبت قاسم انه لم يستوعب أيا من العلمين .

تعود جذور أول مطالبة عراقية بالكويت الى عام ١٩٢٥ في عهد حكومة ياسين باشا الهاشمي الاول (١٩٢٤/٨/٢ - ١٩٢٥/٦/٢١) . فبعد عدة اشهر من تشكيله لحكومته . قام الهاشمي بجولة تفقدية للواء البصرة . وقد شملت هذه الجولة مدينتي عبدان والمحمرة في الجانب الشرقي لشط العرب باعتبار انهما كانتا تتبعان ولاية البصرة في عهد الدولة العثمانية ، وبالطبع فقد كانت هذه الجولة التفقدية تحديا للاطماع الايرانية في هذه المنطقة التي لم يكن الشاه رضا بهلوي قد احتلها وضمها الى ايران بعد . كما كانت اشارة ايضا الى تمسك الهاشمي بموقفه السابق عشية نشوب الحرب العالمية الأولى الرافض لفكرة التحالف مع بريطانيا « الكافرة » ضد دولة الخلافة الاسلامية العثمانية ، والمصر على ابقاء وحدة الاراضي العربية التي كانت تحتلها الدولة العثمانية ، وأقامة دولة عربية واحدة لا تفصل بينها الحدود في هذه الأراضي .

واستند الهاشمي في رفضه التحالف مع بريطانيا في الحرب العالمية الاولى الى سببين :

الاول : عدم جواز التحالف مع دولة « كافرة » ضد دولة مسلمة .

الثاني : عدم ثقته في بريطانيا سيما وانها قبل ان يبدأ تحالفها العملي مع العرب في ساحة المعارك قد بدأت تخونهم باصدارها وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ وتوقيعها على معاهدة

سايكس بيكو مع فرنسا التي اتفقت الدولتان فيها على تقاسم النفوذ في املاك الدولة العثمانية العربية . . العراق والاردن وفلسطين لبريطانيا ولبنان وسوريا لفرنسا .

. وبسبب ذلك تحديدا اعتذر الهاشمي عن تشكيل اول حكومة عربية مقرها في دمشق سنة ١٩١٧ كما لم يشارك في الثورة العربية الكبرى بزعامة الحسين بن علي شريف مكة الا بعد سقوط دمشق وخوضه حوارا طويلا مع نوري السعيد وعلي جودت الايوبي وجميل المدفعي الذين زاروه في منزله لهذه الغاية . وقد قام المناضل سليم عبد الرحمن (فلسطيني) بنقل كتاب التكليف من فيصل بن الحسين وذلك قبل أن يتولى الملك في سوريا لفترة محدودة خلعه الفرنسيون في نهايتها ليعين فيها بعد ملكا على العراق الذي كان موجودا في مدينة العقبة الى الهاشمي في دمشق . وكان سبب اختيار ياسين الهاشمي لهذه المهمة كونه زعيما عربيا بارزا في ذلك الوقت . فقد كان احد مؤسسي وزعماء « للعهد » . و «العهد » كان ابرز التنظيمات القومية للعرب في أواخر عهد الدولة العثمانية وكان يضم عددا كبيرا من الضباط العرب العاملين في الجيش العثماني . وكان ياسين الهاشمي وشقيقه طه أبرز هؤلاء . وطه هو الذي كتب برنامج « العهد » .

المؤامرات البريطانية

ولهذا فحين دخلت القوات البريطانية سوريا القت القبض على ياسين الهاشمي ونفته إلي القاهرة حيث ظل فيها حتى عام ١٩٢٢ ففي ذلك العام وافق الملك فيصل الاول على عودته الى بغداد بعد ان كتب له مسترحما .

ويكشف موقف الهاشمي من الثورة العربية الكبرى عن أول خيوط الخلاف بين الرموز القومية العربية الاولى التي عملت من اجل التخلص من الحكم ال عثماني . وكان موضوع هذا الخلاف هو العلاقة مع الانجليز . وهي علاقة كان مرفوضة من قبل الكثير من الضباط العراقيين في الجيش العثماني كان من بينهم والدي محيي الدين السهروردي ، محمود سامي ، سامي النقشلي ، جميل قفطان ، محمود رامز ، شاكر القرغولي ، سليمان فتاح ، حسين علوان شاكر محمود (من بغداد) وشاكر محمود (من المسيب) .

ونستطيع أن نعتبر تفجر الخلاف بين الحركة القومية في العراق بزعامة رشيد عالي الكيلاني والانجليز وعملائهم وفي مقدمتهم نوري السعيد في عام ١٩٤١ امتدادا لتلك البذرة التي

زرعت الخلاف لأول مرة عشية اندلاع الثورة العربية الكبرى . فالكيلاني الذي ادخله الهاشمي في وزارته الأولى قبل أن يتم العقد الثالث من عمره يمكن أن نعتبره امتدادا سياسيا لمواقف ورؤية الهاشمي القومية الرافضة للتحالف مع الانجليز بأي شكل من الأشكال .

وقد اثبتت الايام ان عدم الثقة بالانجليز كان في محله . ففور انتهاء الحرب العالمية الاولى كشف الانجليز القناع عن وجوههم . فقد تنكروا لكل تعهداتهم للحسين بن علي والتزموا فقط بمعاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور الذي ادخلوه في صلب صك الانتداب على فلسطين الذي مرروه عبر عصبة الأمم . لقد نص صك الانتداب على فلسطين بتكليف بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور .

لهذا فسرعان ما قامت الثورات في مصر وفلسطين والعراق وسوريا خاصة في سنتي ١٩١٩ ، ١٩٢٠ . وحين شكل الهاشمي حكومته الاولى في عام ١٩٢٤ كان الصراع بين العرب وبريطانيا مازال محتدا وخاصة في فلسطين . وكان طبيعيا ان تنعكس هذه الاجواء على سياسة حكومة الهاشمي عن استمرار موقفه السابق من الانجليز بالتأكيد على عروبة شط العرب والمناطق المحيطة به حيث كان الموقف البريطاني متعاطفا بل منحازا الى جانب ايران في قضية ضم اقليم الاحواز فيما بعد .*

وضمن اطار تأكيد سلامة واستمرارية موقفه السابق قام الهاشمي بتفقد عبدان والمحمرة تحت مبدأ الحفاظ على الوضع القانوني لهذه الاراضي كما كان في العهد العثماني حيث كانت تتبع ولاية البصرة .

علاقات تاريخية

وعموما فان الهاشمي لم يزر الكويت في تلك الجولة كما انه لم يطالب بها لا هو ولا الملك فيصل الاول ، في حين كانت الميزانية العراقية في ذلك الوقت تتضمن بندا خاصا لمساعدة الكويت باعتبار ان الكويت كانت بلدا ناميا قبل اكتشاف النفط وانتاجه ، وبحكم علاقات

(*) فان عملية الغدر التي قام بها شاه ايران بقتل الشيخ خزعل كان بالاتفاق مع الانجليز . . وقص علينا السيد توفيق بن السيد طالب باشا النقيب كيف غدر الشاه بالشيخ خزعل حين دعاه لزيارته في طهران وقد حذر السيد طالب الشيخ خزعل من غدر الشاه . . فتم له ما أراد ، الأمر الذي سهل عملية الاجتياح الايراني للاقليم .

القربى التي كانت تربط العراقيين بالكويتيين منذ القدم . بل لقد كان هناك تداخل بين العراقيين والكويتيين . وكمثال فان السيد طالب النقيب الذي كان احد ثلاثة مرشحين لتولى عرش العراق الى جانب الملك فيصل وعبد الرحمن الكيلاني قد ولد في الكويت وعاش فيها لفترة قبل ان يعود الى البصرة ويصبح نقيبا لاشرافها . وكانت توجد له املاك في الكويت ورثها ابناؤه من بعده وبعضهم حاصل على الجنسية الكويتية ومقيم في الكويت حتى الآن . وبعد عودته الى البصرة ظل السيد طالب النقيب على اتصال مع اهل الكويت وشيوخها ، وكان يوفر لهم الحماية من العثمانيين اذا احتاجوا اليها . واستمر الحال كذلك حين تولي وزارة الداخلية في حكومة السيد عبد الرحمن الكيلاني سنة ١٩٢٠ .

في مرحلة لاحقة وكرد فعل على معاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور وسياسات الانتداب البريطاني في فلسطين طرح الملك فيصل الاول مشروع الهلال الخصيب لتوحيد الدول العربية الآسيوية . وكان المشروع يشمل الكويت بطبيعة الحال . وتم طرح المشروع في عهد حكومة رشيد عالي الكيلاني الاولى التي تشكلت في ١٩٣٣/٣/٢٠ واستقالت في ١٩٣٣/٩/٩ اثر وفاة الملك فيصل الاول وتولى الملك غازي الحكم ، وجرت في حينها بعض الاتصالات مع الدول العربية المعنية بالمشروع . وحين شكل ياسين الهاشمي حكومته الثانية (١٩٣٥/٣/١٧ - ١٩٤٦/١٠/٢٩) وهي من أقوى الوزارات في العهد الملكي حيث ضمت في عضويتها الكيلاني وزيرا للداخلية ونوري السعيد وزيرا للخارجية وجعفر العسكري وزيرا للدفاع وثلاثتهم رؤساء وزارات سابقون . . حين شكلت هذه الحكومة تجدد طرح المشروع . وتجددت الاتصالات مع الدول العربية المعنية . وقد اضطرت بريطانيا التي لقنت درسا بليغا اثناء ثورة العشرين في العراق ودول المنطقة الأخرى الى الموافقة على المشروع غير انها عملت سرا على تخريبه وافشاله ومن يدري . . هل كانت هذه الدعوة احد اسباب مقتل الملك فيصل الاول ؟ لست ادري !؟ . وبالفعل فقد فشل هذا المشروع نتيجة العوامل الآتية :

١ - أهداف الانتداب البريطاني في فلسطين .

٢ - مؤامرات الصهيونية العالمية حيث كان تحقيق هذا المشروع يعني تفويت الفرصة التي كانت تراها لاغتصاب فلسطين .

٣ - الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان .

٤ ـ معارضة الاقليات العرقية غير العربية والطائفية غير السنية .

الملك غازي . . وقضية الكويت

ويتضح مما سبق انه لم تكن هناك مطالبة عراقية بضم الكويت للعراق بل كان هنالك مشروع لتوحيد دول المنطقة . وكان هذا المشروع يشمل الكويت . ولئن كان الكيلاني والهاشمي هما أول من طرحا فكرة الهلال الخصيب فان الملك غازي الذي كان اكثر اندفاعا في معاداة الانجليز ، كان ايضا اكثر حماسا في تأييد المشروع . وكما لم تكن هنالك مطالبة حكومية عراقية بضم الكويت في ذلك الوقت فان ايا من الاحزاب القومية في العراق لم يطالب بذلك او ينص عليه في برامجه واهدافه . غير ان تحولا قد حدث في موقف الملك غازي في الفترة التي شهدت ارهاصات حركة المجلس في الكويت سنة ١٩٣٨ .

ويعود العامل الاساسي في حدوث هذا التحول الى كراهية الملك غازي الشديدة للانجليز وتصدي هؤلاء لتجربة المجلس التشريعي في الكويت ودورهم في انهاء هذه التجربة الديمقراطية . ونتيجة لسيطرة الانجليز في منطقة الخليج من خلال معاهدات الحماية التي فرضوها على شيوخ المنطقة فقد طالب الملك غازي بالاراضي التي كانت تتبع ولاية البصرة في عهد الدولة العثمانية وكانت تشمل الكويت الى جانب قطر والبحرين ومنطقة الحسا السعودية ايضا . وعموما فان دعوة ومطالبة الملك غازي كانت احد اشكال استمرارية الطرح الوحدوي للمشكلات التي كان يعاني منها العرب في ذلك الوقت . وأبرز هذه المشكلات وأخطرها من وجهة نظره كان هو الاستعمار البريطاني .

في ذلك الوقت المبكر الذي لم تكن قد تشكلت فيه الدول او الحكومات في صيغتها الراهنة ، ولم يكن قد تكون الشعور بالانتماء لهذه الدول كما هو في وضعه الراهن . وكان الهدف الوحدوي هو الذي يحظى بولاء العرب وانتمائهم ويلهب حماسهم في شتى اقطارهم . . كانت الحركة التي ادت الى قيام حركة المجلس في الكويت حركة اصلاحية متفاعلة مع محيطها القومي . . بل لقد كان الوجه الاصلاحى لهذه الحركة هو الوجه الآخر للحركة القومية في الكويت . ويرى السيد جاسم حمد الصقر رئيس لجنة الشئون الخارجية في الفصل التشريعي الرابع والخامس لمجلس الامة الكويتي وهو نجل حمد الصقر رئيس اول مجلس برلماني في الكويت ١٩٢١ وشقيق عبد الله حمد الصقر احد العناصر الديناميكية في

المجلس التشريعي سنة ١٩٣٨ . . ان هناك ثلاثة روافد رئيسة ادت الى نشوء الحركة التي تمخضت عن قيام المجلس التشريعي عام ١٩٣٨ . هذه الروافد هي :

الرافد الاول : يتمثل في افاضل العلماء من المصلحين الذين قدموا الى الكويت واقاموا فيها لفترات طويلة او قصيرة في الفترة ما بين ١٩١٠ ـ ١٩٢٧ . ومن هؤلاء الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، الشيخ محمد رشيد رضا ، والشيخ محمد امين الشنقيطي .

وفي مرحلة الثلاثينات زار الكويت عدد من رجال الفكر القومي والثقافي واثارت ندواتهم وثقافتهم جدلا واسعا وتفاعلا كبيرا في اوساط الكويتيين . ومن هؤلاء كاظم الصلح (لبنان) ، اكرم زعيتر (فلسطين) ، ناجى معروف (العراق) ، وفخري البارودي (سوريا) .

الرافد الثاني : اشاعت الجمعيات والاحزاب العربية التي شكلت في اواخر عهد الدولة العثمانية اجواء ليبرالية في المنطقة حيث انها تأثرت بشعارات الثورة الفرنسية . . الحرية والاخاء والمساواة ، ورفعت هذه الشعارات في مواجهة النزعة التركية التي تغلبت على جماعة الاتحاد والترقي بعد ان اسقطوا السلطان عبد الحميد وتولوا الحكم في الدولة العثمانية اعتبارا من عام ١٩٠٨ . وبلورت هذه الجمعيات والاحزاب مناخا برلمانيا في الجزء الشمالي من الوطن العربي كان طبيعيا ان ينتقل الى الكويت بحكم موقعها الجغرافي في الزاوية الشمالية الغربية للخليج العربية .

الرافد الثالث : بحكم الموقع الجغرافي للكويت ووصول الصحف العربية اليها مثل « الاهرام » ، « كوكب الشرق » ، « المقطم » وكذلك الصحف التي كانت تصدر في العراق وسوريا وفلسطين ، كان النشاط الفكري والقومي الذي يدور في بعض العواصم العربية يلقى صدى لدى بعض المفكرين من اهل الكويت الذين انتمى بعضهم الى نادي المثنى في بغداد او النادي العربي في دمشق . وكان هذان الناديان في ذلك الوقت بؤرتين للفكر القومي العربي في المنطقة وكانا ينسقان نشاطاتهما خاصة فيما يتعلق بتنظيم الرحلات لانحاء الوطن العربي .

رجال الكويت تطوعوا إلى جانب العراق في حربه ضد الانجليز وشغلوا وظائف ادارية وفنية مهمة في فترة الحرب

مواقف رجال ... القومية

ومن بين الكويتيين الذين انتموا وانتصروا الى نادي المثنى او النادي العربي عبد الله محمد الصقر ومحمد البراك وعبد اللطيف ثنيان . وبحكم الجغرافيا فان علاقة الكويتيين كانت اقوى مع نادي المثنى . وقد تأسس نادي المثنى في العام ١٩٣٣ وكان اول رئيس له هو الدكتور صائب شوكت وكان هذا النادي يطرح في ذلك الوقت فكرا قوميا متحررا ممتزجا بابعاد اجتماعية وفلسفية كان يطرح فكرا قوميا يدعو الى وحدة العراق مع الوطن العربي ويتغنى بامجاد العرب على طريقة بلاد العرب اوطاني . .

وكان لابد لهذا الفكر القومي الذي انتشر في الكويت وتفاعل مع طموحات ابناء الكويت وآمالهم ودغدغ مشاعرهم القومية في الصميم ان ينعكس على السلوك القومي لهم . وهذا ما حدث فعلا وهذه بعض النماذج .

● كانت بعض العائلات الكويتية المقتدرة (التي تعمل بالتجارة) تتبرع بالاموال لحزب الاستقلال الذي كان يحمل الراية القومية في العراق في ذلك الوقت . وكان يتزعم الحزب محمد مهدي كبة ، سلمان الصفواني ، صديق شنشل وفائق السامرائى .

● وكان بهجت العطية مدير التحقيقات الجنائية في بغداد يكاد يجن لأنه لم يكن يعرف من اين كانت تأتى الاموال من الجنوب الى حزب الاستقلال . ولم يعرف ابدا انها كانت تأتى من عائلة الصقر الكويتية .

● في عام ١٩٣٤ ونتيجة لمطالبة الكويتيين منذ عام ١٩٣٠ تم اختيار اول مجلس بلدي في تاريخ الكويت . وكان مجلسا منتخبا . وفي ظل غياب مجلس تشريعي فقد اخذ المجلس البلدي (ضم في عضويته عناصر قومية معروفة مثل المرحومين سليمان العدساني والسيد على السيد سليمان ومشعان الخضير) على عاتقه تبعات تفوق بكثير المهمات التقليدية المعروفة التي تقوم بها المجالس البلدية في محاولة منه لسد الفراغ البرلماني .

● اما التفاعل القومي مع العراق فقد كانت جذوره اعمق بحكم ثلاثة عوامل اساسية هي الجغرافيا والعلاقات الاسرية والعشائرية مع العراقيين ، ووجود طلاب كويتيين في مدارس البصرة وبغداد ، وكذلك وجود مكاتب تجارية لبعض الاسر الكويتية في العراق كما كان الحال بالنسبة لعائلة الصقر التي كان لها مكتب في البصرة وآخر في بغداد كان يشرف عليهما عبد الله حمد الصقر وذلك بالاضافة الى بساتين نخيل في البصرة شأنها في ذلك شأن عائلات كويتية أخرى .

أول جمعية سرية

في منتصف عام ١٩٣٧ شكلت جمعية سرية في الكويت من اثنى عشر شخصا كان هدفها العمل على تقوية الروح القومية في النفوس وتوجيه دفة الحركة الوطنية وتطوع بعض اعضاء هذه الجمعية للكتابة باسماء مستعارة في الصحف العراقية مما اثار القلق في نفوس موظفى بريطانيا في الخليج العربي خاصة بعد ان بدأت هذه الجمعية في اصدار المنشورات السرية التي كانت تطبع على مطابع جريدة « الناس » او « السجل » في البصرة ولم تكن اسرة الصقر تبخل بالاموال تتبرع بها للصحف القومية في العراق من اجل مساعدتها على الاستمرار في الصدور .

والعراق في ذلك الوقت الذي كان قد شارك باقتدار عال في الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين بن على سواء بالمقاتلين او خيرة الضباط الذين قادوا الثورة ، والذي حارب بريطانيا بضراوة في ثورة ١٩٢٠ ، ورفع شعارات الوحدة وتزعم الطرح القومي العربي في المنطقة ، وخرج منه المفكر القومي الكبير ساطع الحصري ، وتأسس فيه نادى المثنى القومي ، ورفد ثورات فلسطين بالرجال والسلاح والمال ، واحتضن قادة الثورات العربية والفلسطينية بعد ان اضطروا الى مغادرة فلسطين عقب انتهاء ثورة ١٩٣٦ ، والذي تصدى لرفع مشروع الهلال الخصيب في مواجهة نتائج معاهدة سايكس بيكو . . هذا العراق كان ينظر اليه في كافة ارجاء الوطن العربي باعتباره « بروسيا العرب » الذي سيقوم بالدور الذي قامت به بروسيا الجرمانية في توحيد المانيا فيقوم بتوحيد كل العرب بقيادته .

في ظل كل هذه الظروف كان طبيعيا ان تتفاعل الحركة القومية في الكويت مع مدن العراق كما كان شأن الحركة القومية في كل ارجاء الوطن العربي . وهو التفاعل الذي يرى بعض

الرموز القوميين في الكويت انه لم يفهم بدقة من قبل الملك غازي حين سارع الى المطالبة بضم الكويت واقطار خليجية اخرى الى العراق مما ولد حساسية في العلاقات السياسية بين العراق والاقطار الخليجية في مطلع عهدها بالاستقلال في ما بعد ، واستمرت هذه الحساسية لفترة من الوقت قبل ان تزول .

غير انه اذا كانت ظروف النضال القومي المشترك والمتفاعل بين ابناء الموصل وبغداد والبصرة والكويت في مواجهة بريطانيا وسياستها في المنطقة هي التي جعلت الملك غازي يقدم على تلك المطالبة ، فان هذه الظروف لم تكن متوافرة حين طالب عبد الكريم قاسم بضم الكويت في العام ١٩٦١ !؟

الاعتراف باستقلال الكويت

ولعلها مفارقة ذات مغزى كبير ان يطالب قاسم الشعوبي بالكويت وهو الذي رفض وقاوم انضمام العراق للجمهورية العربية المتحدة بعد ثورة تموز ١٩٥٨ ونكل بكل ما طالته يداه من القوميين في العراق . وان يبادر نظام الحكم الجديد في العراق بقيادة حزب البعث . . الحزب صاحب التوجهات والفكر القومي الوحدوي الى الاعتراف باستقلال الكويت والبدء في اجراء محادثات للوحدة الثلاثية مع مصر وسوريا . . هى التي انتهت الى اصدار بيان ١٧ ـ نيسان ـ ابريل ١٩٦٣ الوحدوى بين الاقطار الثلاثة .

ولأن دعوة قاسم جاءت خارج ، بل على النقيض من السياق التاريخي الذى جاءت به مطالبة الملك غازي ، فان مشاعر الكويتيين الذين فرحوا لمقتل قاسم وهللوا لسقوط نظامه ، حزنوا اشد الحزن حين اغتال الانجليز الملك غازي سنة ١٩٣٩ . ولم تحل مطالبة الملك غازي بالكويت دون استمرار التفاعل القومي بين الكويتيين والعراقيين وخاصة اثناء ثورة رشيد عالي الكيلاني والحرب العراقية البريطانية سنة ١٩٤١ .

قبل ان تبدأ المواجهة بين الحركة القومية في العراق بزعامة الكيلاني والعقداء الاربعة من جهة والوصى على العرش ـ عبد الاله ـ والانجليز من الجهة الأخرى ، كانت عواطف الكويتيين وكل العرب في ذروة التعاطف مع الحركة القومية في العراق . واذا كان الكويتيون داخل الكويت شأنهم شأن الشعوب العربية الاخرى التي كانت خاضعة للاستعمار البريطاني او الفرنسى تحت اسم انتداب او حماية لم يتمكنوا من مساندة العراق ، فان الكويتيين الذين

كانوا في العراق شاركوا في المواجهة الى جانب الحركة القومية في العراق شأنهم شأن العرب الآخرين . وكان الكويتيون في العراق ملتصقين بالحركة القومية في العراق من خلال بعض رموزهم البارزة مثل عبد الله حمد الصقر العضو في نادي المثنى في بغداد والنادي العربي في دمشق ، والعنصر الديناميكي في حركة المجلس في الكويت سنة ١٩٣٨ .

ولهذا ففور أن بدأت المواجهة مع بريطانيا ، تطوع أغلب الكويتيين الذين كانوا في العراق . . تطوعوا للمشاركة في الثورة والمواجهة ومن هؤلاء الصديق جاسم حمد الصقر (شقيق عبد الله الذي كان يدرس الحقوق في بغداد وكان أول خريج جامعي كويتي سنة ١٩٤٣) وخالد عبد اللطيف المسلم وعبد العزيز سليمان الدوسري وصالح عبد الملك الصالح . وكانوا طلابا في دار المعلمين الريفية وغيرهم من الفتيان بمدارس البصرة وبغداد ! .

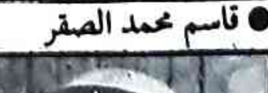
وأود أن أشير هنا الى ان بعض المتطوعين الكويتيين اسندت لهم وظائف ادارية وفنية مهمة في فترة الحرب نظرا للحاجة التي برزت الى شغل بعض الوظائف التي كان يشغلها انجليز او يهود كما حدث في ادارة البريد والهاتف التي كان اغلب العاملين فيها من اليهود الذين توقفوا عن العمل .

● علي جودت الايوبي ● الملك فيصل الأول ● الملك حسين بن علي





● قاسم محمد الصقر ● عبد الله محمد الصقر





اللجوء الى دمشق

■ حكايات صلاح نصر وشعراوي جمعة وعبد الحميد السراج

لم يكن اتخاذ قرار مغادرتي العراق بالأمر السهل ، ولكنه كان القرار الذي لابد منه بعد أن قرر عبد الكريم قاسم احالتي مجددا إلى محكمة المهداوي ، وهو القرار الذي إتخذه بعد أن إستأنف حملته على العناصر القومية في أعقاب فشله في محاولة كسب تأييد القوى القومية المنظمة كما اشرنا وانتهت بتنفيذ حكم الاعدام في الشهيدين الزعيم ناظم الطبقجلي والعقيد رفعت الحاج سري ورفاقهما يوم ٢٠ ايلول ـ سبتمبر ١٩٥٩ .

وقد أبلغني الصديق يحيى ثنيان يوم ٢٥ سبتمبر أن قاسم قد أحال قضيتنا إلى محكمة المهداوي وهو في حالة هياج حيث كان يهدد ويتوعد ويشتم أيضا ، وقد عرف يحيى بهذه المعلومات من الرائد طه الدوري والذي أبلغه بها بدوره المقدم خليل ابراهيم العلي . والمقدم خليل كما أشرنا سابقا هو صديق شخصي لقاسم وكان يستقبله مساء كل يوم في حين أنه كان مشاركاً معنا في الخطة الانقلابية التي لم تكشف ، ورغم أن خليل عدل عن معارضته الخفية لقاسم بعد اعتقالنا وأصبح يبالغ في اظهار تأييده له ، إلا أنه كان يخشى أن نعترف عليه إذا أعيد التحقيق معنا . ولذلك فقد كانت مصلحته تكمن في هربنا من العراق ، ولهذا فقد سرب الينا خبر إحالتنا إلى المحكمة مجدداً في الوقت المناسب . . غير أن يحيى ثنيان رفض أن يغادر العراق معي وفضل الانتظار لبعض الوقت لأنه كان مشاركا في خطة جديدة لاغتيال قاسم وفق ما أبلغني به بتحفظ الصديق مصطفى الزيني في حينه . غير أن هذه المحاولة لم تتم .

وإلى جانب ذلك فإن اللواء نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة الذي التقت به زوجتي أم نيرمان يوم ٢٩ أغسطس لمناقشة موقف والدها رشيد عالي في السجن اخبرها أن لا خوف من احتمال اعدامه . لكنه أخبرها أيضا أن عبد الكريم قاسم وبعض وزراء حكومته يرفضون الموافقة على سفري كما يرفضون توظيفي أيضا .

ولهذا وبعد أن أخبرني يحيى بقرار قاسم احالتي الى المحكمة اختفيت في دار المرحومة أختي زهرة في الكرادة حتى مساء يوم ٢٩ سبتمبر حيث حانت ساعة الصفر للرحيل . وقبل أن انطلق إلى محطة القطار لاتجه إلى الموصل ومنها إلى الاقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة ودعت ابنائى الصغار ولم اتمكن حتى توديع أشقائى ووالدي ـ وهكذا ، إنطلقت إلى محطة القطار حيث كان ينتظرني رفيق رحلة الهرب الصديق نعيم العزاوي الذي كان قد حجز له ولي مقعدين في الدرجة الثانية في القطار المتجه الى الموصل .

في الموصل توجهنا فور وصولنا صباح اليوم التالي إلى فندق الخيام . وبعد استراحة قصيرة أبلغنا صاحب الفندق بكلمة السر وكانت « أبو عدنان » والمعنى هو أبو الشاعر القومي المعروف المرحوم عدنان الراوي الذى كان قد سبقنا إلى سوريا قبل أيام عبر ذات الطريق . وفهم صاحب الفندق كلمة السر وقال لنا أن الرجل غير موجود في الوقت الحالي وسيصل اليوم أو غدا .

ذو النون

الرجل المعني هو ذو النون حسن الشيال . وهو جبوري سبق له أن خدم في سلك الشرطة كما عمل في التهريب عبر الحدود العراقية ـ السورية . ولهذا فقد أبعدته السلطات من الموصل الى الكويت . وبعد ثورة الشواف عاد ذو النون إلى الموصل وأخذ يقوم بعمل قومي عن قناعة كاملة ، وهو تهريب القوميين الأحرار إلى الجمهورية العربية المتحدة التي كان ينظر لها بإعتبارها قاعدة النضال القومي في الوطن العربي . كما كان ينقل حاجيات الهاربين ويلحق بهم عائلتهم أيضا إن أرادوا . وهو كان يفعل كل هذا عن قناعة وبإعتباره ضربا من ضروب النضال دون أن يطلب أجرا لقاء أتعابه ومجازفاته . وقد علمت أن أمثال ذو النون كانوا كثيرين .

لم يتأخر ذو النون في العودة من مهمته السابقة إلى تل كوجك ، وهي أقرب بلدة سورية إلى

الحدود العراقية . وفور عودته بدأ الإستعداد لرحلته الجديدة التي سيرافقنا فيها . وقد تعمد أن يصطحب معنا إثنين من أبناء الشيخ فنر ، وهو من شيوخ قبائل شمر الذي كان قد هرب إلى الأردن ، والهدف من اصطحابهما هو تضليل رجال الأمن ولو تصادفنا معهم أثناء رحلة الهرب . والشيخ فنر كان يملك دار تقع في منطقة خالية على الحدود العراقية ـ السورية تماما وتبعد عن تل كوجك قرابة الخمسة كيلو مترات فقط وهذه الدار هي المحطة الرئيسية في طريقنا التي يجب أن نمر بها ونرتاح فيها ، وكانت مضاءة بالكهرباء حتى نميزها وسط ظلام الليل .

ولم يكن الطريق آمنا حيث كان يخضع لمراقبة دوريات الشرطة باستمرار لأن السلطات كانت تعرف طبيعة الأشخاص الذين يتسللون عبره ، وقد كدنا أن نقع في يد دورية عراقية في الدقائق الأخيرة لولا رعاية الله وظلمة الليل التي أنقذتنا رغم الأضواء الكاشفة التي سلطت علينا ولاحقتنا دون جدوى . وبفضل الله وصلنا سالمين إلى تل كوجك ليلة الثاني من اكتوبر ١٩٥٩ . وكان أول من رأيناهم هناك من اللاجئين العراقيين الأخوة هزاع التكريتي وسالم حمدان والمحامي تحسين وهم من الشباب القومي في العراق . وكانت تل كوجك في تلك الأيام تعج بالشباب القومي الهارب من العراق أو الذي ينتظر هاربين جددا أو الذي يستخدم هذه البلدة السورية كقاعدة ارتكاز للاتصال مع المناضلين داخل العراق .

توق للنضال

ومن جهتي فقد كنت أنا الآخر تواقا لأن أواصل دوري في النضال والكفاح من أجل اسقاط نظام قاسم . كما كنت تواقاً أيضا لاستجلاء الكثير من النقاط الغامضة في المؤامرة الشيوعية التي دبرت ضد السيد رشيد عالي الكيلاني وتورطت فيها أجهزة الجمهورية العربية المتحدة ، وكنت أعتقد أنني مهيىء أكثر من غيري لتحقيق هاتين المهمتين بحكم علاقاتي السابقة مع المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة ، فقد كنت على علاقة شخصية مباشرة مع صلاح نصر مدير المخابرات ووكيله شعراوي جمعة وكذلك عبد المجيد فريد المسؤول عن مكتب الشؤون العربية في رئاسة الجمهورية والملحق العسكري السابق في العراق ، وكنت قد تعرفت على صلاح نصر وشعراوي جمعة لأول مرة في شهر يونيو ١٩٥٨ وذلك في منزل السيد رشيد عالي الكيلاني في القاهرة وقد زاره خصيصا من أجل التعرف علي باعتباري كنت

حلقة الاتصال بين حكومة الجمهورية العربية والضباط الأحرار في العراق . كما تعرفت في تلك الزيارة أيضا على أحمد الكفافي وهو من ضباط المخابرات المصرية في ذلك الوقت وكان على صلة وثيقة مع الكيلاني . وبعد قيام الثورة في العراق جاء إلى بغداد صلاح نصر وشعراوي جمعة حيث إتصلا بي وعقدنا ثلاثة إجتماعات ناقشنا خلالها الوضع بعد قيام الثورة وتوجهات النظام الجديد الحقيقية ، واتفقنا على استمرار الاتصال من خلال العقيد عبد المجيد فريد الملحق العسكري في سفارة المتحدة ببغداد . كما اتفقنا على ان نستمر في العمل من أجل إنضمام العراق لدولة الوحدة واقسمنا على ذلك .

كانت الصورة المرسومة في ذهني لمهمتي النضالية في الجمهورية العربية المتحدة وردية ومفرطة في التفاؤل . ولهذا فقد كانت الصدمة التي تلقيتها منذ اليوم الأول لوصولي كبيرة ومفاجئة .

لدى وصولي إلى تل كوجك احلت الى الرائد تيسير علوش قائد قطاع تل كوجك الذي زودني بالكتاب التالي نصه ويحمل تاريخ ٢ / ١٠ / ١٩٥٩ .

أمر مهمة

« على نجم الدين السهروردي ونعيم العزاوي الذهاب الى القامشلي لمقابلة مدير المباحث العامة » وفي المساء كنت أجلس أنا والأخ نعيم مع المقدم حكمت مدير المباحث العامة في مدينة القامشلي حيث طلب منا أن نعبي نماذج تتضمن معلومات شخصية تفصيلية عن كل واحد منا . وبالطبع فقد كانت المعلومات المطلوبة مخابراتيه . . وبعد أن عبانا النموذجين افهمنا انه يجب ان نظل في القامشلي بانتظار ورود إشارة من دمشق .

يوم ٤ اكتوبر زودنا بهويات شخصية وطلب منا الذهاب الى دمشق جوا عبر مطار حلب ، وفي المساء التقيت العقيد طلعت صدقي (سوري) وكان مسؤولا في مكتب الشؤون العربية كما سبق له أن عمل معاونا للملحق العسكري في سفارة المتحدة في بغداد مع العقيد عبد المجيد فريد . وتعرفت في مكتبه أيضا على محمد السيد الغضبان الذي كان واحدا من المسؤولين في المكتب رقم ١١ في المخابرات وهو المكتب المختص بشؤون اللاجئين السياسيين العرب ، وأفهمني طلعت صدقي في نهاية القاء أنه سيبرق الى القاهرة للابلاغ عن وصولي إلى دمشق .

وفي الثامن من اكتوبر . . في اليوم التالي مباشرة لمحاولة الاغتيال التي تعرض لها عبد الكريم قاسم في بغداد ، جاءتنى المفاجأة . فقد أبلغني محمد الغضبان أنه بناء على برقية وردت من رئاسة الجمهورية في القاهرة على أن أغادر أراضي الجمهورية العربية المتحدة لأن وجودي فيها من شأنه أن يعرض حياة السيد رشيد عالي الكيلاني في سجنه بالعراق للخطر .

وقال لي أن هذه التعليمات تصدر عادة من مكتب الرئيس وبالتالي فإن الأمر غير قابل للنقاش بل للتنفيذ فقط وكان الأمر قد وصل قبل محاولة إغتيال قاسم وأن بلغت به في اليوم التالي لحدوث المحاولة .

إقترحت على الغضبان أن أتوارى عن الأنظار في إحدى المدن المصرية البعيدة عن العاصمة مثل بورسعيد أو أسوان . ولكنه كان قد اختير لي أن أقيم في بيروت . ورفضت نكرة السفر إلى ألمانيا . وحاولت ثانية مع العقيد طلعت صدقي صباح ١٣ / ١٠ فوعد بالكتابة إلى القاهرة ولكن ردا غير هذا لم يأت .

أمر غريب

كانت المعاملة التي قوبلت بها غريبة وغير متوقعة . ولهذا طلبت مقابلة برهان أدهم مدير المكتب ١١ في المخابرات ، لكنه رفض مقابلتي ، فبعثت برسالة إلى شعراوي جمعة في القاهرة أبلغه بوصولي لدمشق ، لكنه لم يرد على الرسالة التي بعثتها له بواسطة المكتب رقم ١١ إياه وذلك في تاريخ ١٩٥٩/١٠/٢٤ .

. . ومع الأيام القليلة الأولى التي قضيتها بدمشق لاحظت أن أحدا ممن عملت معهم لم يحاول الاتصال بي رغم محاولاتي المشار لها وبخاصة الأخ شعراوي جمعة . .

والغريب في الأمر . . أن الحجة التي آملت على « حرص » رئاسة الجمهورية على حياة الكيلاني المحكوم عليه بالاعدام وهو نزيل سجون عبد الكريم قاسم ، كما ظهر بنص البرقية والتي تطلب فيها مني مغادرة أراضي الجمهورية العربية المتحدة حفاظا على حياة الرجل من تنفيذ قاسم الحكم فيه ، تلاشت وانتفت بعد محاولة اغتياله التي جرت في قلب بغداد وفي وضح النهار . . وليس هذا فقط . . وإنما الذي حيرني أكثر من ذلك هو طلب المكتب رقم (١١) مني مهاجمة عبد الكريم قاسم ونظامه عبر الاذاعة بدمشق وصوت العرب ؟!

فاعتذرت لهذا المطلب . . الذي يتناقض وروح البرقية التي تحرص على حياة الرجل « بمجرد وجودي على أراضيها » فما أحرانا وأنا أشتم عبد الكريم قاسم ؟!

من هذا فقط بدأت التحفظ في الكلام . . والسلوك . . واللقاء مع « رجال الوحدة العربية . . والشهامة والنخوة » ولكن دون إثارة ما ترسب وتراكم من رماد اختلطت عناصر المحروقات فيه بسبب الحطب الذي إختزنه « الحطابون » ممن ظهرت مشاربهم فيما بعد . . بكل أسف شديد !؟

غير أن هذا لا يعني أني تحولت إلى اتخاذ موقف سلبي . . فقد حاولت مواصلة العمل مع إخواني الشباب القومي بغض النظر عن انتماءاتهم واتجاهاتهم السياسة ، وقد جمعتنا المبادىء والقيم القومية والوطنية ونحن نعيش (بالمنفى) لاجئين لا مواطنين . . وخاصة بعد أن وصل الى دمشق لاجئا أيضا العقيد مدحت الحاج سري في ٢٢ / ١٠ / ١٩٥٩ ، وهو شقيق الشهيد رفعت . وبعد فترة وصوله أقمت وإياه في منزل واحد استأجرناه في منطقة المزرعة . . وفي وقت لاحق أقام معنا في ذات المنزل الأخ فيصل حبيب الخيزران عضو القيادة القطرية لحزب البعث في العراق ، بعد أن وصل دمشق لاجئا هو الآخر مع رفاق له . .

وللحقيقة والتاريخ . . بعد أن لمست سلوك الاخوان بالجمهورية العربية المتحدة ، وأعني المسؤولين عن المكاتب المتعددة . . والتشكيلات المزدوجة والمتداخلة والمتضاربة بين مكتب الشؤون العربية وأجهزة المخابرات في مصر ودمشق والمكتب رقم ١١ الى الأمن . . الى غير ذلك من التصرفات الضيقة التي برزت في تضنيف اللاجئين ـ عسكري ـ مدني ـ حزبي ـ طائفي ـ اقليمي . . هذا أردني ـ وذاك عراقي الى غير ذلك دعوت الى ان نفكر ، نحن أبناء المصيبة التي ابتلينا بها فى العراق الى ايجاد تنظيم يجمعنا من أجل تنسيق الجهود والنشاطات والعمل الموجه لانقاذ ما يمكن إنقاذه ونحن خارج العراق . . فعقدت اجتماعات مع الضباط الذين تمكنوا من الخلاص واثر فشل ثورة الشواف بالموصل وكذلك الأخوة القوميين من المدنيين والشباب ، فتوصلت إلى إيجاد صيغة نقضي بانشاء ناد للعراقيين .

ولكن المكتب رقم ١١ رفض هذه الفكرة وقيل يومها أن عناصر من اللاجئين العراقيين مرتبطة بالتجمع القومى الذي اقيم فى القاهرة برئاسة فائق السامراني كانت وراء هذا

الرفض . والتجمع القومي كان ذا تأثير سيء للغاية في أوساط اللاجئين العراقيين بسبب شخصية سكرتيره العام فائق السامرائي الذي لم يكن موضع إجماع كافة التيارات القومية رغم أنه كان موضع ثقة عبد الناصر شخصياً ، ورغم أن عبد الناصر كان صاحب فكرة تأسيس التجمع .

واقترحنا في وقت آخر بمبادرة من فيصل حبيب الخيزران تشكيل لجنة تشرف على شؤون العراقيين ورفضت هذه الفكرة أيضا . وعندها إقترح الخيزران ان نوافق على تشكيل تجمع قومي للعراقيين في الاقليم الشمالي (سوريا) على ان يكون منفصلا عن التجمع الذي يتزعمه فائق السامرائي في الإقليم الجنوبي (مصر) واقترح أن أكون أنا مديرا لمكتب التجمع ومدحت الحاج سري سكرتيرا له ، ورفض فكرة أن تكون للعقيد نعمان ماهر اية مسؤولية في هذا التجمع حتى لو اقتصرت على الدائرة العسكرية فقط وكان نعمان ماهر قد اخبرنا ان مكتبا مماثلا لمكتب التجمع القومي العراقي في القاهرة سيفتح فى دمشق وسيكون هو سكرتيرا له ومدحت الحاج سري مديرا للمكتب وأنا مديرا لمكتب شؤون الطلبة وفالح المجول مديرا للدعاية ويحيى للعمال والرائد محمود عزيز للادارة والمقدم كنعان للشؤون العسكرية .

خلافات مستعصية

كان واضحا أن الخلافات مستعصية بين تيارات اللاجئين العراقيين رغم أنهم جميعا كانوا قوميون ، ولهذا قررت من جهتى أن أذهب إلى القاهرة من أجل بحث الأمر مع عبد المجيد فريد مدير مكتب الشؤون العربية في رئاسة الجمهورية ، وكذلك كي أبحث وضعي معه بعد أن أبلغت بقرار مغادرة أراضي المتحدة ثم أهملت ، وأيضا من أجل معرفة خفايا قضية الكيلاني . وقد قررت الذهاب إلى القاهرة بعد أن لم تجد إتصالاتي مع المسؤولين في دمشق بما في ذلك لقائي مع وزير الداخلية المركزي للاقليم الشمالي عبد الحميد السراج الذي زرته ومدحت الحاج سري يوم ١١ نوفمبر ١٩٥٩ ولاحظت خلال اللقاء الذى إستغرق ٢٠ دقيقة أنه كان يتحاشاني في الحديث ولم يسألني عن قضية السيد رشيد عالي مع أني كنت قد شرحت وجهة نظري من ملابسات قضيته لمحمد كبول الضابط في المكتب رقم ١١ ، وسجلت له ملاحظاتي حول « مؤامرة رشيد عالي » واتفقت معه على مواصلة العمل من أجل إسقاط قاسم . ولكن شيئا من هذا لم يتم لأن الأجهزة عادت إلى تجاهل وجودي ثانية .

اتصلت مع العقيد عبد المجيد فريد هاتفيا واتفقنا على أن أتوجه لمقابلته في القاهرة في مطلع يناير ١٩٦٠ وفي مطار دمشق وبينما كانت أهم بصعود الطائرة المتجهة للقاهرة يوم ٤ يناير فوجئت بعبد المجيد فريد قادما من القاهرة الى دمشق . تصافحنا وقال لي إذهب للقاهرة وسأعود إليك غدا أو بعد غد . وقد عاد بسرعة بالفعل والتقينا يوم ١٠ يناير ١٩٦٠ وقدمت له في هذا الاجتماع مجموعة من الاقتراحات كنت قد حصلت على موافقة معظم اللاجئين العراقيين في سوريا عليها حيث عقدنا اجتماعا لهذه الغاية في دمشق يوم ٢٩ / ١٢ / ١٩٥٩ والاقتراحات التي قدمت هي :

أولا : تشكيل لجنة خاصة في الاقليم الشمالي لرعاية شؤون كافة اللاجئين العراقيين تتألف من ثلاثة أشخاص محايدين هم عبد المجيد الجميلي وساطع الجميلي ونجم الدين السهروردي على ان تقوم هذه اللجنة بما يلي :

أ ـ تأسيس مكتب خاص للادارة .
ب ـ جمع التبرعات والاعانات
ج ـ النظر في أحوال اللاجئين الخاصة .
د ـ مراجعة الدوائر الرسمية وشبه الرسمية لتسهيل مهام اللاجئين .
هـ ـ توزيع الرواتب الشهرية والمخصصات .
و ـ الاهتمام بشؤون الطلاب .
ز ـ الاشراف أو تهيئة الاحتفالات بالمناسبات الخاصة .
ح ـ الاشراف على الدعاية والنشر .

ثانيا : تشكيل لجنة عسكرية تتألف من أربعة ضباط مهمتها العمل على إسقاط نظام قاسم في العراق وتتعاون لهذه الغاية مع كافة العناصر المختلفة .

ثالثا : تأسيس ناد عراقي يضم الجميع تديره لجنة محايدة من ثلاثة أشخاص هم مدحت الحاج سري وعبد المجيد الجميل ونجم الدين السهروردي على أن يتم إغلاق المكتب العسكري العراقي وأن يعامل جميع اللاجئين العراقيين معاملة واحدة لا فرق بين مدني وعسكري وأن تتم الاتصالات مع الدوائر الرسمية في المتحدة من خلال النادي .

رسالة الى فريد

غير أني عندما عدت إلى دمشق يوم ٢١ يناير ١٩٦٠ فوجئت بأن مكتبا عسكريا عراقيا قد أسس في دمشق برئاسة العقيد نعمان ماهر الكنعاني وأن تأسيس هذا المكتب كان الهدف من الزيارة السريعة التي قام بها عبد المجيد فريد لدمشق الذى اتفقت معه في القاهرة أيضا على مواصلة العمل لاسقاط قاسم وشرحت له وجود خطة تحرك يشرف عليها الأخ يحيي ثنيان ، ولذلك فقد بعثت له بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٦٠ بالرسالة التالية بواسطة البريد الرسمي :

أخي العقيد عبد المجيد المحترم ..
تحية عربية صادقة ..

وبعد .. فقد شاء القدر ان تتفاوت في السفر جئت الى دمشق في اليوم الذي سافرت فيه إلى القاهرة وكنت أرغب في أن أقابلك قبل سفري الذي أجلته بسبب أوجاع أسناني .. وهكذا شاءت الظروف والخير فيما اختاره الله ..

ثم أخي لقد سبق أن أرسلت إلى بغداد بواسطة السيد محمد كبول الى الأخ يحيي ثنيان بعد ان بحثت مع السيد كبول الأسباب المباشرة في أهمية مساعدة ثنيان ماديا نظرا لاتصاله المباشر بإحدى الجماعات التي تعمل للقضاء على قاسم . كما وأنى طلبت منه تأمين بعض المال لتلك المهمة في وقته ولست ادري ما إذا وصلته رسالتي تلك وما اذا اسلتم شيئا من قبلكم وقد مضى أكثر من شهرين ونصف الشهر دون أن أبلغ وأسمع عما تم بتلك الرسالة . ورجائي منك أن تأخذوا بنظر الاعتبار ما أعرضه عليكم من إقتراحات ومحاولات نظرا لما أتوسمه في بعض الاخوان المخلصين من شعور فياض وإيمان صادق .. وارجو أن لا ننسى أن قضيتنا لا تحل إلا في بغداد ونحن رغم وجودنا في بلدنا العربي الكبير لابد وأن نمد يد المساعدة إلى هؤلاء على قدر المستطاع للقيام بكل الوسائل والمحاولات للقضاء على قاسم وزمرته . ورجائي أن أسمع منك ما تم وما يمكن أن يتم خاصة وقد أصبح الوضع في بغداد أعقد مما كنا نتوقعه . وعلى المخلصين أن لا يتقاعسوا أو يبخلوا لمثل هذه الأعمال . وأنا في انتظار الرد بكل صراحة .

وختاما أرجو أن نسمع خيرا والخير فيما اختاره الله وإلى اللقاء أخى عبد المجيد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحياتي الخالصة إلى أخي السيد شعراوي .

المخلص
نجم الدين السهروردي

وفى اليوم التالي مباشرة أرسل لي بالرسالة القصيرة التالية :

السيد الأخ نجم الدين السهروردي . .
بعد التحية . .

وصلتنا رسالتكم الرقيقة ونشكركم كل الشكر على شعوركم القومي . . رجاء الاحاطة بأننا على علم بجميع التيارات التي تحيط بالعراق والمشار إليها في كتابكم وعلى معرفة قوية باتجاهاتها .

وسوف تقوم بدراسة جميع اقتراحاتكم القيمة وعند الوصول إلى رأيي فاننا سنقوم باخطاركم به في حينه . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . .

العقيد عبد المجيد فريد

وتوقف الاتصال مع الرجل عند هذا الحد ولم أره مرة أخرى الا بعد ان انتقلت للاقامة في القاهرة في يناير ١٩٦٠ . ولم يكن هذا هو الموقف السلبي الأول من الرجل ، فقبل مغادرتى بغداد الى دمشق حاولت أن ألتقي به وقد حدد لي موعدين للقائي حيث كان يشغل منصب الملحق العسكري في سفارة المتحدة لكنه أخلف الموعد في المرتين . وحين التقيت به مصادفة ذات مرة في شارع الرشيد ببغداد صافحني وودعني بسرعة . وقد فسر ذلك فيما بعد بانه كان يخشى لقائي لأنه كان مراقبا من قبل الأجهزة العراقية .

لقاءاتي مع شعراوي جمعة

قبل أن ألتقي عبد المجيد فريد كنت قد التقيت شعراوي جمعة وكيل مدير المخابرات العامة ثلاث مرات . تم اللقاء الأول الساعة التاسعة من مساء يوم ٥ يناير . . اليوم التالي لوصولي إلى القاهرة حيث بعث لي سيارة من طراز مرسيدس نقلتني إلى مكتبه في مصر الجديدة واستمر اللقاء قرابة الساعة ونصف الساعة . وقد كان متحفظا معي في حديثه رغم أننا تحدثنا في العموميات فقط ، فقد كان لا يريد أن نخوض في التفاصيل مكتفيا بالقول لتفتح صفحة جديدة . وعندما أبديت له عدم إرتياحي من طريقة التعامل معي في دمشق أجاب إذا كان برهان أدهم مدير المكتب رقم ١١ لا يعجبك يمكن أن نكلف أحد الضباط المصريين بالاتصال بك . وعندما حاولت أن أحدثه عن الجفاء الذي لقيته في دمشق اكتفى بالاستماع دون أن يعلق ، فسكت ولم أواصل الحديث . وكذلك فانه لم يقدم لى إجابات شافية بشأن قضية الكيلاني مكتفيا بالقول لننسى الماضي . . !

ومع هذا فقد اتفقنا على الالتقاء ثانية . وقد تم هذا اللقاء مساء يوم ٨ يناير حيث تحدثت معه عن تفاصيل وضع اللاجئين العراقيين في الاقليم الشمالي (سوريا) فقال أن هذه الأمور غدت من اختصاص عبد المجيد فريد . ونفي في هذا اللقاء ان يكون يعرف أي شيء عن المؤامرة التي تورط فيها الكيلاني . وإلتقينا مرة ثالثة في مساء اليوم التالي حيث تناولت طعام العشاء معا في مطعم خميس في مصر الجديدة . وفى هذه المرة كرر رجاءه أن لا أفتح أي حديث عن الذي جرى للكيلاني .

كان موقفه غريبا جدا ، انه يرفض الحديث في قضية حكم بسببها على رشيد عالي الكيلانى بالاعدام . وكل الذي قاله انه كان يتوقع أن يخرج رشيد عالي من السجن إما أنا فلا . وحين قصصت عليه رواية الكيلاني من أن عبد الكريم قاسم قد عرض عليه مذكرة من سفارة المتحدة في بغداد تبلغه فيها بأن هناك مؤامرة يدبرها رشيد عالي للاطاحة به اكتفى بالاستماع دون أن يكلف نفسه عناء نفي حكاية هذه المذكرة على الأقل . وقد خرجت من هذه اللقاءات مع شعراوي جمعة واللقاء مع عبد المجيد فريد يوم ١٠ يناير بأن ما أخبرني به أحمد الكفافي صحيح . والكفافي كان من ضباط المخابرات في القاهرة ، وكان مكلفا بتلبية طلبات السيد رشيد عالي أثناء إقامته في مصر قبل قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) في العراق ، كما انه كلف

بمتابعة قضيته بعد ان عاد للعراق . وقد إلتقيت مع الكفافي في داره يوم ٥ يناير قبل أن ألتقي مع شعراوي جمعة . وأخبرني الرجل الذي عمل مع الضباط الأحرار في مصر اربع سنوات قبل قيام الثورة في ٢٣ يوليو ، وخدم الثورة خمس سنوات بعد قيامها انه قد أحيل إلى المعاش بأمر من الرئيس جمال عبد الناصر الذي جمد أيضا عشرين ضابطا آخر كما نقل قسما من ضباط المخابرات إلى وظائف أخرى . ومن ضمن الذين نقلوا أمين هويدي الذي عاد وتولى إدارة جهاز المخابرات المصرية فيما بعد وعين سفيرا لمصر في بغداد في عهد عبد السلام عارف ، وأبلغني أحمد الكفافي في حينه أن سبب هذه الاجراءات التي اتخذها عبد الناصر هو أنه حمل هؤلاء الضباط مسؤولية اذانة ج . ع . م بالتآمر على نظام الحكم في العراق بشكل مكشوف . وكان المعني بذلك التورط في المؤامرة التي حاكها الشيوعيون ضد الكيلاني .

وقال لي الكفافي يومها أنه لم يكن له أي علم بالمؤامرة رغم أنه هو الذي كان مكلفا بالكيلاني . واتهم صلاح نصر مدير المخابرات ووكيله شعراوي جمعة بأنهما قد تآمروا على رشيد عالي الكيلاني وتعمدا توريطه ، كما أنهما تآمرا علي أيضا وكذلك عليه هو حيث حملاه مسؤولية ما حدث للكيلاني تخلصا منه من جهاز المخابرات من قبيل المنافسة وحتى لا يكشف سر تورطهما في قضية الكيلاني . وبهذا ادركت السر في قرار ابعادي عن أراضي الجمهورية العربية المتحدة الذي فوجئت به لدى وصولي إلى دمشق ، والجفاء الذي عوملت به . فقد كان مطلوبا محاصرتي وإبعادي عن الخيوط التي يمكن أن تكشف للمسؤولين الأعلى ما فعله جهاز المخابرات بحق الكيلاني . . !

ويومها وعدني أحمد الكفافي بأن يرتب لي لقاء مع الرئيس عبد الناصر بواسطة كمال رفعت عضو مجلس قيادة الثورة وأحد مساعدي عبد الناصر الذى يثق بهم كي أشرح له كل شيء بالرغم من معرفتي الأكيدة بان مثل هذا اللقاء لن يتم إبداً !؟ ولكن الموعد لم يتحدد . وعدت الى دمشق دون أن أرى عبد الناصر بعد أن أمضيت في القاهرة قرابة الثلاثة أسابيع . والتفاصيل السابقة تكشف أن مواقف وممارسات المتحدة لم تكن مبدئية في الأساس ، ولم يكن لنا ان نتصور اتخاذ مواقف مبدئية من قبل سلطة كان تسير سياستها العامة أجهزة المخابرات التي كانت تجدد مساراتها في ضوء حسابات الربح والخسارة في أغلب الأحيان . . وهذه نقيصة لابد أن نسجلها بأمانة على عهد عبد الناصر القائد الذي مازلنا نعترف له بدوره القومي الكبير الذي أداه ، ولكننا نأبى أن نخون الموضوعية في الممارسة والتقويم . .

انتهازية

لقد قاد تقلب المواقف إلى انتهازية عربية الشأن في التعامل مع السيد رشيد عالي الكيلاني بالذات الذي صعق في احدى لقاءاته مع عبد الكريم قاسم حين كان يستدعيه من وقت لآخر من السجن إلى وزراة الدفاع في محاولات محمومة تهدف الى جعله ينهار . . صعق الكيلاني حين أبرز له قاسم مذكرة مقدمة من سفارة المتحدة في بغداد إلى الحكومة العراقية جاء فيها « تود سفارة الجمهورية العربية المتحدة أن تبلغكم بوجود مؤامرة ضد نظام الحكم في العراق بزعامة رشيد عالي الكيلاني » . . وهي ذات المؤامرة التي حاكها الشيوعيون ضد الكيلاني وكانت سفارة ج . ع . م طرفا فيها حين حولت مبلغ العشرة آلاف دينار على النحو الذي بيناه سابقا لعبد الرحيم الراوي ومبدر كامل الكيلاني . . !

وتدفعنا هذه المذكرة إلى التساؤل عما إذا كان تحويل المبلغ المشار إليه بالطريقة التى تمت كان مجرد خطأ في الممارسة أم أنه كان خطأ مقصودا . . ؟ والواقع أنه كان بامكان السفارة في بغداد أن تدفع المبلغ نقدا من حسابها دون الحاجة إلى التحويل من القاهرة إلى بيروت ، ومن بيروت إلى بغداد بواسطة صراف يهودي . . !

رسالتى إلى عبد الناصر لم تصيل أبداً

والمصادفة الغريبة أنه في ذات الوقت الذي رفعت فيه سفارة ج . ع . م مذكرتها للحكومة العراقية زار السفير البريطاني في بغداد عبد الكريم قاسم حيث اجتمع به لمدة ساعتين وحذره خلال هذا الاجتماع من أن رشيد عالي الكيلاني يتآمر عليه .

وأنا لا أستطيع أن أجزم أن مذكرة سفارة ج . ع . م قد رفعت لقاسم بمعرفة جمال عبد الناصر أم لا . وعلى كل فاني أرى احتمالين لتفسير هذا الموقف :

الأول : أن القاهرة أرادت بعد أن أطاح قاسم بعبد السلام عارف ان تكسب ود قاسم حيث بدا خارج العراق أنه قد غدا رجل العراق القوي بلا منازع .

الثاني : أن يكون أمر هذه المذكرة متصلا بخيوط لا ترتبط بالقاهرة . وهذا مجرد اجتهاد فى التحليل لا يرقى إلى مستوى الاحتمال الأول ـ الانتهازية ـ الذى توجد الكثير من المؤشرات التي تؤكده .

وفي ذلك الوقت من عام ١٩٥٨ كانت العلاقات قد توطدت كثيرا بين نظام عبد الكريم قاسم في بغداد والاتحاد السوفيتيى . وكانت في المقابل حرارة العلاقة بين موسكو والقاهرة قد فترت قليلا بسبب النقاش بين عبد الناصر وخروتشوف حول قضية القومية العربية والوحدة العربية . ولنا ان نفترض أن بعض العناصر في نظام عبد الناصر كانت على علاقة جيدة مع الاتحاد السوفيتي . وبالفعل فقد تأكدت ميول بعض هذه العناصر السوفيتية حين اصطدمت مع الرئيس أنور السادات في مايو ١٩٧١ ضمن المجموعة التي تزعمها علي صبري وأطلق عليها السادات اسم مراكز القوى . والذي لاشك فيه هو أن موسكو التي تحفظت في ذلك الوقت على شعارات القومية والوحدة العربية وحارب حزبها الشيوعي في العراق القوميين بشراسة ، كانت لها مصلحة أكيدة فى التخلص من رشيد عالي الكيلاني ، والواقع أن موسكو في ذلك الوقت لم تكتف بالدور الذي قام به الحزب الشيوعي العراقي ضد الوحدويين والقوميين العراقيين ، بل انها لعبت دورا مباشرا هدف الى الحيلولة دون عودة رشيد عالي الكيلاني للعراق بعد قيام ثورة ١٤ تموز ـ يوليو ١٩٥٨ حين أبلغ سفيرها في القاهرة الرئيس جمال عبد الناصر ان هنالك ثلاثة شروط تضعها لندن وواشنطن للاعتراف بالنظام الجديد في العراق .

هذه الشروط هي :

١ ـ لا وحدة مع مصر .

٢ ـ لا عودة لرشيد عالي الكيلاني .

٣ ـ عدم مساس النظام الجديد بشركات النفط .

ولنا أن نتساءل عن العلاقة بين تولي موسكو نقل هذه الشروط لجمال عبد الناصر وموقف الحزب الشيوعي العراقي من عودة رشيد عالي الكيلاني والوحدة مع مصر . فلا شك أن موسكو أرادت بنقلها هذه الشروط التي أبلغها عبد الناصر بدوره للكيلاني ، الذي لم يكن قد غادر القاهرة بعد ، أن تحرج موقف النظام الجديد في العراق الذى كان يتمثل همه الأكبر في ذلك الوقت في الحصول على الاعتراف البريطانى إتعاضاً بتجربة ١٩٤١ . وليس هنالك ما ينفي أن تكون موسكو قد أبلغت عبد الكريم قاسم بهذه الشروط أيضا .

ويظل شعراوي جمعة هو الرجل الوحيد القادر على فك طلاسم تلك المذكرة . وآمل ان يفعل ذلك الآن بعد ان مرت كل هذه السنين تغير خلالها النظامان في العراق وفي مصر أيضا بوفاة جمال عبد الناصر . فقد بات الرجل مطالباً الآن بكشف ما لديه من معلومات وحقائق اثر ان يخفيها عني في السابق . فهلاّ حان الوقت لكشف الحقائق وامتنا العربية تعيش عصر الانقسامات ؟ ام يترك الأمر للتاريخ الذي قال عنه مالك سيف ان له لسان ؟

سؤال ملح

ويظل السؤال الملح .. هل جرى ذلك بعلم جمال عبد الناصر أم أنه تم دون علمه .. ؟ المؤكد أن عبد الناصر قد علم ببعض الذي جرى على الأقل . وهذا ما يستفاد من لقائي مع احمد الكفافي الذي أبلغني أن عبد الناصر أحاله على المعاش ، كما اتخذ اجراءات أخرى بحق ٢٠ ضابط . ولكن الصورة التي نقلت لعبد الناصر لم تكن صادقة كما يقول الكفافي الذى يعتقد أنه تعرض للتآمر من قبل صلاح نصر وشعراوي جمعة .

ومن جهتي فاني أودعت في مكتب سكرتارية جمال عبد الناصر رسالة شخصية وجهتها له حين ذهبت للقاهرة للاقامة فيها في يناير ١٩٦١ شرحت له فيها كل التفاصيل وارفقت بها العديد من الوثائق والتقارير التي تدين مخابرات المتحدة بالتسبب في توريط رشيد عالي الكيلاني والتسبب في اعتقاله والحكم عليه بالاعدام . كما سلمت زكريا محيي الدين نائب الرئيس ووزير الداخلية في ذلك الوقت نسخة مماثلة من هذه الوثائق والتقارير .

وهذا هو نص الرسالة التي وجهتها إلى عبد الناصر :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر المحترم ،

تحية عربية مباركة من مواطن عربي مخلص آمن بعروبته وكافح من أجل وطنه وقوميته منذ قيام ثورة العراق المجيدة ثورة ١٩٤١ ، ساهم بكل شرف واعتزاز في حركة الضباط الأحرار بعد قيام ثورة مصر .. ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثورة جمال عبد الناصر ثورة الأمة العربية .. الثورة التي حملت نبراس الحركة القومية في عالمنا العربي .

أجل يا سيدى الرئيس . فقد كنت ولا فخر أحد هؤلاء الجنود الحقيقيين الذين ساهموا في تشكيل أول حركة للضباط الأحرار في عام ١٩٥٢ وهيأوا لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وكان

ذلك مع اخواني المخلصين الذين وضعوا الأسس الحقيقية لحركة الضباط الأحرار وهو الزعيم الركن شاكر محمود شكري والعقيد صالح السامرائى من جهة وجماعة الشهيد المرحوم رفعت الحاج سري من جهة أخرى وغيرهم من المخلصين الأحرار .

ولا أريد هنا يا سيادة الرئيس ان أسهب في شرح ما حصل بين الضباط الأحرار من انقسامات وملابسات في الأسابيع الخمسة التى سبقت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، إلا أني أريد أن أشرح الأدوار التي لعبت بعد قيام الثورة وبصورة خاصة عند بدء الانشقاق بين قاسم وعبد السلام عارف .

كنت قبيل الثورة أزود السيد رشيد عالي الكيلاني بكافة الاجراءات والمعلومات التي احصل عليها بواسطة تنظيماتنا السرية نظرا لاتصال الضباط الأحرار بالسيد رشيد عالي عن طريقي منذ ان كان لاجئا في العربية السعودية ومن ثم في مصر حتى الاسبوع الأخير الذي سبق قيام الثورة ، وأذكر منها محاولة الانكليز الاعتداء على حياتكم الغالية وعملية نقل الأسلحة إلى سوريا وغيرها من الأمور المهمة التي تتعلق بسلامة الأمة العربية .

وما أن نجحت الثورة حتى جاء الى بغداد السيد صلاح نصر والسيد شعراوى وقد اتصل بي السيد شعراوي تلفونيا وذهبت فورا لزيارتهما في القصر الأبيض . . وقد سبق لي أن تعرفت على السيدين المحترمين في القاهرة في حزيران ١٩٥٨ اثناء زيارتهما للسيد رشيد عالي الكيلاني في داره بالزمالك خصيصا للتعرف عليهما . . وكان آنذاك السيد احمد الكفافي والذي كان متصلا اتصالا وثيقا بالسيد رشيد عالي نفسه . والحقيقة كانت زيارتي الى القاهرة بناء على اتفاق مسبق مع الضباط في بغداد ، لبحث القضايا المتعلقة بموقف الجمهورية العربية المتحدة والذي تم عن طريق السيد رشيد عالي نفسه في حينه .

ثلاثة إجتماعات

وفي بغداد عقدنا ثلاثة إجتماعات مع السيد شعراوي بحثنا فيها كافة الطرق العملية لحفظ وسلامة الثورة على ضوء تطور الأحداث والحقائق ، لا على الخيال والعاطفة والمحسوبية .

وهكذا قدمت لهما تقريرا مفصلا فى حينه عن حقيقة الأوضاع الراهنة ، واتفقنا على أن نستمر في عملنا المشترك هذا بعد أن اقسمنا اليمين خدمة للصالح العام والقومية العربية والوطن العربى الأكبر .

كما وبحثنا مسألة السيد رشيد عالي وأسباب عدم استدعائه رسميا من قبل حكومة الثورة الى غير ذلك من الامور المهمة المتعلقة بانحراف الثورة ومستقبلها . وقد ركز الاعتماد علي بالذات في هذا الخصوص نظرا لاتصالي الوثيق بكافة الضباط والوزارات والأوساط الحساسة لكافة الأجهزة الرسمية من جهة ، واعتماد السيد رشيد عالي من جهة أخرى . .

وبعد عودة السيدين المحترمين إلى القاهرة استمر الاتصال الذي سبق وأن وضعناه قبيل الثورة بين بغداد والقاهرة بصورة منظمة . وقد أخبرني السيد شعراوي من انه مستعد أن يتصل بي في أي مدينة اقترحها اذا ما دعت الحاجة الماسة الى ذلك ، وتأمين كل الطلبات الضرورية . كما وطلب إلى ان اتصل بالعقيد عبد المجيد فريد الملحق العسكري آنذاك إذا ما دعت الضرورة الى ذلك أيضا . .

وفي ٢ / ٩ / ١٩٥٨ عاد رشيد عالي الكيلاني الى بغداد بعد غياب طويل دام ثمانية عشر عاما . . ولا أريد أن أشرح الملابسات التي سبقت عودته والمداخلات الشخصية التي أملت على عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف الوقوف ضد عودة السيد الكيلاني ، وكذلك التيارات السياسية المؤيدة والشيوعية والاستعمار البريطاني .

بعد عودة السيد رشيد عالي باسبوع واحد فقط تجسمت الانقسامات بشكل مفضوح وتوسع الشق بين قاسم وعارف وكتبت إلى القاهرة أشرح الموقف وكان الجـواب . . اصبر . . انتظر

ثم في شهر اكتوبر ١٩٥٨ عينت مديرا عاما للتربية الرياضية والاجتماعية بالاتفاق مع اخواننا الضباط العاملين . . وكتبت الى السيد شعراوي أطلب دعوتي إلى القاهرة بحجة زيارة بعض المرافق المهمة ليتسنى لي الاجتماع به وبالمسؤولين بموجب الاتفاق السابق . . وجاء الرد بالتأجيل إلى فرصة أخرى . . وكان الغرضَ من زيارتي هو انقاذ ما يمكن إنقاذه بعد أن تأزم الموقف وتبدلت كافة الخطط المتفق عليها في بغداد . . وهنا فقط انقطعت الصلة مع القاهرة خصوصا بعد إعتقال عبد السلام عارف حيث بدأ الاتجاه الشيوعي يتجسم بشكله الخطير في كل مكان .

كان الجو السياسي محموما . . وكانت الاتصالات المهمة قائمة بين قادة الجيش المخلصين والسيد رشيد عالي عن طريقي . وكان ذلك في نهاية سبتمبر ١٩٥٨ وقد انقطعت يوم إلقاء

القبض علينا في السابع من ديسمبر ١٩٥٨ . ولم يكن لالقاء القبض هذا أية علاق بهذه الاتصالات مطلقا . .

المهم هنا يا سيادة الرئيس هو أن التنظيم الذي قمنا به خلال هذه الفترة مع الزعيم الركن شاكر محمود شكري معاون رئيس أركان الجيش آنذاك والشهيد المرحوم ناظم الطبقجلي والشهيد المرحوم رفعت الحاج سري والعقيد طاهر يحيي مدير الشرطة العام السابق والعقيد عبد اللطيف الدراجي والعقيد أحمد حسن البكر والعقيد يحيي عبد الباقي والرئيس الأول طه ياسين الدوري مدير أمن بغداد ومعاون مدير الأمن العام وغيرهم . هذا التشكيل الجديد كان يهدف إلى العمل الجدي للاطاحة بقاسم وزمرته الباغية . . وقد عقدت عدة إجتماعات سرية للغاية عن طريقي أنا بالسيد رشيد عالي ولم يكشف أمرها حتى هذه الساعة رغم محاولات هيأت التحقيق العسكري معي التي كانت تحاول أن تضع يدها على اسم واحد من هؤلاء الضباط المذكورين . وفي تلك المرحلة الدقيقة بالذات حيث اختمرت الفكرة وثبت المخطط السياسي للحركة كان مبدر الكيلاني وعبد الرحيم الراوي متصلين ببعض موظفى سفارة الجمهورية العربية المتحدة في بغداد دون علم منا ودون علم حتى من السيد رشيد عالي نفسه . . إذ لا يعقل أن يخفى علينا السيد رشيد عالي مثل هذه الاتصالات التافهة وهو الذي يشرف على مخطط كبير واسع النطاق يستهدف عملا عسكريا مباشرا .

وما أن أحسست باتصال مبدر بالسفارة حتى أخبرت السيد رشيد عالي عن خطورة الموقف كما واتصلت بالعقيد عبد المجيد فريد وحددت موعدا ومكانا للقاء إلا أنه اخلف الموعد مرتين ولم يحضر . والتقيت به في شارع الرشيد وأكدت له ضرورة الاجتماع فقال انه مراقب ويخشى الاتصال بي . كان ذلك في أواسط نوفمبر ١٩٥٨ . ربما كان على حق ولكن ضاعت علينا فرصة كبيرة بل وخطيرة جدا . وفي أثناء وجودي في القاهرة في يناير ١٩٦٠ بحثت الموضوع مع العقيد عبد المجيد فريد فأقسم لي أن لا علم ولا علاقة له بما يسمى مؤامرة رشيد عالي الكيلاني .

حذرت عبد الرحيم الراوي من أي إتصال بالسفارة وسألت السيد رشيد عالي ما اذا كان يعلم أي شيء عن تنظيم آخر فأكد لي قائلا كيف أعلم وبابى مقفلة . . ؟ وان الاتصالات مع الضباط تجري بصورة منتظمة عن طريقك حاولت السفر إلى خارج العراق فلم يسمح لي عبد الكريم قاسم . .

كنت أعلم أن شيئا ما سيحدث . ومرت الأيام سراعا . . وكانت الاشاعات تعصف بشدة حتى هبت الريح . . فجاءت عاصفة اكتسحت كل شيء فدمرت ما شيدناه نتيجة الجهل والجهالة ونتيحة الأطماع الشخصية والاستغلال والكسب المادي والوصولية .

وهنا أريد أن أتطرق إلى حقيقة أخرى وهي بيت القصيد ، وأعني بذلك الدور الذي لعبه سفير بريطانيا في بغداد في هذه القصة بالذات .

كيف علم السفير البريطاني بهذه المؤامرة المزعومة . . ؟ ولماذا يجتمع بكريم قاسم قبل يومين من تنفيذها حسب توقيتهم في مقر كريم قاسم بوزارة الدفاع وفي ساعة متأخرة من الليل . . ؟

العجيب في الموضوع يا سيادة الرئيس كما ظهر لي أن الاتصالات بين سفارتكم ومبدر الكيلاني كانت تبعث على الشك والشبهة وتكاد تكون مفضوحة وكأنما أريد بها ان تكون كذلك فقد حول مبلغ خمسة آلاف دينار من بيروت بواسطة يهودي إلى يهودي آخر في بغداد عن طريق البنك الفرنسي في بيروت ، ودفعت الى البنك الفرنسي في بغداد وسجلت لحساب مبدر الكيلاني . وهذا يدفع إلى طرح جملة من الأسئلة والتساؤلات :

ـ لماذا إختار المشرفون في بيروت هذا اليهودي . . ؟

ـ ولماذا اختاروا هذا البنك دون غيره ؟

ـ ولماذا كل هذه الاجراءات المكشوفة ؟

ـ ولماذا لم يختر المسؤولون طرقا أقصر ؟

ـ ولم تم الاتصال بمبدر الكيلاني ولم تكن هناك سابق معرفة به ؟

ـ ه الواقعة يا سيادة الرئيس لا يمكن ان تصدر عن اناس مجربين لهم خبرة في العمل السري والسياسي وبمعرفة الأشخاص خاصة وأن بنوك العراق كافة كانت وما تزال بعد قيام الثورة خاضعة للرقابة الحكومية يوميا . . وهذا أمر يعرفه العام والخاص . . فلماذا اذن اختار المشرفون هذا لطريق بالذات للتحويل . . ؟

ـ ان هذه الواقعة بالذات تجلب الشك . . وقد اعتبرت المستمسك الوحيد الذي أدان مبدر

الكيلاني في المحاكمات السرية والتي اعترف بها هو نفسه .

ـ والعجيب في أمر التحويل ان المسؤول الذي قام بتحويل المال إلى مبدر من بيروت بعثها مبالغ متفرقة وانه لم يحول المبلغ الثاني الا بعد استلام وصل موقع بالتحويل الأول . . وكأن المسألة مسألة تجارية أو روتينية .

ولست أريد أن أكون متطفلا لا تدخل في شؤون وامور مضت أو تكاد تكون خارجة عن واجباتي الا أني أعتقد جازما أن الأحداث التي وقعت بسبب الاهمال أو القصد أو الجهل قد أضرت البلاد وجرتها الى ويلات ماتزال نتائجها ملموسة وقد أطاحت برجل كان وما يزال يعتبر رمزا حيا لكل مخلص وشريف لبلاده في كافة أنحاء البلاد العربية وبصورة أخص في العراق . وفي الوقت نفسه يعتبر عدوا كبيرا لبريطانيا التي سعت جاهدة وفي كل المناسبات للايقاع به والنيل منه خوفا من ان يعيد العراق الى حظيرته العربية في معركته من أجل الوحدة الشاملة .

ولما كنت أقرب الناس إلى السيد رشيد عالي الكيلاني وبالنظر إلى علاقاتي الواسعة بحركة الضباط الأحرار والحركات القومية في العراق وبالنظر إلى ما أشعر به وأتحسسه نحو قضيتنا المشتركة . . أجد نفسي ملزما بأن أبحث هذا الموضوع بحثا مسهبا حتى تقفون على حقيقته من وجهة نظرنا نحن الذين ذهبنا ضحية رخيصة بسبب ما وقع ليس فى العراق فحسب بل هنا بسبب نقمة بعض المشرفين على تلك العملية الفاشلة والذين أخذوا يحاربونني شخصيا محاربة لا هوادة ولا رحمة فيها ولا انصاف ظنا منهم أني سأفضح أمرهم وأتعرض لنقدهم بسبب فشلهم الذريع . وفي الوقت نفسه أجد لزاما علي ولحرصي الشديد ان ادافع بكل اخلاص عن كل ما يقع على الجمهورية العربية المتحدة وغيرها من أجزاء الوطن العربي مهما كلف الأمر حرصا على هذا الكيان الذي ابتنى بالدماء والأرواح . ولذلك ولكل ما تقدم ارجو من سيادة الرئيس إجراء تحقيق عادل في هذا الأمر للوقوف على حقيقة العمل الذي قام به بعض المسؤولين والمشرفين من رجال العربية المتحدة الذين تعاونوا مع مبدر الكيلاني في تلك المؤامرة الفاشلة والتصرفات الشاذة التي قام بها البعض من تحويل المبالغ المذكورة عن طريق البنك الفرنسي لكي تتأكدوا من أن الأمر لابد وأن يكون نتيجة أحد اثنين :

اما الجهل وعدم الخبرة الكافية !

او أن هناك أمرا متعمداً أريد به لفت أنظار المستعمرين الانكليز وغيرهم حتى يضعوا أيديهم على مستمسك يدينون به أخطر دولة عربية ويقضون على أخطر رجل في العراق .

وهذا فعلا ما حصل بكل أسف .

مبعث شك

والشي الآخر الذي يلفت النظر ويبعث إلى الشك هو كيف علم سفير بريطانيا قبل وقوع المؤامرة بيومين .. ؟!

هل هناك علاقة بين الانكليز واليهودي الذي حول المال من بيروت إلى بغداد .. ؟

أو أن هناك أخطر وأوسع من ذلك بمن يعملون في بيروت .. ؟!

الأمر الآخر يا سيادة الرئيس هو عدم إتصال رجال المخابرات بي شخصيا للاستفسار عن هذا الموضوع بالذات فى حينه .. بل وأن المخابرات قطعت الصلة بى نهائيا لأسباب أجهلها حتى الآن مع العلم انها أكدت علي بشدة حين وجود رئيسها ومساعده في بغداد أنها تعتمد علي أكثر مما تعتمد على سفارتها نظراً لعلاقتي الوثيقة بالسيد رشيد نفسه كما تقدم .

لقد سألت السيد شعراوي أثناء وجودي في القاهرة في يناير ١٩٦٠ وأخبرني جازما أنه لا علم له مطلقا بما حدث ولا علاقة للمخابرات بما يسمى مؤامرة للكيلاني ..

يا سيادة الرئيس ..

إن القصد من هذه التفاصيل هو اطلاعكم على سير العمل في العراق لكي تقفوا على صغائر الأمور التي عليها تبني الأمور الكبيرة ومنها تستمد السياسة العليا .. خاصة فى العراق . وان الرجال المضطلعين في هذا الخصوص يجب اختيارهم بعد فحصهم فحصا جيدا ومراقبتهم بعين ثاقبة دون اللجوء إلى المحسوبية أو التساهل مع المقصرين أو المذنبين .

وانى في هذا التقرير الذي أرفعه لسيادتكم أرجو أن أكون مخطئا فى حدسي وشكي من أن بعضا من الرجال الذين أشرفوا على ما يسمى بمؤامرة رشيد عالي قد أساؤوا ان لم أقل خانوا أنفسهم وبلادهم وقوميتهم في اتباع مثل تلك الطرق المعقدة التي باءت بالفشل الذريع وأدت الى كارثة عظمى جرت العراق وأهله إلى هزات عنيفة كادت تعصف به وتحيله إلى قطاع

شيوعي يهدد البلاد العربية اجمع . . ولولا عناية الباري عز وجل وايهان المخلصين الأشاوس وعلى رأسهم جمال عبد الناصر والشعب العربي في الجمهورية العربية المتحدة والعراق لانهار كياننا القومي وأصبحت بلادنا في مهب ريح عاتية .

وكل رجائي يا سيادة الرئيس أن أكون في عرضي هذا قد خدمت قضية العراق والبلاد العربية وليس لي فيما عدا ذلك أي غرض شخصي سوى المصلحة العربية العليا والله من وراء القصد .

نجم الدين السهروردي

وكنت أتوقع بعد أن تركت هذه الرسالة في مكتب الرئيس جمال عبد الناصر ان يتم الاتصال بي ولكن شيئا من هذا لم يحدث الأمر الذي جعلني اعتقد أن جمال عبد الناصر لم يطلع على رسالتي . ومما زاد من شكوكي أني عندما قابلت صلاح نصر قبل أن أكتب الرسالة لعبد الناصر وكانت معي زوجتي ابنة الرجل المحكوم بالاعدام ، سألته :

لماذا فعلتم بنا هذا يا أخ صلاح ؟

أجابني : « مش تسال الرئيس بقة » .

قلت له : هل لديك مانع في أن أبلغ الرئيس بما حدث . . ؟

قال : أبدا .

ولهذا بعثت الى الرئيس عبد الناصر بنسخة أخرى من الرسالة وينسخ طبق الأصل من التقارير والوثائق المرفقة بها بواسطة محمد حسنين هيكل رئيس تحرير « الأهرام » في ذلك الوقت والصديق المقرب بجمال عبد الناصر وكان هيكل متأثرا جدا من موقف مكتب الشؤون العربية التابع لرئاسة الجمهورية حيث كان يعتبره مكتب مخابرات غير جدير بالاشراف على الشؤون العربية .

● نجم الدين السهروردي مع عبده حكيم لاجتان في القاهرة

محاولات الافراج عن الكيلاني

قبيل ان اغادر دمشق الى القاهرة مساء يوم ١٩ يناير ١٩٦١ التقيت النقيب عبده حكيم مدير المكتب رقم ١١ لوداعه وكنت اريد بهذا الوداع ان اودع مرحلة وابدأ مرحلة اخرى من مراحل لجوئي الى الجمهورية العربية المتحدة .

ورغم ان اللقاء كان للوداع الا انني فوجئت بالرجل يطلب مني بالحاح ان اعود الى دمشق وبالسرعة الممكنة من اجل ان نواصل العمل معا . وكان هذا الطلب يحمل في ثناياه موقفا جديدا مني مغايرا للموقف السابق . فوعدته بالعودة الى دمشق اذا كانت هناك خطة عمل تستحق ذلك ، والا فان لا داعي لهذه العودة .

ويكمن السر في تغير موقف مدير المكتب رقم ١١ مني بعد ان اكتشف من خلال التجارب صدق رؤيتي بشأن الجهات التي كانوا يفضلون التعاون معها ، وبأن هدف هذه الجهات ينحصر في ابتزاز الاموال فقط دون ان يكون لديها قدرة على التحرك الفعلي داخل العراق . وهذا ما كشفه لي فيما بعد عبده حكيم نفسه اثناء زياراته للقاهرة التي كان يقوم بها بين فترة اخرى . وكان يحرص على ان يزورني خلالها وان ينام ليلته الاخيرة من كل زيارة في منزلي . واذا كان تكشف حقيقة العناصر الانتهازية قد ادى باحد مسؤولي اجهزة المتحدة الى تغيير موقفه مني ، ولو بعد فوات الاوان ، فان اتضاح حجم علاقاتي مع اللاجئين العراقيين والوزن الشخصي الذي اتمتع به بينهم هو الذي جعل الاجهزة اياها تعيد النظر في قرارها

السابق الخاص بابعادي عن اراضي الجمهورية العربية المتحدة في البداية . فقد خشيت هذه الاجهزة من ان يؤدي ابعادي الى اثارة ردود فعل اكبر من تلك التي يمكن ان تثيرها تساؤلاتي عن دورها في توريط الكيلاني ، سيما وانهم وضعوا خطة للحيلولة دون وصول صوتي الى عبد الناصر . ؟ !

ولئن كان عبده حكيم قد بدى يظهر عواطف مغايرة بعد ان عرف بقراري مغادرة الاقليم الشمالي الى الاقليم الجنوبي فان العقيد طلعت صدقي الذي كان قد اصبح مديرا لمكتب الشئون العربية في رئاسة الجمهورية في القاهرة بدأ يصعد حربه ضدي . . . فقد كان يخشى ان تؤدي اقامتي في القاهرة الى اقترابي من الخيوط التي يمكن ان توصل الى عبد الناصر وبالتالي ان يؤدي وجودي في القاهرة الى كشف اخطائه والاضرار به وبمركزه ، ولذلك فقد عارض منذ البداية امر قدومي الى القاهرة . . . وكانت معارضته هي السبب الذي اخر الموافقة على طلبي لمدة اربعة اشهر وحتى توسط لي الصديق هاني الهندي كما سبق ان اشرت . ومع ذلك فان طلعت صدقي لم يعتقني بعد حضوري للقاهرة ، كما لم يعتق سواي من اللاجئين العراقيين الشرفاء .

رسالة الى العراقيين

ففي نهاية شهر مايو ١٩٦٠ كنت قد قمت بمحاولة لجمع كلمة اللاجئين العراقيين في الاقليم الجنوبي ، ولهذا الغرض وجهت لهم الرسالة التالية بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٦٠ ، نزولا عن رغبة الكثيرين من المخلصين الشباب .

. . . الى كافة اخواني العراقيين المحترمين في الجمهورية العربية المتحدة .

تحية عربية مباركة . .

. . . وبعد . . فكلنا يعلم الظروف التي يمر بها قطرنا في الوقت الحاضر . ولا اخال ان احدنا يجهل الاسباب والمسببات لكثير من المآسي والنكبات .

ولا احد يجهل ايضا التضحيات الجسدية التي قدمها شعبنا من اجل تحقيق الاهداف العليا التي تسمو على رغبة الافراد والجماعات . ولا اراني في حاجة الى تذكيركم بان لنا في العراق اخوانا ما زالوا يعانون الامرين من حكم الطغاة . فمن رابض في زنزانة الاعدام الى حبس في ظلمات السجون والمعتقلات الى مشرد وطوال ثلاث سنوات عجاف لم يذق فيها طعم الحياة

الكريمة ، الى شباب وشيب ضاقت الارض عليهم بما رحبت . كل هؤلاء ينتظرون عوننا وتهفو قلوبهم لاخبارنا . وانها لصدمة في الصميم ان تسربت اليهم خلافاتنا ومما حكاتنا . وما اكثر العيون الحاقدة الحاسدة التي تتربص بنا ويسرها فرقتنا وتشتت شملنا . . لهذا ولغيره مما تعرفون ونعرف ادعوكم اخواني المجاهدين للرجوع الى واقعنا الراهن وما نعانيه من التشتت وما آل اليه حالنا بعد هذه الفترة من الكفاح والجهاد والاغتراب .

ادعوكم اخواني المخلصين الرابضين في ارض العروبة ، ارض الجمهورية العربية المتحدة التي نحرص عليها حرصنا على حدقات عيوننا ، ادعوكم جميعا الى نبذ الخلاف وتناسي احداث الماضي . لقد آن الاوان وبلغ الامر غايته ولم يبق مجال للصبر ، ادعوكم جميعا الى تناسي الخلاف واجتناب اسباب الفرقة . ادعوكم جميعا لنبدأ عهدا جديدا يباركه الله بروح من عنده وتظلله فكرة العروبة الخالدة ويحدوه ايمانكم بحق امتنا في الحياة . . .

ادعوكم جميعا للاجتماع والتشاور حتى تثبت لانفسنا ولغيرنا اننا « اتفقنا على ان نتفق » وفقنا الله جميعا الى خير العرب .

وفيما يلي بعض المقترحات العملية التي نعرضها عليكم ونسعى لتحقيقها بعد التشاور مع الجميع :

١ ـ اعادة النظر في تنظيم شؤوننا الخاصة بالدرجة الاولى وايجاد جو هادىء يلتقى فيه الاخوان ولنسمية بالبيت العراقي مثلا .

٢ ـ تقديم الاقتراحات تحريرا تمهيدا لتنسيقها ودراستها في اجتماع يعقد خصيصا لهذا الغرض ان امكن .

٣ ـ يرجى التفضل بعد الانتهاء من قراءة ما تقدم التوقيع من حيث قبول الفكرة او رفضها مع الشكر الجزيل والسلام عليكم .

تباين في المواقف

وشاءت الظروف ان لا يوقع اللاجئون البعثيون بالموافقة على هذه المذكرة بسبب تباين موقفهم عن مواقف بعض الفئات الاخرى . ومع ذلك فوجئت بطلعت صدقي يحاول ان يصنفني بعثيا عبر تقرير كلف احد رجاله باعداده ضدي . . وكانت اجهزة المخابرات في المتحدة في ذلك الوقت لها موقف من البعثيين حيث كانت تتخذ ضدهم قرارات التسفير

والابعاد وقطع المخصصات دون تمييز وبسبب « تهمة » الانتماء لحزب البعث اصدر طلعت صدقي ذات يوم قرارا بابعاد خولة ابنة الشهيد العقيد فهمي سعيد احد قادة ثورة ١٩٤١ الابطال . ولم ينفذ الامر بسبب مداخلاتي لدى كمال رفعت الذي كانت تربطني به صداقة متينة حيث كنت التقيه بمعدل مرة كل اسبوع تقريبا . وقد ادى الغاء امر طلعت صدقي الى اصابته بقرحة في المعدة انزلته في المستشفى . ولم تهدأ اعصاب طلعت صدقي حتى استصدر قرارا بقطع مخصصات ابنة الشهيد التي كانت تدرس في جامعة القاهرة وذلك في شهر يناير ١٩٦٣ اي قبل ايام قليلة فقط من قيام ثورة ١٤ رمضان (٨ فبراير) التي قام بها حزب البعث في العراق .

وفي شهر يونيو ١٩٦٢ كنت قد ذهبت الى بيروت برفقة زوجتي التي كانت قد التحقت بي في القاهرة جميع افراد اسرتي فيما تركنا ابناءنا المقيمين معنا في مصر في منزلنا في القاهرة . وعلم طلعت صدقي بامر سفري وزوجتي فما كان منه إلا ان سارع الى اصدار قرار بمنع عودتنا الى مصر . وارسل صورة من القرار الى مكتب جوازات مطار القاهرة للتنفيذ ولاعادتنا من حيث ناتي حين وصولنا . وعرف بهذا الامر المقدم حسن رأفت مسئول اللاجئين في مكتب الشئون العربية في القاهرة الذي كان يمثل نوعية مختلفة ، فقام بابلاغ ذلك الى الصديق عداي الجبورى من اجل ان يتصرف . فاشاع الصديق عداي الامر في اوساط اللاجئين العراقيين وتوجه الصديقان شاكر الطبقجلي ونعيم العزاوي الى مكتب الشئون العربية للاحتجاج على هذا الاجراء . وعندما شعر طلت صدقي ان الامور قد تفلت من بين يديه سارع الى تلكيف بعض رجاله بسحب قرار المنع من ملفات مكتب جوازات المطار ، كما ابلغني بذلك المقدم حسن رأفت الذي زرته مساء ١٩٦٢/٦/٢١ . وقال لي انه هو الاخر اتصل مع مكتب جوازات المطار من اجل عدم تنفيذ امر طلعت صدقي .

مفاجأة من طلعت

والغريب ان طلعت صدقي الذي فعل ذلك كان قد فاجاني بزيارته لي في منزلي يوم ١٩٦٢/٦/١ وقبل ايام من مغادرتي الى بيروت حيث فاتحني بوجود اتصال له مع العميد مزهر الشاوي معاون رئيس اركان الجيش العراقي في العهد الملكي والذي كان من الضباط القوميين في الجيش وسبق له ان عمل لفترة مع الضباط الاحرار من خلالي كما اشرت في فصل سابق . وكان طلعت يريد ان يعرف رأيي في مزهر الشاوي ، فازلت الشكوك التي كانت

زاوده بشأن الرجل . . . وفهمت منه ان الاتصال مع مزهر يدور حول تزعمه عملية انقلابية ضد قاسم واخبرني ايضا ان هناك مفاوضا جاء الى دمشق باسم مزهر الشاوي وطلب مالا وسلاحا وابديت استعدادي لان التقي مع مزهر الشاوي لبحث الامر معه والتأكد من مصداقية المبعوث الذي جاء عنه . واتفقت مع طلعت صدقي على الالتقاء ثانية من اجل متابعة بحث الموضوع . ولكن اللقاء الاخر لم يتم لان طلعت صدقي اكتفى باللقاء الاول . ولا اعرف ماذا قرر وماذا فعل بشأن التعاون مع الشاوي .

وفي يوم في ذات الفترة الزمنية فوجئت بعبده حكيم يزورني في منزلي وكانت الزيارة الاولى منذ مغادرتي دمشق للقاهرة . وكان هدف الزيارة بحث موضوع مزهر الشاوي ايضا وادركت ان عبده حكيم قد جاء الى القاهرة خصيصا من اجل هذا الموضوع

مضـــايقـــات

ولم اكن اللاجىء السياسي الوحيد الذي تعرض للمضايقات والتآمر من قبل اجهزة المتحدة فقد تعرض لهذه المضايقات معظم اللاجئين السياسيين العراقيين والعرب ومن ضمنهم الرئيس العراقي الحالي صدام حسين الذي كان لاجئنا في القاهرة هو الاخر بعد ان غادر العراق اثر اشتراكه في محاولة القضاء على عبد الكريم قاسم التي تمت يوم ١٩٥٩/١٠/٧ كان صدام حسين يقيم مع عبد الكريم الشيخلي عضو القيادة القطرية لحزب البعث في العراق في ذلك الوقت في منزل واحد . وكلاهما كان محكوما بالاعدام بسبب محاولتهما اغتيال قاسم . ورغم ان الرجلين لا يمكن ان يكونا موضع شكوك اية جهة قومية ، الا ان رجال طلعت صدقي قاموا باقتحام منزلهما اثناء وجودهما خارجه حيث صودرت منه بعض البيانات الصادرة عن حزب البعث . وبسبب وجود هذه البيانات القي القبض عليهما . وحين علمت بذلك سارعت الى الاتصال مع زكريا محيي الدين وزير الداخلية من خلال العقيد امن عبد اللطيف حافظ . فتم اطلاق سراحهما في اليوم التالي . . وكان الصديق محمود الدرة قد بذل جهوده واجرى اتصالاته هو الاخر(*) .

---

* كتب الاخ الوفي الرائد الركن المتقاعد محمود الدرة بجريدة القبس معقبا على هذا الحادث مشكورا حيث يوضح فيه الجانب الذي ساهم به تجاه رجال الامن بهذا الصدد : وفي الحلقة رقم ٣١ يروي د . السهروردي « المضايقات التي تعرض لها اللاجئون السياسيون العراقيون في مصر ، ومن ضمنهم الرئيس

ومع ذلك لم تتوقف المضايقات عن صدام حسين والشيخلي والشباب الاوفياء فقد ظل رجال المخابرات يقومون باقتحام شقتهما اثناء غيابهما عنها . وعندما فاض الكيل ولم تفد كل الشكاوي والاحتجاجات ، قام صدام حسين ورفاقه بنصب كمين لرجال المخابرات حين جاءوا لمداهمة الشقة مرة اخرى اشبعوهم ضربا ولقنوهم درساً في « البسطة العراقية » .

زيارة للسادات

ومن جهتي كنت قد قررت ان اقصر جهودي اثناء اقامتي في القاهرة على محاولات اطلاق سراح السيد رشيد عالي الكيلاني من سجنه في العراق والغاء حكم الاعدام الصادر بحقه .

العراقي صدام حسين وعبد الكريم الشيخلي ، والقي القبض عليهما . . . ويذكر جهوده باطلاق سراحهما (وهو ما حدث فعلا) ثم يقول : وكان الصديق محمود الدرة قد بذل جهوده واتصالاته هو الاخر »

ان ما حدث بعدئذ ، كان اكثر من مضايقة عندما قرر الرئيس عبد الناصر ترحيل نحو عشرين من شباب البعث الى خارج مصر خلال بضعة ايام .

استنجد بي عبد الكريم الشيخلي ومدحت ابراهيم جمعة من اجل الغاء قرار عبد الناصر . . فتألف وفد من : عبد الرحمن البزاز . فؤاد الركابي . جابر عمر . فائق السامرائي . سلمان الصفواني . فيصل الوائلي . وكاتب هذه السطور لمقابلة محمود رياض مدير مكتب عبد الناصر للشئون العربية ـ في ذلك الوقت . يلتمسونه لكي يلغي الرئيس قراره . . فاجابنا : ان قرار الرئيس نهائي ويؤسفه انه لا يستطيع تغييره !

سكت اصحابي ، وقبل ان نغادر مكتبه قلت له :

ـ اني لا استطيع رؤية مجموعة من الشباب القومي ، الذين جازفوا بحياتهم لانقاذ وطننا من حكم قاسم ؟ فحكم عليهم بالاعدام ، وهو لاجئون سياسيون عندكم . . ولا يملكون جوازات سفر ولا مال . . وهم يرمون خارج حدود مصر . واني مكره لاكون اول من يركب الطائرات معهم !

لم ينبس رفاقي ببنت شفة في الوقت الذي كان فيه محمود رياض يعض بشفتيه ، ثم يقول لي :

ـ اخ محمود ـ سانقل كلامك بالحرف الى الرئيس .

وبعد يومين او ثلاثة كلمني سكرتير محمود رياض هاتفيا وهو يبلغني برغبة الرئيس بمقابلتي في مكتبه . وعند لقائي به رأيته مستبشرا وهو يقول : الغى الرئيس قراره . . على ان تتكفل سلوكهم . ضحكت وقلت له : الا هذا ! فهم شبان متحمسون لعقيدتهم . وساحاول نصحهم .

وجاءني الشيخلي ومدحت جمعة وكانا حلقة الوصل بيني وبينهم . يشكراني .

وتكرر حادث اخر عندما اشتبك هؤلاء الشبان مع الريماويين بالمسدسات فسارع فائق السامرائي وكاتب هذه السطور واقنعا مدير شرطة الجيزة لمصالحة المتخاصمين دون ان يبلغ الجهات العليا بالحادث .

وقد بدأت اتحرك في هذا الاتجاه منذ اليوم الاول لوصولي القاهرة . وقد وضعت في اعتباري منذ البداية ان اعمل على توسيط عدد من الدول والحكومات العربية التي تربطها علاقات جيدة مع عبد الكريم قاسم لتحقيق هذا الهدف . وهذا ما ايدني فيه انور السادات رئيس مجلس الامة في ذلك الوقت الذي زرته بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٦١ اي في اليوم الرابع لوصولي القاهرة .

الزيارة تمت في مكتبه في مجلس الامة بمعية فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز وكيل الازهر . كان السادات لطيفا في استقباله لناووجدته متحمسا لقضية الكيلاني واخبرني انه نصح الكيلاني بعد قيام ثورة تموز في العراق بعدم العودة الى بغداد والانتظار الى حين انجلاء الموقف . وكان محقا في رأيه اذ تأخر الحكام الجدد في دعوة الكيلاني للعودة واخلوا باتفاقهم معه بتعيينه رئيسا للجمهورية ، ونقضوا عهدهم مع رجاله في العراق . وقال السادات ان موقفنا الان كما لا يخفي عليك حرج . ويا حبذا لو اننا نستطيع ان نفعل شيئا . وايد اقتراحي الخاص بتوسيط بعض الشخصيات العربية من السودان والمغرب ولبنان . ووعد بالاتصال مع عبد الخالق حسونة الامين العام لجامعة الدول العربية ، والدرديري اسماعيل الامين العام المساعد للجامعة لهذه الغاية . كما استجاب السادات لطلبي الكف عن ذكر اسم السيد رشيد عالي الكيلاني وعبد السلام عارف في خطبه وخطب المسئولين المصريين الاخرين بما فيهم جمال عبد الناصر حتى لا يقدم قاسم على تنفيذ حكم الاعدام بهما انتقاما . . . وكان لا يخلوا خطاب لمسئول مصري في ذلك الوقت من الاشارة الى الكيلاني وعارف ضمن اطار الحملة الاعلامية على نظام قاسم .

وبالفعل اتصل السادات مع عبد الخالق حسونة والدرديري اسماعيل وفي الساعة الواحدة من بعد ظهر ذات اليوم كنت اجلس في مكتب الدرديري في مقر جامعة الدول العربية وكان شخصية محبوبة ومخلصة .

قال الدرديري انه لا يحبذ تكليف احد من الجامعة العربية بهذه المهمة ، وانه لا يحبذ ايضا تكليف وزير خارجية السودان محمد الخيري لانه مجنون على حد قوله . واتفقنا على ان نتصل مع السفير السوداني لتكليفه بالكتابة الى الرئيس السوداني ابراهيم عبود ليقترح عليه الكتابة الى عبد الكريم قاسم . . كما واتصلنا مع السفير الليبي من اجل ان يكتب الى الملك ادريس السنوسي حول ذات القضية . وقد زرت السفير الليبي في اليوم التالي برفقة الشيخ دراز

ووعدنا الرجل بانه سيكلم وزير الخارجية الليبي في هذا الموضوع عند مروره المنتظر بالقاهرة في طريقه الى بغداد في زيارة مقررة .

وفي عصر ذات اليوم التقيت مع كلوفيس مقصود ممثل الجامعة العربية في الامم المتحدة الان والذي كان وقتها قد عين حديثا كمندوب متجول للجامعة العربية . تم اللقاء في كافتيريا فندق هيلتون ، وكان برفقتي الصديق هشام الشاوي . وقد بحثت مع الدكتور مقصود قضية الكيلاني فوعد بان يتصل مع الرئيس اللبناني فؤاد شهاب ، وكذلك بالبطريرك المعوشي ايضا من اجل بذل مساعيهما . وكنت قد تعرفت على الرجل في اليوم السابق في منزل الصديق منصور حسن حيث كان يقيم حفل عشاء على شرفه حضره عدد من كبار الكتاب والصحافيين في مصر منهم احمد بهاء الدين وكامل زهيري بالاضافة الى موظفي الامانة العامة لجامعة الدول العربية .

في تاريخ ٢٤ يناير قابلت عبد الخالق حسونة الامين العام للجامعة العربية واستمر اللقاء نصف ساعة تركز الحديث خلالها على قضية الكيلاني والعلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق . وابدى الامين العام استعداده ورغبته في تبني قضية الكيلاني ، واقترح ان يكلف وزراء خارجية كل من المغرب والسعودية والسودان بالاتصال مع الحكومة العراقية وبحث قضية الكيلاني معها . وكان متفائلا الى حد ما من ان العلاقات الجيدة التي تربط حكومات هذه الدول مع الحكومة العراقية قد تؤثر على موقف عبد الكريم قاسم . وكان مقررا ان يعقد في بغداد مؤتمر لوزراء الخارجية العرب في غضون ايام قليلة سيحضره الامين العام بحكم منصبه . ووعد ان يبذل جهوده هو الاخر في بغداد . غير ان صلف قاسم جعل هذه الجهود دون جدوى .

وفي حالة منفصلة كنت قد طلبت من مفتي فلسطين الاكبر الحاج امين الحسيني رفيق الكيلاني في الكفاح ورحلة التشرد اثناء الحرب العالمية الثانية وشريكه في المفاوضات مع هتلر وموسوليني من اجل حرية العرب واستقلالهم ، كنت قد طلبت منه التوسط للكيلاني لدى قاسم . وسافرت من القاهرة الى بيروت خصيصا حيث كان يقيم المفتي من اجل هذه القضية . وكان المفتي في وقتها يعتزم الذهاب الى بغداد لحضور اجتماعات مؤتمر اجهزة فلسطين . ولم يكن المفتي في حاجة الى من ينخيه او يحمسه . ولكن الذي حدث هو ان موظف البروتوكول العراقي الذي كان في استقبال المفتي في مطار بغداد رجاه فور ان وطأت

قدماه ارض العراق ان لا يفتح موضوع الكيلاني مع قاسم او سواه من المسئولين العراقيين !!.. فما أشبه اليوم بالامس القريب ؟ !

ولم اكف يوما وانا طليق عن العمل من اجل اطلاق حرية الكيلاني ايضا والبحث في قضيته بهدف معرفة العوامل الخفية التي جعلت اجهزة المتحدة تورطه في المؤامرة الشيوعية عليه . كما لم اكف عن هذه المحاولات حتى بعد ان اطلق سراح الكيلاني في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٦١ .

ولهذا التقيت يوم ٤ يناير ١٩٦٢ صلاح نصر مدير المخابرات العامة في مكتبه ودام اللقاء حوالي الساعة تحدثنا خلالها عن قضيتين .. الكيلاني وحركة الموصل باعتبارهما نموذجا للصبيانية التي تعاملت بها اجهزة المتحدة مع قضايا العراق والعرب القومية بشكل عام .

خطـــــأ

في ما يتعلق بقضية الكيلاني قال لي صلاح نصر في ذلك اللقاء معترفا ان خطأ قد وقع فيه رجال المتحدة في بغداد ويعني العاملون في سفارة المتحدة في العاصمة العراقية . ويتمثل هذا الخطأ من وجهة نظره في الاختيار غير الموفق للاشخاص الذين جرى الاتصال بهم اي مبدر الكيلاني وعبد الرحيم الراوي .

ولكن كيف حدث هذا الخطأ وهناك اتفاق مسبق على ان يكون اتصال اجهزة المتحدة ورجالها بي .. ؟

اجابني صلاح نصر على هذا السؤال قائلا ... لا ادري وقد كانت هذه هي اجابته ايضا على الاسئلة الاخرى التي طرحتها عليه مثل .. لماذا حولت المبالغ المالية عن طريق بيروت بواسطة البنك الفرنسي وعلى النحو الذي حدث . اي بواسطة صراف يهودي . بل انه استغرب ان تكون عملية التحويل قد تمت على هذا النحو وهذه الكيفية .

وسألته ... ماذا نستنتج من ذلك . الا توجد في الامر لعبة ؟ اجابني بعد برهة من التفكير استعاد خلالها الاحداث من ذاكرته ... لاشك .. واردف .. ولكننا لم نتفق على هذا الاسلوب .

وازاء اظهاره للاستغراب وهو يستمع اليّ اسرد عليه هذه المعلومات المذهلة قلت له .. ولكني اخبرت وكيلك شعراوي جمعة بكل هذه التفاصيل منذ عام كامل في يناير الماضي ، قد

طلب مني يومها ان انسى الموضوع واقلب هذه الصفحة ونبدأ صفحة جديدة .

وقلت له ان اكثر ما يحز في نفسي هو ان التورط الصبياني في المؤامرة الشيوعية عن طريق مبدر الكيلاني وعبد الرحيم الراوي لم يؤد الى توريط الكيلاني ورفاقه والحكم عليهم بالاعدام فقط ، بل ادى ايضا الى اجهاض التحرك المتفق عليه الذي كنا نقوم به بمعرفة الكيلاني لاسقاط نظام قاسم . وليت اجهزة المتحدة اكتفت بالتخطيط الصبياني مع مبدر وعبد الرحيم فقط ، بل انها واصلت مسلكيتها الصبيانية من خلال الطريقة التي تعاملت بها مع الشهيد عبد الوهاب الشواف وجعلته يقدم على اعلان التمرد والعصيان في الموصل قبل ان يكون الشهيد رفعت الحاج سري وجماعته في بغداد والضباط الاخرين بما فيهم الشهيد ناظم الطبقجلي في كركوك قد اصبحوا جاهزين للتحرك .

وهنا قال لي صلاح نصر انه قد عارض عبد الحميد السراج حين عرض عليه الخطة التي وضعت لاعلان وقيام حركة الشواف في الموصل . وقال انه سأل السراج يومها لماذا يقوم عصيان في الموصل وليس في بغداد . . ؟ غير ان السراج على حد قوله لم يأبه لرأيه مما جعل صلاح نصر يفاتح الرئيس عبد الناصر في الامر .

وسألته وهل تعرف مَن مِنَ المسئولين في الاقليم الشمالي من المتحدة كان يشرف على ثورة الشواف في الموصل . .

اجابني . . . السراج طبعا .

قلت له . . يا حبذا . .

سألني . . من اذن . . ؟

اجبته . . ابو عبد الله هل تعرفه ؟

فاطلق ضحكة استهزاء وسخرية وهو يقول . . اجل اعرفه . . يا للاسف . . انها اعمال صبيانية . وابوعبد الله هذا الذي جعل صلاح نصر يطلق ضحكة سخرية هو احد المخبرين التابعين لمخابرات الاقليم الشمالي في لبنان ، وقد كلف بالذهاب الى بغداد مرتين التقى خلالهما مع بعض انصار الشواف وجرى وضع خطة التحرك بسرعة . وكان الامر مجرد لعبة . فادى اللعب بهذه الطريقة الى استكمال اجهاض ما لم يجهضه التصرف الصبياني السابق . . وادت هذه التصرفات الصبيانية الى اعدام خيرة رجال القوات المسلحة العراقية

من الضباط القوميين الذين كان يعول عليهم القيام بثورة تصحيحية تعيد لثورة تموز وجهها العربي المشرق .

والغريب ان المسئولين عن هذه الاخطاء والثورات الصبيانية بعد ان فشلوا في تحقيق ما خططوا له وتسببوا في توجيه ضربات موجعة للقوى القومية في العراق اخذوا يحاربون العناصر التي يمكن ان تكشف جهلهم وحماقاتهم على النحو الذي بينته سابقا . بل ان عبد الحميد السراج حين زرته برفقة مدحت الحاج سري في دمشق قبل حدوث الانفصال لم يكلف نفسه عناء سؤالي عن السيد رشيد عالي الكيلاني . كما لم يسأل مدحت عن تفاصيل قضية شقيقه رفعت الذي لم يكن قد مر على اعدامه سوى ايام قليلة فقط .

السراج بعد الهروب

وبالطبع فقد اختلف الوضع حين زرت السراج في القاهرة يوم ١٩٦٢/٦/١٦ مهنئا اياه بسلامة الوصول هاربا من سجن الانفصاليين في دمشق . ففي هذا اللقاء الذي تم في حديقة منزله بمصر الجديدة كان اول سؤال وجهه لي السراج عن السيد رشيد عالي الكيلاني .

ويوم تمكن السراج من الهرب من سجن المزة في دمشق بمساعدة الجندي منصور رويشدة الذي هرب معه الى القاهرة ومنح رتبة ملازم ، كنت موجودا في بيروت فارسلت برقية تهنئة للسراج ختمتها بجملة والله يهدي للتي هي احسن . وقد فهم السراج الاشارة كما فهم مغزى السلام الذي طرحته عليه في القاهرة بعد عودتي وذلك اثناء حفل الغداء الذي اقامه على شرفه الصديق سلمان الصفواني بنادي الجزيرة الرياضي ، الذي اصبح وزيرا للاعلام في عهد عبد السلام عارف لفترة محدودة قبل ان يستقيل . فيومها رفعت يدي وقلت للسراج السلام عليكم . اجابني بلهجة كلها اسى وحسرة . . صارت . وكان يعني بذلك الحركة الانفصالية التي فصلت سوريا عن مصر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وهناك تفاصيل لم تنشر حتى الآن كيف تسببت حنكة وحكمة السراج وكذلك المشير عبد الحكيم عامر في تسهيل مهمة انقلاب الانفصاليين ، وسأترك ذلك التاريخ الذي لم يبدأ بتدوينه بعد ! ؟ .

وفق ما رواه لي عبده حكيم الذي كان قد اصبح مديرا للمخابرات في الاقليم الشمالي فان عبد الحميد السراج الذي كان وزيرا مركزيا في الجمهورية العربية المتحدة ورئيسا للمجلس

التنفيذي في الاقليم الشمالي عاد الى دمشق من القاهرة قبل وقوع الانفصال بثلاثة ايام وكان حانقا غاضبا ، وقام بجمع انصاره الذين كانوا يتمركزون في اجهزة الامن والمخابرات وانتقد امامهم في اجتماع عام السياسات والكيفية التي تدار بها امور الجمهورية العربية المتحدة ، وقال لهم انه كان في القاهرة مجمدا عن الحركة والعمل لا يستطيع فعل اي شيء . وكأنه سجين وكان ساخطا جدا . وبالطبع فقد ابرق بعضهم بتقرير للقاهرة ضمن ما قاله السراج . فارسل عبد الناصر في اليوم التالي مباشرة المشير عبد الحكيم عامر من اجل تطويق الموقف خشية ان يقوم السراج بحركة انقلابية في الاقليم الشمالي . وكان اول ما فعله المشير ان اصدر امرا باغلاق كافة مكاتب الامن بالشمع الاحمر . وكانت هذه الفرصة (الذهبية) التي سنحت للانفصاليين للقيام بانقلابهم العسكري بعد ان امر عامر باغلاق عيون رجال الامن .

وبالطبع فقد كان خطأ المشير هو القشة التي قصمت ظهر الوحدة اذ كانت الاخطاء قد سبق لها ان تراكمت من قبل . وكان الانفصال امرا متوقعا لان المسئولين الذين ارتكبوا الاخطاء والحماقات التي اشرنا اليها في العراق لم يكن متصورا ان يكونوا قادرين على حماية دولة الوحدة ذاتها . وكان في مقدمة الاخطاء التي ادت الى الانفصال عدم تعيين الرجل المناسب في المكان المناسب . وكمثال فان عبدو حكيم الذي اخبرني بقصة الساعة الاخيرة للسراج وعامر قبل حدوث الانفصال والذي اعتز به كان يحتل منصب مدير عام المخابرات في الاقليم الشمالي مع انه كان يحمل رتبة نقيب فقط اي ان ثلاثة نجوم لا غير كانت تزين كتفيه .

وحين جاء عبده حكيم لاجئا الى القاهرة لم يدر ماذا يفعل فنصحته باكمال دراسته الجامعية وساعدته في الالتحاق بكلية الحقوق . . واظنه يدير مكتبا لمحاماة في دمشق الان بنجاح . . . لست ادري . ولابد وان اكسبته الايام ما كانت تنقصه هو وزملاءه من خبرات من سبقوه في النضال القومي . . . ولكن . . . ماذا أقول بعد خراب مالطة ؟

معاناة لاجيء سياسي

في الوقت الذي سلمت فيه التقرير لمحمد حسنين هيكل كنت قد فقدت قدرتي على تحمل تراكمات الأخطاء والخطايا التي ارتكبتها اجهزة عبد الناصر بحق المناضلين القوميين ، ولذلك كنت قد جهزت صكا بقيمة كل المبالغ التي سبق لي ان تقاضيتها من الحكومة المصرية طوال فترات تواجدي كلاجيء سياسي في مصر خلال في فترة حكم قاسم في العراق وكان مبلغا زهيدا مقداره ٢٤٠٠ جنيه مصري حيث لم اتقاض مخصصات اللجوء الا مضطرا في نهاية فترة وجودي فقط فقد كانت تأتيني تكاليف ونفقات اقامتي من اسرتي في بغداد ولكني عدلت عن ارسال الصك لعبد الناصر احتراما لشخصه وعملا بنصيحة بعض الاصدقاء .

وكما حدث في المرة السابقة ، لم اتلق أي رد أو اي اتصال من الرئيس ولم اعرف حتى الان ما اذا كان هيكل قد سلم الرسالة ومرفقاتها له في ذات اليوم كما وعدني أم لا ، وعهدي به انه فعل وقد اقسم لي بذلك . . . .

ورغم كل هذا واكثر فقد كنا نفترض اكبر قدر ممكن من حسن النية في شخص الرئيس جمال عبد الناصر والعاملين معه . وكنا نحاول ان نقنع انفسنا ان كل ما ارتكبته الاجهزة المصرية من اخطاء كان بفعل عدم المعرفة والدراية ، وكنا مضطرين الى التعاون مع هذه الاجهزة سواء كانت في القاهرة او في دمشق ونحن نناضل من اجل اسقاط نظام حكم قاسم الشعوبي الدكتاتوري وكانت معاناتنا مستمرة في ذات الوقت من مداخلات هذه الاجهزة في شؤوننا ومحاولتها الدائمة فرض قراراتها علينا .

وهذا مثال . . منذ وصلت الى دمشق اخضعت لمراقبة المخابرات وكان (يزورني) رجل

مخابرات مكلف بمراقبتي مرتين كل يوم . . مرة فى الصباح ومرة في المساء . وقد اعترف هو بنفسه بحقيقة مهمته . ومع الزمن نشأت بيننا علاقة فصرت اعاونه فى كتابة التقرير اليومي عن تحركاتي . . وكنت اذكر له اسماء الذين يزورونني أو التقى بهم وأوافيه بتفاصيل تحركاتي فيما يكون هو يحتسي الشاي .

ورغم كل ذلك لم أياس . فبعد عودتي من القاهرة الى دمشق اعترتني حالة من التفاؤل خاصة واني قد سمعت كلمات تدل على شيء من التجاوب من شعراوي جمعة وعبد المجيد فريد . وكان العامل الاساسي فى حالة التفاؤل هذه هو ان مسألة خروجي من اراضى ج . ع . م . لم تعد مطروحة كما انه جرت الموافقة على استئناف العمل لاسقاط نظام قاسم . غير ان شيئا من الذى جرى الاتفاق عليه في القاهرة لم يجد طريقه الى التنفيذ .

. . ولجأت من دمشق الى القاهرة ليتوقف نشاطي السياسي

اثناء زيارتي للقاهرة التقيت عددا من اللاجئين السياسيين العراقيين في الاقليم الجنوبي منهم عبد الرحمن البزاز الذى اصبح رئيسا للوزراء في عهد عبد السلام عارف وفؤاد الركابي امين سر القيادة القطرية لحزب البعث في العراق والوزير في حكومة قاسم الاولى والدكتور جابر عمر الوزير في حكومة قاسم الاولى أيضاً والاخ الصديق محمود الدرة وفؤاد عبد الجبار وساطع الحصيرى وسلمان الصفواني وعدنان الراوي وغيرهم ، وقد التقيت مع الصديق البزاز بالذات اكثر من مرة في بيته وفي الفندق الذى نزلت فيه ، كما اني حضرت اجتماعا عقد في مقر التجمع القومي اختلفت فيه الآراء حول حقيقة عبد الكريم قاسم وكان لكل رأى انصاره ومؤيدوه . وهذا يعني ببساطة أن العناصر القومية في العراق لم تكن متفقة على تحديد هوية قاسم رغم ان بعض هذه العناصر كانوا وزراء في حكومة قاسم . . !

ومن خلال اللقاءات التي حضرتها ادركت ان الانقسامات تعصف بصفوف اللاجئين العراقيين في القاهرة كما هو الحال في دمشق وحين زارني البزاز في الفندق يوم ١٨ يناير ابلغني ان التجمع العراقي في القاهرة هو في حقيقته اسم بلا مسمي . وكان اخوة عراقيون اخرون يقولون ان فائق السامرائى سكرتير عام التجمع لا يمثل الا نفسه ، ولهذا فقد كان البزاز وجابر عمر يعتزمان بتأييد من عدنان الراوي والكثير من اللاجئين العراقيين التقدم الى السلطات بطلب لتأسيس جبهة احرار العراق ، وقد اتفقنا على ان اتحرك انا فى دمشق في ذات

الاتجاه كي يكون تحركنا واحدا . وبالفعل فقد اتصلت مع الاخوة العراقيين في دمشق ، ولقيت الفكرة تشجيعا واستعدادا للعمل من اعداد كبيرة منهم ولكن السلطات لم توافق .

تبخرت في دمشق

وعندما شعرت ان الوعود التي سمعتها في القاهرة قد تبخرت في دمشق اقدمت على محاولة جديدة لاشعار عبد الناصر ان هناك خللا ما في الاجهزة المسؤولة في جهاز الشؤون العربية في مكتبه ولهذا فقد انتهزت فرصة حلول عيد الأضحي وبعثت له برقية تهنئة بالعيد اشرت فيها الى ضرورة الضرب على الايدى الخفية التي اوقعت الكيلاني في غياهب السجن . وهذا هو نص البرقية التي تحمل تاريخ ٣/٦ / ١٩٦٠ :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر المحترم / القاهرة

في الوقت الذي يخوض شعب العراق العربي الكفاح المرير ضد الاستعمار الغاشم ، وفي الوقت الذي يعاني احرار العراق الاشاوس وعلى رأسهم أخوكم البطل رشيد عالي الكيلاني عذاب السجن الرهيب . . اتقدم الى سيادتكم لمناسبة عيد الاضحى المبارك لأهنئكم والمسلمين والعرب في كافة اقطارهم راجيا المولي تعالى ان يسدد خطاكم للعمل يدا واحدة مع اخوانكم في الجهاد من ابناء العراق المخلصين لخلاص العراق من ربقة الاستعمار والضرب على الايدي الخفية التى اوقعت الكيلاني في غياهب السجن حتى لا يضيع العراق ويتشتت ابناؤه المخلصون . . والله اكبر والعزة والمجد للعرب .

ولم اتلق أي رد على هذه البرقية ، ولا اعرف ما اذا كان عبد الناصر قد اطلع عليها ام لا .

ومع ذلك فلم أيأس وبدأت اعمل على اكثر من محور وفي اكثر من اتجاه .

المحور الاول : الاستمرار في محاولة استجلاء النقاط والعناصر الغامضة في المؤامرة التي ورط فيها رشيد عالي الكيلاني . ولهذه الغاية فقد ذهبت الى بيروت عدة مرات من اجل معرفة الكيفية التي حولت بها النقود الى مبدر كامل الكيلاني وعبد الرحيم الراوي ، ولماذا اختير صراف يهودي للقيام بهذه المهمة .

كذلك فقد بدأت اجرى اتصالات مع بعض المسؤولين العرب من اجل التوسط لدى عبد الكريم قاسم بهدف اطلاق سراح رشيد عالي والغاء حكم الاعدام الصادر بحقه .

ولهذه الغاية اجتمعت اكثر من مرة مع الصديق رشيد الخطابي القنصل العام للمملكة المغربية في دمشق ـ وهو ابن البطل عبد الكريم الخطابي ـ الذي اخبرني في أحد اللقاءات معه وذلك يوم ١٩ نوفمبر ١٩٦٠ انه تقدم باقتراح تحريري الى الملك محمد الخامس واثناء وجوده في الرباط قبل ايام للتوسط من اجل الكيلاني وان الملك أجابه بأنه لا يريد التدخل في شؤون العراق أو الجمهورية العربية المتحدة .

المحور الثاني : واثناء زيارتي لبيروت علمت ان المخابرات العراقية تقوم بتنظيم شبكات تجسس في بيروت مهمتها ملاحقة اللاجئين العراقيين في سوريا . وقد تمكنت المخابرات العراقية من نسج خيوط تعاون مع المكتب الثاني (المخابرات العسكرية اللبنانية) ومن خلال هذه العلاقة طلب العراق من لبنان ، وكان كميل شمعون الموالي للغرب وخاصة الانكليز رئيسا للجمهورية في ذلك الوقت ، ملاحقة اللاجئين في لبنان .

وفي مساء ٢٣ نوفمبر ١٩٦٠ التقيت في دمشق مع الصديق عيسى الزيبق الذي اعتقله المكتب الثاني اللبناني لعدة ايام سئل خلالها عني وابلغني اني اصبحت مطلوبا للمخابرات اللبنانية التي تعتقد اني اقيم في لبنان .

ولهذا فقد ذكرت في ضرورة تنظيم شبكات معاكسة مهمتها ملاحقة شبكات المخابرات العراقية وكشف اسرارها وتحركاتها . وفي ذات الوقت ان تقوم باجراء الاتصالات مع العناصر القومية في العراق من اجل تنظيم عمل لاسقاط قاسم . وطرحت الفكرة على المكتب رقم ٢١ في دمشق ومكتب الشؤون العربية وكالمعتاد ابلغت بالموافقة وتم التنصل من التنفيذ .

والغريب ان اجهزة الجمهورية العربية المتحدة التى كانت ترفض التعامل الايجابى مع العناصر القومية الواعية والشريفة ، كانت مولعة بالعمل مع المأجورين والمشبوهين . . وبالطبع فان الامر يختلف بين هذه الحالة وتلك . ويعود سبب تفضيل العمل مع النوعية الاخرى الى انها مطواعة تنفذ ما تؤمر به دون نقاش ما دام كل شيء بمقابل . ولكن هذه النوعية من الناس لم تكن مضمونة سياسيا ذلك ان الذين هربوا من العراق في عهد قاسم ليسوا العناصر القومية فقط بل لقد هرب في بداية عهده العديد من العناصر الموالية للنظام الملكى السابق وقد كانت هذه العناصر تعمل بنشاط من وراء ستار القومية . كما تورطت اجهزة

المتحدة في بعض الحالات بالتعامل مع محتالين محترفين كانوا يأخذون الاسلحة ويهربونها الى العراق باعتبار ان لديهم تنظيمات يريدون تسليحها ، وكانوا يحصلون كذلك على الاموال من اجل الانفاق على مخططات وهمية لاسقاط قاسم . وكانوا في ذات الوقت يقومون ببيع الاسلحة بعد ان يدخلوها للعراق لمن يدفع بما فى ذلك للحزب الشيوعى ، وقد اوردت تفاصيل احدى هذه الحوادث في فصل سابق .

حادث غريب

هناك حادث غريب يستحق الذكر ففي الاشهر الاول من عام ١٩٦٠ ، ولا اذكر التاريخ بشكل محددً ، جاء الى دمشق طيار عراقي طالبا حق اللجوء السياسي هو الملازم اول الطيار عبود حسن سالم . وزعم انه مرتبط بتنظيم عسكرى داخل الجيش العراقي يعمل من اجل الاطاحة بنظام عبد الكريم قاسم . وابلغ سلطات المتحدة في ذات الوقت ان قائد الطيران العراقي جلال الاوقاتي قد كلفه بالهرب الى الجمهورية العربية المتحدة ، وانه كلفه بمهمة لصالح حكومة قاسم ، ولم يكن بامكانه ان يرفض ولهذا فانه يكشف حقيقة مهمته لسلطات المتحدة ويطلب مساعدته من اجل العودة للعراق على اعتبار ان المهمة التى كلف بها قد نجحت حتى يصبح موضع ثقة مطلقة في بغداد تساعده على نجاح مهمته الاخرى فى اسقاط قاسم .

وارتاب اللاجئون العراقيون بأمر هذا الطيار خاصة بعد ان كشف لي الضابط الاحتياط عبد الله الدوري شقيق الرائد طه الدوري ان عبود هذا كان معه اثناء الدراسة في الكلية العسكرية ، وانه يعرف انه من الاتباع المخلصين لعباس علي غالب مدير عام الشرطة في العهد الملكي ، الذي هرب بعد قيام الثورة وفتح مكتبا للتجارة والمقاولات في بيروت باسم مكتب الخليج العربى .

وقمت من فوري بابلاغ برهان ادهم مدير المكتب رقم ١١ وكذلك طلعت صدقي المسؤول في مكتب الشؤون العربية وتم الاتصال مع القاهرة حيث جاء عبد المجيد فريد مدير مكتب الشؤون العربية من اجل بحث امر هذا الطيار . وقررت سلطات المتحدة نقله الى القاهرة للتباحث معه في تفاصيل مهمته وحمايته من عناصر المخابرات العراقية حتى لا تصل اليه في دمشق ، وعندما زفت ساعة الرحيل الى القاهرة ، زعم عبود هذا انه يحمل رسالة من

تنظيم الضباط الذي ينتمي اليه الى الزعيم ناجي طالب الذي كان قد خرج من حكومة قاسم بعد ان تولى منصبا وزاريا فيها ، ولكنه لم يعتقل او يحكم ، وطلب ان يوصل الرسالة الى ناجي طالب الذي كان يقضى اجازة في بيروت في ذلك الوقت ، على ان يتابع رحلته من هناك الى القاهرة برفقة عبد المجيد فريد وطلعت صدقي .

وأقام الثلاثة في احد فنادق بيروت ، وفي صباح اليوم التالي افتقد عبد المجيد وطلعت الطيار فلم يجداه في غرفته . وفي اليوم التالي فوجئوا به يهاجم الجمهورية العربية المتحدة وقيادتها عبر اذاعة عمان . وقد علمت انه ذهب الى الاردن بواسطة احدى طائرات الامم المتحدة عن طريق السفارة البريطانية فى بيروت ، وان الذي رتب له العملية هو عباس على غالب الذي عاد الى التنقل بحرية بين بيروت وبغداد بعد ان تحسنت العلاقات بين العراق والاردن اما ناجي طالب فقد نفي ان يكون عبود هذا قد سلمه اية رسالة . كما نفى وجود أي تنظيم مرتبط به .

وليت سوء التقدير اقتصر على التعامل مع العناصر غير المعروفة لها لهان الامر ، ولكنه تجاوز ذلك الى الذين قررت اجهزة المتحدة تحميلهم مسؤولية ادارة شؤون اللاجئين العراقيين واسقاط نظام قاسم .

امكانات التحالف

والواقع ان حكومة المتحدة لم تسارع في حينه الى رفض المشروع الاردني لاسقاط الشيوعية في العراق ، فقد فكرت ودرست هي الاخري امكانية التحالف مع الملك حسين في مواجهة قاسم وعندما شعر قاسم بذلك بادر هو الى ترطيب الاجواء وتحالف مع الملك في مواجهة عبد الناصر .

غير ان القشة التي قصمت ظهر البعير وجعلتني اقرر مغادرة دمشق الى القاهرة هي اللامبالاة البالغة التي واجهتها حتي من قبل عبد الحميد السراج نائب عبد الناصر ووزير الداخلية حين فاتحته بخطة عمل متكاملة للاطاحة بقاسم يقودها العقيد الطيار خلف الجنابي .

ففي اليوم الثاني من نوفمبر ١٩٦٠ التقيت عبد الحميد السراج في مكتبه بمقر رئاسة

المجلس التنفيذي في الاقليم الشمالي . والذي رتب لي الموعد هو الصديق ممدوح الميداني الذي سبق ان هرب السيد رشيد عالي الكيلاني الى السعودية .

تم اللقاء مع السراج في الساعة الواحدة وخمس دقائق من بعد ظهر ٣ نوفمبر حيث شرحت له اني التقيت في الاسبوع الثاني من شهر سبتمبر الماضي في بيروت العقيد الطيار خلف الجنابي رئيس حركة الضباط الاحرار الجديدة في الجيش العراقي التي تعمل للاطاحة بقاسم وابلغته ان اجتماعاتي مع الجنابي استمرت لخمسة ايام كلفت في نهايتها بأن اكون المفاوض الرسمي باسم الحركة مع المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة وما يتعلق بمستقبل العلاقات بين العراق والمتحدة ، وسلمته رسالة من الجنابي بهذا المعني .

وشرحت للسراج ان هذه الحركة بدء في تشكيلها في الاشهر الأول من سنة ١٩٦٠ من ضباط مقربين لقاسم وخاصة رئيس الحركة العقيد الجنابي ، وانها ـ الحركة ـ تعمل على توسيع خلاياها في مختلف اسلحة ومعسكرات الجيش العراقي من اجل ضمان نجاح الثورة . وحتي ذلك الوقت كان قد انخرط في صفوف التنظيم ضباط لديهم القدرة على السيطرة على القوة الجوية ومعسكر الرشيد ومعسكر ابو غريب ولواء مدرع . وقد تم تشكيل مجلس قيادي للتنظيم من ١٥ ضابطا سيكون نواة لمجلس قيادة الثورة الذى سيتولى المسؤولية بعد الاطاحة بقاسم .

خطة الاطاحة

اما خطة الاطاحة بقاسم فكانت تقضي بخنقه داخل مكتبه في وزارة الدفاع من قبل بعض الضباط المقربين اليه من قادة الحركة . وبعد التخلص منه سيعلن عن تشكيل مجلس قيادة الثورة وحكومة عسكرية مدنية مختلطة ومجلس استشارى كما سيبقي على مجلس السيادة الذي يرأسه اللواء نجيب الربيعي بصفة مؤقتة .

وابلغت السراج ان النظام الجديد سيعمل على الفور على انضمام العراق الى الجمهورية العربية المتحدة . وتقدمت اليه في نهاية اللقاء بقائمة من الطلبات بعضها مطلوبة قبل قيام الحركة وبعضها بعد قيامها . فقد طلبت ما يلى قبل التنفيذ استعدادا للطوارىء :

١ ـ اعداد كمية كبيرة من الاسلحة المختلفة على الحدود لتوزيعها في الوقت المناسب واذا

ما دعت الحاجة الى ذلك .

٢ ـ جهاز اذاعي قوي متنقل جاهز للعمل للطوارىء يكون بالقرب من الحدود ايضا .

٣ ـ تأمين خطوط الاتصال بيننا عن طريق الحدود . . بيـروت . . الكويت . . وغيرها .

٤ ـ عدم اثارة اى موضوع يستفز قاسم .

٥ ـ الايعاز الى القوميين العرب وغيرهم بالمهادنة والتعاون مع كافة العناصر القومية والاسلامية . . ولو مؤقتا .

٦ ـ توحيد وسائل الدعاية كافة . . نحو التضامن العربي .

٧ ـ اتخاذ خطوات عملية للتقارب مع العراق واستغلال الفرص والمناسبات لتحقيق ذلك الامر الذي يساعد الضباط للعمل بنشاط وسكينة لتحقيق اهدافهم .

٨ ـ تحديد النشاطات الاخرى حتى لا تتعارض مع الحركة وتوحيد العمل المشترك في التوجيه العام .

١ ـ الاعتراف بالحكم الجديد من قبل حكومتكم الموقرة والحصول على اعترافات الدول الصديقة .

٢ ـ ضمان عدم تدخل قوات اجنبية مسلحة .

٣ ـ تأمين قوى عسكرية عند الحاجة .

٤ ـ اعداد وفد عسكرى للتفاوض مع حكومة الثورة فور قيامها .

وابدى السراج اهتماما كبيرا بالعرض الذى قدمته له وشكوت له ايضا ان الاجهزة المعنية تتلكأ في التعاون معي .

فسارع الى الاتصال بواسطة الهاتف مع النقيب عبدو حكيم مدير المكتب رقم ١١ الذي خلف المقدم برهان ادهم ، وطلب منه التعاون معي وطلب مني ان اشرح له الموضوع بصورة مسهبة .

وبالفعل تم اللقاء مع عبدو حكيم في الساعة السابعة من مساء ذات اليوم . . وشرحت له كل التفاصيل وابدى استعدادا كبيرا للعمل . . كما ابدى حماسا لفكرة التعاون مع القنصل العراقي في دمشق الذي كان شابا قوميا مخلصا . . ولكن ايا من الامور التي اتفقنا عليها لم يجر الالتزام بها . .

وحاولت ان اعمل بالتنسيق مع الصديق ممدوح الميداني الذي عين مديرا عاما للامن بعد ان نجح في تهريب الكيلاني الى السعودية قبل ان يعزل ويعتقل لذات السبب في عهد شكري القوتلي .

وكما ذكرت فان الميداني في عهد الوحدة عمل ضابطا في المخابرات مختصا بالتعاون مع الضباط والخبراء الالمان وتأمينهم في اراضي الجمهورية العربية المتحدة بعيدا عن مطاردة دول الحلفاء . وقد فكرنا في ان نرسل الى بغداد عناصر المانية تشارك في التخطيط لازاحة قاسم للاستفادة من خبرتها في هذا المجال . وتمت اتصالات اولية بهذا الشأن بالفعل ، وجرى الاستعداد لسفر بعض الالمان من المانيا الى العراق تحت غطاء العمل مع شركة المقاولات التي سبق ان اسستها في بغداد في اواخر ايام العهد الملكي وكانت تديرها زوجتي اثناء فترة اقامتي في دمشق . . غير ان كل شيء اوقف حين قررت ان لا فائدة من مواصلة محاولات التعاون مع اجهزة الجمهورية العربية المتحدة وبسبب تصاعد الخلافات بيني وبين المكتب في دمشق وقررت ان اطلب حق اللجوء السياسي في الجمهورية العربية المتحدة كي اقطع علاقتي مع المكتب وان انتقل من دمشق الى القاهرة للاقامة فيها والخلود الى كتابة المذكرات والدراسات . . .

وكان سبب خلافي مع المكتب يعود الى اني لم اكن اعتقد ان طريقة عملهم يمكن ان تحقق أي شيء وهي طريقة اشعرتني بوجود شيء من الانفرادية والسيطرة المباشرة لاجهزة المخابرات كما اننا لم نتمكن من الاتفاق على التعاون على قضايانا كلاجئين عراقيين .

لقد شعرت ان المكتب العسكري العراقي لم يكن يحظي بأي استقلالية فهو لم يكن سوى امتداد لرئاسة الجمهورية في القاهرة . ومكتب الشؤون العربية في القاهرة الذي لم يكن يعمل به عرب ، وكان يفترض ان يكون مكتبا كبيرا كي يكون قادرا على فهم قضايا اللاجئين العرب الذين توافدوا الى المتحدة من مختلف الاقطار العربية . وكان يفترض ان يعمل في هذا

المكتب عدد من السياسيين الذين يستطيعون اتخاذ القرارات لا ان يكونوا مجرد موظفين ينفذون الاوامر والتعليمات التى يتلقونها فقط كما كان الحال .

لا تقدير ولا فهم

اضافة الى ذلك فان المكتب العراقي لم يقم بعمله الصحيح من خلال التعاون الحر الديمقراطي المخلص مع أي فئة كانت ومن اى قطر عربي اتت . لقد كانت هذه الاجهزة لا تقدر ولا تقيم ولا تفهم معني التضحيات التي يقدمها العرب في أقطارهم وتدفعهم للمجيء الى ج . ع . م . ولم اكن استطيع ان استمر فى التعامل مع اجهزة تعمل بعقلية مخابراتية بل هي كانت فعلا امتدادا لاجهزة المخابرات ، ولم يكن ممكنا ان نقوم بعمل عربى مشترك بهذه الاساليب من التعامل البوليسي مع مناضلين قوميين تركوا بلدانهم هربا بمبادئهم وعقيدتهم القومية ليعاملوا كما يعامل المرتزقة . لقد كان يجرى توقيف الهاربين العرب من اقطارهم في نقاط الحدود حيث كانوا يخضعونهم للتحقيق لانهم بحكم عقليتهم المخابراتية يشكون في أي قادم . وكان المفترض ان يسألوا اللاجئين السابقين عنهم . ولكنهم كانوا يشكون في الجميع ويراقبون الجميع ، وهذا دليل الافلاس في التنظيم القومي ؟ !

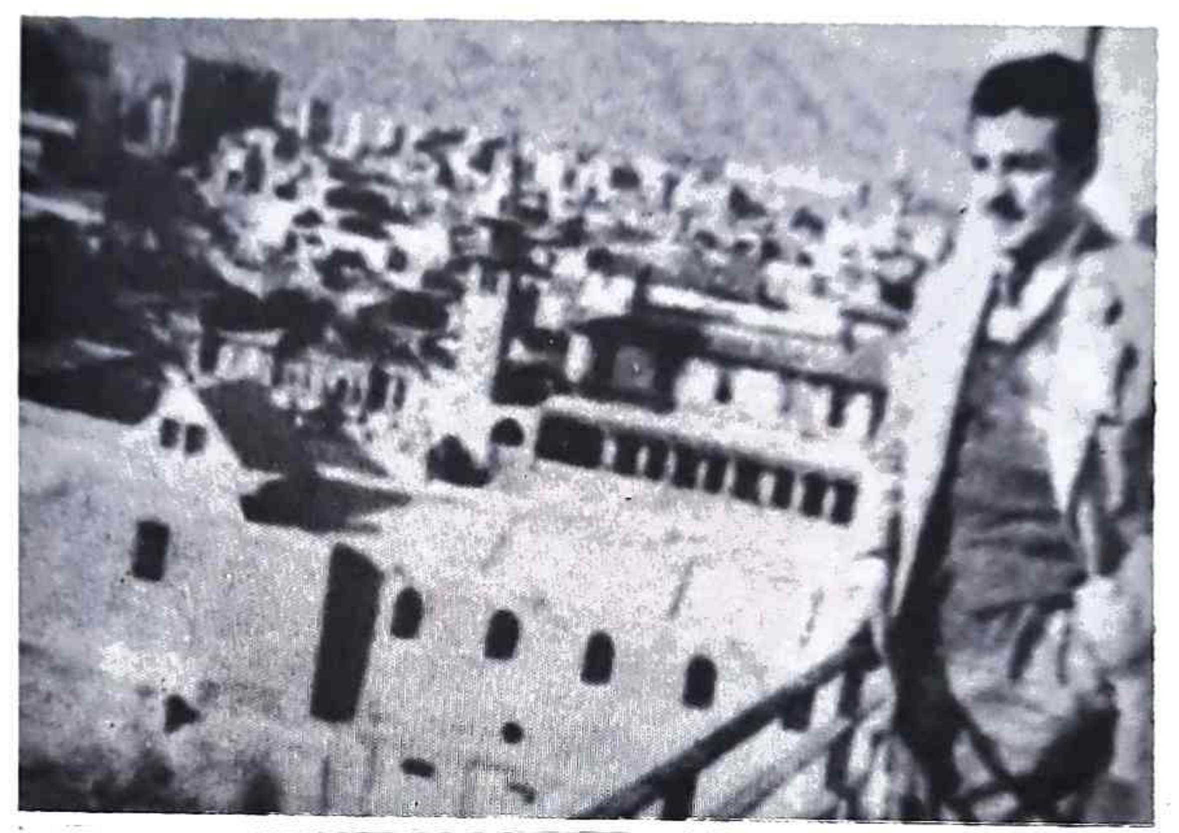
بل ان هذه العقلية جعلتهم لا يتعرفون على رجل الامن الذي سبق لهم ان كلفوه بمراقبتي في دمشق حين جاء بدوره للقاهرة بعد حدوث الانفصال هربا من النظام الجديد . فقد رفضوا ان يمنحوه شهادة تفيد بأنه كان يعمل في جهاز المخابرات في الاقليم الشمالي . وهي افادة كانت ضرورة لحصوله على مخصصات تبلغ ٥٠ جنيها في الشهر لاعالة اسرته . وقد اعطيته انا بدوري هذه الشهادة ودبرت أموره .

لقد عومل هذا الرجل على هذا النحو رغم انه كان في الاساس واحدا من الفدائيين الذين قاموا بعمليات بطولية داخل فلسطين المحتلة . وحين قررت اجهزة المخابرات وقف العمليات الفدائية فى فلسطين عينت الفدائيين الثلاثة الذين ظلوا على قيد الحياة من اصل عشرين ، مخبرين براتب شهرى مقداره ٢٠٠ ليرة سورية لكل مخبر منهم ، وكان محمدا واحدا من الفدائيين الثلاثة الذين تم تحويلهم من مناضلين الى مخبرين مهمتهم رصد حركات وسكنات مناضلين عرب اخرين في دولة ترفع راية القومية العربية والنضال القومي . . !!

ومن اجل أن أحمي نفسي من هذه الاجهزة ، التي كان بديهيا ان اختلف معها ، قدمت طلبا للجوء السياسي للجمهورية العربية المتحدة . وقد ووفق على طلبي بعد اربعة اشهر من تاريخ تقديمه ، وبعد ان توسط في القاهرة الصديق هاني الهندي عضو مجلس الامة عن الاقليم الشمالي والوزير فيما بعد ، وحولت اقامتي من دمشق الى القاهرة ، وبذلك توقف نشاطي السياسي ولم اواجه ذات المضايقات التي واجهتها لتوقف اتصالي المباشر مع هذه الاجهزة ، وقد بقيت في القاهرة حتي قيام ثورة شباط فبراير ١٩٦٣ في العراق التي قام بها حزب البعث العربي الاشتراكي وسقط نظام عبد الكريم قاسم الذي واجه مصيره المحتوم . وعندها عدت للعراق في شهر أذار مارس التالى .



● السهروردي ومدحت الحاج سري في بيروت



● السهروردي في دمشق قبل انتقاله الى القاهرة في ٢٠/١٠/١٩٦١



● السفير امين هويدى يستقبل نجم الدين السهروردي في حفل السفارة في ٢٣ يوليو ١٩٦٨

اعدام قاسم ، وفاة الكيلاني ، مصرع عارف

من القاهرة بعثت برسالة مطولة الى عبد الكريم قاسم بتاريخ ١٠ يناير كانون الثاني ١٩٦٢ . لم تكن رسالة استرحام او استعطاف ، بل دعوة الى تصحيح المسار والعودة بثورة تموز الى طريقها الصحيح التي حرفها قاسم عنه(*) .

---

* ان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق قامت للقضاء على اطلاق حرية الانسان العربي ليساهم في الحضارة العربية الاسلامية والعالمية .

* إن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق هي ثورة العرب ، كل العرب كما يتمتع به اهل العراق من قدرة طبيعية تتسم بالتطلعات المستقبلية لكل ابناء العرب في بلاد العرب .

* ان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق تتمتع بعقلية واعية تستطيع بحكم رجالاته المؤمنين ، تحقيق المتميزات المستعصية وارضه تكتنز في باطنها مالا تكتنزه ارض في الدنيا كلها .

* . . . لهذا ولذاك ولاسباب اخرى لا مجال لذكرها هنا . . املت على هذه الدوافع ان اكتب الى الزعيم عبد الكريم بصفة شخصية كمواطن يرفض الانحراف عن الطريق الذي رسم لهذه الثورة .
. . . ولاني اشعر في اعماق اعماقي ، ان العراق باهله الطيبين ورجالاته المخلصين يصنعون العجب العجاب لو ان قواتنا العربية في كل مكان يدركون دور العراق واهل العراق وما يمكن ان يقدمون من اجل امتنا العربية المؤمنة بحق الشعوب الوفية لديننا الحنيف وامتنا المسلمة . .

* . . . وللحقيقة والتاريخ ، فان الدوافع التي أملت عليّ لمخاطبة عبد الكريم قاسم ، لها اكثر من سبب . . لعل اهم هذه الاسباب هي ما يلي :

قد بعثت بهذه الرسالة بواسطة البريد ، وكذلك بواسطة السفارة العراقية بالقاهرة ، في وقت كان قاسم يشعر فيه بالعزلة الشعبية داخل العراق اكثر من اي وقت اخر . فخلافه مع الحزب الشيوعي العراقي كان قد تجدد وتفاقم ايضا وبلغ درجة هرب معها قادة الحزب وكوادره العليا من العراق الى الخارج حيث اقاموا في البداية في العاصمة البلغارية صوفيا ثم انتقلوا منها الى العاصمة التشيكية براغ لقربها من المانيا الغربية حيث كان الشيوعيون العراقيون يهربون اليها بواسطة جوازات سفر مزورة كانوا يحصلون عليها باسماء غير اسمائهم الحقيقية بوساطة عناصر شيوعية كانت تعمل في دائرة الجوازات العامة في بغداد . وقد كشفت الشبكة والقى القبض على افرادها في حينه .

كذلك فان الحزب الديمقراطي قد انشق على نفسه واختلف قاسم مع زعيم الحزب كامل الجادرجي الذي غادر العراق الى اوروبا ولم يعرف احد في حينه مكان اقامته . ولم يبق الى جانب قاسم في تلك الفترة من بين الاحزاب العراقية سوى الجناح المنشق عن الحزب الديمقراطي بزعامة محمد حديد وبعض العناصر الانتهازية .

وكانت عادة قاسم انه كلما اختلف مع حزب او تيار سياسي سعى الى التحالف مع حزب او تيار اخر حتى ولو كان يمثل نقيض حلفه السابق . وكما اوضحت في فصل سابق فانه اطلق سراحنا في حزيران يونيو ١٩٥٩ وحاول ان يجدد تحالفاته مع الفئات القومية حين اختلف مع الحزب الشيوعي لاول مرة . بل انه في هذه المرة كان قد اطلق سراح الكيلاني وعبد السلام عارف فلماذا لا نفسح له المجال لتكرار المحاولة سيما وان كل المحاولات التي بذلناها حتى حينه

---

* إن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق . كانت امتدادا ، بل ونتيجة قيمة لثورة رشيد عالي ١٩٤١ رغم انها جاءت متأخرة .
* ان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق احدثت تحولا جذريا في موازين القوى الاستعمارية قديمها وجديدها من جهة ، والعربية من جهة ثانية .
* إن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق قامت لغرض التصحيح واعادة المسار لاهل العراق بعد ظلام دام ستة قرون .
* إن ثورة ١٤ تموز ١٩٨٥ في العراق ينبغي ان تكمل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر . وقد قامت جمهورية عربية متحدة قوامها اندماج وحدوي بين قطرين عربيين .
* إن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق جاءت لتحقق مبدأ اعادة توحيد الوطن العربي الذي مزقته سياسة التتريك ، من جهة ، والسياسة الغربية ، التي تجسدت بتنفيذ معاهدة سايكس ـ بيكو المشئومة لتقسيم وتقنيت الامة العربية الى دويلات .

لاسقاطه لم تسفر عن اية نتيجة نظرا للعوامل والاسباب التي نشرتها . هذا كان هدف رسالتي اليه التي يفترض ان تكون قد اعادت الى ذهنه ايام الكفاح والعمل المشتركة من اجل اسقاط الملكية وقيام ثورة تموز التي عملنا لاجلها معا .

رسالـــة دون ردّ

وهذا هو نص الرسالة التي لم اتلق عليها اية اجابة :

لا اريد في هذا العرض السريع الذي ستقرأ التعرض الى شخصك ، أو الاستهتار بك او باعمالك ، او التشهير بك وبتصرفاتك منذ قيام الثورة حتى هذه اللحظة . . كما لا اريد من هذا العرض التقرب منك فاني والله يشهد لن احيد عن مبادئي القومية واهدافي السامية قيد شعرة . وانت اعرف بذلك . الا اني اريد بهذا العرض ان اثبت لك بصفتك حاكما مطلقا ورئيس دولة ما زلت تحكم كما يحلو لك ان الظروف السياسية التي تجتاح فيها وطننا العربي في كل شبر من ارجائه الشاسعة رياح عاصفة تنذر بالخطر وتهدد بالفناء بعد ان نجح الاستعمار منذ قيام ثورة تموز بتفتيت العناصر المخلصة من ابناء الثورة وتشتيتهم والقضاء عليهم وعزلهم وابعادهم من جهة ، وباحداث الانقسامات والحزازات بين ابناء الامة العّربية من جهة اخرى . . فحدث ما حدث ووقع ما وقع بين اهم واخطر قطرين عربيين في البلاد العربية بكل اسف .

لقد نجح الاستعمار في تحقيق اهدافه العميقة فاستطاع ان يفرق في المرحلة الاولى فنجح . وبدأ الان يعمل لكي يسود ، ولن تستطيع انت وحدك ان تقف امام هذا الاخطبوط المسموم الذي لن يعيش الا بامتصاص الدماء .

واني اذ اقولها لك اليوم وبهذه الصراحة المطلقة لا اريد إلاّ خير بلادي ، وبدافع من وحي ضميري ، كما لا اقولها لاني اريد العودة الى وطني العراق . فلن اعود الا للدفاع عنه وخدمة ابناء جلدتي . والله على ما اقول شهيد .

وبعد ان شرحت له ابعاد الهجمة الاستعمارية على العالم العربي والتي ادت الى حدوث الانفصال ، حذرته من ان الهجمة باتت تتركز على العراق في هذه المرحلة وتابعت . . . ان الانكليز سيعودون وانت تعرف ذلك . فكافة القوى الرجعية تعمل الان من اجل اعادة الحكم الملكي الى العراق بعد ان وجدت ان الحكم الحالي قد تعثروتأخر في تحقيق ما اعلنه على العالم من اصلاحات واهداف لا حصر لها ودون ما فائدة تذكر . . . ولا يخفى عليك فقد دخلت الثورة

عامها الرابع ولم نجن سوى القتل والسحل والشنق والخراب والدمار ودفن الاحياء والعصيان والتمرد وغلاء المعيشة والكسب غير المشروع . وزادت الجرائم والسرقات وقل الانتاج واتسعت الهوة بين افراد الوطن الواحد . وانقسم الشعب الى طوائف ومذاهب وشيع وعنصريات وقوميات وعقائد وشعارات وفرق واحزاب سرية وعلنية . كما تشتت اهم العناصر العسكرية في جيشنا الباسل فتأثر بالانقسامات المريعة واصبحت واجباته الرئيسية قمع المظاهرات وحراسة المنشآت العامة ومراقبة الطرقات واعتقال الناس . فانصرف عن واجباته المقدسة واهدافه الشريفة التي من اجلها وجد .

ثم ارجو منك ان تلقى نظرة فاحصة على الصحف المحلية واستمع الى محطة الاذاعة العراقية وشاهد منهاجا تليفزيونيا واحدا من المناهج اليومية . فماذا تحتوي هذه الصحف ومحطات الاذاعة والتليفزيون . انها والله لا تخرج عن قال الزعيم الامين وفعل الزعيم الرحيم الى اخر ما كان يمج منه السامع ايام نوري السعيد وعبد الاله . وكأن المسألة جاءت لتغيير الاسماء وتبديل الالقاب .

نسيت انك بشر

واسمح لي ان اقول لك بصراحة ان الذي تسمعه او تقرأه . . . لا ينفعك ولا ينفع الناس حتى ولو كنت نبيا مرسلا لانك اعرف الناس باحوال الناس ، وكأنك نسيت انك بشر لا تمتاز عن غيرك إلا لانك عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة . وكأنك نسيت ان الرجال الذين حكموا العالم باسره ذهبوا الى غير رجعة .

والذين كانوا يحكمون العراق بالامس بالحديد والنار لم يجمع عظامهم حتى القبر . وكأنك نسيت يا كريم انك بشر ولدت لتموت كسائر ابناء البشر . وكأنك نسيت لاهداف والمبادىء التي من اجلها قامت الثورة . . وكأنك نسيت ان الشعب هو الباقي والافراد زائلون .

وكأنك تريد ان تقول وليكن من بعدي الطوفان . ان الاحداث المريرة التي اجتاحت عراقنا الحبيب في عهد الثورة . . . عهد التحرر والانعتاق . . عهد الامل والحياة . . . عهد الانطلاق والتقدم هذا العهد الذي بنينا عليه آمالنا البعيدة ومستقبلنا المشرق . هذا العهد اصبح وللاسف الشديد عهد الخراب والدمار . عهد العبودية والاستهتار . عهد الشيوعية والشعوبية . عهد الظلم والظلام . عهد الفرقة والانقسام . ذلك لان هذ العهد لم يدم

طويلا . لم تدم فرحتنا . لم تدم حريتنا اكثر من اسابيع معدودة بكل اسف . واني اذ اقول هذا فاني اقولها وفي نفسي جرح بليغ وفي قلبي ألم مرير لاننا فقدنا الجوهر ، ولاننا اضعنا الهدف ، ولاننا نسير الى الوراء ، ولان الثورة التي قامت في صبيحة الرابع عشر من تموز لتضيء لشعبنا الطريق اخمد نورها في مساء اليوم نفسه للاسباب نفسها التي اعرفها انا ، وتعرفها انت ، ويعرفها كل من ساهم بها واعد لها وعاش احداثها وخاض نتائجها وذاق ثمراتها منذ اليوم الاول لحركة الضباط الاحرار .

ثم انك لو القيت نظرة سريعة على الاحداث الخطيرة التي تهدد كيان العراق بالدرجة الاولى والقيت نظرة اخرى الى جهازك الذي يعتمد عليه كيانك المرتبط بوجودك فقط ، ويوم تزول انت يزول هذا الكيان . والسبب دعني اقوله لك دون لف او دوران لانك اصبحت بكل جدارة وحيدا اوحدا . لم يبق احد معك فقد اضعت كل شيء بتصرفاتك الشخصية وحرصك الشديد على وحدانيتك في التخطيط والانشاء والتعمير والهدم والبناء ، وكأن ذلـــك يدل على اصالة في الوطنية وتفوق في العبقرية وبطولة في الاسبقية ، لا ياسيادة الزعيـــم ، ان ذلك لا يتفق والروح الديمقراطية ، ولا ينسجم والنفسية العراقية ، ولا يتماشى ابـــدا والقومية العربية ، ولا يتفق حتى والاخلاق العسكرية .

ان استشارة العقلاء والحكماء وذوي الخبرة لن يكلفك كثيرا ولن يقلل من شأنك درهما . بالعكس فان ذلك يزيد من قدرك ويرفع من شأنك ومكانتك ويبرهن للناس على انك تريد الخير للجميع . ولن يؤاخذك بعدها زيد ولا عمرو حتى على اخطائك وهفواتك .

غـــــدا اســــوأ !

وليس هذا الذي اعرضه عليك بالشيء الجديد ولا هو بالشيء العسير . . . ولو عدت الى الاشهر الخوالي مرة اخرى واحصيت الاخطاء التي ارتكبت والارواح التي ازهقت والعوائل التي تيتمت والاحرار الذين شتتوا وطردوا وابعدوا ، لوجدت نفسك في حيرة من امرك ومن امرهم . وهذا صحيح ولكن اليوم لا يشبه الامس . وغدا اسوأ من اليوم الذي نعيشه اذا ما بقينا نسير القهقرى . وانت لا تزال ممسكا بكل الامور صغيرها وكبيرها بخيط واه ان شددته انقطع وان ارخيته انقطع .

ان عزل العناصر القومية المخلصة من ابناء البلد يهدد كيان البلد . وان سياسة العزلة

والابتعاد عن خط سير التقدم العربي يهدد كيان العراق مهما كان قويا وشجاعا . . وان الانفراد بالسلطة المطلقة لن يوصلك الا الى تحقيق اهدافك الشخصية والتي تزول بزوالك .

ان العراق اليوم بمفرده لن يقف امام اساطيل الاعداء وجيوشه التي اخذت تشدد الحصار على ارض العرب من كل مكان خاصة في منطقتنا الحيوية والتي اصبحت كالبركان .

ان الاندفاع الثوري الذي حقق لك النجاح في الاشهر الاولى من الثورة لن تجد له صدى بعد اليوم ابدا بعد خيبة الامل ، وانتكاسة الثورة ، والاستمرار في وحدانية التحكم في ادارة العراق ، الفردية المطلقة . على اني واثق كل الثقة من انك مدرك هذه الحقائق في قرارة نفسك كل الادراك .

مقترحـــــات

ولكن . . . ونظرا لما تقدم . . وما احسه تجاه وطني الذي ضحيت من اجله بزهرة شبابي وما زلت اضحي من اجله ما تبقى من عمري ، اود ان اعرض عليك بعض الاقتراحات التي قد تلاقي صدى يستجاب له ، وهو ليس بالشيء العسير ابدا . فمن اجل ان تعيد الثقة الى نفوس الناس عليك بما يلي :

١ ـ افساح المجال امام العناصر القومية الواعية والمخلصة كافة للاستئناس بآرائها القيمة للعمل على وضع دستور يحقق اماني الشعب وينسجم والروح العربية من كافة النواحي فتعيد الثقة والطمأنينة الى نفوس الناس حتي يصبح جميع الناس يدا واحدة ويلبوا النداء اذا ما طلبت اليهم ان يردوا الاعداء ويقضوا على العملاء . وهذا الامر يتطلب ولا شك تأسيس مجلس قومي يخطط ويرسم لسياسة العراق الداخلية والخارجية وله قوة قانونية لا تخضع للاراء الفردية والاهواء الشخصية .

٢ ـ طرد كل مذبذب انتهازي يخاف ان يقول (لا) خوفا على مصلحته الشخصية ومركزه المرموق حتى يتسنى للمخلصين ابداء آرائهم وتطبيق نظرياتهم وتجاربهم وفلسفتهم .

٣ ـ السير في الخط العربي والقضاء على كل ما يمت الى الشيوعية والشعوبية والرجعية دون تمييز او تردد .

٤ ـ مد يد الصداقة والاخوة الى الجمهورية العربية المتحدة ونسيان ما اصاب القطرين من

نصدع . والعودة الى تقرير المصير الواحد . والعدو اليوم بعد ان نجح في تفرقة اكبر واقوى قطرين عربيين في منطقة الشرق العربي . بدأ يعمل للقضاء عليهما بأي ثمن . وانا واثق من ان العربية المتحدة التي تواجه المصير نفسه لن تتأخر في مد يدها الى شقيقتها العراق على اساس من الود الصادق والاخلاص العميق والتخطيط الذي سيضع الامور موضع الثقة بالتعاون مع المخلصين من ابناء البلد القوميين الاشداء . وعندها سنكون انا وابن عمي على الغريب .

واعلم يا كريم ان نصرة العراق هي نصرة مصر وهي بالتالي نصرة العرب . وان انت ركبت رأسك وتمسكت بماضي الاحداث فسيضيع العراق ويعود الاستعمار من جديد » .

ولكنه ركب رأسه وبدأ في هذه المرة ، بدلا من ان يبحث عن حلفاء داخليين ، البحث عن حلفاء خارجيين . وكان الحليف الجديد الذي وجده هو نظام الحكم الانفصالي الجديد في سوريا . فقد كان همه ان يقيم التحالفات الخارجية في مواجهة عبد الناصر بعد ان اعتقد انه بات الزعيم الاوحد داخل العراق الذي يستطيع ان يحكم دون دعم اي حزب من الاحزاب . ومن اجل هذا الهدف عقد اجتماع قمة مع الرئيس السوري الجديد ناظم القدسي على الحدود المشتركة بين البلدين .

ولعلها مفارقة القدر التي جعلت نظام قاسم يسقط يوم الثامن من شباط (فبراير) ١٩٦٣ ليسقط بعده مباشرة النظام الانفصالي في سوريا يوم الثامن من آذار مارس من ذات العام ، ولتبدأ يومها على الفور محادثات وحدة ثلاثية تضم مصر وسوريا والعراق ادت الى توقيع ميثاق ١٧ ابريل (نيسان) الوحدوي الذي ادت الخلافات التي انبعثت من جديد والخوف من تجربة وحدوية جديدة الى جعل عبد الناصر يقدم على إلغائه بعد اشهر قليلة فقط من توقيعه .

وسقط قاسم في رمضـــان

حين قامت ثورة ١٤ رمضان (٨ شباط / فبراير) ١٩٦٣ كانت حالة من اليأس تسيطر على القوى القومية في العراق كافة من امكانية اسقاط نظام قاسم الشعوبي الدكتاتوري ، والعمل الاساسي في حالة اليأس هذه تمثل في الخلافات التي كانت تعصف بالقوى والاحزاب والتيارات القومية العراقية داخل العراق وخارجه ، وقد تضاعف الشعور بالياس بعد حدوث الانقلاب الانفصالي في سوريا يوم ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦١ ، وتحالف قاسم مع النظام الجديد في سوريا ، وابتعاد الجمهورية العربية المتحدة جغرافيا عن الحدود العراقية مما يجعل امكانية

مساعدة اي حركة قومية داخل العراق مسألة غاية في الصعوبة .

وكانت القوى المعارضة لقاسم تتوزع ولاءاتها وانتماءاتها بين عدة احزاب هي حزب البعث وحزب الاستقلال والحزب الاسلامي وحركة القوميين العرب والرابطة القومية . والى جانب هؤلاء كان هناك بقايا اتباع العهد الملكي الذين كانوا يبدون الاكثر نشاطا في تحركهم وعملهم لاسقاط قاسم والعودة الى الحكم من جديد .

والى جانب الخلافات التي كانت تسود علاقات هذه الاحزاب فان الخلافات كانت تعصف بكل حزب منها في داخله ايضا . بل ان بعض هذه الاحزاب كان قد اضمحل وتحول الى مجرد اسم فقط مثل حزب الاستقلال الذي تحول اغلب اعضائه الى حزب البعث وانشق من تبقى مشكلين حزبا جديدا هو الحزب الاشتراكي العربي .

انقسامـــــات

كذلك فقد كانت الانقسامات تعصف بحركة القوميين العرب حيث انشقت على نفسها في الساحة العراقية في ذلك الوقت وعموما فان هذه الحركة كانت ولا تزال وليدة وتنقصها الخبرة السياسية والثقافة الحزبية الى جانب انها تورطت في علاقاتها مع اجهزة المتحدة ففقدت استقلاليتها . ونتيجة لذلك فقد وظفتها الاجهزة اياها في خلافها مع حزب البعث .

وتضاءل دور وحجم الرابطة القومية التي كانت قد شكلت بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ولم تستطع هذه الرابطة اثبات وجودها في مواجهة نظام قاسم بسبب عدم كفاءة قيادتها ونقص خبرتها وعدم قدرتها على التنظيم والعمل المنظم .

وكان الحزب الاسلامي معزولا عن الاحزاب القومية الاخرى التي رفضت التعاون والتنسيق معه . وعموما فقد كان هذا الحزب صغيرا وليس له نشاط يذكر . وقد عاد بعض اعضائه الى العراق فيما لجأ بعضهم الاخر الى السعودية بعد ان شعروا بعدم رغبة المتحدة في التعاون معهم .

اما حزب البعث الذي اصبح موضع امل العراقيين بان يخلصهم من حكم قاسم ودكتاتوريته بعد ان نظم محاولة اغتياله الجريئة في شارع الرشيد في ٧ /١٠/١٩٥٩ ، فكان قد تعرض منذ تلك المحاولة لعملية تصفية شرسة من قبل نظام قاسم والشيوعيين داخل العراق ، كما ان قادته وعناصره الذين لجأوا الى الجمهورية العربية المتحدة تعرضوا للمضايقة والملاحقة في سوريا قبل

الانفصال ، وكذلك في مصر قبل الانفصال وبعده كما اوضحنا سابقا . وفي المرحلة التي تلت محاولة اغتيال قاسم تواجد في دمشق عدد كبير من قادة الحزب الذي هربوا من العراق منهم صدام حسين ، فؤاد الركابي ، هاني الفكيكي ، فالح المجول ونجاد الصافي وعلي صالح السعدي وعبد الكريم الشيخلي وعبد الستار الدوري ومدحت جمعة وهاشم قدوري وفيصل حبيب الخيزران وآخرون . والاخير- فيصل - كان يسكن معي ومدحت الحاج سري الذي كان يشاركنا ذات المنزل ايضا .

وفي ظل الظروف التي فرضتها اجهزة المتحدة على البعثيين لم يكن العمل في دمشق مجديا لاسقاط نظام قاسم . ومع هذا فقد اتخذ الحزب قرارا باسقاط قاسم ونظامه . ومن اجل تنفيذ هذا القرار بدأت قيادات وكوادر الحزب تغادر الاقليم الشمالي متسللة الى العراق ضمن خطة العمل الموضوعة للقيام بالثورة على قاسم كما غادر بعضهم الى لبنان بحثا عن حرية الحركة بعيدا عن مضايقات اجهزة المتحدة .

فعلوا كل ذلك بالسر وتكتموا في تحركاتهم وعملهم حتى اذا جاء يوم ٨ فبراير ١٩٦٣ فاجأوا الامة العربية كلها بانهم اتوا بالعيد في ١٤ رمضان . وشاء القدر ان ينفذ حكم الاعدام بعبد الكريم قاسم في ذات الشهر الذي سبق له ان ارتكب فيه مجازر الموصل سنة ١٩٥٩ .

برقيات تهنئة

يومها بعثت برقيات تهنئة الى اغلب اصدقائي من قادة « عروس الثورات » بما فيهم عبد السلام عارف الذي جاءت به الثورة رئيسا للجمهورية واحمد حسن البكر الذي تولى رئاسة الوزراء . وهذا نص البرقية التي بعثت بها الى عبد السلام عارف آملا في فتح صفحة جديدة معه :

هنيئا لشعبنا المغوار وهنيئا لامتنا العربية المجيدة . . لاول رئيس لجمهوريتنا المتحررة . حقق الله امانينا القومية بعزم شبابها الاشاوس وقوة جيشها الجبار . والله اكبر والعزة والمجد لاحرار العرب الميامين .

وهذا هو نص البرقية التي بعثت بها الى الصديق المرحوم احمد حسن البكر :

الاخ البطل الزعيم احمد حسن البكر المحترم ،
رئيس الوزراء ـ بغداد

ان النصر الذي حققته قواتنا المسلحة بفضل ايمانكم وعزم المجلس الوطني لقيادة الثورة قد اعاد لامتنا العربية المجيدة في ربوع الرافدين كرامتنا ومكانتنا وانتصر لدماء شهدائنا الابرار وحقق لشعبنا الجبار حريته ووحدته وامانيه الاشتراكية الحقة بفضل جهودكم واصراركم وعزم ارادتكم القوية . وفقكم الله وكافة اخواننا الميامين اعضاء الجلس الوطني الثائر ومجلس الوزراء الابطال . . . سائلا المولى جل وعلا ان يأخذ بأيديكم لتحقيق وحدتنا العربية الشاملة وحريتها العادلة ونصرها الاكيد لسحق الصهاينة المجرمين انه سميع مجيب . والله اكبر والعزة لامتنا العربية الخالدة .

وبدأت استعد لمغادرة مصر للعودة الى وطني العراق بعد ان تحرر من دكتاتورية قاسم الشعوبية . وكان لابد ان ابرق الى جمال عبد الناصر :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة . . .
. . . في الوقت الذي اغادر فيه ارض مصر العزيز عائدا لبغداد الحبيبة وقد ولى حكم الطاغية الاسود الى غير رجعة بفضل عروبة العراق ورجالها الميامين ابطال ثورة رمضان المباركة ، يطيب لي ان اتقدم لسيادتكم وشعب الجمهورية العربية المتحدة باسمى آيات الشكر والامتنان لما لاقيته من حسن الضيافة وعظيم التقدير داعيا المولى القدير ان يأخذ بايديكم الى ما فيه خير العرب كل العرب .

نجم الدين السهروردي
اللاجىء السياسي العراقي

الكيـــــلاني فـــرح

حين قامت ثورة ١٤ رمضان (٨ شباط فبراير ١٩٦٣) كان رشيد عالي الكيلاني اكثر الناس فرحا في العراق والوطن العربي ، تماما كما كان اكثر الناس فرحا يوم قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . ففي الحالتين خلصته الثورة من وطأة النظام السابق الذي كان مثل الكابوس يطوق عنقه . وتلك مفارقة كبيرة ان يحكم الكيلاني بالاعدام مرتين . . . مرة لانه قاد ثورة وحربا ضد بريطانيا وقواتها الغازية حيث تحالف الحكم الملكي مع المستعمر ضد الشعب وثورته ، ومرة لانه يؤمن بالقومية العربية والوحدة العربية في عهد حكم الثورة التي شارك في الاعداد لها ، وكان متفقا ان تسلمه رئاسة الجمهورية فانفرد بها عبد الكريم قاسم متحالفا مع الشعوبين الذين فجروا ثورة

حقدهم على القومية والقوميين والوحدة والوحدويين دونما مبرر لكل هذا الحقد الذي يفترض ان نكون له علاقة (بالايديولوجيا) .

واذا كان السيد رشيد عالي الكيلاني قد تشرد خارج وطنه في العهد الملكي الذي كانت السطوة الاولى فيه لعميل الانكليز نوري السعيد . فانه عاش في السجن اكثر من سنتين ونصف في العهد الشعوبي . ولكنه في الحالتين كان يحرك الشارع العراقي حيث لم ينس العراقيون ابدا ذلك الرمز الذي قاد نضالهم القومي التحرري في فترة من اكثر فترات التاريخ العراقي الحديث حلاكة . ولانه كان كذلك فقد اضطر عبد الكريم قاسم ان يصدر عفوا عاما عن كافة المحكومين والمساجين والمعتقلين السياسيين في العراق في ذكرى ثورة تموز سنة ١٩٦١ . وكان من جملة الذين اطلق سراحهم بموجب هذا العفو السيد رشيد عالي الكيلاني وعبد السلام عارف . كذلك فقد شمل العفو في حينه ايضا رجال العهد الملكي وكان بينهم رؤساء حكومات ووزراء سابقون .

لقد اصدر قاسم قرار العفو العام على امل ان يعاود الكرة في محاولته لكسب التيارات المعارضة بعد ان اصابه التعب من استمرار الاضطراب وانعدام الاستقرار والامن لنظامه طوال سنوات حكمه .

فالجيش كان في حالة انذار دائم . وهو نفسه لم يكن يعرف النوم طريقه الى عينيه من شدة القلق وترقب قيام ثورة تطيح بنظامه الذي وضع نفسه في مواجهة الجماهير . وقد كان يتوقع الموت في كل لحظة . وفي المقابل فانه رغم تحالفه مع الشيوعيين الذي استمر على نحو متقطع حتى سقوط نظامه ، لم يكن يثق في نواياهم اتجاهه ، ولم يكن يأمن جانبهم . فقد كانوا هم الآخرون يتحينون الفرصة للانقضاض على السلطة والانفراد بها دون قاسم .

زيـــارة عـــارف

لذلك فحين قامت ثورة رمضان التي قام بها حزب البعث ، بادر السيد رشيد عالي الكيلاني الى زيارة عبد السلام عارف الذي جاءت الثورة به رئيسا للجمهورية متساميا فوق الجراح السابقة التي سببها له عارف وهنأه بقيام الثورة الجديدة وتوليه منصب رئيس الجمهورية . كذلك فقد زار رئيس الوزراء احمد حسن البكر الذي دفعه وفاؤه لعبد السلام عارف للاتيان به رئيسا للجمهورية علما بان الاخير ـ عارف ـ لم يعرف بقيام الثورة الا من الاذاعة بعد قيامها ونجاحها ايضا . وبالطبع لم يكن عبد السلام عارف اهلا لهذا الوفاء . . . فبعد عدة اشهر فقط قاد حركة

انقلابية في ١٨ اكتوبر ١٩٦٣ ضد الثورة التي ردت له اعتباره وعينته رئيسا للجمهورية ، وانفرد بالسلطة على ذات طريقة عبد الكريم قاسم حيث تعرضت كل الفئات القومية والشريفة في عهده للاضطهاد والتنكل .

كانت زيارتا الكيلاني لعارف والبكر زيارتين بروتوكوليتين قدم خلالهما التهنئة والتبريك ولم يعاتب عبد السلام عارف بشيء على الاطلاق . وعاش الكيلاني في العهد الجديد مواطنا عاديا ظل بعيدا عن ممارسته اي دور سياسي تماما كما فعل منذ اطلق سراحه في عهد قاسم . وانتهز الكيلاني فرصة قيام العهد الجديد فتوجه الى الاسكندرية في مصر حيث قضى عطلة صيفية جميلة نفض خلالها عن كاهله تعب السنين الماضية . واثناء وجود الكيلاني في الاسكندرية قام عبد السلام عارف بردته على الثورة .

وزيارة ناصـــــر

لم يكن ممكنا ان يزور الكيلاني مصر دون ان يقوم بزيارة الرئيس جمال عبد الناصر ومع هذا فقد كاد ان لا يفعل لولا اني اقنعته بضرورة القيام بهذه الزيارة من قبيل المجاملة على الاقل اذ انه كان لا يريد ان يزور عبد الناصر لانه كان ما زال غاضبا بسبب المؤامرة التي ورطه فيها رجال عبد الناصر وكادت ان تؤدي الى اعدامه .

اللقاء مع عبد الناصر تم في منزله وكان قصيرا حيث استغرق ربع ساعة فقط . وقد رتبه الصديق كمال رفعت . وكان لقاء مجاملة لم يسأل عبد الناصر الكيلاني في خلاله عن المؤامرة التي ورط فيها ، كما لم يفتح الكيلاني الموضوع . فقد اكتفى الرجلان بتبادل التهاني لنجاح ثورة رمضان وسقوط قاسم وتبادلا بعض عبارات المجاملة ثم استأذن الكيلاني وانصرف .

ومن جهتي فقد باركت ايضا لعبد السلام عارف بالثورة بعد عودتي للعراق في شهر آذار مارس ١٩٦٣ . وشعرت انه استقبلني استقبالا رسميا تحدث خلاله بعنجهية لم تشعرني ان قلبه قد صفا . لذلك استأذنت وخرجت من مكتبه بعد خمس دقائق فقط وانا كلي قناعة ان عبد السلام عارف يظل هو عبد السلام عارف . . ولم يخب ظني في هذا الرجل ابدا بكل اسف شديد .

اما حين زرت المرحوم احمد حسن البكر فقد اشعرني بحفاوة الاستقبال حين قام من وراء مكتبه وعانقني وجلس الى جواري وتبادل معي مختلف الاحاديث . كم كان الفرق كبيرا بين

الرجلين . ففي الوقت الذي وجدت عارف ما زال حاقدا على الكيلاني ومن يمت له بصلة ، وجدت البكر ما زال يحتفظ بكل حبه وتقديره لقائد ثورة ١٩٤١ . فقد فتح البكر الحديث عن المؤامرة التي تعرض لها الكيلاني في عهد قاسم وكان ما زال غاضبا على عبد الرحيم الراوي لانه خضع لابتزاز قاسم وقبل ان يشهد ضد السيد رشيد عالي .

ولم اكن اعتزم البقاء في العراق ، فقد كانت زيارتي بهدف الاطمئنان على الوضع والالتقاء مع العائلة بعد سنوات التشرد التي قضيتها في سوريا ومصر . فقد كنت اعتزم العودة الى بيروت حيث كنت قد اسست شركة تجارية هناك كانت تتطلب تفرغي لادارتها والاقامة في لبنان . غير انني فوجئت بصدور قرار يسند لي منصب عميد كلية التربية الرياضية في جامعة بغداد دون استشارتي . وعلمت ان المرحوم احمد حسن البكر والمرحوم صالح مهدي عماش وقيادة حزب البعث كانوا وراء هذا القرار .

هـــــاجس

ورغم ان الكيلاني قرر اعتزال السياسة فقد ظل اسمه هاجسا يقلق عبد السلام عارف الذي قال لرئيس وزرائه طاهر يحيى ذات مرة بعد ان انفرد بالسلطة ، والاخير هو الذي نقل لي الرواية ، قال له . . ان رشيد عالي يتآمر ليصبح رئيسا للجمهورية . اما الدليل الذي قدمه على هذه المؤامرة فهو المنزل الذي شيده الكيلاني في المنصور واعتبره عارف قصرا كبيرا تتم تهيئته من اجل استقبال المهنئين حين يتولى رئاسة الجمهورية بدلا منه . . . . !

وكان الكيلاني في الواقع قد عرض هذا المنزل للبيع لرغبته في العودة الى منزله السابق في الاعظمية بعد ان قام بترميمه . وكانت من بين الذين حضروا للمعاينة منزل المنصور زوجة عبد السلام عارف التي لم تشتره لانه صغير على حد قولها حيث انه يتكون من أربع غرف نوم فقط .

والواقع ان الذي جعل عبد السلام عارف يظل يتوجس خوفا من السيد رشيد عالي الكيلاني هو الاستقبال الذي حظي به الكيلاني من قبل المدعوين على مائدة افطار اقيمت في القصر الجمهوري في شهر رمضان بعد قيام الثورة على قاسم مباشرة ودعى اليها الكيلاني باعتباره رئيس وزراء سابقا كما يقضي بذلك البروتوكول . فقد حظي الكيلاني باحتفاء كل الحضور الذين انشغلوا به عن عبد السلام عارف . ومنذ ذلك التاريخ لم توجه اية دعوة للكيلاني لحضور اي حفل رسمي .

ظل السيد رشيد عالي الكيلاني مواطنا عاديا بعد ذلك حتي وفاته في صيف سنة ١٩٦٥ عن ٧٠ عاما . وقد شاء القدر ان يتوفى الله الكيلاني في عهد عبد السلام عارف الذي توفي هو الاخر بعد ذلك بفترة غير طويلة في حادث سقوط طائرة هليكوبتر . ولم يرتح عبد السلام عارف ولا نظامه بعد وفاة الكيلاني . فقد شاء القدر ان يكون الاجهاز على نظام عارف الذي تولى رئاسته اخوه عبد الرحمن على يد حزب البعث ايضا . تماما كما تم الاجهاز على نظام قاسم بذات اليد .

وشاء القدر ايضا ان تكون وفاة الكيلاني الذي عاش سنوات طويلة من عمره مشردا خارج وطنه ، ان يتوفى ايضا خارج وطنه حيث كانت وفاته في احد فنادق بيروت في ٢٨/٨/١٩٦٥ اثر ازمة قلبية حادة فاجأته في نهاية عطلة صيفية قضاها متنقلا في مختلف المناطق اللبنانية برفقة زوجته وعائلته . وقد قضيت انا واسرتي هذه العطلة معه غير اني غادرت لبنان الى بغداد بسيارتي قبل وفاته باسبوع واحد فقط .

وتولى الاشراف على نقل جثمان الكيلاني من بيروت الى بغداد وتفسيله اللواء محمود شيت خطاب وهو ضابط عراقي كبير تولى منصبا وزاريا فيما بعد وصادف تواجده في بيروت حين توفي الكيلاني .

تشييــــع رسمي

وفي بغداد قرر رئيس الوزراء طاهر يحيى ان يجري "تشييع رسمي" لجثمان الكيلاني الذي سار في موكب تشييعه من منزله في المنصور الى مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني حيث جرى دفنه هناك . وكان تشييعا مهيبا كبيرا حافلا شارك فيه اهالي بغداد وفي مقدمتهم طاهر يحيى رئيس الوزراء والوزراء . اما عبد السلام عارف الذي حقد على الكيلاني في حياته فلم ينس حقده عليه في مماته . فقد تغيب عارف عن موكب التشييع ولم يرسل مندوبا عنه ايضا .

لم يفطن عبد السلام عارف الى ضرورة قيامه بواجب تقديم العزاء إلا بعد اسبوع من دفن جثمان الكيلاني . وبعد انتهاء فترة تقبل العزاء . فبعد ان تساءل كل العراقيين عن اسباب تخلف عبد السلام عارف عن المشاركة في الجنازة وتقديم العزاء . اتصل مع ابن الفقيد فيصل وابلغه انه قادم لتقديم التعازي . ولم اكن ارغب في التواجد ضمن الذين استقبلوه لولا ضغط والحاح فيصل الذي طلب مني ان التزم الصمت ايضا حتى لا نصطدم مع رئيس الجمهورية .

وقد برر عبد السلام عارف تخلفه عن المشاركة في الجنازة - دون ان يسأله احد - وكان يوجه حديثه الى فيصل بانه لم يحضر خشية ان يتساءل الناس في المستقبل اذا لم يشارك في جنازة احد الشيوخ مثلا . . . لماذا شارك الرئيس في جنازة الكيلاني ولم يشارك في جنازة فلان . . . ؟ !

ولم اتحمل هذا التبرير وانا ارى مندوبي كل الاجهزة الاعلامية الذين اصطحبهم عارف معه في محاولة منه لاستغلال وفاة الكيلاني الذي حاربه حيا من اجل تحسين شعبيته على حسابه ميتا . فقلت له بانفعال ودون تقيد باي بروتوكول . . . عبد السلام . . . ليش هو اللي مات عبد الزهرة . . ؟ ! واعني بهذا الاسم اي مواطن عادي وسألته كم رشيد عالي يوجد في العراق . ثم من هو الذي يلومك اذا شاركت او لم تشارك في جنازة فلان او علان . . ؟ !

فقال عبد السلام . . . اسكت يا نجم انت لا تعرف الناس . . . ورددت عليه . . لا . . . لا هذه غير مقبولة منك .

وتمر الايام وتوفي عبد السلام عارف في حادث الطائرة فلم اشارك في تشييع جنازته . وحين شاءت الظروف ان التقي مع اخيه عبد الرحمن الذي كان قد اصبح رئيسا للجمهورية عاتبني قائلا لم ارك في تشييع الرئيس . . ؟

اجبته . . . اظنك تعرف السبب . فهو لم يشارك في تشييع الكيلاني . . اما انا فقد حضرت فاتحته مع انه لم يحضر فاتحة الكيلاني ايضا .

وللحقيقة والتاريخ فان تصرفي هذا لم يكن تشفياً ، حاشى لله وإنما كان أمراً طبيعياً ليس الاّ .. رحمهم الله جميعاً . .



● جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني والمقبره الخاصة المجاورة له .

ثورة الجيش والشعب تمحق حكم الدكتاتورية والرجعية

قاسم العراق يلقى جزاءه العادل

الثورة جاءت لتسير بالشعب نحو حياة افضل

الجماهير

● صحيفة « الجماهير العراقية » صباح اليوم الثاني لسقوط قاسم



● عبد السلام عارف وناجي طالب

● نعش رشيد عالي الكيلاني على سيارة عسكرية



● طاهر يحي



الشيخ جلال الحنفي في تحية الاستاذ رشيد عالي الكيلاني

اليك أبا الابطال مني تحية
نظمت لها الدر النضير قصيدا
لقد كنَت ملء القلب أنىَّ تحملت
بك العيش تطوي أَجْرُعاً ونجودا
تخال اذا غادرتَ بيداً مخوفة
بأن لست تلقى للمخاوف بيدا
طريداً تحاماه ذووه وقومه
لك الله في عرض الخطوب طريدا
ومالك غير الصبر وهو أثارة
من العزم عَزَّت في الرجال وجودا
ابا فيصل ان الجهاد فريضة
على الناس شيخا طاعناً ووليدا
فما كان نصرٌ بالذي يستحقه
أناس أعدوا للجهاد قعودا
وانت عركت الدهر ليناً وشدة
وغوَّرت في سوح القراع بعيدا

فهل كان إلا العزم عندك قوة
صمدتَ بها للحادثات صمودا
وانك أبليت في كل معرك
بلاءاً على الاعداء كان شديدا
وقد ثرت والحكام في الشرق كله
رضوا ان يكونوا للطغاه عبيدا
فلم يبرحوا في طول ذل اصابهم
ركوعاً لأمر الاجنبى سجودا
وانت الذي ابكيت من عين شرشل
فأصبح مخلوع الفؤاد عميدا
غداه ضربت الانكليز ولم تكن
لترهب ناراً دونهم وحديدا
وما كنت يوماً خائفاً من وعيدهم
اذا خاف أقوامٌ سواك وعيدا
فلو حزت نصراً يوم ثورة مايس
لَدَوّخت دهراً ما يزال عنيدا
فان طال ليل الحائرين عليهم
فكم بدل الله العهود عهودا
الم تر أنَّ الله قد ردَّ كائداً
اراد لك الموت الزؤام مكيدا
لقد كان إمّا دار بالخمر رأسُه
من السكر أو مما يشتهيك شهيداً
وانت قرات الذكر وهو مفصل
فشاهدت عاداً هالكاً وثمودا
كذلك امر الله فيما يريده
تبارك رباً شائياً ومريدا

يبدد شملا كان من قبل جامعا
ويجمع شملاً كان قبل بديدا
وما مات من لم يختم الله عمره
ولو قطعوا نِيطاً له ووريدا
وما أكذب الايام في كل مشرقٍ
تريك به ظلَّ القصير مديدا
فان غربت حنَّت الى الكذب مغرباً
تروح به ان غادرت لتعودا
وأقتل شيء للطغاة اغترارهم
بملك أحاطوه قنوى وجنودا
وما حسبوا ان الشعوب اذا طما
بها الغيظُ دكت ما رأوه وطيدا

بغداد ٢/ ٥ / ١٩٦٥



المراجع العربية

رؤوف البحراني

السياسة الحالية السليمة في عهد الوزارة الهاشمية الثانية .

مطبعة ابن زيدون بدمشق ـ ١٩٣٨

فاضل البراك

دور الجيش العراقي في حكومة الوفاء الوطني والحرب مع بريطانية سنة ١٩٤١ .

الدار العربية ـ بغداد ـ ١٩٧٩ .

فاضل البراك

حكومة الدفاع الوطني البذرة القومية للثورة العربية .

وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد ـ ١٩٨٠ .

زكريّا سليمان بيّومي

الأخوان المسلمون والجماعات الاسلامية في الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ ـ ١٩٤٨ .

مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ١٩٧٩ .

تاريخ القوات العراقية المسلحة

الجزء الأول

الدار العربية للطباعة ـ بغداد ـ ١٩٨٦ .

صالح صائب الجبوري

محنة فلسطين واسرارها السياسية والعسكرية .

مطبعة دار الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧٠ .

عبد الهادي الجواهري

الوثية يوم الخميس ٣ نيسان ١٩٤١ .

مطبعة النجاح ـ ١٣٦٠ هـ .

عماد أحمد الجواهري

نادي المثنى وواجهات التجمع القومي في العراق ١٩٣٤ ـ ١٩٤٢ .

مطبعة دار الجاحظ ـ بغداد ـ ١٩٨٤ .
نزار عبد اللطيف الحديثي وجماعته
الحدود الشرقية للوطن العربي
دراسة تاريخه
دار الحرية للطباعة ـ بغداد ـ ١٩٨١ .
عامر حسك
أحداث البصرة في ثورة ٢ مارس عام ١٩٤١ .
مطبعة أوفسيت الميناء ـ بغداد ـ ١٩٧٧ .
فالح حنظل
اسرار مقتل العائلة المالكة في العراق ١٤ تموز ١٩٥٨ .
بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧١ .
رجاء حسين حسني الخطاب
العراق بين ١٩٢١ ـ ١٩٢٧ .
دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٧٦ .
رجاء حسين حسني الخطاب
عبد الرحمن النقيب حياته الخاصة وآراءه السياسية وعلاقته بمعاصريه .
المكتبة العالمية ـ بغداد ـ ١٩٨٥ .
عبد الحليم الخفاجي
حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون .
مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٩ .
عادل غفوري خليل
أحزاب المعارضة العلنية في العراق ١٩٤٦ ـ ١٩٥٤ .
مطبعة أوفسيت الانتصار ـ بغداد ١٩٨٤ .
عبد الرزاق عبد الدراجي
جعفر ابو الثمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨ ـ ١٩٤٥ .
وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد ـ ١٩٨٠ .

وحيد رأفت
فصول من ثورة ٢٣ يوليو .
دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٩٨٧ .
ممدوح الروسان
الطرق وقضايا الشرق العربي القومية ١٩٤١ ـ ١٩٧٨ .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٩ .
ليث عبد الحسن الزبيدي
ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق .
منشورات مكتبة اليقظة العربية ـ الطبعة الثانية ـ بغداد ١٩٨١ .
أنور السادات
قصة الثورة كاملة .
دار القاموس الحديث ـ بيروت .
علي سلطان
تاريخ سورية ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ . نهاية الحكم التركي .
طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ دمشق ١٩٨٧ .
علي سلطان
تاريخ سورية ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ حكم فيصل بن الحسين .
طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ دمشق ١٩٨٧ .
سندرسن باشا
ترجمة وتعليق سليم طه التكريني مذكرات ١٩١٨ ـ ١٩٤٦ .
مكتبة اليقظة ـ بغداد ـ الطبعة الثامنة ـ ١٩٨١ .
محمد صالح آل السهروردي
لب الألباب
٣ أجزاء
مطبعة المعارف ـ بغداد ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٣ م .

نجم الدين السهروردي
الكتاب الأبيض .
مطابع دار الزمان - بغداد - ١٩٦٦ .
صادق حسن السوداني
النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ - ١٩٥٢ .
منشورات دار الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية - بغداد ١٩٨٠ .
توفيق السويدي
مذكراتي
دار الكاتب العربي - بيروت ١٩٦٩ .
مالك سيف
للتاريخ لسان .
دار الحرية للطباعة - بغداد - ١٩٨٣ .
مكي شبيكة
العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى حزيران .
دار الثقافة - بيروت - لبنان - ١٩٧٠ - ١٩٧٨ .
علي محمود الشيخ علي
مذكرات .
دار الواسط للدراسات والنشر والتوزيع - بغداد - ١٩٨٥ .
صلاح الدين الصباغ
مذكرات من رواد العروبة .
الطبعة الثانية - مكتبة اليقظة العربية دار الحرية للطباعة - بغداد - ١٩٨٣ .
عباس محمود العقاد
الشيوعية والانسانية .
دار الاعتصام - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٧٩ .
سمير عبد الكريم
أضواء على الحركة الشيوعية في العراق (٣ أجزاء) ١٩٣٤ - ١٩٥٨ - ١٤ تموز ١٩٥٨ - ٨ شباط

١٩٦٣ ٨ شباط ١٩٦٣ ـ ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ .
دار المرصاد ـ بيروت .
فكرت نامق عبد الفتاح
سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ .
وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد ـ ١٩٨١ .
عوني جدوع العبيدي
صفحات في حياة الحاج أمين الحسيني .
مكتبة المنار ـ الأردن ـ الزرقاء ـ ١٩٨٥ .
صالح أحمد العلي وجماعته
ايران منظور تاريخي للشخصية الايرانية .
مركز البحوث والمعلومات ـ دار الحرية للطباعة ـ ١٩٨٣ .
سامي عبد الحافظ القيسي
ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ ـ ١٩٣٦ ـ الجزء الأول .
مطبعة حداد ـ ١٩٧٥ .
كاراكتاكوس ـ ترجمة خيري حماد
ثورة العراق .
منشورات المكتب العالمي للتأليف والترجمة ـ بيروت ـ ١٩٥٩ .
زهير المارديني
الف يوم مع الحاج أمين .
الطبعة الثانية ـ ١٩٨٠ .
علي محافظة
العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٨١ .
وليد المعلم
سوريا ١٩١٨ ـ ١٩٥٨ التحدي والمواجهة .
شركة بابل للنشر ـ نيقوسيان ـ قبرص ـ دمشق ١٩٨٥ .

حسن مصطفى
حرب حزيران ١٩٦٧ .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٣ .
عباس مراد
الدور السياسي للجيش الأردني ١٩٢١ - ١٩٧٣ .
منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث - بيروت ١٩٧٣ .
عبد الغني الملاح
تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٨٠ .
ناصر الدين النشاشيبي
من قتل الملك عبد الله ؟
منشورات الانباء - الكويت - ١٩٨٠ .
وميض جمال عمر نظمي
ثورة ١٩٢٠ .
المكتبة العالمية - بغداد - ١٩٨٥ .
صلاح نصر
عبد الناصر وتجربة الوحدة
الوطن العربي - القاهرة - ١٩٧٦ .
عبد الرزاق أحمد النصيري
نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية .
منشورات مكتبة اليقظة العربية - بغداد - ١٩٨٧ .
رؤوف الواعظ
الاتجاهات الوطنية فى الشعر العراقي الحديث .
منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - بغداد - ١٩٧٤ .
فؤاد حسين الوكيل
جماعة الأهالي في العراق

وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد ـ ١٩٨
دزموند يونغ ـ ترجمة وتعليق سليم طه الندبي
رومل ومذكراته السرية
الطبعة الثانية مطبعة أوفست عشتار ـ بغداد ـ ١٩٨٧ .

المراجع الانجليزية

MICHAEL BARONE & GRANT UJIFUSA
THE ALMANAC OF AMERICAN
POLITICS 1984
NATIONAL JOURNAL, WASHINGTON D.C 1984

GERRARD CHALIAND AND J.P. RAGEAU
STRATEGIC ATLAS
A COMPARATIVE GEOPOLITICS OF
THE WORLD'S POWERS
HARPER & ROW, PUBLISHERS, NEW YORK 1983

WILBUR CRANE EVELAND
ROPES OF SAND
AMERICA'S FAILURE IN THE
MIDDLE EAST
W.W. NORTON & CO. LONDON — NEW YORK 1980.

ROBERT GORALSKI
WORLD WAR II ALMANAC
1931-1945
BONANZA BOOKS, NEW YORK, 1981.

WOLF RUDIGER HESS
MEIN VATER RÜDOLF HESS
ENGLANDFLUG UND GEFANGENSCHAFT
LANGEN MÜLLER, MÜNCHEN, 1984

LUKASZ HIRSZOWICZ
THE THIRD REICH AND THE
ARAB EAST
ROUTLEDGE & KEGEN PAUL,
LONDON 1966, TRANSLATED
FROM THE POLISH (WARSAW, 1963)

RONALD LEWIN
HITLER'S MISTAKES
WILLIAM MORROW AND CO, INC.
NEW YORK, 1984.

HERBERT R. LOTTMAN
PETAIN, HERO OR TRAITOR
THE UNTOLD STORY
VIKING, ENGLAND, 1985

ALEXANDER McKEE
DRESDEN 1945
THE DEVIL'S TINDERBOX
SOUVENIR PRESS, LONDON, 1982

RICHARD NATKIEL
ATLAS OF WORLD WAR II
BISON BOOKS Ltd. 1985

EDITH & E.F. PENROSE
IRAQ, International Relations
and National Development
LONDON, ERNEST BENN BOULDER,
WESTVIEW PRESS

KURT VON TIPPLESKIRCH
GESCHICHTE DES ZWEITEN
WELTKRIEGS
ATHENAUM-VERLAG-BONN, 1956.

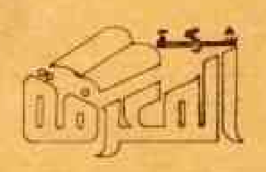
ROBERT WISTRICH
WER WAR WER IM DRITTEN
REICH
HARNACK VERLAG, MÜNCHEN, 1983

PETER YOUNG
ATLAS OF THE
SECOND WORLD WAR
BERKELEY PUBLISHING
CORPORATION, 1974.

SIR MAURICE PETERSON
BOTH SIDES OF THE CURTIN
MEMOIRS OF A FAMOUS
DIPLOMATIST
CONSTABLE, LONDON, 1950.

HEINZ TILLMANN
DEUTSCHLANDS ARABER POLITIK
VEB DEUTSCHER VERLAG DER
WISSENSCHAFTEN, BERLIN, 1965

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة



شركة المعرفة للنشر والتوزيع بغداد -
ص . ب ٥٢٢٤ هاتف ٨٨٦٨٦٩٤

السعر : خمسة دنانير